الجـــــــمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبـــــــــية
وزارة التـــــــــعليم العـــــــالي والبـــــــــــحث العلمي
جـــــــامعة الجزائـــــــــــــر 2
معهد الآثـــــــــــــــار

الكتابات الأثرية
في الفترة العثمانية بالجزائر
دراسة أثرية تاريخية لسانية

مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه في الآثار الإسلامية
تخصص : آثار إسلامية

إعداد الطالب
سعيد بوخاوش

إشراف
أ.د خيرة بن بلة

السنة الجامعية 2025 / 2026

الجـــــــمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التـــــــعليم العـــــــالي و البـــــــــحث العلمي
جـــــــامعة الجزائـــــــــــر 2
معهد الآثـــــــــــــار

الكتابات الأثرية في الفترة العثمانية بالجزائر
دراسة أثرية تاريخية لسانية

مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه في الآثار الإسلامية
تخصص : آثار إسلامية

إعداد الطالب
سعيد بوخاوش

إشراف
أ.د خيرة بن بلة

لجنة المناقشة :

عبد الكريم عزوق	جامعة الجزائر 2	رئيسا
أ.د خيرة بن بلة	جامعة الجزائر2	مقررا ومشرفا
ا.د. ذهبية محمودي	جامعة الجزائر2	عضوا
ا.د. رفيقة تومي	جامعة الجزائر2	عضوا
ا.د. سعيد بوزرينة	المركز الجامعي –البيض	عضوا خارجي 1
د. آمال رمادلية	جامعة البليدة2	عضوا خارجي 2

السنة الجامعية 2025 /2026

الإهداء

إلى أمي

إلى أبي

رحمة الله عليكما

اللهم اجمعني بهما مع نبيك في الجنة

آمين

كلمة شكر وتقدير

الشكر لله أولا وأخيرا...

أتقدم بالشكر الجزيل إلى" **ا.د. خيرة بن بلة** "التي أشرفت على هذه الرسالة، ، فلها مني جزيل الشكر والعرفان .

كما لا يفوتني أن أتقدم بالشكر إلى كل من دفعني من الأساتذة إلى البحث في هذا الموضوع أثناء حلقات الدروس خاصة أستاذي عبد العزيز لعرج رحمه الله .

والشكر موصول لكل أعضاء لجنة المناقشة .

كما أتقدم بالشكر الخالص إلى كل من مد لي يد العون لإنجاز هذا العمل، وقد غفلته الذاكرة وهو بعمله باق، فلكل هؤلاء خالص الشكر والتقدير.


بسم الله الرحمن الرحيم

مـــــــــــقـــــــــدمـــــــــــة:

للكتابات الأثرية أهمية كبيرة في الحفاظ على الموروث الحضاري وتبليغه للأجيال اللاحقة، كما أن لها أهمية تاريخية في التأريخ للمنشآت العمرانية بصفة عامة وللمنشآت الدينية بصفة خاصة، وللكتابات الأثرية في الآثار المنقولة كذلك لها نفس الأهمية .

من هذا المنطلق فالكتابة الأثرية مصدر هام من مصادر التاريخ الإسلامي فهي وثيقة أصيلة معاصرة وبعيدة عن التحريف والتزييف، وهي عدة أنواع منها: الكتابات التذكارية، والكتابات التأسيسية، والكتابات التزيينية وهناك كتابات شاهدية تكون على شواهد القبور وغيرها.

ومن جهة أخرى فإن الجزائر عرفت فترات متتالية بعد الفتح الإسلامي فتعاقبت عليها دول وحضارات طيلة القرون الماضية، ساهمت في تطورالعمران ببلاد الجزائر، وقد كانت الفترة العثمانية فترة حرجة، فقد كان للوجود العثماني في الجزائر آثار متعددة على مختلف الأصعدة، وقد نالت الناحية العمرانية اهتماما واسعا في العصر العثماني حيث اعتبرت الجزائر الدولة العثمانية استمرارا للخلافة الإسلامية، ولهذا السبب استنجد الجزائريون بها بعد التحرشات الإسبانية المستمرة على السواحل الجزائرية لاسيما بعد سقوط الأندلس وطرد المسلمين منها.

نجد في المنشآت المعمارية عدة كتابات أثرية حيث عرفت العمارة تطورا واضحا لاسيما العمارة الدينية حيث وجد العثمانيون طرازا معماريا محليا كان ناتجا عن تعاقب حكم الدول المتتالية لبلاد الجزائر واستقدموا معهم طرازا مختلطا، ساهم في تطور العمارة الدينية بالجزائر.

وعلى غرار العمارة الدينية في الدولة العثمانية التي اتصفت بكثرة وتنوع الكتابة العربية على جدرانها ومداخلها، وجدت هذه الكتابات أيضا في العمارة المدنية في الجزائر. كما نجد كتابات عديدة في العمارة العسكرية و الآثار المنقولة .

لم يكتف الفنان المسلم بنقش النصوص الكتابية على العمائر بأنواعها (دينية ومدنية وعسكرية ... وغيرها)، وإنما نقش النصوص الكتابية المتنوعة وبخطوط عديدة على التحف الفنية المنقولة مثل المنابر والكراسي والدكات واللوحات والأحواض، وبالطبع كتبت المصاحف بخطوط متنوعة، كما كان للنقود الحظ الأوفر في الكتابة بالعربية.

ويوجد في الجزائر العديد من التحف الفنية المنقولة في العهد العثماني نقشت عليها نقوشا كتابية سواء تسجيلية أوتذكارية أو دعائية أو شعرية أو دينية قرآنية وغيرها من الكتابات .

ولهذا سأختار نماذج من هذه القطع العديدة والمتنوعة لدراسة خصائص الكتابات العربية الأثرية المسجلة عليها في العهد العثماني بالجزائر .

الإشكالية:

من خلال ماسبق يتبين لنا أن للكتابات الأثرية دورا بارزا في الحفاظ على الموروث الثقافي، وهي تمثل وثائق تاريخية صادقة تساعد على توثيق الأحداث، ولغة هذه الكتابات هي اللغة العربية.

من هنا كان المنطلق وكان البحث في الكتابات الأثرية العربيةوالبحث فيها من الجانب الأثري والتاريخي واللساني(اللغوي).

إن البحث في حقائق علم الآثار والتاريخ واللسانيات هو المدخل الذي فتح علي مشروع هذه الدراسة، فلغة الكتابة الأثرية لها من الأهمية ما يجعلها مصدرا للتعرف على الحياة الاجتماعية والثقافية للأمة خلال فترة زمنية ما، ثم إن البحث في العمارة الدينية أثناء دراسة الماجستير

ألهمني البحث في الكتابات الأثرية بالجزائر خلال العهد العثماني، فالدراسات التي وقفت عليها لحد الآن لم تهتم كثيرا بالجانب اللغوي (في مستوياته المختلفة: الإملائي والصرفي والمعجمي والدلالي والتركيبي وحتى البلاغي).

ثم إن هذه الكتابات قد تكون نثرا وقد تكون نظما، كما أن المدن الجزائرية خلال العهد العثماني تتمتع بكم هائل من المنشآت الدينية حيث لبست هذه المدن حلة معمارية تتمثل في المباني الدينية التي كانت تحظى باهتمام الحكام وأعيان الدولة من كبار التجار والطبقة الغنية من الجزائريين، وهذه العمائر غالبا ما تكثر فيها الكتابات الأثرية باللغة العربية، من هنا يمكن طرح التساؤل الرئيسي التالي الذي يضبط الإشكالية:

فيم تتجلى المظاهر والخصائص الأثرية والتاريخية واللغوية في الكتابات الأثرية في العمارة وفي التحف المنقولة في العهد العثماني بالجزائر ؟

وتندرج تحت هذا السؤال الرئيس الأسئلة التالية:

كيف كانت الأوضاع الثقافية وواقع اللغة العربية بالجزائر في الفترة العثمانية؟

ما هي خصائص الخط ولغة الكتابات العربية الأثرية بالجزائر في الفترة العثمانية؟

هل ساهمت الدولة العثمانية في نشر الخط العربي خلال حكمها بالجزائر ؟

كيف كانت طريقة تأريخ المنشآت الدينية من خلال الكتابات التأسيسية ؟

ماهي مميزات الكتابات الأثرية في العمارة المدنية والعسكرية والآثار المنقولة؟

هذه الأسئلة وغيرها هي لب الدراسة النظرية والتطبيقية التي سيتعرض لها هذا البحث.

الهدف من الدراسة :

هذه الدراسة حسب الإشكالية السابقة تبحث في موضوع لغة الكتابات الأثرية في العمارة الدينية والمدنية والعسكرية وفي التحف المنقولة بالجزائر في الفترة العثمانية، كما

تبحث في واقع اللغة العربية والخط العربي بالجزائر في هذه الفترة ، وحيث أن العهد العثماني لا يزال بحاجة إلى دراسة في جميع الجوانب، فكثيرا ما يقال في كتب الغربيين أن اللغة العربية شهدت نكبة في هذا العهد، فهل الأمر صحيح في بلاد المغرب وخاصة الجزائر؟ فهذا الجانب مهم .

كما تهدف الدراسة أيضا إلى الاطلاع على كيفية التأريخ للعمارة في العهد العثماني، وكيف كان اهتمام العثمانيين بهذا الجانب.

تهدف الدراسة إلى التعرف على الأوضاع الثقافية وواقع اللغة العربية بالجزائر في الفترة العثمانية.

تهدف الدراسة إلى التعرف على خصائص الخط ولغة الكتابات الأثرية بالجزائر في الفترة العثمانية.

كما تهدف الدراسة أيضا إلى تبيين خصائص وسمات استعمال اللغة العربية في الكتابات الأثرية .

وتهدف الدراسة أيضا إلى إطلاع المعماريين المعاصرين بأشكال الكتابات الأثرية لغرض تطويرها واستعمالها في صورة تتلاءم وتطور العصر .

وتهدف الدراسة أيضا إلى طرح الموضوع واستدعائه إلى ساحة الاهتمام ذلك أن البنايات الجديدة التي نشاهدها اليوم لا تتقيد بالجانب التاريخي، وهذا يؤدي إلى إضاعة أصول وتاريخ المنظومة العمرانية بالجزائر.

كما تهدف الدراسة إلى تقصي الحقائق التاريخية والأثرية التي تعرضت إلى التشويه والتزييف المقصودين وخاصة ما تعلق بالتاريخ الثقافي للجزائر فقد اعتبر الكتاب الأوروبيين ومن سار في فلك إنتاجهم الفكري من المؤرخين العرب الجزائر مجرد مستعمرة تركية وجهازها الإداري العسكري مجرد وسيلة موجهة للجباية،لا تهتم بأمور البلاد بقدر ما تتطلع

دوما إلى تعزيز نشاط القرصنة سعيا للحصول على مزيد من الغنائم والحقيقة التاريخية والعلمية منافية لذلك تماما لأن الباحثين لم يتحملوا عناء البحث في الآثار المترامية في ربوع الجزائر كلها ويستنطقوها ويستخرجوا الحقائق والنتائج العلمية منها.

المنهج المتبع:

يحتاج هذا الموضوع منهجين الوصفي والتحليلي بالدرجة الأولى، حيث يكون الوصف في جزئيات الكتابات الأثرية من حيث نوع الخط وأنماط الكتابة ومواد اللوحات الأثرية وكيفية الكتابات، أما المنهج التحليلي فيكون لتحليل مضمون الكتابات الأثرية تبعا لمستوياتها المختلفة.

حيث أعتبر النص الأثري نصا لغويا وأحلل مضمونه لسانيا باختصار، وهذا يؤدي حتما إلى الوصول إلى خصائص اللغة المستعملة في ذلك العصر.

ورغم اعتمادي على هذين المنهجين إلا أنني سأستعين بالمنهج التاريخي الذي أرخ من خلاله للكتابة الثرية وللمعلم الأثري الذي يحملها.

ولما كانت حدود البحث هامة جدا فإن هذا البحث يستعمل عينة للدراسة واضحة المعالم، حيث اخترت مدنا جزائرية رئيسية في العهد العثماني (الجزائر، وهران، معسكر، البليدة، قسنطينة، عنابة، مستغانم وشرشال) وبعض المتاحف، وقمت بمعاينة المعالم الأثرية وجمعت الكتابات الأثرية منها، واخذت صورا لها، كماقمت بالاستعانة بالدراسات السابقة مع التحقق الميداني من نتائجها.

وقد جاءت خطة البحث في مقدمة وخمسة فصول وخاتمة.

المقدمة:حيث ذكرت فيها موضوع البحث وحدوده، كما طرحت إشكالية الموضوع ثم عرضت أهدافه وأهميته، وتطرقت فيها إلى أسباب اختيار الموضوع والصعوبات التي

اعترضتني، كما تطرقت فيها إلى الدراسات السابقة باختصار،وخلصت إلى عرض تطورات البحث باختصار أيضا .

الفصل التمهيدي: الإطار الجغرافي والتاريخي والأثري والعمراني للوجود العثماني في الجزائر

الفصل الأول:الأوضاع الثقافية وواقع اللغة العربية بالجزائر في الفترة العثمانية

الفصل الثاني:الخط و الكتابة الأثرية بالجزائر في الفترة العثمانية

الفصل الثالث: الكتابات الأثرية العربية في العمارة الدينية بالجزائر في الفترة العثمانية ــ دار السلطان وبايلك التيطري

الفصل الرابع:الكتابات الأثرية العربية في العمارة الدينية بالجزائر في الفترة العثمانية بايلك الشرق الجزائري و بايلك الغرب الجزائري

الفصل الخامس: الكتابات الأثرية في العمارة المدنية والعسكرية بالجزائر في الفترة العثمانية

الفصل السادس:نماذج من الكتابات العربية في الآثار المنقولة بالجزائر في الفترة العثمانية

الخاتمة: وفيها ذكرت نتائج البحث والتوصيات.

لقد شكلت العديد من المصادر والمراجع المنابع الأساسية في أفكار ومضمون هذا العمل لكن كان اعتمادي بالدرجة الأولى على المعالم الميدانية في العمارة المدنية والعسكرية والدينية وزيارة العديد من المتاحف للاطلاع عن الآثار عن قرب ثم مقارنتها بما هو موجود في الكتب و لقد اعتمدت أيضا على العديد من الأطاريح التي تناولت الموضوع وعلى سبيل المثال أطروحة الأستاذة خيرة بن بلة والأستاذ عبد العزيز لعرج وأعمال لخضر درياس وعبد الحق معزوز ومذكرة الماجستير للأستاذ سعيد بوزرينة ورسالة الدكتوراه للأستاذ سمير بوطيش الذي استفدت منه العديد من الصور ومحمد رافع وجميلة جلال وغيرهم، كما استفدت من العديد من المراجع مثل المرآة لحمدان خوجة وتاريخ الجزائر الثقافي لأبي

القاسم سعد الله وأعمال ناصر الدين سعيدوني وشريفه طيان وعلي تابليت وغيرهم من الذين كتبوا عن الحياة الثقافية في الفترة العثمانية. كما استعنت بكتابات جورج مارسي ووكولان ودوفولكس وغيرهم ممن اهتموا بالكتابات الأثرية، ولكن غالبا ما كنت أعود إلى الكتابات العربية وإلى التحفة .

كما أنني عملت في البداية على أن تكون الصور في بطاقات و في الملاحق، ولكن بعد التشاور مع المشرفة والعديد من الأساتذة، ونظرا لصعوبة الفهم بإضاعة الوقت في الرجوع إلى الملحقات، أضربت عن هذه الطريقة ووضعت صور الكتابات في متن البحث وكذلك صور المعالم والتحف ليسهل على القارئ التعرف على التحفة أواللوحة الرخامية ويربط مضمونها و تحليلها مباشرة. فرأيت أنه من الأحسن أن لا أحيل القارئ على ملاحق وفهارس الصور والأشكال والخرائط واللوحات، وهو الأمر الذي درجت عليه في رسالة الماجيستير.

إن للكتابات الأثرية أهميه كبيرة في المجالات الثقافية والعلمية وهي مصادر يصعب الطعن فيها والتشكيك في حقائقها وهي التي ساهمت في سد العديد من الثغرات في المصادر التاريخية كما صححت العديد من الأغلاط التي وقع فيها المؤرخون ،كما مكنت الباحثين من إثبات أو نفي العديد من المعلومات التاريخية كما مكنت المؤرخين والباحثين من ترجيح رواية على أخرى.

إن الكتابات الأثرية لها أهمية من حيث جعلها الحرف العربي ينتقل من الوظيفية إلى الجانب الفني الجمالي حيث نجد العديد من الألواح الفنية، إضافة إلى كونها وثيقة تاريخية، إلا أنها تتمتع بعناصر جمالية تشهد لبراعة الصانع الجزائري في الفترة العثمانية وما قبلها.

بينت الكتابات أنها حامله للثقافة العربية الإسلامية فنجدها تتضمن العديد من الأبيات والأحاديث والأدعية والحكم والأمثال والأبيات الشعرية، ولقد نفذت بعدة أساليب تطرقت إليها باختصار

في الرسالة مما يبين تقنية الرسم وكيفية الكتابة وأنواع الخطوط وتطورها وهذا من خلال النماذج الموجودة في المتاحف والعمارة.

تجدر الملاحظة أن اهتمام الباحثين الجزائريين بالكتابات الأثرية قليل مقارنة مع ما نجد في بعض البلدان المشرقية. والذين كتبوا فيها اعتمدوا على الأرشيف بالدرجة الأولى، الأمر الذي يدعوا إلى إعادة الكتابة في هذا الموضوع،واستنطاق الآثار في المتاحف والعمارة والمباني المدنية والعسكرية على غرار ما قام به لخضر درياس وعبد الحق معزوز مثلا، كما أنه ينبغي الانفتاح على الكتابات في الفنون التطبيقية على غرار ما قام به سمير بوطيش في أطروحته، ولكن رغم ذلك يبقى هذا الموضوع بحاجة إلى البحث في مضمون هذه الكتابات وتبيان مواضيعها لا سيما من حيث التاريخ والثقافة واللغة والأدب.

فكثيرا ما تكون هذه الكتابات عبارة عن شعر وحكم وأمثال وأبيات و أحاديث تحتاج إلى شرح وتبيان وجه المناسبة فيها، والصيغ الموجودة فيها.

تحتاج هذه الكتابات إلى تقديمها للباحثين مصنفة ومفهرسة ومنمطة ومصورة تصويرا جيدا، وتقدم بشكل رقمي للباحثين في شتى التخصصات ليستفيدوا منها ومن مضامينها في أعمالهم، كما أنه على الباحثين أن ينشروا ما توصل إليه الكاتب الجزائري في الفترة العثمانية من قيم عالية وحضارية تنفي الزيف الذي يريد أن يلصقه به الاستعمار.

وفي الأخير لا يسعني إلا أن أقول ما قاله العماد الأصفهاني وهذا بعد أن رأيت ما توفر عندي مما كتبت وانتقيت من آلاف الصفحات و قد حذفت أكثرها:" إني رأيت أنه لا يكتب أحد كتابا في يومه إلا قال في غده: لو غير هذا لكان أحسن، ولو زيد هذا لكان يستحسن، ولو قدم هذا لكان أفضل، ولو ترك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشرو الله المستعان.

الفصل التمهيدي

الإطار الجغرافي والتاريخي والأثري والعمراني للوجود العثماني في الجزائر

1-أثر ظهور الخلافة العثمانية على البلاد الإسلامية والعربية

2-أوضاع الجزائر قبل الوجود العثماني

3-الوجود العثماني في الجزائر

4-مراحل حكم العثمانيين في الجزائر

شغلت الدولة العثمانية حيزا كبيرا للغاية في التاريخ، سواء تاريخ العالم الإسلامي أو تاريخ العالم الأوروبي المسيحي، امتدت فتوحاتها إلى ثلاث قارات هي آسيا أوروبا وإفريقيا، وغدت دولة آسيوية و أوروبية و إفريقية، و هي أكبر دولة في العالم الإسلامي اتساعا، ومن هذا المنطلق أحاول باختصار شديد، أن أمهد لهذه الرسالة بتمهيد يتناول تاريخ هذه الدولة، وتنظيمها والأبعاد الحضارية فيها وما يمت بصلة إلى العمارة الدينية وكيف انتشرت في جميع الأقاليم، والاهتمام الذي عرفته في الجوانب الثقافية، والاهتمام الذي عرفته في الجوانب الثقافية .

1 – أثر ظهور الخلافة العثمانية وآثارها على البلاد العربية :

كان ظهور الدولة العثمانية أملا عند الشعوب الإسلامية، فقد ملأت فراغا في تاريخها، إذ أنه تزامن مع ظهور وانتصار القوى الصليبية في غرب العالم الإسلامي حيث كان لسقوط الأندلس وقعا كبيرا ومؤثرا على المسلمين حكاما ومحكومين، وكادت أن تتبعها بقية الدول في المغرب العربي، لكنه في الوقت الذي سقطت فيه حواضر المسلمين في الأندلس، فتحت القسطنطينية، وفي الوقت الذي اندفع فيه صليبيو اسبانيا نحو العالم الإسلامي من الغرب اندفع الفاتحون العثمانيون نحو أوروبا من الشرق، وأصبحت الدولة العثمانية حامية حمى الإسلام، والمدافع عن شرفه ومقدساته في البر والبحر، ومنذ ذلك الوقت وليس لأوروبا النصرانية هم أو هاجس إلا الخلافة العثمانية[1].

وكانت الحملات الصليبية تهدف إلى محو الدين وإبادة أتباعه جملة وتفصيلا، بينما عامل محمد الفاتح أهل الذمة عند فتح القسطنطينية كما هي سنة الإسلام في معاملة أهل الذمة، فقد حافظ على شعائرهم وترك لهم الحرية الدينية لقد نظر العثمانيون إلى أنفسهم على أنهم

[1] عدنان العطار المرجع نفسه ، ص 202

مسلمون في كل شئ فطبعوا المدن المفتوحة بالطابع الإسلامي حيث غدت المدن العثمانية الكبرى مثل: قونية وبورسة واستانبول وأدرنة مدنا إسلامية ومراكز للدراسات الإسلامية.[1] وتنافس الخلفاء العثمانيون على إقامة المساجد والمدارس الدينية لتدريس العلوم الشرعية، كما أقاموا الكتاتيب لتحفيظ القران الكريم، وبنوا العديد من التكايا والحمامات العامة، وأوقفوا الكثير من الأوقاف للإنفاق من ريعها على تلك المؤسسات الدينية الخيرية ونالت المدن المفتوحة التابعة للدولة العثمانية قسطا كبيرا من ذلك [2]

2 أوضاع الجزائر قبل مجيء العثمانيين:

حافظت الجزائر على كيانها بعد زوال الاستعمار الثلاثي، الروماني، الوندالي والبيزنطي على أيدي الفاتحين حملة رسالة الإسلام في منتصف القرن السابع الميلادي، فقد عرفت المنطقة عبر ظهور الممالك والإمارات الإسلامية التي تشكلت في المغرب الأوسط، وظهرت بارزة بين المغرب الأدنى والمغرب الأقصى، وحافظ المغرب الأوسط (الجزائر)على استقلاليته وخصوصيته مما جذّر وجوده عبر التاريخ، لقد شكل المغرب الأوسط (الجزائر)عبر تاريخه العريق ملتقى لحضارات تعاقبت عليه، لكنه برز في الفترة الإسلامية بوضوح بعد اعتناق أهله للإسلام، وصار فاعلا في بناء الحضارة الإنسانية[3]

[1] عدنان العطار،المرجع السابق ، ص 207

[2] - صبرينة لنوار،مساهمة الأوقاف في تمويل التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني،مجلة مدارتا تاريخية ،المجلد3 ، العدد الثاني ،ص ص 91 –93

[3]- موسى لقبال ،المغرب الاسلامي،ط2،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع،الجزائر ،1981، ص ص193–195 ،انظر الملحق رقم 2

وبالرجوع إلى نظرية الدولة عند ابن خلدون يتبين أن العصبية القبلية والمذهبية أساس في نشأة عدة دول في المغرب الأوسط (الجزائر)، حيث ارتبطت الدولة بالقبلية، وكانت الدولة تتوسع وتسود تبعا لقوة القبيلة وتكتلها مع قبائل أخرى، أو اعتمادها مذهبا دينيا معينا[1]، وقد كانت أول إمارة جزائرية هي الدولة الرستمية بتيهرت "استمرت إلى غاية القرن الثاني عشر الميلادي، حيث جاءت الدولة الموحدية التي قادها المهدي محمد بن تومرت ثم عبد المؤمن بن على إنتهت إلى تكوين إمبراطورية واسعة، حيث وحدت بلاد المغرب مع الأندلس[2] هذه الإمبراطورية التي لم يشهد المغرب مثيلا لها عبر كل تاريخه، أخذت تتداعى منذ أن انهزم الموحدون أمام القوات الإسبانية في معركة العقاب سنة 1212، إذ بعد عشريتين تقريبا من هذه الهزيمة انفصل الشطر الشرقي من الإمبراطورية، مشكلا الدولة الحفصية المستقلة بعاصمتها تونس، وتلا ذلك اقتطاع بنو عبد الواد (بنو زيان) المناطق الوسطى من أراضي الإمبراطورية مشكلين دولة جديدة عاصمتها تلمسان ثم تحركت قبائل بني مرين لتستولي على المغرب الأقصى والعاصمة الموحدية (مراكش)[3].

وكانت الجزائر إحدى دول المغرب الثلاث بعد سقوط الدولة الموحدية، حيث كانت هناك ثلاث دول:وهي دولة بنو عبد الوادي (الدولة الزيانية) في المغرب الأوسط، وبنو مرين في المغرب الأقصى، وبنو حفص في المغرب الأدنى، ونشبت بين هذه الدول نزاعات وتصارعوا على الحدود وقد ذكر سعد الله هذه الأوضاع مختصرة حيث قال:" تثبت خريطة القرن التاسع أن المغرب العربي كان تحت نفوذ ثلاث دول رئيسية هي: المرينية والزيانية

3 –عبد الرحمان بن خلدون ،العبر ودوان المبتدأو الخبرفي ايام العرب و العجم والبربر ومن عاصرهم من ذو السلطان الاكبر ،تح علي عبد الواحد،لجنة البيان العربي القاهرة ،1965م ،ص ص598– 599

[2]موسى لقبال ، المغرب الاسلامي ،المرجع السابق ،ص ص 200–204

[3]– صالح عباد، الجزائر من خلال الحكم التركي 1514–1830، الجزائر، دار هومة، 2001، ص 7.

والحفصية، ومن التسامح فقط القول بأن الأولى كانت تحكم ما هو الآن المغرب الأقصى والثانية تحكم ما هو الآن الجزائر والثالثة تحكم ما هو الآن تونس[1]

وإضافة إلى التطاحن السياسي الإقليمي كان هناك تطاحن عائلي مرير وطويل، فكل أسرة من الأسر المذكورة (المرينية والزيانية والحفصية)، كانت في خصومة داخلية مستمرة على الملك ووسط هذا التمزق العائلي كان الأدعياء والمتآمرون والمغامرون والمستفيدون يزيدون النار حطبا وبذلك كثرت الحروب وسادت الفوضى وعمت اللوصوصية وارتخى حبل الأمن[2].

وفي الوقت الذي كانت فيه الأوضاع الداخلية لبلاد المغرب العربي على هذا النحو كان التهديد الصليبي الغربي لهذه البلاد على أشده، " فلقد اختلت أحوال الدولة الزيانية بالمغرب الأوسط وظهر فيها الضعف وآلت إلى السقوط، وبالمقابل هدد المد الصليبي الاسباني والبرتغالي المغرب العربي بالاحتلال، وواجهت شعوبه هذا المد بشجاعة عالية، فلم تسمح له بتجاوز بعض الموانئ على الساحل التي استطاع السيطرة عليها، نظرا لضعف الدول الثلاث المغربية: المرينة والزيانية والحفصية، التي بدل أن تتوحد مثلما كان الحال عليه في عهد الدولة الموحدية استمرت في حروب بينها أنهكت قواها وصارت خطرا على أمن المغرب العربي واستقلاله[3] .

وهكذا عندما سقطت غرناطة آخر معقل للمسلمين في الأندلس على يد الإسبان عام 1492م اضطر المسلمون إلى مغادرة الأندلس فارين من الاضطهاد الإسباني وقد استقرت مجموعة كبيرة من هؤلاء الأندلسيين في بلدان شمال إفريقيا، "حيث عرفت هجرات واسعة من شبه

1- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي،ج1، 1500-1830، بيروت، لبنان، دار الغرب الإسلامي، ص40،انظر الملحق رقم 3

2- ابو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر ....،المرجع ،نفسه ، ص41.

3-عثمان سعدي ، الجزائر في التاريخ ، ص 369 .

جزيرة إيبيريا إليها، كانت الهجرات في البداية محدودة ثم تحولت إلى هجرات جماعية كبيرة، وبعد أن استولى الإسبان على الإمارات العربية الإسلامية مثل طليطلة وقرطبة وإشبيلية وسرقسطة وبلنسية وغيرها، ولأن غرناطة لم تتمكن من استيعاب المهاجرين إليها، فكان لا بد من الانتقال إلى المغرب، واشتدت الحركة أكثر بعد سقوط غرناطة سنة 1492 وفشل انتفاضة جبال البشارات (1499–1502)، فقد خير الإسبان المسلمين المشاركين في الانتفاضة بين اعتناق المسيحية أو مغادرة البلاد"[1]

لقد نصبت محاكم للتفتيش واضطر المسلمون إلى ترك ما يملكون ويهاجروا إلى بلاد المغرب، وقد بلغت الهجرة الأندلسية أوجها إثر قرارات الطرد الجماعية التي أصدرها ملوك الإسبان، حيث كانت المدن الجزائرية الساحلية كوهران وشرشال والجزائر وبجاية وغيرها تستقبل هؤلاء المهاجرين، كما كانت تستقبلهم مدن أخرى داخلية مثل تلمسان والبليدة، وقد نقل الأندلسيون (الموريسكيون) إلى الجزائر عادات وصناعات وثقافة جديدة[2].

ومنذ ذلك الحين بدأ الإسبان يفكرون في احتلال السواحل المغاربية خشية عودة المسلمين إلى الأندلس مرة أخرى، وقد شجعهم على ذلك ضعف البلدان المغاربية التي كانت تفتقر إلى الوحدة السياسية والقيادة الحكيمة والتنظيم الشامل، وبدأ الاسبان غاراتهم على السواحل الجزائرية فاستولوا على عدة مدن ساحلية، منها: المرسى الكبير عام1505م، ووهران عام1509م، وبجاية عام1510موصخرة البونيون الواقعة في بوابة مدينة الجزائر[3]

[1] صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي، ص 19.

[2] _ صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي، ص 19.

[3] - El-korso mohamed,Deeplaza mikel,Orant et l’ouest algerien au 18éme siecle,d’apré le rapport Aramburubnote et doccumet n 3 ,ed BNF,paris 1978,p 35

ظهور الإخوة بربروس وصلتهم بالجزائر:

في الوقت الذي كانت فيه السواحل المغاربية تعاني من الغارات الاسبانية، ظهر الأخوان عروج وخير الدين[1]، المعروفان بـــ "بربروس" في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط وقد اتفق في تلك الفترة مع السلطان الحفصي محمد بن الحسن على منحهما جزيرة جربة التونسية ليتخذ منها قاعدة لأسطولهما مقابل مشاركة السلطان الحفصي بخمس الغنائم[2] وبعد أن استقر عروج وخير الدين في جزيرة جربة قاما بعدة حملات بحرية على السواحل الاسبانية، نقلا خلالها عددا كبيرا من الأندلسيين إلى شمال إفريقيا، ومنذ ذلك الحين ذاع صيتهما في أوروبا والمغرب العربي مما جعل أهالي بجاية يستنجدون بهما ضد الإسبان فاستجاب عروج لنداءاتهم، وحاصر مدينة بجاية عام 1512م 1514-1515م، ولكنه لم يفلح في فتحها، وانسحب في نهاية الأمر إلى مدينة جيجل التي اتخذها هو وأخوه خير الدين قاعدة لهما، بعد أن طردا منها الحامية الجنوية[3]. وكانت مدينة الجزائر بعد تهديدها من قبل الإسبان قد اتجه حاكمها سالم التومي مع وفد من أعيان الجزائر إلى بجاية واجتمعوا بالقائد الإسباني "بيدرو نافارو" – Pedro Navaro– وخلال الاجتماع اتفق الطرفان على أن يعقد السلام بين مدينة الجزائر وبين الاسبان، وأن يتعهد أهالي مدينة الجزائر بإطلاق سراح الأسرى المسيحيين، وأن يسافر وفد جزائري إلى اسبانيا لعقد اتفاقية سلام مع الحكومة الاسبانية، وأن يدفع الجزائريون ضريبة سنوية للقائد الإسباني المقيم في بجاية مقابل عدم

---

[1]– عثمان سعدي، المرجع السابق، ص 370-371.

[2]–محمد خير فارس، تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي، ص 24.

[3]– أرزقي شويتام، نهاية الحكم العثماني في الجزائر و عوامل انهياره ، الجزائر ، دار الكتاب العربي ، ط: 1، 2011، ص . 10 ـــ11 Corinne chevalier ,les trente premiere années de l'état d'Alger ; 1510 1541,ed OPU,1986 . pp28 ,29

تعرض الإسبان لمدينة الجزائر[1]، وبناء على هذا الاتفاق سافر الوفد الجزائري إلى إسبانيا واتفق مع حكومتها على أن يسلم الجزائريون إحدى الجزر الصخرية "البنيون" الواقعة في مدخل ميناء الجزائر، للإسبان ليقيموا عليها حصنا بحريا يحرس تجارتهم و حرية مواصلاتهم البحرية[2].

وفي سنة1516م توفي ملك أراغون فرديناند الخامس[3]، فانتهز أهالي مدينة الجزائر الفرصة للتخلص من الاتفاقية والضريبة التي كانوا يدفعونها للإسبان، كما أرسلوا وفدا برئاسة حاكمهم سليم التومي إلى جيجل ليستغيثوا بعروج وخير الدين[4] ضد الإسبان الذين كانوا يهددون مدينة الجزائر، فاستجاب الأخوان لطلب أهالي الجزائر، وقرر عروج أن يتجه إلى الجزائر عن طريق البر، وفي طريقه إليها انضمت إليه بعض القبائل، كما طلب من أخيه خير الدين أن يلحق به عن طريق البحر، ولما وصل عروج إلى مدينة الجزائر حاول أن يطرد الإسبان من الحصن المواجه للميناء، ولكنه فشل في محاولته، وفي تلك الآونة أدرك حاكم مدينة الجزائر سليم التومي أنه جلب إلى البلاد منافسا خطيرا، لذا بدأ يفكر في كيفية التخلص منه، ولكن عروج أدرك دسائسه، فقام باغتياله ونصب نفسه حاكما للجزائر عام

---

[1]– أحمد توفيق المدني، حرب الثلاث مائة سنة بين الجزائر واسبانية 1492– 1792،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر،1965، ص126–127

[2]– أحمد توفيق المدني، حرب الثلاث ...نفس المرجع السابق

[3]– فيرديناند الخامس الكاتالوكي، (1452–1516)، تولى الملك عام 1474م تزوج بازابيلا ملكة قشتالة ووحد تقريبا شبه الجزيرة الايبيرية، مما ساعد على القضاء على مملكة غرناطة سنة1492م.للمزيد انظر: Louis Cardaillac, L'Espagne des rois catholiques (Le prince don Juan Symbol de l'apofée D'un règne, 1474_1497 Edition Aurement _ collection Mémoires P: 23.

[4]_ تولى عروج الحكم من سنة 1515 إلى سنة 1518 ومن الأحداث التي وقعت في عصره اتصال العثمانيين بالجزائر وفتح مدينة جيجل والوصول إلى الجزائر وشرشال، أما خير الدين تولى الحكم من 1518 إلى سنة 1534 وهو الذي أقام أسس الإيالة وحافظ على حدودها، كما استرجع حصن البينيون سنة 1529 وفي عصره هزم كل من شارلكان وأندرى دوريا.للمزيد انظر:ارزقي شويتام ،طبيعة الحكم العثماني في الجزائر 1519م–1830م،*مجلة التاريخ المتوسطي* ،المجلد 4،العدد1،الجزائر ،جوان ،2022 ص ص103–104

1516م[1]، ومنذ ذلك الحين صار عروج حاكما للجزائر وضرب النقود باسمه وأقام حكومة عسكرية سنة1516م.

و يعتبر دخول عروج للجزائر بمثابة نجدة ضرورية لسكانها الذين خضعوا له، "وانطلق سائر رجالها نحو العدو ومعهم الأندلسيون المهاجرون وهم يحسنون استعمال الأسلحة النارية، يؤطرهم جنود عروج القليلو العدد المتمرسون على قتال الصليبيين، وهجم الكل على الإسبان واضطرب البحر وتحول إلى عاصفة حطمت العديد من سفن العدو على صخور شاطئ باب الواد، ولم يسلم سوى عدد قليل من الجيش الإسباني، تمكنت فلول من جنوده ركوب ما تبقى من السفن تاركين وراءهم أسلحتهم ومدافعهم وجثث 300 قتيل و800 أسير[2].

وما أن انتشرت أنباء هذا الانتصار حتى سارعت مدن البليدة وملیانة والمدية وبلاد زواوة إلى إعلان ولائها لإمارة الجزائر المجاهدة ووصل أسطول خير الدين من جيجل بميناء الجزائر فقام الأخوان بتحصين المدينة استعدادا لجولة أخرى مع الإسبان ثم قاموا بتحرير تنس ثم دلس ثم توجهوا إلى تلمسان التي استشهد فيها عروج[3].

3 . الوجود العثماني في الجزائر:

بعد هذه البدايات لهذا العهد العثماني في مواجهة الحملة الصليبية الإسبانية للسيطرة على المغرب العربي، و تمسيح سكانه ، فقد تمكنت الدولة العثمانية من تحرير سائر المدن المغربية ليبيا وتونس والجزائر.

لقد كان لظهور الأتراك بالجزائر دور فعال في إنقاذ هذا البلد من احتلال إسباني واقع لا محالة، لذا قبل السكان بالانضواء تحت لواء الخلافة العثمانية بإسطنبول بعد أن استنجدوا

---

[1]– Alfred Nettement, Histoir de la conquête D'Alger,ecrit sur des documents inedits et Authentiques ed librairie jaques lecoffre ,Paris 1867, p 7 .

[2]عثمان سعدي، الجزائر في التاريخ ، المرجع السابق، ص372.

[3]– عثمان سعدي، الجزائر في التاريخ ، المرجع السابق، ص372

بالأخوين عروج وخير الدين، وما من شك فإن رابطة الدين هي التي كانت الدافع الرئيسي لمثل هذا الرضا أو القبول، خاصة وأن الصراع آنذاك كان على أشده بين المسلمين والصلبيين، فقد بذل الأتراك العثمانيون جهودا تحفظ لهم في التاريخ من أجل حماية الجزائر من التحديات الاستعمارية طوال ثلاثة قرون[1].

وقد ذكرت سابقا أن خير الدين خليفة عروج تولى الحكم في الجزائر، وقد طلب من السلطان العثماني سليم الأول أن يرسل له جنودا وعتادا لإخماد الانتفاضات الداخلية والتصدي للغارات الإسبانية، فرحب السلطان العثماني سليم الأول بطلبه وأرسل له جنودا وعتادا[2] . وكان هدف السلطان من وراء ذلك جعل الجزائر حصنا أساسيا يحمي الدولة العثمانية من المد الاسباني والبرتغالي، ومنذ ذلك الحين دخلت الجزائر تحت لواء السلطان العثماني الذي عين في 1519م خير الدين حاكما لها بلقب بايلرباي (أمير الأمراء)[3].

قرر مشايخ وزعماء الجزائر بعد استشهاد عروج، أن يسندوا إلى خير الدين واجب إمارة الجهاد بعد أخيه، بعد مناقشة الموقف، وألحوا عليه في ذلك لكنه اعتذر عن قبول الإمارة، وبعد إلحاحهم الشديد قال إنه لابد من التعاون مع الدولة العثمانية وحاكمها سليم خان الذي سوف يعتمدون عليه في حماية هذه المدينة، ولن يتم ذلك إلا ببيعته والدخول في طاعته والدعاء له في الخطب وعلى المنابر وضرب السكة باسمه، فقبل المشايخ والزعماء ورضوا به[4]، وهكذا قرر الجزائريون أن تكون بلادهم جزءا من الدولة العثمانية، ووافق خير الدين

---

[1] _ سماعلي زوليخة، تاريخ الجزائر من فترة ما قبل التاريخ إلى الاستقلال، ط،2 ،الجزائر، دار دزاير أنفو، 2013، ص137.

[2] – أرزقي شويتام، نهاية الحكم العثماني ...المرجع السابق ، ص 12.

[3] – نفسه.

[4] في قولهم :لا تطيب انفسنا بفراقك و لا تسمح لك بذلك،فان الله تعالى قد نصرنا بك على العدو و حصل في قلوبهم الرعب منك....فرد عليهم بضرورة االلتحاق بالباب العالي لانه لا يملك الوسائل للمزيد انظر مجهول ،كتاب غزوات عروج و خير الدين عبد القادر مطبعة الثعالبية ،الجزائر 1934،ص ص 79-80 .

على البقاء مؤقتا حاكما لهذه الدولة حتى يتخذ السلطان العثماني قراره فيما عرضه عليه أهل الجزائر، ويمدهم بما طلبوه من دعم، عن طريق وفد رحل إلى القاهرة حيث كان السلطان سليم الأول مقيما لتنظيم البلاد بعد سقوط دولة المماليك، وقابل الوفد الذي كان يرأسه الحاج حسين[1]، ونجحت البعثة في تحقيق أهدافها فقد سارع السلطان سليم الأول إلى منح رتبة بيلر بك إلى خير الدين بربروس وهي رتبة تعطي صاحبها صلاحية في اختصاصات إدارية واسعة ومتشعبة، كما تجعله قائدا أعلى للقوات المسلحة في الإقليم ممثلا للسلطان، وكان من مدلولات منح هذه الرتبة أن بلاد الجزائر التي كان يحكمها خير الدين تصبح تحت السيادة العثمانية، وأن أي اعتداء عليها يعتبر اعتداء على الدولة العثمانية نفسها، ودعم سليم هذا القرار السياسي بقرارات تنفيذية تمثلت في إرسال جيش بسلاح المدفعية العثمانية[2].

وهكذا شهد حكم السلطان سليم الأول بداية لتوسع الدولة العثمانية إلى أقاليم بلاد المغرب، وهو بلاد الجزائر وذلك من أجل الحفاظ على الإسلام والعروبة وبعد وفاته عام 1520م، ترك لابنه السلطان مهمة توطيد السيادة العثمانية على إقليم الجزائر ومد هذه السيادة إلى إقليمين مجاورين هما طرابلس وتونس[3].

وتلقت الخلافة العثمانية طلب الجزائريين بالقبول وأمدتهم بالمساعدات العسكرية سنة 1519 /926هـ، وعين على إثرها خير الدين حاكما على الجزائر بعد أن لقب بايلرباي الجزائر[4]، وبهذا المرسوم السلطاني أصبحت الجزائر إيالة عثمانية لها الحق في إصدار سكتها، بل

---

[1]– خيرة بن بلة ، المنشآت الدينية بالجزائر خلال العهد العثماني ، رسالة دكتوراه ، إشراف : عبد العزيز لعرج ، جامعة الجزائر 2 ، معهد الآثار ، 2008م ، ص 11 ، بسام العسلي، ص107، 108.

[2]– Farine (CH), Deux pirates au XVI em sicle – Histoire des Barberousse –ED Paul Ducrocq Paris, 1869, p,121

[3]– خيرة بن بلة ،ص 11 ، عبد العزيز محمد الشناوي، المرجع السابق، ص911.

[4]_ تكتب هذه اللفظة أيضا بيرباجي أو بكربك وهي كلمة تركية يراد بها أمير الأمراء. من اين لك بهذا تهميش

يمكن القول بأنها بدأت من هذا التاريخ تحتل الصدارة في شمال إفريقيا وعمل حاكمها خير الدين على استرجاع البنيون Penon سنة 1529م/936هـ وبناء ممر الميناء الذي لا يزال يعرف باسمه، وبذلك أصبح في إمكان سفنه الإرساء في أمان[1].

وهنا يجب أن نشير إلى أن الجزائر انضمت إلى الدولة العثمانية بدون الالتجاء إلى القوة[2]، وهذه الميزة أعطتها وضعا خاصا جعلها أقل تبعية للباب العالي عن بقية الأقاليم الإسلامية الأخرى، بل أن تبعيتها كانت تنحصر في الجانب الروحي وبعد مغادرة خير الدين للإيالة واعتلاءه لقيادة الأسطول العثماني بالقسطنطينية غادرها سنة 941/1534هـ خلفه في حكم الإيالة مجموعة من الشخصيات اشتهرت بدهائها السياسي وحنكتها العسكرية كحسن خير الدين وصالح رايس وعلج على وحسن فنزيانو وغيرهم من البايلربايات[3].استكملت الجزائر في الفترة العثمانية أنظمتها وإطاراتها الداخلية وتحققت لها وحدتها القومية.

والإقليمية والسياسية، وظهر اندماج مختلف عناصر السكان وتآلفهم في كتلة واحدة وتحت نظام حكم واحد، وظهرت الجزائر كشعب ودولة واحدة ذات مقومات واضحة ومتينة، لتلعب دورها الممتاز والفريد على الساحة الدولية[4].

لقد حافظت الجزائر على نفسها وعلى جيرانها من الغزو الأوروبي الذي طال المسلمين في الأندلس، وبفضل هذه الفترة بقيت للجزائر وللمغرب العربي كينونته العربية الإسلامية، إذ تعتبر هذه الفترة من جهة أخرى بمثابة المعبر الزمني الذي حافظ على قيم البلاد الحضارية ومقوماتها العربية الإسلامية، وبرز هذا الكيان بالخصوص في اختيار عاصمة قارّة ورسم

---

[1]–عبد الجليل التميمي،اول رسالة من اهالي مدينة الجزائر الى السلطان سليم الاول 1915م،المجلة التارخية المغاربية،العدد5،مؤسسة عبد الجليل التميمي للبحث العلمي و المعلومات زغوان تونس ،1976،ص 120

[2] انظر الملحق رقم 2

[3] يمينة درياس، السكة الجزائرية في العهد العثماني، الجزائر، دار الحضارة، 2007، ط1، ص 104.

[4] يحيى بوعزيز: الموجز في تاريخ الجزائر، ج1، الجزائر، دار الطباعة للنشر، 1955، ص 153

حدود واضحة، ووضع أجهزة إدارية وسنّ أنظمة اقتصادية وإقرار أوضاع اجتماعية وانتهاج علاقات سياسية خارجية تتلاءم وأوضاع البلاد[1].

و بعد ذلك عرفت الجزائر أربعة أنظمة متباينة ميزت مراحل الحكم:

4 . مراحل الحكم الجزائري في الفترة العثمانية :

لقد اعتاد المؤرخون على تقسيم الحكم الجزائري في الفترة العثمانية إلى أربع مراحل[2]:

المرحلة الأولى: عهد البايلربايات 1518- 1587م/924-995هـ

لقد كان لقب البايلرباي يطلق على حكام الجزائر ابتداء من عام 1518م، حيث كان خير الدين بعد استشهاد أخيه عروج قد أعلن تبعيته للسلطان العثماني، حيث برزت الخلافة كأكبر دولة إسلامية إطارها العالم الإسلامي، تتوجه نحو حماية المسلمين في كل مكان، وبطلب من الجزائريين تقرر إلحاق الجزائر بالخلافة، فأرسل إلى السلطان سليم يعرض عليه بيعته وذلك عام 1518، قبل السلطان سليم الأول- وكان آنذاك بالقاهرة-عرضه قبولا حسنا وأرسل له 2000 جنديا مسلحين بالبنادق وعددا من الرجال مع مدفعياتهم وعددا من المتطوعين[3].

وهو التاريخ الذي دخلت فيه الجزائر تحت راية الخلافة العثمانية بصفة رسمية عام 1518م.

---

[1] ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، ج2، المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،1985، ص 29.

[2] للتفصيل ينظر: صالح فركوس:الجزائر من ما قبل التاريخ إلى غاية الاستقلال ،سماعيلي زوليخة: تاريخ الجزائر ،صالح عباد: الجزائر خلال الحكم التركي.

[3] سماعيلي زوليخة المولودة علوش، تاريخ الجزائر من فترة ما قبل التاريخ إلى الاستقلال ، الجزائر ، 2013، دار دزاير أنفو،ط2 ، ص 138.

و كان أول من لقب بهذا اللقب خير الدين.و كان البايلرباي[1] يعين من قبل السلطان العثماني من رجال البحر.وقد لمعت في عهد هؤلاء الحكام[2] عدة أسماء أمثال خير الدين وحسن بن خير الدين وصالح رايس، وعلج علي [3]ويعتبر هؤلاء الحكام من الرجال البارزين الذين أعادوا تنظيم البلاد وإخضاعها إلى سلطانهم حيث أسند حكمهم إلى الحدود التونسية والمغربية ليصل حكمهم سنة 1552م إلى ورقلة وتقرت [4]. يمكن اعتبار البايلربايات ملوكا مستقلين رغم اعترافهم بسيادة السلطان العثماني، حيث تمكنوا من إيجاد قاعدة شعبية لهم تساعدهم في مهامهم، ما أضفى على عهدهم نوعا من الاستقرار والهدوء وتمسكوا بمبدأ تحرير البلاد من بقايا الاحتلال الإسباني، ما أكسبهم المزيد من الاحترام والتقدير لدى العامة، كما حاولوا التقرب من رجال الصوفية وكسب ولائهم ومنحهم الكثير من الامتيازات نظرا للشعبية الواسعة التي كان يتمتع بها شيوخ الزوايا[5].

---

[1]يعتبر البايلرباي الرئيس الأعلى لكل البايات الذين سوف يتولون الحكم في بلاد المغرب العربي الإسلامي (الجزائر، تونس، طرابلس)، وخول السلطان دولة البايلرباي أن تضرب السكة باسمها، ويعتبر ذلك علامة الاستقلال ضمن الإمبراطورية العثمانية (للتفصيل أنظر: توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا، الجزائر، ط2، ص198، وصالح فركوس، تاريخ الجزائر، ص 105.)

[2]البايلربايات الذين حكموا الجزائر كانوا كالتالي: بابا عروج (1513-1518)، خير الدين بربروس (1518-1534م)، الخادم حسن باشا (1534-1544م)، حسين بن خير الدين (1544-1551م)، صالح رايس باشا (1552-1556م)، حسن قورصو (1556-1556م)، يوسف بك (1556-1556م)، يحي باشا (1556-1557م)، حسن بن خير الدين "للمرة الثانية" (1557-1561)، أحمد باشا (1561-1562م)، حسن بن خير الدين "للمرة الثالثة (1562-1567م)، محمد بن صالح (1567-1568م)،علج علي باشا (1568-1571)، حسن باشا (1572-1572م)، عرب أحمد (1572-1574)، رمضان باشا (1581-1577م)، حسن باشا "فنزيانو" (1577-1580م)، جعفر باشا (1580-1581)، رمضان باشا (1581-1582م)، جعفر باشا "للمرة الثانية" (1582-1583)، علج حسن باشا (1583-1585م)، محمد باشا (1585-1585م) . صالح فركوس ، تاريخ الجزائر من ما بل التاريخ إلى غاية الاستقلال ــ المراحل الكبرى ، الجزائر ، عنابة، دار العلوم للنشر و التوزيع ، 2005 ، ص106.

[3]أرزقي شويتام ،نهاية الحكم العثماني في الجزائر، ص 17 نقلا عن Petite histoire de l'Algérie ,T 1,p 268

[4]المرجع نفسه .

[5] حنيفي هلايلي: أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، الجزائر، 2008، ص 132.

تميزت هذه المرحلة بمميزات سياسية تمثلت في إلحاق الجزائر بالخلافة العثمانية وصارت الجزائر أهم ولايات الخلافة، مما أكسبها قوة من الداخل والخارج.

ومن الناحية العسكرية قامت الدولة الجزائرية في إطار الخلافة بالتصدي للعديد من الحملات الأوروبية، حيث قامت إسبانيا بشن حملة على الجزائر بقيادة قودو مونقاد هيغو دي مونكادا Hugues de Moncada في شهر أوت عام 1519، ولكنها منيت بهزيمة نكراء، كما تصدوا لعدة حملات أخرى[1].

أما على المستوى الاقتصادي والعمران، فقد اهتم البايلربايات بتشييد المساجد وسخروا الأوقاف على مشاريع البر والإحسان وأجروا المياه للمنفعة العامة، حيث شهدت الجزائر حركة عمرانية كبيرة، بالإضافة إلى بناء الحصون والمدارس والقصور والحمامات وقلاع ضخمة لا تزال أثارها شاهدة.

وكان للطراز المحلي دوره البارز في تطور العمران في المدن والأرياف، حيث انصهر الجزائريون في بوتقة العمران وراحوا يبنون بلدهم في ظل الاستقرار.

وأما على المستوى الإداري، فقد امتد نفوذ الجزائر إلى معظم المناطق بالبلاد في الجهات الثلاث: الشرقية والغربية والجنوبية، وتم تنظيم إدارتها حيث قسمت إلى أربع عمالات (بايلكات) وهي:

- بايلك الغرب عاصمته مازونة،ثم معسكر ،ثم وهران
- بايلك الشرق وعاصمته قسنطينة
- بايلك الجنوب أو التيطري وعاصمته المدية

[1] احمد توفيق المدني ،حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر و اسبانيا 1492م-1792م، دار البعث ،قسنطينة الجزائر ،د ن ،ص ص 205-208

- والمقاطعة المركزية ،عرفت بدار السلطان وعاصمته مدينة الجزائر والتي يقيم فيها البايلرباي [1].

ومما يلاحظ في هذه الفترة " توسع نطاق الحكم العثماني في الجزائر وتونس وطرابلس الغرب، وتوغل العثمانيون جنوبا إلى واحات ورقلة وتقرت"[2] ووصلوا إلى بسكرة و أدرار و الوادي حسب ما تبينه العديد من المخطوطات الموجودة في هذه الفترة .

- **المرحلة الثانية: عهد الباشوات 1587- 1659م/995-1069ه:** كان الباشوات[3] يعينون من قبل السلطان مباشرة من استانبول لمدة ثلاث سنوات، ولهذا اعتبروا موظفين غرباء عن الجزائر[4]، اقتصرت مهمتهم على جمع المال وذلك لقصر مدة حكمهم[5] .ولكن هذا الحكم

---

[1]- مصطفى بن حموش، فقه العمران الاسلامي من خلال الأرشيف العثماني الجزائري956-1246هـ /1549-1830م من واقع الأوامر السلطانية و عقود المحاكم الشرعية ، دبي 2000،، ص ص 23-28

[2]مصطفى بن حموش، فقه العمران الاسلامي من خلال الأرشيف العثماني ، المرجع نفسه، ،ص 23

[3]الباشوات الذين تعاقبوا على حكم الجزائر: أحمد باشا (1587-1589م)، الخضر باشا (1589-1592م)، الحاج شعبان (1592-1595م)، مصطفى باشا (1595م)، الخضر باشا مرة ثانية (1595-1599م)، دالي حسن أبو ريشة (1599-1600م)، سليمان باشا (1600-1603م)، الخضر باشا مرة ثالثة (1603م)، محمد قوصة (1603-1605م)، قوصة مصطفى القابجي (1605-1607م)، رضوان باشا (1607-1610م)، قوصة مصطفى مرة ثانية (1610-1611م)، مصطفى باشا (1611-1613م)، حسين الشيخ (1613-1616م)، مصطفى خزناجي (1616-1617م)، سليمان قاطانيا (1617-1618م)، حسين الشيخ مرة ثانية (1618-1619م)، الخضر باشا (1620-1621م)، مصطفى باشا حافظ قصور (1621م)، حسين باشا (1621-1623م)، مراد باشا (1623-1624م)، إبراهيم باشا (1624-1625م)، خصرف باشا (1625-1626م)، حسين باشا مرة ثانية (1626-1634م)، يوسف باشا (1634-1637م)، على باشا (1637-1639م)، الشيخ حسن باشا (1639-1640م)، أبو جمال يوسف باشا مرة ثانية (1647-1650م)، محمد بورصالي باشا (1642-1644م)، أحمد باشا (1644-1647م)، أبو جمال يوسف باشا مرة ثالثة (1647-1650م)، محمد باشا (1650-1653)، أحمد باشا (1653-1655م)، إبراهيم باشا (1656-1659م). صالح فركوس ، تاريخ الجزائر من ما بل التاريخ إلى غاية الاستقلال ــ المراحل الكبرى ، الجزائر ، عنابة ، دار العلوم للنشر و التوزيع ، 2005 ، ص117.

[4] P. BOYER . Des Bachas triennaux a la revolution d'Ali KHODJA 1517 _ 1817 ; R.A.N. N° 495.P104 نقلا عن أرزقي شويتام ، ص: 19

[5]المرجع نفسه .

لايمكن سحبه على 30 ثلاثين باشا،إذ في فترة 72 سنة في القرن السابع عشر عرفت الجزائر تغيرات كبرى سياسية وإدارية وحتى في الجانب الاجتماعي، فهذا العهد أيضا لم يحظ بدراسة شاملة ووافية من الباحثين، فبقيت الكثير من أحداثه وجوانبه مهملة منسية، وبقي الاهتمام منصبا بالدرجة الأولى على النمط السردي للأحداث الذي تنقصه الدقة والموضوعية، حيث يغلب عليه في الكثير من الأحيان طابع التبسيط والافتراء والانسياق وراء الأحكام المسبقة.

يمكن القول أن هذه المرحلة والتي تسمى بمرحلة الولاة أيضا، لكون هؤلاء الحكام يعينون من الباب العالي، فبحكم كون الجزائر دولة بحرية تعتبر في نظر العثمانيين من حيث الأهمية العملية ثاني ولايات الدولة في إفريقيا بعد مصر.

لذلك فإن الديوان الهمايوني كان يرسل إليها من يختارهم من بين كبار الموظفين الذين كانوا قد تمرنوا قبل ذلك على حكم ولايات أخرى أصغر، وكان بعضهم قد احتل منصب الوزارة، وحاز ثقة السلطان سواء في الإدارة الداخلية أو في قيادة الجيوش العثمانية[1].

تعاقب على الجزائر أكثر من 30 باشا، تجدد تعيينهم أكثر من مرة، كان هؤلاء يديرون شؤون القطر بمعاونة لجنة استشارية مؤلفة من أربعة أعضاء وهم: وكيل الخرج المكلف بالأسلحة وشؤون الدولة العسكرية والخزناجي المكلف بأموال الدولة والأغا وهو القائد العام للجيوش الإنكشارية، امتازت هذه المرحلة بإخلاص الولاة للخليفة العثماني وإطاعتهم لأوامره وسيطرتهم على قوات الجيش والبحرية[2].

وكان الوالي "الباشا" وهو خليفة السلطان في البلاد، يمارس سلطاته طبقا للفرمانات الواردة من الباب العالي، وكان من الواجبات الملقاة على عاتقه: أنه كان مسئولا عن الدفاع عن

[1] أمين محرز: الجزائر في عهد الأغوات 1559-1671، الجزائر، دار البصائر، 2011، ص 20.

[2] يحي بوعزيز،المرجع السابق، ص 153.

الجزائر، وأن عليه أن يرسل كلّ ما طلب منه قطعا من الأسطول الجزائري معززة بالجنود لمساعدة الدولة في حروبها البحرية، أو لحماية سواحلها من تعديات القراصنة المسيحيين، علاوة على ذلك، كان على الوالي أن يرسل إلى الأعتاب السلطانية مبلغا معينا من المال سنويا، حسب ما تفيد به الأوامر والفرمانات، كما كان عليه أيضا أن يحافظ على استقرار الإيالة وأمنها، وأن يهتم بصفة خاصة بجمع أموال الجباية ويفصل في شكاوي رعاياه، وكانت رئاسة الديوان من أهم اختصاصات الوالي[1].

وإن كانت كتب الأوروبيين تصف الباشوات إجمالا بالضعف خاصة في القرن 17، وأنهم يخضعون لمن يحيط بهم، فإن الباحث في تاريخهم يتبين له أن العديد منهم كانوا من ذوي الشخصيات القوية، بل بعضهم كان من المتعلمين والمحبين للثقافة والعلم، فقد كانت مراسلات يوسف باشا 1644/1642 دسمة ومفيدة، وأعجب به رجال العلم كما أعجب به العامة[2].

ولذلك نجد أن الباب العالي كان يرسل إلى الجزائر عموما أشخاصا لا تعوزهم الكفاءة الإدارية وكأن هؤلاء الولاة يعينون نظريا لمدة تتراوح بين سنة وثلاثة سنوات، ولكن بعضهم شغلوا في مناصبهم لمدة أطول[3].

المرحلة الثالثة: عهد الأغوات 1659-1671م /1069-1082هـ

تعتبر مرحلة الأغوات "منعطفا هاما في تاريخ الجزائر الحديث لما تميز به من أحداث وما شهده من تغيرات طرأت على المجالين السياسي والإداري خصوصا، ومثل كذلك مرحلة انتقالية توسطت عهد الولاة العثمانيين الذين درج على تسميتهم بالباشوات، وعهد الدايات، ويعتبر عهد الآغوات على قصر زمانه أحد أهم فترات تاريخ الجزائر في الفترة العثمانية،

[1] أمين محرز، الجزائر في عهد الأغوات، ص 22.

[2] جمال قنان: نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث 1500-1830، الجزائر، المؤسسة الجزائرية للطباعة، 1987، ص 117.

[3] أمين محرز، الجزائر في عهد الأغوات، ص 23، بتصرف.

ومع ذلك فإن معرفتنا لا تخرج عما سجلته أقلام الكتاب الفرنسيين الذين أطلقوا من الأحكام المسبقة ما لايخدم الحقائق التاريخية المنشودة ولا تعدو كونها مجرد ملامح مضطربة لم تكتمل صورتها حتى في خطوطها العريضة، ومما زاد في غموضها أن معظم الوثائق والمصادر العائدة إلى تلك الفترة نادرة أو ضعيفة المنال[1].

كان الأغوات ينتخبون من الفرقة الانكشارية لمدة شهرين فقط، جعل معظم الانكشاريين يطمعون في الوصول إلى منصب الأغا. وقد تناوب على منصب الأغا أربع أغوات[2] وكلهم اغتيلوا من قبل الجنود بسبب محاولتهم احتفاظهم بمنصب الآغا أكثر من المدة القانونية. ولم يكف الأربع آغوات الذين حكموا الإيالة "سيئين"، فقد كانت الإنكشارية تكن لهم كل المحبة والاحترام، على الأقل في بداية عهدتهم، والشيء القليل الذي نعرفه عنهم على الصعيد الشخصي والإرث السياسي، يبرز لنا رجالا أقوياء ذوو شكيمة وهيبة، والظاهر أن سبب مقتلهم كان راجعا إلى ظروف صعبة ومشؤومة أكثر من كونه نتيجة لسوء إدارتهم.

إن التعاقب المتواتر للآغوات وجهود هؤلاء الحكام للبقاء أطول مدة في السلطة أديا إلى تغيرات مرحلية في نظام الحكم، ممهدا بذلك إلى ما سيكون عليه حكم الدايات، وهكذا كان هذا العهد القصير في الحقيقة طورا انتقاليا بين فترة الانحطاط السياسي للباشوات وعهد الدايات الطويل[3].

---

[1] أمين محرز، الجزائر في عهد الأغوات، ص 08.

[2] خليل أغا (1659-1660م)، رمضان أغا (1660-1661م)، سفيان أغا (1661-1665م)، على أغا (1665-1661م)المرجع نفسه.

[3] أمين محرز: مرجع سابق، ص 224.

المرحلة الرابعة : عهد الدايات 1671م _ 1830م وهي مرحلة طويلة، وكان منصب الداي[1] تتولاه في الغالب إحدى الشخصيات البارزة في الدولة، إلا أن هذه القاعدة لم تكن ثابتة [2] لقد حلّ الدايات محلّ الاغوات من سنة 1082ه/ 1671م، وكانت مرحلة طويلة، كان الداي ينتخب من بين الموظفين السامين، إلا تنصيبه رسميا لا يقع إلا بعد وصول تأكيد السلطان لإنتخابه ووصول القفطان التقليدي وسيف الدولة، كان هذا العصر هو الآخر مليئا بالتوترات والمؤامرات، ولم تكن مدّة حكم الداي تستمر لمدة طويلة إذا استثنينا البعض، إلا أن الجزائر عرفت في هذه الفترة نوعا من الاستقرار خاصة خلال النصف الثاني من القرن 12هـ/18م، حيث عرفت البلاد كذلك أثناءها تحرير المرسى الكبير ومدينة وهران من الاحتلال الإسباني[3].

لقد شهدت هذه المرحلة فترة التصدي للحروب الأوروبية الموجهة للجزائر، وإن عرفت فيها بعض الأمراض والزلازل، إلا أنها شهدت استقرارا في المناطق الداخلية للجزائر.

يمكن القول أن مجيء العثمانيين إلى الجزائر وإلى شمال إفريقيا عامة ، كان إيجابيا، إذ تمكنوا من التصدي للأطماع الأوروبية الاستعمارية، والحلول دون وصول الاستغلال

---

[1] الحاج باشا (1671–1682م)، بابا حسين باشا (1683–1688م)، الحاج حسين باشا ميزو مورتو (1683–1688م)، الحاج شعبان باشا (1688–1695م)، الحاج أحمد باشا (1695–1698م)، حسين باشا الشاوش (1698–1700م)، الحاج مصطفى باشا (1700–1705م)، حسين خوجة باشا (1705–1710م)، محمد بقطاش باشا (1707–1710م)، على باشا شاوش (1710–1718م)، محمد بن حسين باشا (1718–1724م)، كرد عبدي باشا (1724–1733م)، إبراهيم باشا (1733–1745م)، إبراهيم باشا كوجوك (1745–1748م)، محمد بكير باشا (1748–1754م)، على باشا ملمولي "بوصباع" (1754–1766م)، محمد عثمان باشا (1766–1791م)، حسن باشا (1791–1798م)، مصطفى باشا (1798–1805م)، أحمد باشا (1805–1808م)، على باشا الغسال (1808–1809م)، الحاج على باشا (1809–1815م)، عمر باشا (1815–1817م)، على خوجة (1817–1818م)، حسين باشا (1818–1830م). صالح فركوس: تاريخ الجزائر من ما قبل التاريخ إلى غاية الإستقلال، عنابة، 2005، ص 131.

[2] ا نفسه

[3] صالح فركوس: تاريخ الجزائر من ما قبل التاريخ إلى غاية الإستقلال، عنابة، 2005، ص 136.

الاقتصادي الأوروبي وامتداد نطاق الإمبراطوريات الغربية الاستعمارية في وقت مبكر، وينطبق ذلك على دول المشرق أيضا[1]

لقد عاشت الجزائر في ظل الحكم العثماني ما يزيد عن ثلاثة قرون (1519-1830م)، ولم تحظ هذه الحقبة من تاريخ الجزائر الحديث بالعناية الكافية من الدارسين الجزائريين والعرب عامة حتى الآن، فمعظم الدراسات التي تناولت هذه الفترة كانت بأقلام الأوروبيين خاصة الفرنسيين، وهي لا تعطي لنا صورة صادقة وشاملة عن حقيقة تاريخ الجزائر آنذاك.

كما أن الأوروبيين خاصة الفرنسيين منهم أرادوا أن يسوّدوا الفترة الإسلامية عامة ويربط تاريخ احتلالهم بالاحتلال الروماني والبيزنطي، "وقد اعتمد أصحاب تلك الدراسات على الأرشيف الأوروبي وبعض الروايات المحلية، وأهملوا الأرشيف الجزائري والعربي والعثماني الذي يعتبر مصدرا مهما لدراسة تاريخ الجزائر بالعهد العثماني"[2].

كما أن الباحث أمامه العديد من الآثار الذي وجب عليه استنطاقها بنفسه والبحث فيها والوصول إلى حقائق تاريخية بعيدة عن الأنانية واللاموضوعية التي اتسمت بها الدراسات الاستعمارية.

إن العودة إلى الآثار الموجودة في الجزائر يعد أكثر من ضرورة وأن المسؤولية الملقاة على الأثري اليوم هي مسؤولية علمية بالدرجة الأولى، فكثير من الباحثين في حقول أخرى يعتمدون على ما توصل إليه بعض الأثريين في المدرسة الاستعمارية ويتلقونها مسلمات بدون مناقشة ونقد، وهذا يدفعنا إلى إعادة النظر في العديد من المفاهيم المكتوبة في التاريخ وعلم الاجتماع وغيرهما، والاعتماد على ما تتوصل إليه المدرسة الجزائرية من نتائج البحث في علم الآثار وفي غيرها.

---

[1] نفسه

[2] أرزقي شويتام، نهاية الحكم العثماني في الجزائر وعوامل انهياره (1800-1830)، الجزائر، دار الكتاب العربي، ص5.

الفصل الأول:

الأوضـــــــــاع الثقافيـــــــــة وواقع اللغة العربية بالجزائر في الفترة العثمانية

-الأوضاع الثقافية بالجزائر في الفترة العثمانية

1- روابط الجزائر ثقافيا بالخلافة العثمانية
2- المدن الثقافية بالجزائر في الفترة العثمانية
3- نزوح الأندلسيين وتطور المراكز الثقافية في الفترة العثمانية
4- الاهتمام بالثقافة في الجزائر في الفترة العثمانية
5- الوقف ودوره في تطور الحياة الثقافية و العلمية في الفترة العثمانية
6- الهيآت الثقافية ووضعية التعليم بالجزائر
7- الهيئة العلمية و الهيئة الدينية بالجزائر في الفترة العثمانية

ـــ واقع اللغة العربية في الجزائر في الفترة العثمانية.

1- اللغة العربية في فترة الخلافة العثمانية.
2- اللغة العربية في الجزائر في الفترة العثمانية.
3- تعلم اللغة العربية في الفترة العثمانية.
4- اهتمام الجزائريين بالنصوص الأدبية و الشروح و الحواشي .
5- البلاغة و العروض عند الجزائريين في الفترة العثمانية.
6- الآثار الأدبية النثرية والشعرية في الجزائر في الفترة العثمانية
7- مظاهر اللغة العربية في الأغراض الأدبية.
8- المخطوطات آثار تدل على تطور الخط في الجزائر في الفترة العثمانية .

1ــ روابط الجزائر ثقافيا بالخلافة العثمانية:

1-1 منطلقات الثقافة العربية في الخلافة العثمانية:

إن الدارس لتاريخ العثمانيين يتبين له صلتهم بالإسلام و باللغة العربية، فعلى الرغم من اعتزازهم بقوميتهم و تاريخهم وهويتهم إلا أن اللغة العربية بالنسبة إليهم تمثل مكونا هوياتيا لهم، بل مكونا فكريا حتى لما كانوا في أوساط آسيا الوسطى.

لقد اتخذ العثمانيون اللغة العربية لغة دين ومعتقد، ونظرا لكون فهم الإسلام وعلومه وحضارته مرتبط بمدى التمكن من اللغة العربية، فقد جعل العثمانيون هذه الأخيرة منطلق تفكير وركيزة حضارية لبناء الخلافة فيما بعد. ومع اتساع الرقعة الجغرافية للخلافة العثمانية خاصة الولايات العربية مشرقا ومغربا، بما فيها الجزائر التي تركت فيها الحرية الكاملة للتعليم وأبقته على ما كان عليه في العهود السابقة (الزياني والموحدي والمرابطي)، دون التدخل في شؤون العلماء والدعاة في مساجدهم وكتاتيبهم ومدارسهم وزواياهم، بل توسعت في الإغداق عليهم من خلال توسيع دائرة الوقف وتشجيعه . فكانت اللغة العربية هي لغة التعلم والثقافة، سواء للعامة أو رجال الدولة أو حتى الأسرة الحاكمة.

وعلى هذا درج الحكام في الولايات التابعة للباب العالي على الحفاظ على اللغة العربية واستعمالها في الحياة الثقافية والاجتماعية، فظهرت وبرزت في مؤسسات التعليم القديمة والحديثة، وهكذا نجد تماهيا واضحا بين الدين واللغة في فترة الحكم العثماني .

ثم إن المتتبع لتاريخ الحكام العثمانيين يتضح له أن اللغة العربية أساس التكوين لديهم فأغلب مفكريها وعلمائها تكونوا بها، بل مدوناتهم ومؤلفاتهم الشاهدة عليهم مكتوبة باللغة العربية وجاء ذلك من خلال مباشرتهم حفظ القرآن الكريم وعلوم الدين، بل حتى ما كتب باللغة التركية هو بالحرف العربي،ونجد فيها العديد من الألفاظ والأساليب والأداء اللغوي العربي،فمعجمها مليء بالألفاظ العربية قواعد نحوها وصرفها، وكذلك المناهج الموضوعة

للتدريس في المدارس النظامية باسطمبول فقد كانت عربية، على غرار كتب التفسير وشروح الحديث وكتب الفقه والبلاغة وعلوم العربية والخط والإملاء وغيرها

أن المتتبع لكتب التراجم للعلماء في الفترة العثمانية، على غرار شجرة النور الزكية، أو كتاب الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية لطش كبري زادة أو غيرها، يتين له أن أغلب من ترجم لهم لهم مساهمات كبيرة في العلوم وباللغة العربية .

إن الفترة التي ظهرت فيها الخلافة العثمانية هي فترة حرجة جدا، حيث عرفت الخلافة الإسلامية على امتداد رقعتها الجغرافية تكالبا صليبيا مشرقا ومغربا، فعرفت الأندلس حروبا استئصالية مع محاكم التفتيش وطرد المسلمين من الأندلس وقتلهم و تشريدهم. بينما عرفت بلاد الشام وبغداد ومصر وضعا تفكيكيا، الأمر الذي جعل هذه الدولة الفتية تتسم بالطابع العسكري نظرا لكثرة النجدات للمضطهدين من المسلمين خاصة ما يتعلق بالشمال الإفريقي الذي كثرت عليه الأطماع بعد طرد المسلمين من الأندلس.

1-2- تأثر الخلافة العثمانية بالدين الإسلامي واللغة العربية:

نعود فنقول أن البدايات الأولى للخلافة العثمانية هي بداية دينية، حيث كانت المنطلقات من مبادئ الدين الإسلامي عقيدة وتشريعا.فكل الكتب التاريخية تبين اهتمام القادة الأوائل بالدين الإسلامي،و تعلموه علما وتطبيقا،" بعدما انتشر الدين الإسلامي في الديار التركية أصبح هو الدين الرئيس في البلاد، وانتشرت معه اللغة العربية باعتبارها لغة العبادات، لأنه نزل بها القرآن الكريم، وأصبحت لها مكانة هامة مع مرور الزمن بين الفئات الاجتماعية"[1]فالفاتحون الأولون حملوا الدين الإسلامي وحضارته بلغة عربية، فكانت هناك

[1]- فعلى الرغم مما يروى حول مسألة علاقة العثمانيين بالدين الإسلامي من أراء كثيرة، ولكن مما لا شك فيه هو أن الهجرة التركية الأولى ومنها السلجوقية كانت على اتصال بالإسلام، واعتنقت الإسلام بالفعل، وأن السلاجقة لم تكن لهم معرفة واسعة بشؤون الدين، ولم يظهروا نفس التحمس والتعصب اللذين كانا عند العرب، أما الهجرات التي جاءت في القرن 13 نتيجة دفع المغول لهم فلم تخضع لنفوذ الإسلام، بالرغم من إقامتها طويلا على حدود فارس.، انظر سيدهم فاطمة الزهراء، علاقات دايات الجزائر بالدولة العثمانية ، الجزائر، كوكب العلوم،ط1، 2016،ص303.

صلة قوية بين الدين واللغة، فاهتمام المسلمين بالقرآن هو اهتمام باللغة التي نزل بها، وكثير من المفاهيم الفقهية والتعبدية تتم بهذه اللغة، خاصة عند أداء الصلاة وقراءة القرآن يوميا فيها، وكذلك كثرة الذكر والاستماع للخطب في الجمع والأعياد والمناسبات الدينية والمدنية كعيد الأضحى والفطر والمولد والزواج وغيرها، هذا ما جعل الطبقات الاجتماعية كلها تنصهر في مبادئ الإسلام وتعاليمه وتصقل ملكاتها اللغوية بالعربية وإن كانت مختلطة بالعجمة.

لقد كانت الخلافة العثمانية دولة دينية، حيث أن سلاطينها وضعوا لتسيير شؤون الخلافة "الهيئة الإسلامية" وعلى رأسها شيخ الإسلام، "وكانت لهذه الهيئة مركزا مرموقا، وكان السلاطين حرصين على دعمهم من قبل شيخ الإسلام، وكانوا يحرصون على استغلال سلطته والاستفادة منها كلما ألمت بهم أزمة خطيرة، وكانت الدولة تهتم اهتماما بالغا بنشر التعاليم الروحية بيم أفراد الجيش وإثارة عاطفتهم الدينية".[1]

كما تركت الدولة مشايخ الطرق الصوفية يمارسون سلطات واسعة على المريدين والأتباع، وانتشرت هذه الطرق انتشارا واسعا أوّل الأمر في آسيا الصغرى ثم انتقلت إلى معظم أقاليم الدولة، وخضعت الحياة اليومية للجماهير لتأثير المشايخ ورجال الدولة الرسميين، "ونجم عن تعدد الطرق الصوفية أن اتسمت الحياة الدينية بالحيوية"[2].

فقد دخل (بعض) العثمانيين إلى شبه جزيرة آسيا الصغرى وهم في حالة الوثنية، ولا شك أن وجودهم في وسط إسلامي وهو الدولة السلجوقية كان أكبر عامل في اعتناقهم للدين الإسلامي، فكانت عملية إسلامهم سهلة، وتمت دون أن يثار حولها ضجة، ولقد كان لاعتناق العثمانيين للإسلام أثر كبير، فالإسلام جمع شمل العناصر المتفرقة في شمال غرب شبه جزيرة آسيا الصغرى تحت راية واحدة، وجعلت لها قضية واحدة يتحمسون لها (للتفصيل أنظر: عبد القادر غالية، قيام الدولة العثمانية وصراعها مع الدول الغربية في شمال إفريقيا، ص20).

[1] عبد القادر غالية، قيام الدولة العثمانية، ص 33.

[2] نفسه.

والناظر في تاريخ الجزائر في الفترة العثمانية يتبين له هذا الطرح، حيث انتشرت الطرق الصوفية والزوايا مشرقا ومغربا وجنوبا، ومع ظهور الزوايا ظهر ما يعرف بنظام الفتوة الذي كان الطابع الإسلامي للفروسية العربية، وقد أخذ هذا النظام مظهرا جديدا في الأناضول على يد الأتراك وعرف المنتمون إليهم (جماعات لخوان)[1].

"ولم يقتصر تأثير اللّغة والثقافة العربية على اللّغة التّركية فَحَسب، وإنّما غزت الثقافة التركية بشكل عام، فدخلت الكثير من المفردات العربية إلى اللغة التركية وتحت تأثير اللغة والثقافة العربية ابتدع الأتراك أدبا جديدا أسموه: " أدب الديوان"، وانتقلت أوزان الشعر العربي القديم إليهم"[2] والمتتبع للكتابات التاريخية والتراث الثقافي في الخلافة العثمانية يتبين له التماهي بين اللهجات التركية المختلفة واللغة العربية، مما أنتج أداءات جديدة واستعمال متجدد لألفاظ وأساليب اللغة العربية، كما تأثرت الثقافة العثمانية في مهدها الأول بقصص القرآن" فانتقلت القصص الواردة في القرآن الكريم إلى الثقافة العثمانية بشكل أسطوري، وكان الأتراك قد استعملوا الحروف الأبجدية العربية منذ منتصف القرن العاشر الميلادي عند اتصالهم بالفاتحين العرب في مناطق آسيا الوسطى، غير أنهم لم يأخذوا بكافة قواعد الإملاء العربي نظرا لبعض الخواص التي تتميز بها اللغة التركية"[3] وهذا جلي وواضح في المراسلات والكتابات التاريخية التي كتبت بالخط العربي وبالمعاني الأعجمية التركية، فالخط العربي اكتسح العلوم واللغات، وصارت جل اللغات تكتب به، حتى في الأندلس وأوروبا، فقد كان التعليم في عديد الجامعات والمعاهد يتم باللغة العربي، هذا حسب الكتابات التاريخية والأرشيف والمخطوطات الموجودة في المكتبات العالمية، يبين ذلك كله تأثر الخلافة العثمانية

[1] عبد القادر غالية، قيام الدولة العثمانية... ، المرجع السابق نفسه.

[2]–سيدهم فاطمة الزهراء، علاقات دايات الجزائر الدولة العثمانية، ص 303 نقلا عن تميمي عبد الجليل، الحياة الاقتصادية الولايات العربية و مصادر وثائقها في العهد العثماني، ج1و 2 منشورات مركز الدراسات و البحوث عن الولايات العربية في العهد العثماني، زغوان، 1936، ص 347.

[3]–سيدهم فاطمة الزهراء، علاقات دايات الجزائر بالدولة العثمانية، ص 304.

منذ نشأتها باللغة العربية والدين الإسلامي، وقد امتد هذا الاهتمام إلى الولايات التي كانت خاضعة لها، فعلى الرغم من الطابع العسكري الذي اتسمت به هذه الخلافة كونها نشأت في ظل صراعات صليبية غربية خاصة في الأندلس وبلاد الشام، وكذلك التحرشات على شمال إفريقيا وبحر العرب أو البحر الأبيض المتوسط، إلا أنها أبقت الأمر للساكنة فيما يخص الحياة الاجتماعية والثقافية، واكتفت بالدفاع عن السواحل وعن الثغور للحفاظ على الكينونة العربية الإسلامية.

1-3-العلوم والفنون في العهد العثماني:

اهتم حكام الخلافة العثمانية ببناء المعاهد العلمية كما اهتموا بالعلماء المسلمين، فقد كثرت المعاهد والمدارس والكتاتيب. تعلم هذه المراكز اللغة العربية وعلوم الدين وعلوم القرآن والحديث والهندسة والفلك والمنطق والحساب

كما اهتم سلاطين آل عثمان في تنشئتهم لأبنائهم بالتعليم والتربية الدينية، فكانوا يعهدون بهم إلى أهل الثقة من علماء زمانهم لتعليمهم و تقويم اعوجاجه بالطرق التي يرونها مناسبة، كما اهتموا بالعلوم والفنون ففتحوا قصورهم أمام القراء والعلماء فحولوها إلى أكاديميات علمية من ذلك السلطان مراد الثاني الذي أحب الشعر والشعراء ودعاهم لمجلسه مرتين في الأسبوع، وأغدق عليهم العطايا وأوجد فرص عمل لبعضهم لتوفر لهم سبل العيش فيتفرغوا لموهبتهم"[1]

ضمت هذه المدارس كافة التخصصات في العلوم العقلية والنقلية والتطبيقية حتى يتخرج منها الطالب، وخصص للطلاب مكانا للإقامة والمعيشة وقفت عليها الأوقاف، لتوفر نفقات المدارس والطلاب المعلمين، كما ألحقت بهذه المدارس مكتبة زودت بكافة المصادر وجعل عليها موظفا واهتم متمرسا. واهتم الخلفاء مثل محمد الفاتح بترجمة كتب التراث والعلوم

[1]-عبد اللطيف صباغ، تاريخ الدولة العثمانية ،دروس اكادمية في التاريخ ،جامعة عبد المالك السعدي ،السنة 2023-2024 ، ص 57.

في العلوم في اللغات اليونانية والرومانية والعربية والفارسية إلى التركية وقرب إليه العلماء، فكان بلاطه يقصده العلماء من كافة أنحاء العالم"[1] كما اهتم السلاطين العثمانيين بتشييد المساجد والمدارس ولقصور والقناطير، وكان في كل قرية مسجدها ي كل مدينة عدد من المساجد[2].

1-4-الهيئة الإسلامية و التحكم في الحياة الثقافية :

أنشأ العثمانيون في الأستانة هيئة إسلامية مثلت الدعامة الأساسية لنجاح المشروع الإسلامي لتثبيت دعائم الخلافة، كانت هذه الهيئة مستقلة عن السلطة التنفيذية، لكون الحكام لم يكن لهم وقت للنظر في الشؤون الدينية فأوكلوا الأمر إلى هيئة مستقلة إداريا وماليا. وكانت من مهامها مراقبة القانون ومدى تطابقه مع الشريعة المحمدية ومراقبة القضاء والشؤون الدينية والتعليم[3].

إن لمنصب شيخ الإسلام مكانة مرموقة في الخلافة العثمانية "فقد كانت له سلطة على جميع أفراد الهيئة الإسلامية ويجلس مع الوزراء، وكان بمثابة وزير، وكانت الدولة لا تُقْدِم على حرب دون صدور فتوى منه يقرر فيها أن أهداف هذه الحرب لا تتعارض مع الدين، وكانت أحكامه نهائية لا طعن فيها، وكانت تحت تصرفه إدارة أطلق عليها إسم "فنون خانة" أي دار الإفتاء".[4]

وكان شيخ الإسلام في الدولة العثمانية موضع الإشارة من السلاطين العثمانيين، وما يذكر "أن بعض شيوخ الإسلام العثمانيين كانوا ذوي شخصية ممتازة، جاهروا السلاطين رأيهم في تصرفاتهم وذكروا لهم انحرافاتهم، بينما كان البعض الآخر منهم يجاملون السلاطين على

[1]- عبد اللطيف صباغ، تاريخ الدولة العثمانية ،ص 57.

[2]- عبد اللطيف صباغ، تاريخ الدولة العثمانية،.ص 59

[3]-غالي غربي، دراسات في تاريخ الدولة العثمانية و المشرق العربي، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية،2007، ص 32.

[4]عبد القادر غالية، قيام الدولة العثمانية، ص32.

حساب أحكام الشريعة، وبالرغم من ذلك كله فإن وضعهم في الدولة كان أقل من وضع الطبقات الأخرى"[1].

يذكر الأستاذ غالي غربي أن الدولة العثمانية أنشأت ثلاث مناصب لقاضي القضاة الأول خاص بالأناضول والثاني بالروملي والثالث بالأقاليم الإفريقية. بالإضافة إلى هذه الطبقة من القضاة هناك طبقة تعرف بفئة المولى الكبيرMaoula Kabir الذين كان عددهم سبعة عشر قاضيا ويشرف شيخ الإسلام على تعيينهم في مناصبهم بعد اجتياز الامتحانات الخاصة بالسلك [2] وتضيف الأستاذة سيدهم فاطمة أنه زيادة على هتين الفئتين من العلماء، هناك طبقة علماء السنة الملحقين بجناح السلطان، ويليهم القضاة الذين يعينون في المدن المهمة بجانب القضاة الذين بلغ عددهم في نهاية القرن الثامن عشر 450 قاضيا ويليهم المفتون الذين يعينون في المدن المهمة بجانب القضاة .

و يتمتع أفراد الهيئة الإسلامية بالحصانة ضد العزل والنقل وتنزيل الرتبة، ولشيخ الإسلام صلاحية مراقبة الوالي والدفتردار وجميع موظفي الجهاز الإداري .يتمتع أفراد الهيئة الاسلامية بالإعفاء من الضرائب، ولا تتعرض أملاكهم للمصادرة من قبل هيئة الحكومة.[3]

إن وضع أمور الدين والدولة في هيئة إسلامية جعل ــ لفترة طويلة ــ أمور الدولة بيد هذه الهيئة،وساهمت في تطوير الحياة الثقافية في الخلافة خاصة ما تعلق منها بالجوانب التعليمية و بناء المدارس والمساجد وتجديد الأوقاف وتوسيعها والحفاظ عليها، حيث كانت الدعوة إلى الاهتمام بالعلماء ونشر العلم ونسخ الكتب وإجلال طلبة العلم سمة بارزة . لكن

[1] _ عبد القادر غالية، قيام الدولة العثمانية..، المرجع السابق.

[2] –غالي غربي، دراسات في تاريخ الدولة العثمانية و المشرق العربي، ص 32.سيدهم فاطمة الزهراء ، م.س ، ص 308.

[3] –سيدهم فاطمة الزهراء ، م.س ، ص 309.

الأمر لم يعمر طويلا، ولم يستمر طيلة الحكم العثماني على نفس الوتيرة وإنما حدث اختلال في كثير من الأحيان، فقد مرت هذه الهيئة بفترات ضعف خاصة بعد توسع رقعة الخلافة لا سيما مع كثرة القوانين، وانغلاق الهيئة على نفسها وعدم إدخال علماء المجتمع إلى صفوفها، فصارت الوظائف الدينية تورث وهذا لضعف طلب العلم، ولكن هذا الأمر ليس غالبا على الهيئة، فالجشع يكون في كل الهيئات، ولكن ظهوره في الهيئة الدينية يجعله مثل البقعة الصغيرة السوداء في الثوب الأبيض.

وكانت في كثير من الأحيان تظهر إصلاحات السلاطين وتعيد الأمر إلى نصابه بتعيينات جديدة وبانفتاح على بعض العلماء الذين ترى فيهم الخير للأمة.

2 ــ الاوضاع الثقافية بالجزائر في الفترة العثمانية:

2-1 التقسيمات الإدارية للجزائرفي الفترة العثمانية:

بمجرد التحاق الجزائر بالخلافة العثمانية، ولغرض التسيير الإداري الأمثل،وضبط أمور البلد تحت قيادة موحدة، ونظرا لشساعة مساحتمها، تم اعتماد تقسيم إداري محكم لازما طيلة الفترة العثمانية، حيث قسمت الجزائر إلى أربعة بايلكات وهي[1] :

– **دار السلطان** :وهي تحت تصرف الداي مباشرة وتعتبر مقر الإدارة العامة للدولة، وبها مقر سكنات القناصل، ومقر الجيش، وتمتد من دلس ووادي سباو شرقا إلى شرشال وتنس غربا وإلى سفوح الأطلس البليدي جنوبا، وبها عدة مدن، الجزائر، دلس، شرشال،القليعة، البليدة، وفحوص الجزائر.

– **بايلك التيطري:** ومقره المدية أسس سنة 947هـ /1540م، وله ارتباط قوي إداريا بدار السلطان، يحده من الشمال الأطلس البليدي، و من الجنوب الأطلس الضحراوي ومن الغرب

[1]محمد بن ميمون الجزائري ، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية ، الجزائر 2007، ص 34

الشلف ومن الشرق جبال ونوغة، ويضم كل من المدية وبوغار والبرواقية والأغواط وبوسعادة ومدن الجنوب .

– **بايلك الشرق**:يمتد من البحر الأبيض المتوسط شمالا إلى الجنوب ماوراء وادي سوف ويحده شرقا تونس وليبيا وغربا جبال جرجرة ، تأسس سنة 976هـ /1567م ومركزه قسنطينة، ومن مدنه : قسنطينة وعنابة وبجاية وسكيكدة والقالة والقل وجيجل وميلة وسطيف وبسكرة وورقلة وتقرت وغيرها .

– **بايلك الغرب**: هو الآخر يتكون من عديد المدن وتعددت مراكزه حيث كانت المدينة الأساسية مازونة ثم معسكر سنة 1222هـ/1710م ثم وهران بعد تحريرها من الاسبان 1206هـ/1792م، وقد تأسس بايلك الغرب سنة 980هـ/1563م ونذكر من مدنه : **مازونة** ومعسكر ووهران وتلمسان ومستغانم ومليانة وتنس وندرومة وقلعة بني راشد وغيرها [1].

2 ـ2 المدن الثقافية بالجزائر في الفترة العثمانية:

إن الحديث عن الأوضاع الثقافية في الفترة العثمانية يقودنا حتما إلى التركيز على الحواضر ومراكز الإشعاع الحضاري والعلمي والأدبي، ويمكن تتبع تاريخ هذه الحواضر بالنظر إلى التقسيم الإداري المذكور سابقا، فقد كانت مدنا عديدة في الغرب والوسط والشرق والجنوب مثل مدينة الجزائر والبليدة والمدية وتنس ودلس وبجاية وقسنطينة وعنابة والقل ووهران ومعسكر وتلمسان وندرومة وتقرت وبسكرة ومسيلة وغيرها وكانت هذه المدن تتوارث العلم وتزدهر بها المعارف، كما اشتهرت بها أسر علمية تذكرها كتب التراجم والسير وقبل الحديث عن انتشار الثقافة في الجزائر في الفترة العثمانية نعرج أولا على ذكر أهم المدن.

[1]- انظر الملحق رقم 5

عرفت الجزائر منذ الفتوحات الإسلامية نشأة العديد من المدن الكبيرة وقد ازدهرت هذه المدن في الفترة العثمانية، ونشأت مدن أخرى. ومنذ إلحاق الجزائر بالخلافة العثمانية بطلب من الجزائريين سنة 1516م والحفاظ على الجزائر من التحرشات الصليبية الأوروبية متواصل،و قد قسمت الجزائر إلى دار السلطان وبايلك الغرب وبايلك الشرق وبايلك التيطري، وهذا التقسيم الإداري ساهم في تطور المدن الموجودة ونشأة العديد من المدن الأخرى يمكن أن نذكر بعضها وما اتسمت به من سمات ثقافية.

1 . مدينة الجزائر

1 . 1 . مدينة الجزائر قبل العهد العثماني :

تمتد مدينة الجزائر من دلس شرقا إلى شرشال غربا، والبحر الأبيض المتوسط شمالا إلى الأطلس البليدي جنوبا، ومن الشرق وادي الحراش، ومن الغرب وادي زعفران،وتحتل المدينة النهاية الشرقية لجبل بوزريعة وهو جبل ينتهي بعدة نتوءات منها ثلاث رئيسية، فالنتوء الأول يقع على ارتفاع 240م على مستوى سطح البحر ويحمل حي الأبيار، والبروز الثاني يرتفع إلى 216م بني عليه حصن الإمبراطور، والنتوء الثالث يعلو 120م ويبدو كمدرج المنحدر نحو الحي البحري أسست عليه القصبة[1] كما تضم المدينة سهل متيجة الذي يعتبر مصدر الثروة الزراعية والحيوانية، وتتمتع مدينة الجزائر بمناخ البحر الأبيض المتوسط المعتدل، ونظرا لهذا الموقع الطبيعي الحصين والمناخ المعتدل، ظهرت المدينة منذ أقدم العصور[2]

[1] عبد القادر حليمي، مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل 1830، ط1، الجزائر، 1972، ص91.

[2] ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي للجزائر في أواخر العهد العثماني، ط2، الجزائر، 1985، ص29.

يذكر المؤرخون أن مدينة الجزائر تأسست في العهد الفينيقي حيث اطلقوا عليها اسم (إيكوسيم icosim) [1] وتدل بعض الحفريات أن هذه المدينة أن مدينة الجزائر قد نشأت في العهد الفينيقي، وقد استقر بها الفينيقيون في الفترة التي تشكلت فيها الممالك النوميدية ، وهذا استنادا إلى كنز نقدي اكتشف سنة 1940 في حي البحرية، وهو عبارة عن 158 قطعة نقدية معدنية [2]، ثم جاء احتلال الرومان ويذكر المؤرخون أن هذه الفترة ملكها العديد من الملوك المحليين، ورفضوا في العديد من المرات الاحتلال الروماني الأجنبي مثلما وقع مع الأمير فيرموس سنة 371 م ــ 372م .

احتل الوندال بعدها مدينة الجزائر سنة 429م ثم احتلها البيزنطيون في القرن السادس الميلادي و بقيت على تلك الحال إلى غاية الفتح الإسلامي للمغرب .

ثم تطورت المدينة في العهود المتتالية بداية من القرن الثالث الهجري .

1 . 2 . مدينة الجزائر في العهد العثماني :

بعد طرد الإسبان من الجزائر خضعت هذه الأخيرة إلى الحكم العثماني، وألحقت بالخلافة العثمانية، فأصبحت المدينة مند سنة 924هـ/1518م ولاية عثمانية، بعد موافقة السلطان العثماني سليم الأول بضم الجزائر تحت راية الدولة العثمانية وجعل خير الدين حاكما عليها ولقّبه" بايلرباي" أي أمير الأمراءوتلقت الجزائر بالفعل مساعدات عسكرية ومالية، وظلت تتلقاها مدة طويلة باعتبارها المركز الإسلامي الذي يجسد ثغر المغرب الإسلامي في مواجهة أوروبا المسيحية غربا[3]، وعرفت في هذه الفترة تطورا واضحا في المجال الاقتصادي والاجتماعي والعمران إلى غاية الاحتلال الفرنسي.

---

[1] و هذه كلمة فينيقية الأصل تتكون من كلمتين : I و معناها جزيرة ، cosim و من معانيها دجاج البحر ، فمعنى كلمة إيكوسيم : جزيرة طيور البحر .

[2] عبد القادر حليمي ، أصول النشأة لمدينة الجزائر ، مجلة الأصالة ، الجزائر : 1972 ، ع : 8 ، ص : 14 .

[3] عبد الرحمان الجيلالي، ص44-46.

استمرت فترة الحكم العثماني في الجزائر أكثر من ثلاثة قرون،ويمكن تقسيم التطورات التي عرفها الحكم إلى مراحل مختلفة[1]، مرحلة البايات (964-997هـ / 1518-1588م)،مرحلة الباشوات(997-1080هـ/1588-1659م)، مرحلة الأغوات (1080-1083هـ/ 165- 1671م) مرحلة الدايات (1083 - 1246هـ / 1671 - 1830م)، ومن مميزات الإدارة العثمانية بالجزائر اعتمادها على المراكز الحضرية، فقد أصبحت المدن أركان هذا النّظام حيث ترتكز فيها السلطة[2]، وكانت مدينة الجزائر أهم المدن وكانت تظهر هذه المدينة من بعيد على شكل مثلث وخاصة من جهة البحر كأنّه ثوب أبيض منشور على سفح جبل[3]. (ينظر الصورة)



صورة / منظر لمدينة الجزائر عن: إيسكار

[1]ينظر الفصل التمهيدي .

[2]مصطفى بن حموش، *المدينة و السلطة في الإسلام*، ط1 ، دبي، 1999، ص101.

[3]نورالدين عبد القادر، ص132

ويصف دارفيو (D'Arvieus) الذي كان قنصل فرنسا في الجزائر من سنة (1086هـ-1675م) أن المدينة ليست ذات شكل مثلث تماما أو مربعا، وكل مبانيها بيضاء على شكل مدرج، حتى تبدو من بعيد وكأنها سفينة ذات شراع أبيض، ويوجد على قمة المدينة قصبتها، ثم ينحدر عمرانها نحو البحر، أما أسوارها فهي تتماشى مع شكل هضبتها (المثلث).

أما فيما يخص أبواب المدينة فهي تحتوى على عدد من الأبواب نذكر أهمها: باب عزون التي كانت مركز تبادل تجاري هام للمدينة، فمن خلاله تدخل القوافل التجارية، وتعتبر مقرا للتجار الوافدين على المدينة، أما الباب الثانية فهي الباب الجديد، وهي التي ينفذ من خلالها إلى قصر الحاكم بالقصبة والثالثة هي باب القصبة والتي سميت بذلك لمجاورتها لدار الداي (القلعة)، والرابعة هي باب الواد في الشمال الغربي، والخامسة هي باب البحرية[1].

لقد شكل الوجود العثماني في الجزائر مرحلة حاسمة، حيث إعتبرت الخلافة رافعة راية الإسلام ضد الهجوم الصليبي المسيحي الممثلين في اسبانيا والبرتغال، وبدخولها إلى القطر الجزائري سلما،حل عروج محل حاكم الجزائر سالم التومي،وأعلن نفسه سلطانا على المدينة[2].

لقد عرفت مدينة الجزائر توسعا كبيرا كمدينة وكدولة، نظمت مناطقها، وأطلقوا على المدينة في بعض الأحيان اسم المحروسة ودار الجهاد، وكان لهذا الاسم معنى في تطور عمران المدينة نحو الدفاع والتحصين ضد الغارات المسيحية التي ما فتئت تهاجم من حين لآخر مدينة الجزائر، فلذلك كثرت الأبراج وزيد في تشديد أسوارها، وتمتين قوتها الدفاعية بصفة عامة، إلى أن أصبحت قلعة منيعة ترتعد لها العصبية المسيحية ومن تابعها[3] فكانت

[1] Chevalier D'Arvieus, Mémoires du Chevalier D'Arvieus, T 5, Paris, M. D C C . XXXV , pp 219-222.

[2] عبد الرحمان الجيلالي، مدينة الجزائر عبر التاريخ، ضمن مجموع تاريخ المدن الثلاث، ص 24.

[3] عبد القادر حليمي ، ص219

المدينة محاطة بأسوار تتخللها أبواب تخضع لقوانين خاصة حيث تفتح في أوقات الاستعمال والضرائب المفروضة على البضائع ، كما وضع حارس على كل منها يسهر على حمايتها. و هذه الأبواب هي: 1:باب عزون، 2 : باب الوادي، 3: باب الدزيرة، 4: باب الديوانة، 5:باب الجديد، وهذه الأبواب كبيرة الحجم، متقنة الصنع ومرصّعة بالحديد، تغلق قبل غروب الشمس وتفتح بعد طلوعها،[1].

3.1. انتشار المراكز الثقافية في دار السلطان(الجزائر المحروسة)

ذكرت سابقا اهتمام العثمانيين بالعمارة الدينية في بلادهم، حيث تميزوا بطراز خاص، فبداية من القرن الثاني عشر للميلاد ظهر طراز تأثر بالمساجد الصغيرة التي شيدها السلاجقة " والتي تقوم على أساس القاعة المربعة، يتقدمها رواق بدلا من الصحن "[2]، وقد انتشر هذا الطراز في المدن الكبرى التي سيطرت عليها الدولة العثمانية .وانتشر هذا الطراز في سائر أنحاء العالم الإسلامي [3]، ولما كانت الجزائر بمدنها المعروفة، واستقرار العثمانيين فيها مدة طويلة، تنافس الأمراء والأعيان على بناء المساجد والمدارس، حتى ذكر دوفولكس في تقريره أكثر من مئة مسجد في الجزائر لوحدها (دار السلطان). والعديد من هذه المساجد هدمت وخربت وصودرت وحولت إلى كنائس ومراكز عسكرية بعد مضي فترة وجيزة لاتتجاوز العشر سنوات بعد الاحتلال الفرنسي، ورغم اندثار هذه المعالم إلى أن البعض منها لا يزال شاهدا على هذه العمارة.

---

[1] سعيد بوزرينة ، المنشآت الدينية المؤرخة بالكتابات التأسيسية بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني ، ص 17 .، Missoum (S) Alger a l''époque Ottomane la médina et la maison traditionnelle , ed INAS,alger 2003, p

[2] عبد القادر الريحاوي ، العمارة في الحضارة الاسلامية ، جدة ، مركز النشر العلمي ، ط : 1 ، 1990 ، ص: 437 .

[3] أحمد مرسي الصفصافي ، استانبول ، عبق التاريخ ، روعة الحضارة ، دار الآفاق العربية ، 1999 ، ط :1 ، ص : 103 .

وهذا ما تؤكده عديد الصور والرسومات والجداريات، على غرار جداريات قصر الباي بقسنطينة فهي تظهر الواجهة البحرية لمدينة الجزائر.

عرفت بداية القرن السادس عشر توسعا صارخا للإسبان على السواحل الجنوبية للبحر الابيض المتوسط، وعرفت الجزائر خطرا كبيرا شأنها شأن المدن الساحلية الأخرى، وقد كانت شمال إفريقيا ملجأ للأندلسيين الفارين من أوروبا، وهكذا عرفت الجزائر نموا ديموغرافيا كبيرا مع الهجرات الأندلسية، مما أدى إلى التوسع العمراني لمدينة الجزائر في الفترة العثمانية، واعتمادا على حسن الوزان السابق الذكر فإن مدينة الجزائر احتوت على أربعة آلاف كانونا، وقد [1]ذكرت الأستاذة عائشة غطاس معتمدة على العديد من الدراسات وعلى رحلات الأوروبيين، أن عدد سكان مدينة الجزائر في منتصف القرن السادس عشر بلغ بين عشرين ألف وخمسة وعشرين ألفا، وكان تزايد السكان مذهلا، حيث ارتفع العدد إلى مئة وعشرين ألف نسمة عام 1030هـ/1620م، وبذلك يكون عدد السكان قد تضاعف بنحو ست مرات خلال مائة سنة، وهذا يبين مدى الرفاهية التي عرفتها المدينة مع الاستقرار ودفع العدوان الأوروبي. هذه البنايات كانت موطن ازدهار الحياة الثقافية .

2. مدينة البليدة في العهد العثماني :

تطورت البليدة مع قدوم سيدي الكبير ونزوح الأندلسيين، وكذلك ظهور الأتراك في دار السلطان منذ 1518.

" وأدرك الحكام العثمانيون مدى أهمية وخطورة الرجال الصالحين من أمثال" سيدي الكبير"، ولهذا فقد كانت سيادتهم ترمي إلى استرضاءهم واستمالتهم وإظهار الود والاحترام لهم، فقام خير الدين باشا أول بايلربايات الجزائر بزيارة سيدي الكبير بالبليدة سنة 1535م وتقرب إليه ولبى رغباته ومطالبه، حيث أمر ببناء عدّة مرافق بالمدينة أهمها المسجد الجامع

[1] عائشة غطاس ، الحرف و الحرفيون في مدينة الجزائر، مقاربة اجتماعية اقتصادية،1700-1830، دار القصبة للنشر و التوزيع ،الجزائر 2008، ص ص10-18

وفرن وحمام عام، وقد انتهت بها الأشغال سنة 1536م[1]، وأخذت المدينة تتوسع حول تلك المرافق حتى أصبحت بلدة صغيرة، ولذا أطلق عليها تسمية البليدة.

نالت مدينة البليدة التي امتد إليها نفوذ العثمانيين ما نالته بقية المدن من إنشاءات معمارية كالمساجد، الدور، الحمامات ، المقرات الإدارية، المحلات التجارية والأسواق وقد أدى هذا الاهتمام إلى استقرار العثمانيين مع مكونات المجتمع الجزائري الذي دام نحو ثلاثة قرون فقد كانت المدينة في يدالآغا مرتبطة ارتباطا مباشرابتوسط من الحاكم .

في عام 921هـ / 1515م لم تكن مدينة البليدة سوى دشرة من إحدى عشر كوخا في مكان يدعى سيدي علي مكان السوق الأوروبي ــ وكانت تحيط به بساتين من أشجار التين، اللوز والرمان تشكو الجفاف، وكانت تسكن بها عشيرتان هما حجار سيدي علي وأولاد سلطان، ويعود ظهور مدينة البليدة إلى مجيء سيدي أحمد الكبير من غرناطة، الذي ارتاح للمكان خاصة بعد اكتشافه لمنبع الماء، وبعد عشر سنوات من استقراره في المنطقة أي في سنة 1535م تنقل مجموعة من الأندلسيين إلى السواحل الجزائرية وقرروا استقرارهم بالقرب من سيدي الكبير لذيوع فضله وكرامته .

وفي سنة 942هـ / 1535م زار خير الدين سيدي أحمد الكبير، وكان له فضل في إمداد المدينة ومساعدتها، فأنشئت العديد من المباني العمرانية بها إلى غاية وفاة سيدي أحمد الكبير عام 947هـ / 1540م [2].

أما عن عمران مدينة البليدة فقد شهد تطورا كبيرا خلال العهد العثماني، وقد حوت العديد من المنشآت الدينية والمدنية " وأشهر ما شيد بها أربعة جوامع هي جامع سيدي أحمد الكبير ومسجد بابا امحمد وجامع سيدي أحمد بن سعدون والجامع الحنفي التركي "[3] وقد أحيطت

[1] عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام،ج3، بيروت، دار الثقافة، 1980، ص 61.

[2] سعاد بن شامة، المنشآت المعمارية الأثرية بمدينة البليدة، ص 43 وما بعدها.

[3] ــ – سعاد بن شامة، المنشآت المعمارية ،المرجع نفسه ، ص 48 .

بسور من صلصال [1] وبلغ محيطه 1560م [2]. وقد وجدت بها أبواب ستة هي باب الرحبة وباب القبور وباب السبت وباب الزاوية وباب الجزائر وباب الخويخة[3].

3. قسنطينة في الفترة العثمانية :

1.3. مدينة قسنطينة عند المؤرخين

نجد الحديث عن مدينة قسنطينة عند العديد من المؤرخين والرحالة والجغرافيين حيث أبرزوا موقعها وأهم ما تتميز به من خصائص عبر تاريخها الطويل،وقد ذكرت ذلك في رسالة الماجستير و لكن اكتفي هنا بالفترة العثمانية .

3 .2. قسنطينة في العهد العثماني :

لقد اختلف الباحثون حول تاريخ دخول العثمانيين لمدينة قسنطينة وهذا لقلة الوثائق المعاصرة لهذه وللخروج بتاريخ محدد قام عدد منهم أمثال:ميرسي (Merçies)ولمبري (Lambri)ودافيني(Davini) بإعطاء تاريخ لدخول العثمانيين لقسنطينة فنجد أن ميرسي حددها عام 1519 – 1522 م، ودافيني عام 1522 م ولومبري عام 1526 م أما فاسيت (Vayssette)فقد حدده عام 1520 م[4]وذلك اعتمادا على وثيقة تعود إلى سنة 935 هـ /1520م تقول أن قسنطينة تمردت على حكم خير الدين بربروس فأرسل إليه قائده قارة حسن الذي أعادها إلى الحكم العثماني أما الكاتب الإسباني (مارمول) فإنه يقول أن مدينة قسنطينة آلت إلى الأتراك العثمانيين بعد وفاة آخر القادة الحفصيين أي سنة 940هـ /

[1] ــ نفسه .

[2] ــ نفسه .

[3] ــ نفس المرجع ، ص : 50 .

[4]Vayssttes(E) , Histoire de Constantine sous la domination turque de 1517 à 1837 Constantine, in (R . C) , 1867, p 256.

1534 م[1].ولكن تبين هذه الوثيقة أن قسنطينة تمردت على حكم خير الدين، وهذا يدل على أنه كان حاكما لها قبل 1520، وأرسل قائده قارة حسن فأعادها للحكم العثماني.

ومن مختلف الآراء السابقة يمكن الوصول إلى نتيجة وهي أن دخول العثمانيين إلى مدينة قسنطينة لم يكن مرتبطا بتاريخ معين بل كان على مراحل وبعد محاولات عدة ورغم وصولهم عدة مرات إلى مشارف المدينة وإقامتهم حاميات بالقرب منها، إلا أن الدخول الفعلي كان ما بين (940- 960 هـ / 1534 - 1554 م) فالوجود العثماني قبل هذه الفترة كان رمزيا وغير مستقر[2]

انقسم القسنطينيون إلى تيارين متناقضينعقب دخول العثمانيين إلى المدينة، الأول رفض الوجود العثماني بالمدينة وكان على رأسه أسرة عبد المؤمن من شيوخ الإسلام في العهد الحفصي، ساندها في ذلك عرب أولاد بن صاولة وقد كانت المعارضة شديدة، أما التيار الثاني فقد ساند دخولهم إلى المدينة وتزعمتهم أسرة الفكون، وقد كان اتصال العثمانيين بهذه العائلة للوقوف معهم مبكرا ويرجع إلى سنة (928 هـ / 1522 م)[3] .

4.3. تكوين بايلك الشرق وتطوره:

تم تقسيم الجزائر إلى أربعة أقاليم في الفترة العثمانية كما سلف ذكره، كل منها يحمل اسم البايلك وذلك من أجل ضبط السلطة وإقامة إدارة محكمة ، وكانت على النحو التالي: بايلك الجزائر أو دار السلطان، بايلك الغرب، عاصمته مازونة ثم معسكر، وبعد تحرير وهران من يد الإسبان أصبحت هي عاصمة البايلك)، بايلك التيطري (عاصمته المدية)، بايلك الشرق (عاصمتة قسنطينة)، وكانت هذه الأخيرة هي الأوسع مساحة والأكثر عمرانا

---

1) R . A(BERBRUGGER(A), Epoque de l'établissement de turcs à Constantine , in 1986 P 401-42.

2- Mercier ernest ,histoire de constantine, 1840-1908,ed marle et biron ,1908, p193

3 جميلة معاشي، الأسرة المحلية الحاكمة في بايلك الشرق الجزائري من القرن 10هـ - 16 م/13هـ - 19 م، دراسة اجتماعية سياسية ، رسالة لنيل ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة قسنطينة ، 1990-1991، ص 99

وعين عليها نائبا عن الداي يحمل إسم الباي. وعند إنشاء البايلك أصبحت حدودها تمتد شمالا من البحر ابتداء من طبرقة شرق القالة إلى حدود مدينة بجاية ، ومن الشرق حتى الحدود التونسية ابتداء من طبرقة وتمتد حتى الجنوب عبر تبسة إلى غاية واحات وادي سوف[1].

أول من عين في هذا الإقليم هو رمضان تشولاق وذلك بين (1567 – 1574 م) وقد قضى هذا الباي على الثورات المحلية ضد الحكم العثماني [2](4) ، كما شارك في الحملة على ملك المغرب سنة 1576 م، أما في عهد حسين باي (1608 – 1622 م) فقد أبرمت اتفاقية لضبط الحدود مع تونس سنة 1614م وقاموا برعاية مصالح الفرنسيين في القالة بأمر من الباشا .

أما مراد باي (1622–1647م) فقد اهتم بحفظ الأمن في البايلك كما ساعد على أمن الرعايا الفرنسيين في مراكز صيد المرجان، وعندما قام التونسيون بخرق معاهدة ضبط الحدود وجهت الجزائر حملة عسكرية ضد تونس اشترك فيها مراد باي بقوات البايلك[3] . أما فرحات بن مراد فقام بترميم الجامع الكبير بقسنطينة، وقد توالى البايات على حكم قسنطينة وأهمهم : رجم باي (1077 – 1084 هـ / 1666 – 1673 م)، إبراهيم العلج (1114 – 1119 هـ/ 1702– 1707 م)، حسين باي بوكمية (1125 – 1150 هـ / 1713 – 1737 م) وهو باني جامع سوق الغزل ، صالح باي (1185 – 1207 هـ / 1771 – 1792 م) وهو الذي شيد جامع الكتاني ومدرسته [4] .

---

[1] محمد الصالح بن العنتري ، فريدة منيسة في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها أو تاريخ قسنطينة مراجعة بوعزيز يحي ، (الجزائر ، بن عكنون ، د.م.ج ، 1991)، ص: 17 .

[2] لقد قامت اضطرابات كبيرة في بداية الحكم العثماني للمدينة ، حيث ثارت مجموعة من القبائل على العثمانيين ،.للمزيد من التوضيح حول هذه الثورات أنظر :محمد الصالح بن العنتري ، المصدر السابق ، ص31.

[3] محمد الصالح بن العنتري ،المصدر نفسه، ص34–35.

[4] للتفصيل ينظر: عبد المهدي بن علي شعيب ، المصدر السابق ،ص ص 213 .258، 266 . (E)Vayssttes[4]
, Histoire de, Opcit , p 11

أما آخر البايات فهو الحاج أحمد باي بن محمد الشريف، ويتميز هذا الباي بشخصيته القوية وحنكته في إدارة أمور البايلك، حيث شارك في العديد من الحملات التأديبية ضد القبائل، وباحتلال فرنسا للجزائر في سنة 1830 م ظهرت قوته، حيث أثبت مقدرته في مقاومة الفرنسيين، إذ عرف البايلك مقاومة شديدة للاستعمار ولم يستطع الفرنسيون الدخول إلى المدينة إلا في سنة 1837 م[1] .

وفي عهده أصبحت المدينة حاضرة من حواضر الجزائر كما امتازت بأنها منبع لثقافة راقية، وأهم بناء معماري قام به أحمد باي هو قصره الذي عرف باسمه[2] وقد تعاقب على مدينة قسنطينة عدد من البايات منهم من خدم المدينة والبايلك ومنهم من عرفت مرحلته اضطرابات عديدة.

5.3.التطور الثقافي لمدينة قسنطينة في العهد العثماني:

تعتبر قسنطينة في العهد العثماني المدينة الثانية بعد العاصمة، فهي عاصمة بايلك الشرق،ـــــ بينما بقي بايلك الغرب محتلا ـــــحيث امتدت على رقعة شاسعة، ويعتبر الحكم العثماني بها ملازما لازدهار الحياة السياسية والاقتصادية والثقافية والتطور العمراني.

لقد بلغت المدينة أقصى اتساعاتها في الفترة العثمانية، حيث ازدهر عمرانها وراجت تجارتها وتغيرت شبكة المواصلات بها، وبسبب هذه الزيادة العمرانية الكبيرة تطورت الثقافة والمراكز الثقافية بها .

[1] بوعزة بوضرساية ، الحاج أحمد باي رجل دولة ومقاوم 1826 – 1848 م ، رسالة لنيل الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر ، جامعة الجزائر ، د.ت ، ص 78 .

[2] أنظر : فندرلين شلوصر ، قسنطينة أيام أحمد باي ، ترجمة أبو العيد دودو ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، د.ت ص 73 – 74 .

من علامات التقسيم في المدينة الإسلامية بصفة عامة وفي قسنطينة خاصة هو تقسيمها إلى أحياء كبيرة، يحتل كل حي حيزا مكانيا بأحد أطراف المدينة، وتتكون الأحياء في حد ذاتها من وحدات سكنية متلاصقة ببعضها البعض .

ويبدو في قسنطينة أن المدينة الحضرية قد تكونت بصورة مماثلة للمدن الكبرى الموجودة في العالم الإسلامي فقلب المدينة المشكل للكثافة العالية، وغالبا ما يكون مركزها ذو طابع تجاري لما يمثله الجانب الاقتصادي من أهمية.

وقد قسمت المدينة في الفترة العثمانية إلى أربعة أحياء رئيسة ذات طابع سكني وهي على التوالي:1- حي القصبة 2- حي القنطرة 3- حي الطابية4- حي الجابية - إضافة إلى هذه الأحياء الأربعة الكبيرة السالفة الذكر يوجد بالمدينة حي خامس يحتل مركز المدينة وهو سوق التجار الذي يعتبر أكبر الأحياء نشاطا[1]

لقد احتفظت مدينة قسنطينة بالطابع العمراني الإسلامي وأهم معالمها النواة المركزية المتمثلة في الجوامع، حيث نجد حوالي خمس وثلاثين مسجدا أو جامعا اقدمها الجامع الكبير، الذي شيد أثناء الحكم الحمادي سنة 530 وقد تمت زيارته مع الاستاذ عبد العزيز لعرج ونخبة من طلبة الماجيستير، كما نجد مساجد متقاربة بالمدينة مثل جامع سوق لغزل، والجامع الأخضر، ومسجد سيدي الكتاني، وكذلك العديد من الزوايا المنتشرة، مثل زاوية عبد المومن وزاوية حنصالة كما نجد في المدينة قصر أحمد باي والذي يعتبر من أفخم القصور في الجزائر وقد زرته أثناء عملية الترميم مع الأستاذ عبد العزيز لعرج رحمه الله، وبقينا هناك مدة مع مجموعة من الطلبة في تربص علمي، وتعرفت عن قرب عن كيفيات بنائه والمواد

[1] للمزيد عن أحياء المدينة ينظر: Bernard pagand,La médina de constantine algerie,de la ville traditionnel au centre de l'agglomeration,contamporaine,ed centre intreuniversitaire d'etude mediterraniennes,poitier,1989,p 164

التي بني بها،وعدت إليه عدة مرات أين تعرفت على أهم الكتابات الموجودة فيه آخرها اوت 2023، مما تأكد لدي اهتمام الجزائريين في الفترة العثمانية بالجانب الحضاري والثقافي .[1]

5. مدينة عنابة خلال العهد العثماني:

يذكر المؤرخون أن مدينة عنابة كانت مرفأ تجاريا فينيقيا منذ القرن 11 ق.م، ثم ازدهرت في الفترة القرطاجية وكانت واحدة من المدن المزدهرة في تلك الفترة، كما تم تغيير صورتها في الفترة الرومانية، ويعود اسم بونة (هيبون) إلى القرن الثاني عشر قبل الميلاد، مع وجود الفينيقيين ويقال نسبة إلى الخليج الذي كانت تقع عليه.

ارتبط اسم مدينة عنابة نسبة لهذا النبات الذي كان ينمو تلقائيا بالجهات القريبة من المدينة بعدما كانت مدينة عنابة تحمل اسم بونة، وقد اكتسبت هذا الاسم خلال الفترة التاريخية تحت الحكم العثماني، ولم يعد يرد لفظ بونة رغم تشبث الفرنسيين أثناء الاحتلال بهذه التسمية[2].

أما عن الجانب العمراني لهذه المدينة فإنه يتميز بانحصاره في رقعة محددة نسبيا لا تتجاوز 1700م2 مما جعل شوارعها ضيقة وكثيرة الالتواء، وقد كان لعنابة العثمانية منظر خاص اكتسبته من منازلها الصغيرة الناصعة البياض، وكان نصف منازلها مغطى بالقرميد بينما النصف الآخر كانت تعلوه أسطح وشرفات مختلفة الأشكال[3].

ومن أهم المنشآت العمرانية التي اعتنت بها الدولة العثمانية "حصن القصبة" فقد كان طيلة الفترة العثمانية مقر الحاكم التركي ومكان استقرار الحامية المكلفة بالدفاع عن المدينة والمعروفة بالنوبة، كما كان لميناء عنابة أهمية طيلة الحكم التركي باعتباره الشريان الرئيسي الذي تمر منه كل المبادلات التجارية بين بايلك قسنطينة وباقي المدن الأوروبية[4].

---

[1] لاحظت في الزيارة الأخيرة إهمال شبه تام للمعالم الأثرية في قسنطينة مما يوحي بوجود أيادي خفية تخطط للقضاء على هوية قسنطية المثمثل في آثارها .

[2] ــ ناصر الدين سعيدوني ، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر ، ص 201.

[3] ــ المرجع نفسه ، ص 202- 203.

[4] ــ ناصر الدين سعيدوني ، دراسات ،المرجع نفسه ، ص 204.

6- بايلك الغرب قبل العهد العثماني وبعده:

لقد كان الغرب الجزائري إقليما هاما تنافست عليه الدول والقبائل بالمغرب الإسلامي، حيث كان مجالا للحروب والصرعات منذ ظهور الدويلات المستقلة بالمغرب الإسلامي إلى غاية تأسيس الدولة الزيانية (611 - 962هـ / 1235 - 1554م) من قبل أبو يحي يغمراسن بن زيان متخذا مدينة تلمسان عاصمة لها.

انتهز يغمراسن بن زيان ضعف وتشتت الدولة الموحدية التي كانت تشمل كل المغرب الإسلامي وانتشرت روح الانفصال في كل من تونس تحت الإمارة الحفصية، والمغرب تحت الإمارة المرينية، الشيء الذي زاد من لهيب الفتن، والصراع والتنافس على المدن والقبائل وعلى الحدود.

إنّ أكثر الدول معاناة، وهدفا للتوسع هي دولة بني زيان التي ظلت تعاني الهجمات على أطرافها، حيث استولت الدولة الحفصية على قسنطينة وبجاية وكادت تسقط مدينة الجزائر، هذا في حدودها الشرقية، أمّا من حدودها الغربية حاصر المرينيون مدينة تلمسان لمدة ثمانية سنوات من 1299م إلى 1307م، كما ضمت مملكة تلمسان إلى بني مرين قرابة ربع قرن من 1327م إلى 1359م، وظلت دولة بني زيان تواجه ضربات المرينيين والحفصيين ثّم خضعت إلى الهيمنة الإسبانية. ممّا زاد في إضعاف هذه الدولة هي النزاعات بين الأسرة الزيانية الحاكمة نفسها، تنافسا على العرش، كما انشغلت الدولة الزيانية بحروب القبائل المتمردة، أمثال توجين ومغراوة، وعمّت الفتنة كل أعمال وهران.

وفي أواخر الدولة الزيانية، إنحاز بعض ملوكها إلى الإستعمار الإسباني الذي شرع في غزو كل المغرب الإسلامي، وتنصيره على غرار ما فعلوه في الأندلس من قبل.

قام الإسبان باحتلال وهران سنة 1505م، وأصبح ميناءها وأهمها المرسى الكبير القاعدة التي تنطلق منها الحملات الصليبية الإسبانية والتوغل داخل المغرب الإسلامي بمخططات

منسقة ومحكمة، وبوجود الغزو الإسبان كان لزاما أن تجابهه قوة مسلمة فأدى ذلك إلى وجود العثمانيين بالجزائر على العموم والغرب الجزائري على الخصوص حيث شرعوا في حماية جوانبها، وفتحوا باب الجهاد على مصراعيه لتحرير الشواطئ المغاربية فحرروا مدينة تونس، وحلق الواد بالقطر التونسي سنة 1574م، فانظمت تونس الى الجزائر تحت حكم واحد في عهد بايلارباي، ولم يبق للإسبان من شواطئ المغرب الإسلامي سوى وهران والمرسى الكبير ومليلة.

كان الغرب الجزائري الذي أصبح يسمى في العهد العثماني بايلك الغرب سنة 970هـ / 1562م دارا للجهاد طوال ثلاثمائة سنة، فما من باي أو داي يتعين على رأس الحكومة الجزائرية، وباي يتعيّن في الغرب الجزائري إلاّ ويكون شعاره تحرير الثغر الجماني (يعني وهران والمرسى الكبير) من الاستعمار الإسباني إلى أن حررها الداي حسن باشا نهائيا سنة 1205هـ / 1791م .

يمتد ساحل الإيالة الغربية على طول 170كلم، من أهم مدنها الداخلية مازونة ومعسكر وتلمسان وتيارت (تيهرت)، ومن مدنها الساحلية وهران، والمرسى الكبير ومستغانم وأرزيو وبني صاف.[1]

بقي هذا التقسيم الإداري للجزائر طوال العهد العثماني واستمر هذا التقسيم خلال الإحتلال الفرنسي للجزائر مع تغيير الاسم من كلمة بايلك إلى كلمة عمالة، عمالة الجزائر وعمالة قسنطينة وعمالة وهران إلى غاية الاستقلال الوطني.

وسأتناول في هذا الفصل مساجد مدينة وهران، ومدينة معسكر، وعطي نموذجا عن مساجد التيطري والممثلة في مدينة البليدة.

7. مدينة معسكر:

[1] ناصر الدين سعيدوني ، دراسات ،نفس المرجع السابق،ص 205

1-7- مدينة معسكر في العهد العثماني :

مدينة معسكر إحدى مدن الغرب الجزائري "ولم تكتسب هذه المدينة أهمية، ولم تحظ باهتمام المؤرخين إلا بعد أن شيد بها الموحدون قلعة حصينة لحراسة المناطق المحيطة بها، ونصب عليها الزيانيون فيما بعد حاكما وفر لخزينة تلمسان أموالا طائلة، وكانت معسكر قبل ذلك منذ تأسيسها في أواسط القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) مدينة صغيرة لم يرد ذكرها إلا عرضا لدى كتب الرحالة والجغرافيين أمثال الإدريسي وابن حوقل[1]، ويقال عن معسكر"أن أصلها لبني زيان ملوك تلمسان اتخذوها لإقامة عسكرهم في تخوم بلادهم لوقايتها من أجلاب بني توجين ومغراوة أعدائهم خلفا عن سلف إلى أن استولت الدولة العلية على مدينة الجزائر، وتقدمت بكاملها في داخل البلاد غربا وشرقا حتى وصلوا إلى هذه البلاد وأعجبهم محلها فشرعوا في بنائها بالحجارة ووسعوا خطتها، وأنفقوا في تشييد دورها على نحو دور الجزائر، وأطلقوا عليها اسمها القديم التي كانت تعرف به من قبلهم، وجعلوها مركزا لحاكم المنطقة، وكانوا يواصلون الغارات منها على سائر الجهات، ويفتحون البلاد إلى أن وصلوا إلى بسيط أذكاد قرب مدينة وجدة، ووضعوا الحدود هناك بينهم وبين ملوك المغرب الأقصى"[2].

ولكن هذه المدينة الصغيرة ستعرف تطورا في العهد العثماني " فأثناء الصراع الإسباني ــ التركي للاستلاء على أملاك الزيانيين زادت أهمية معسكر بحيث أصبحت السيطرة عليها ضرورية لتأمين المواصلات بين تلمسان وقلعة بني راشد، وهذا ما جعل الأتراك يبقون فيها حامية عسكرية ويقيمون عليها حاكما إثر تنظيم لبايلك الغرب عام 970هـ 1563م "[3]، وقد لعبت معسكر بعد ذلك دورا بارزا في العهد العثماني" خاصة أوائل القرن الثاني عشر

[1] ــ ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، الجزائر، م ، و ، ك ، 1984م، ص247 .

[2] ــ الأمير عبد القادر، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، تحقيق: ممدوح حقي، ص 22 .

[3] ــ الأمير عبد القادر، تحفة الزائر في تاريخ ..،المرجع نفسه ، ص 247 .

الهجري الثامن عشر الميلادي، حيث أصبحت مركزا للإيالة الغربية منها تصدر القوانين والأوامر إلى الإيالة الغربية بما فيها تلمسان التي كانت في يوم من الأيام عاصمة القطر الجزائري" [1] " فبعد أن انتقل الباي مصطفى بوشلاغم من مزونة إلى معسكر سنة 1701م وجعلها مركزا لبايلك الغرب، عرفت هذه المدينة ازدهارا عمرانيا ورقيا حضاريا جعلها في مصاف الحواضر الكبرى بالجزائر"[2].

وما جعل معسكر تحتل هذه المكانة أسباب وظروف كثيرة منها:

ــ وجود خطر صليبي إسباني في وهران.

ــ كونها ذات موقع استراتيجي هام فهي تتوسط الغرب الجزائري.

ــ مركز مهم على الطريق الرئيسي بين قلعة بني راشد وتلمسان.

ــ مركزا تجاريا حيث تعتبر سوقا لمنتوجات السودان، ومستودعا لبضائع فاس، وملتقى لتجارة الغرب الجزائري .

ــ مناعة موقعها فهي مقاومة على منحدرات جبال بني شقران على ارتفاع 600م .

ــ كثرة المحاصيل الزراعية بسهولها من حبوب وأصواف وجلود .

ــ قربها من قلعة بني راشد التي كانت تصنع الكثير من الأسلحة النارية والصابون والسروج والألجمة هذه الأسباب ساعدت معسكر على أن تحتفظ بمكانتها الاقتصادية ومنزلتها الثقافية حتى بعد استرداد وهران، وانتقال عاصمة البايلك إليها سنة 1792م[3] .

---

[1] ــ مبروك مهيرس، المساجد العثمانية بوهران ومعسكر ، ص 26 ــ 27 .

[2] ــ ناصر الدين سعيدوني ، المرجع السابق ، ص 247 .

[3] وهذه الميزات أيضا هي التي ساعد معسكر أن يتخذها الأمير عبد القادر (1808 ــ 1883م) لأن تكون عاصمة لدولته الناشئة (1832 ــ 1841م) فقد عمل جاهدا لأن تكون عاصمة لدولته الناشئة ، فزاد في تحصينها ، وأنشأ بها دارا لضرب النقود ومعملا لصناعة الأسلحة النارية ، ومصانع لمعالجة البارود ، ومخازن لحفظ الحبوب والمؤن الضرورية لجيشه.،للمزيد انظر، ــ سعيدوني ، أي مرجع ص 248 ،

لقد عرفت مدينة معسكر تطورا واضحا في العهد العثماني لاسيما في عهد الباي محمد الكبير الذي مكث بها من 1779 إلى 1792م، حيث بنى المدارس والمساجد، وبنى المرافق العامة فقصدها العلماء نذكر من بينهم عبد القادر بن عبد الله المشرفي الغريسي وأبي العباس الحاج أحمد بن محمد بن هطال التلمساني وأحمد بن محمد بن علي بن سحنون الراشدي و أبو طالب محمد بن علي الغريسي أبو راس محمد بن أحمد الراشدي الجليبي المعسكري وغيرهم .

أما في جانب العمارة فقد ظهرت منشآت عمرانية مهمة منها إعادة بناء المسجد العتيق الذي كان قد شيد عام 1761م وذلك بعد هدمه وتوسع مساحته وإحداث خمسة أحواض للوضوء به، كما شيد الجامع الكبير الذي يحمل اسمه (جامع محمد الكبير) عام 1175 وهو المعروف بجامع العين البيضاء، وهذان المسجدان هما اللذان سنعرض لهما بالدراسة فيما يأتي من هذا البحث .

8. مدينة وهران خلال العهد العثماني

بدأت الجهود العثمانية في استرداد مدينة وهران بفضل أعمال حسن بن خير الدين العسكرية في جهاده ضد الإسبان، إذ قام بحملة لتحريرها عام 1557م فهزم الإسبان في معركة مزغران بمستغتنم[1]، وبعد قيام بايلك الغرب قام باياتها بجهود لتحريرها، ومنها محاولة الباي شعبان الزناقي الذي تولى أمر بايلك الغرب عام 1679م، والباي مصطفى بن يوسف بوشلاغم المسراتي 1686م/1733، والباي مصطفى الأحمر المسراتي، وقايد الذهب المسراتي ــ والباي محمد المجاجي، والحاج عثمان بن إبراهيم والباي حسن، والباي الأكحل بن عثمان الكبير الذي شهد عهده انجلاء الإسبان عن مدينة وهران عام 1791م[2].

[1] ــ خيرة بن بلة، المرجع السابق، ص 22 .

[2] ــ يحي بوعزيز، مدينة وهران عبر التاريخ ، ص 51 وما بعدها .

وبعد انجلاء الإسبان عن مدينة وهران عمل العثمانيون على إعادة الطابع العربي الإسلامي إليها لذلك اهتم الباي محمد بن عثمان بتعميرها فأسس عدة مساجد ومدارس منها مسجد بناصف، ومسجد الباشا ومسجد ومدرسة خنق النطاح وقلعة البرج الأحمر والجامع الأعظم وغيرها [1].

9. مدينة تلمسان في العهد العثماني:

تلمسان وما جاورها من المدن، مدينة عريقة في القدم تعود إلى فترة الفينيقيين، وقد استولى عليها الرومان وجعلوها مركزا حربيا، و قد فتحت سنة 55هـ/ 675م على يد أبي المهاجر الدينار، ونجد عيون أبي المهاجر قريبة منها، وصارت تابعة للخلافة الإسلامية ولولاية القيروان. وقد اختلف المؤرخون في أصل تسميتها،و يرجعون معنى كلمة تلمسان إلى أنها كلمة عربية مركبة من تلم أي تجمع وسان بمعنى تجمع الإنسان،أما البعض الآخر قال بأنها كلمة زيانية مركبة من كلمة تلم أي تجمع وسان أي اثنين ويعنون بذلك أنها تجمع بين السهل والجبل، وقيل بين الصحراء والتل أو بين البحر والبر أو بين مدينتين هما أغادير وتاقرارت ويرى ابن خلدون أنها لفظة زيانية الأصل واسمها في لغة زناتة مركب من كلمتين تلم وسان ومعناها تجمع اثنين يعنون البر والبحر[2] وتدعى أيضا مدينة الجدار أي المحاطة بالأسوار.

وقد اكتسبت تلمسان مكانة روحية في قلوب الناس ،وذلك بعدما رحل إليها أحفاد الرسول صلى الله عليه وسلم، فقيل أن أول من نزل تلمسان هو سليمان بن عبد الله الكامل ،وقيل هو إدريس بن عبد الله الكامل، ولا يزال قبره (سليمان) موجودا في ضريح سيد علي في مدينة عين الحوت بتلمسان [3] .

---

[1]ـ نفسه ، ص 64 .

[2]– ابن خلدون ،عبد الرحمان ،كتاب العبر ،ج6،منشورات الاعلمي للمطبوعات بيروت ،1971،ص76

[3]– محمد رافع ،المنشآت المعمارية لبنايات الجزائر خلال الفترة العثمانية من (1161ه– 1748م) إلى (1212ه–1798م) دراسة أثرية ، رسالة دكتوراه ،جامعة الجزائر 2 ،إشراف الدكتورة لطيفة بورابة ،2019–2020 ،ص 41 .

هناك العديد من المعالم التاريخية والأثرية العامة ولكنها تعود إلى فترة ما قبل الوجود العثماني، حيث عرفت هذه المدينة تطورا كبيرا وكانت قاعدة المغرب الأوسط، وقد وصفها العديد من الرحالة والجغرافيون وذكرها العديد من المؤرخين،ويصفها البوعبدلي قائلا:"تلمسان كانت هي قاعدة المغرب الأوسط، ولها أسواق ومساجد، وأنهار وأشجار وعليها طواحين، وكانت مقصدا لتجار الآفاق ونزلها محمد بن سليمان بن عبد الله بن حسن بن علي بن أبي طالب، ولم تز تلمسان دارا للعلماء والمحدثين وحملة الرأي على مذهب مالك بن أنس رحمه الله "[1]، وذكرها أيضا غير واحد من المؤرخين ودخلها عروج عام 923هـ /1517م، واستولى عليها، ولكن ثار أهل تلمسان على العثمانيين بعد انصراف عروج فعاد إليها وقتل فيها سنة 1518م، لكن الباي حسن قورصو أعادها مجددا عام 962هـ/1555م وبقيت تابعة لبايلك الغرب مدة ثلاثة قرون [2]

وفي الفترة العثمانية نذكر جملة من الآثار مثل مسجد سيدي اليدون، وضريحين بقرية عين الحوت للوليين الصالحين عبد الله بن منصور، ومحمد بن علي ،كما نجد ترميمات لضريح سيدي أبي مدين وسقف مدرسة العباد ومسجد سيدي إبراهيم المصمودي ومسجد سيدي لحسن بن مخلوف الراشدي، إضافة إلى إنشاء دار الباي في بداية عهد العثمانيين كقاعدة للإيالة يحكمها باي غير تابع لباي مازونة وإنما كان تابعا لدار السلطان لمدينة الجزائر مباشرة [3].

3.المدينة وأثرها الثقافي في الفترة العثمانية:

[1] – م،ن، ص 41 ، المهدي البوعبدلي ،تاريخ المدن ،جمع عبد الرحمن دويب ،عالم المعرفة للنشر والتوزيع،الجزائر،المحمدية ،2003، ص 54.

[2] –الحاج محمد بن رمضان شاوش ،باقة السوسان بالتعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان، ج1 الجزائر، د.م.ج،ص97 .

[3] – م،ن،ص 98 .

لا يعني اقتصاري على هذه المدن الحصر، وإنما التمثيل فقد ازدهرت في الجزائر العديد من المدن في الشرق والغرب وحتى الجنوب، فقد عرف امتداد الحكم العثماني بالجزائر في بعض الفترات إلى الجنوب الجزائري خاصة مع المصاهرة، والتجارة، كماأن الحرية التي كانت تتمتع بها بعض المناطق لبعدها عن مركز الحكم أدى إلى محاولة التنمية المحلية و الاعتماد على الذات دون انطواء، حيث ساهمت الرحلات بين المدن وبين الأقطار التي كانت تحت الحكم العثماني و الاحتكاك الثقافي والتبادلات التجارية إلى تطور العديد من المدن الجزائرية مثل القل والقالة وسكيكدة وسطيف ومسيلة وتقرت وغرداية وبسكرة وبشار وأدرار والوادي وتنس ودلس و القليعة وغيرها من المدن.

4. نزوح الأندلسيين وتطور المراكز الثقافية في الفترة العثمانية:

1.4.هجرة الأندلسيين الى الجزائر :

نتيجة سياسة الاضطهاد الديني الذي مارسه النصارى في حق المسلمين بالأندلس والذي مس عقيدتهم وعباداتهم وأركان دينهم، وانتشار محاكم التفتيش، لجأ المسلمون إلى بلاد المغرب العربي، وكانت الجزائر موئلا للهجرات الأندلسية منذ أوقات مبكرة خاصة في العهد الرستمي والحمادي .ثم المرابطي والموحدي، وزادت موجات الهجرة الفردية والجماعية إلى المغرب الأوسط عن طريق العلاقات التي كانت تربط العدوتين، ثم توالت الهجرات بعد ذلك خاصة بعد 1492م بعد عصر السقوط النهائي للأندلس بعد حملات الاسترداد الاسبانية للمدن الأندلسية الكبرى، حيث لجأ العديد من الأندلسيين الرافظين لفكرة التنصير القسري الذي انتهجته اسبانيا في حق المسلمين الذين يفضلون البقاء في الأندلس[1]ويذكر عبد الرحمن الجيلالي في سياق

[1]ينظر موجات الهجرة الأندلسية وخطوط نقلهم إلى الجزائر في :مريم بوخاوش ، آثار سقوط الأندلس على بلاد المغرب الأوسط 06-10هـ/12-16م، رسالة دكتوراه ، تاريخ وسيط ، المدرسة العليا بوزريعة ، 2014 ، حيث عرضت في الملاحق الخرائط التي تبين الحملات البحرية التي كانت تخرج من موانىء جيجل و الجزائر و تنس ...إلى السواحل الأندلسية من أجل إنقاذ المسلمين الأندلسيين ، وكذا طرق المواصلات البحرية لنقل الأندلسيين، بالإضافة إلى أهم مناطق استقرار اللاجئين الأندلسيين في المغرب الأوسط.

حديثه عن المأساة وأقرها في تلك الهجرات المتعاقبة على سواحل المغرب الأوسط أن بداية الهجرة الأندلسية إلى الجزائر تعود إلى سنوات قليلة قبل السقوط النهائي لغرناطة وبالتحديد إلى عام 856هـ/ 1452م بفعل تزايد نشاط القرصنة وبداية الهجمات الاسبانية [1] لقد كان المغرب الأوسط بكامل مدنه الساحلية والداخلية كانت موئلا للهجرة الأندلسية وتختلف هذه الهجرات حسب الظروف التي مرت بها إلى هجرات اختيارية، كان يطغى عليها ما يسمة بالرحلات العلمية الأندلسية إلى كبرى الحواضر الجزائرية، أو هجرات اضطرارية جراء الاحتلال الإسباني لكبرى المكن الأندلسية.[2]

وبهذا هاجر إلى بلاد المغرب الأوسط العديد من العلماء، وكان لهم تأثير ثقافي واسع على المنطقة وأهلها، فكانت الحواضر الكبرى ومرافقها العلمية بالمغرب كالمدارس والمساجد والزوايا تعج بالعلماء، كتلمسان وقسنطينة وبجاية،فقد استقر فيها نخبة من العلماء في فنون وعلوم مختلفة،كالعلوم الشرعية بمختلف فنونها ،وعلوم اللغة بمختلف فروعها، وحتى العلوم العقلية،ورغم أن كتبهم ومؤلفاتهم العلمية قد أصابها التلف في الأندلس بسبب الأوضاع السياسية خاصة في العصر الغرناطي فالإسبان"احرقوا نحو مائةألف مخطوطا في ساحات مدينه غرناطة سنة 904 هـالموافق لـ: 1499م،وكانوا يصادرون الكتب العلمية التي يحتاجون إليها،وقاموا بتحطيم المؤسسات التعليميةوالدينية، وقتل الفقهاء وتشريدهم من ديارهم ،وتجريدهم من ممتلكاتهم ،فلجؤوا إلى بلاد المغرب والمشرق بحثا عن أماكنآمنه لهم، وهكذا يتبينأن كثيرا من العلماء والمصنفات الأندلسية تعرضت للإتلاف"[3]

ولا شك أن الحواضر المغربية في بلاد المغرب الأوسط كانت مهتمة جدا بالعلم والعلماء،فازدهرت فيها الحياةالعلمية، وما زاد من ازدهارها قبولها للعلماء المهاجرين إليها،

[1]عبد الرحمن الجيلالي ، تاريخ الجزائر العام ج :2 ، ص:178.

[2]مريم بوخاوش ، آثار سقوط الأندلس المرجع السابق، ص 205

[3]– عبد العزيز فيلالي ،تلمسان، صفحه 319

وتقربهم إلى بلاطها ،وإدماجهم في الحركةالتعليمية بمؤسساتها المختلفة من مساجد ومدارس وكتاتيب وغيرها، فبنو زيان مثلا في مدينه تلمسان كانوا "يشجعون العلماء والفقهاء والأدباء، ويستقبلونهم في مختلف الحواضر المغربيةوالأقطارالإسلامية، ولا سيما منها العدوةالأندلسية، فاستفاد أهل التلمسان مما كانوا يحمله المهاجرون الأندلسيون من علم وفكر وحضارة، فكانت لهم مشاركه جادة في تطوير الحياة الثقافية والاجتماعية والاقتصادية، وترقيتها بالمدينة، وفي هذا السياق يقول المقري في حديثه عن كثره المهاجرين الأندلسييناإلى بلاد المغرب:" اعلم جعلني الله تعالى وإياك ممن له لمذهب الحق انتحال،أن حصر أهل الارتحال لا يمكن بوجه ولا حال ولا يعلم ذلك على الإحاطة إلا علام الغيوب الشديد المحال،ولو أطلنا عنان الأقلام فيمن عرفناه فقط من هؤلاء العلماء الأعلام لطال الكتاب وكثر الكلام"[1].

.2.4. الآثار الثقافية والعمرانية لسقوط الأندلس على الجزائر:

لقد كانت هناك آثار سياسية وعسكرية واقتصادية واجتماعية لسقوط الأندلس على بلاد المغرب الأوسط(الجزائر)[2]، ولا شك أن هذا كان واضحا في العمارة، وما يهمني فيهذا البحث هو الإشارة فقط إلى الآثار الثقافية والعمرانية لسقوط الأندلس على المغرب الأوسط، حيث تبين المصادر الرقي الثقافي الذي شهدته بلاد الأندلس خلال العصور التاريخية التي مرت بها منذ الفتح الإسلامي مع موسى بن نصير طارق بن زياد، ومدى تأثير المسلمين في إخراج هذه المنطقة من الأوضاع المتدهورة التي كانت تعيشها في ظل الحكم القوطي الاسباني ، وقد امتزجت حضارة الأندلس بالعديد من الثقافات فأنتجت حضارة مزدهرة خاصة على المستوى الثقافي، ولما أفل نجم هذه الحضارة مع سقوط غرناطة آخر حواضرها، احتضنت بلاد العالم الإسلامي قاطبة هذه الحضارة الأندلسية المشتتة خاصة بلاد المغرب بحكم موقعه الجغرافي القريب منها، وكان حظ المغرب الأوسط من هذه الثقافة كبيرا، سواء

[1] الغبريني، عنوان الدراية المرجع السابق، ص:39 ، مريم بوخاوش ، المرجع السابق ،ص : 294-295

[2] ينظر مريم بوخاوش ،المرجع السابق، الفصل الثالث ص 312 .

ما تعلق بالتعليم لمشاركة هؤلاء الأندلسيين في هذه المهمة، أو ما تعلق بالحياة الفكرية كلها من علوم شرعية وعلوم عقلية وطب وفلك وعمران وحرف وصنائع وأدب وتصوف وغيرها .

لم يمس التأثيرالأندلسي مجال التعليم فقط بل تعد ذلك إلى الخط أيضا حيث انتقل بقدوم بعض العلماء الذين كانوا يمارسون وظيفةالكتابةإلى المغرب بذيوع الخط الأندلسيوانتشاره حتى غلب ظهوره على الخط المغاربي، وقد أشار إلى هذه النقطة ابن خلدون في حديثه عن تأثير الأندلسيين في بلاد المغرب فقال: "وأما أهل الأندلس فافترقوا في الأقطار عند تلاشي ملك العرب بها ومن خلفهم من البربر، وتغلبت عليهم أمم النصرانية فانتشروا في عدوة المغرب ...وشاركوا أهل العمران بما لديهم من الصنائع وتعلق بأذيال الدولة فغلب خطهم على الخط الإفريقي(القيرواني)،وعفا عليه، ونسي خط القيروان والمهدية بنسيان عوائدهما وصنائعهما،وصارت الخطوط الإفريقية كلها على الرسم الأندلسي بتونس وما إليها[1].

وعليه أصبح الخط الأندلسي الخط المستعمل في قسنطينة وبجاية وغيرها، إلى جانب الخطوط الأخرى خاصة المغربي، وهذا إن دل على شيء،فإنما يدل على تأثير المهاجرين الأندلسيين"على طرق وأساليب الكتابة،فأصبح النموذج الأندلسي مثالا يحتذى به في اختيار الألفاظ، واعتماد السجع والأخذ بالمحسنات البديعية، فكانت كتابات ابن الأبار وابن المطرق نموذجا لمعاصريهم من علماء بجاية، وغدت مؤلفات الفتح ابن خاقان ولسان الدين بن الخطيب مرجعا للمتأخرين منهم"[2].

وكان للكتاب الأندلسيين دورا كبيرا في كتابة الدواوين والرسائل وغيرها،ونالوا حظا أوفر ومكانة مرموقة لدى بعض السلاطين والأمراء في عهد الدولتين الزيانية والحفصية نظرا لأهمية الكتاب في ذلك الوقت، وتنافس السلاطين على إيجادأرقى الخطاطين والكتاب، ونظرا

[1]– ابن خلدون المقدمه ،المرجع السابق ،صفحه 606

[2] – ناصر الدين سعيدوني، دراسات اندلسية، المرجع السابق، ص18

لأهمية الخط الأندلسي. كما ذكرت سالفا. فقد تنافست دوله بني زيان مع الدولة الحفصية على الكتاب الأندلسيين، والأمر نفسه في الفترة العثمانية حيث نال الكتاب مكانتهم في الديوان في الادارة العثمانية ولاتزال المخطوطات شاهدة على ذلك [1].

وكان استعمال الخط في كتابة المصاحف ونسخها من أنبل المهام التي كان يقوم بها بعض العلماء والكتاب تقربا إلى الله تعالى بهذه المهنةالنبيلة، وانتشرت هذه الظاهرة انتشارا واسعا في بلاد المغرب الأوسط،وخاصة في تلمسان وكان هناك تنافس شديد بين الخطاطين في تغليب الخط الأندلسي"، بحيث كانوا يتنافسون في كتاباتهاأي المصاحف في عهد ابن مرزوق الخطيب (8هـ/14م) على طريقة أهلاالأندلس المشهورين بحسن الخط وضبط الكتابة،ويتقنون في ضبطها، فكان خطهم يشبه خط "الغطوسيات" حسب تعبير ابن مرزوق الخطيب نسبةإلىأسرةابنغطوس الأندلسيةالمشهورة بجودة الخط وضبط الكتابة، وهذا دليل واضح على أن الناسخين والفقهاء التلمسانيين قد تأثروا بالخط الأندلسي خلال العهد الزياني لاحتكاكهم بالأندلس وبالمهاجرين الأندلسيين[2].

ولقد ظهر العديد من الخطاطين الأندلسيين في بلاد المغرب الأوسط الذين كان لهم دورا كبيرا في نشر هذا النوع من الخط في المنطقة ومن بينهم الأديب الوادي آشي الأندلسي[3]الذي حل بمدينه تلمسان بعد سقوط غرناطة وصار من كبار الناسخين نسخ بخطه نحو مائة كتاب بتلمسان[4].

ومنهم أيضا إبراهيم بن عبد الله الأنصاري الغرناطي التلمساني الذي بلغ الغاية في إجادة الخط ،وحاضر بالأبيات، وأرسم في كتابة الإنشاء عام 734ه مستحقا حسن سمة، وبراعة

[1] - ناصر الدين سعيدوني، دراسات اندلسية، المرجع السابق، ص128

[2]– ناصر الدين سعيدوني، دراسات أندلسية، المرجع السابق،ص:337

[3]– تحدث عنه ابن الخطيب في الإحاطة ،وذكر مناقبه فقال فيه:"شاعر مفلق،وأديب شهير،مشار إليه في التعاليم،منقطع القريب منها في الموسيقى ،أنظر،الإحاطة ،ج2،ص،333

[4] – عبد العزيز فلالي،المرجع السابق ،ص، 338

خط، وجودة أدبو إطلاق يد، وظهور كفاية. وكان علق بخدمة بعض ملوكها، فاستقر ببجاية لديه، مضطلعا بالكتابةوالإنشاء،"[1].

ولم يكن الخط الأندلسي المنتشر في المغرب الأوسط مستعملا للكتابة فقط، بل تعدى ذلك إلى استعماله في النقوش الأثرية، وعلى الجدران والكتابات على المعالم التاريخية، فقد وجد هناك تأثير واضح لهذا الخط الأندلسي خاصة في مدينه تلمسان التي استعمل فيها هذا النمط من الخطوط في النقوش والكتابات التذكارية، فكان النمط المستخدم مع اختلاف أسلوبي طفيف هو ذلك المسمى النمط الأندلسي الذي ساد في معالم اشبيليةوغرناطة، ومنه النقش الشهير بقصر الحمراء (لا غالب إلا الله) وقدم مسجدا ويقدم مسجدا "سيدي لحسن"و"أولاد الإمام" نماذج رائعة من هذا الخط الكوفي المزهر، وهو ذات النمط الموجود في قصر الحمراء واشبيلية.[2]

ولا شك أن هذا التأثير السابق عن الوجود العثماني قد تطور مع مجيء العثمانيين اللذين برعوا في تطور الخط واهتمامهم بالخطاطين، الأمر الذي أدى إلى ازدهاره خاصة بعد الهجرات الاضطرارية المتتالية بعد سقوط غرناطة .

5- الاهتمام بالثقافة في الجزائر في الفترة العثمانية:

ذكرت سابقا أن الخلافة العثمانية كانت سدّا منيعا للغزو الصليبي الأوروبي ضد الجزائر، وذكرت كيف ساهم الوجود العثماني في الجزائر من الناحية السياسية والعسكرية في صدّ الإسبان والبرتغال عن الاستيلاء على الجزائر، حيث تمكن الجزائريون من الحفاظ على شخصيتهم العربية الإسلامية، خاصة من الناحية الثقافية، كما أن الحكام العثمانيون أسهموا في تطور المدن الكبرى ببناء المساجد والمدارس والزوايا ودور العلم وشجعوا العلماء

[1] -ابن الخطيب، الإحاطة ،ج،1ص،342

[2] -ناصر الدين سعيدوني، دراسات أندلسية، المرجع السابق، ص133

والقضاة، وأوقفوا الأوقاف لخدمة العلم والعلماء، وكان الأمر يتفاوت بين حاكم وآخر، ففترة الوجود العثماني بالجزائر تجاوزت الثلاثة قرون.

واليوم المؤرخون مجبرون على إعادة كتابة التاريخ الثقافي للجزائر في الفترة الإسلامية كلها، وفي الفترة العثمانية على وجه الخصوص من منطلق جزائري بحث، ذلك أن المراجع والمصادر الموجودة عن الفترة العثمانية هي من كتابة المحتل الفرنسي، والذي جاء انتقاما لما تكبده من خسائر كبيرة اعترت وجوده واقتصاده طيلة ثلاثة قرون، فقد كان متربصا بالدول الإسلامية طيلة هذه المدة، وكانت الخلافة حصنا منيعا عرقلت كل محاولاته على سورها، بينما نجد كتابات قليلة للعثمانيين وللجزائريين على تلك الفترة، وما كتب من مخطوطات ووجد في المكتبات تعرض للحرق والتلف والهدم، في غضون فوضى بدايات الإحتلال، ومجئ الأقدام السوداء إلى الجزائر، حيث شجعت فرنسا الأوروبيين على الهجرة إلى الجزائرــ خاصة المساجين والمعتوهين والذين ليس لهم أهل ولا عمل ــ ووعدتهم بجنات النعيم فيها.

وهؤلاء أغلبهم لم يكونوا أصحاب ثقافة ولا علم، بل كانوا همجا دمروا وخربوا وأحرقوا وقتلوا ونهبوا وفعلوا الأفاعيل الشنيعة من أجل إبادة شعب وإحلال شعب آخر مكانه، حيث كان هدفهم في البداية على حدّ قول الألماني شلوصر الاستيطان الدائم ومحو الجزائريين وإبادتهم كما فعل الأوروبيون في أمريكا مع الهنود.[1]

يكفي أن أكثر من 130 مسجدا ومدرسة في الجزائر العاصمة لوحدها هدم وأحرق وصودر وحول إلى ثكنات وبنايات، وهذه كلها كانت تملك أوقافا وقائمين عليها من قضاة وأئمة مؤذنين، وحزابين وقيمين ومعلمين ومكتبات عامرة بالكتب كلها في عداد المفقود.

[1] سعيد بوخاوش ، قراءة في كتاب " قسنطينة أيام أحمد باي 1832-1837" للرحالة الألماني فنرلين شلوصر و تعليقات أبو العيد دودو ، مجلة المدونة ، ع/1 ، جامعة البليدة2 ، ص 43-57

ومنه يتبين أن عدم وجود كتابات على الفترة العثمانية ترجع أساسا إلى ما ارتكب من جرائم طيلة 132 سنة عرفتها الجزائر تحت نير الجهل والفقر والإحتقار.

وهنا نجد المؤرخين الجزائريين يعتمدون على ما كتبه الفرنسيون في الجانب الثقافي، وهذا أمر من الخطورة بمكان، "إن أعمال المترجمين والمستشرقين والفنانين والمؤرخين الفرنسيين كانت مستوحاة من تراث الجزائر، وكانوا يحاولون توجيهه وجهة تخدم المصالح الفرنسية، وهنا يكمن الفرق بين العثمانيين والفرنسيين.فالعثمانيون لم يكتبوا عن الثقافة الجزائرية، وإنما تركوا أهل البلاد يتولون ذلك بأنفسهم، أما الفرنسيون فقد تولوا شؤون الثقافة بأنفسهم واستبعدوا عنها علماء وأدباء البلاد"[1].

وربما أجد صعوبة في التحدث عن الجانب الثقافي في الجزائر في الفترة العثمانية بل وفي غيرها، إذ نجد قلة في المراجع التي كتبها الأجداد وذلك يعود لظاهرة خطيرة "وهي عزوف الجزائريين عن الكتابة وتدوين حياتهم بكل ما فيها، ولا ينطبق هذا العزوف على فترة الاحتلال الفرنسي فقط، بل إننا وجدنا الظاهرة عامة في مختلف العصور.

وعدم الكتابة والتدوين ترك المجال فارغا أمام المغرضين والمؤولين لتاريخ البلاد، وخصائص أهلها والطعن في قدرتهم الفكرية، وسيلاحظ الجيل الحاضر كيف وظف الفرنسيون وغيرهم من الأجانب، عزوف الجزائريين عن الكتابة، فأعطوا تفاسير لتطورهم لا تنصفهم"[2].

ومن خلال ملاحظة الأستاذ أبو القاسم سعد الله يتبين لنا عنصرا هاما في التاريخ المحلي، ولكن الباحث في المخطوطات والناظر فيها وما أكثرها بإمكانه أن يستخلص ما يتعلق بالحياة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية وغيرها.

[1] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج3، ص 6.

[2] المرجع نفسه ، ص 10.

فعلى الرغم من أن همجية الاحتلال قضت على الموروث الثقافي المادي وأحرقت العديد من المكتبات وأتلفت العديد من الزوايا والمساجد كما أسلفت، وكانت هذه الأخيرة تحمل ذاكرة الأمة عبر قرون، ثم ساهم الجهل في الأجيال التي عاشت الاحتلال، وفعل فعلته، فخلا الجو للفرنسيين والأوروبيين والمتجنسين لكتابة ما يحلو لهم وما يتلاءم ومنطلقاتهم الفكرية، ولهذا نجد الكتابات الفرنسية المتعلقة بالفترة العثمانية كلها منحازة إلى الأوروبيين، وحاولت أن تظهر الوجود العثماني في الجزائر في أبشع صوره وعلى أنه إحتلال وتعسف وضرائب، وتخلف وقرصنة، في حين أن الوجود العثماني هو الذي وقف ضد الإحتلال الذي ظهرت مظاهره مع الوجود الفرنسي في الجزائر.

إن المؤرخ المنصف والمنطلق من مصادر ومراجع محلية والمهتم بالأثارليستنطقها، يتبين له عكس ما ذهبت إليه روايات الأوروبيين، إن الأثري الذي يبحث في كنوز ما خلفه الجزائري من عمارة دينية ومدنية وعسكرية وما تركه من أثار منقولة، يتبين له مدى عبقرية هذا الشعب عبر تاريخه الطويل.

لقد كان المؤرخون الفرنسيون يحافظون على الأثار الرومانية أينما وجدوها ويرصدون لها الأموال للحفاظ عليها، في حين نجد ألاف العمائر هدمت رغم جمالها ومكانتها عند أهلها.

إن المدرسة الآثارية الجزائرية بعد الاستقلال استعادت هويتها ومجدها، فالمتصفح للعديد من الرسائل في الدكتوراه والماجستير، يتبين له مدى حرص الأساتذة على البحث الحقيقي في الأثار الجزائرية من مساجد ودور وقصور وقلاع ومدن وكتابات وهذا كله يشكل في مجموعه إعادة قراءة للفترات الغابرة.

يتبين من تصفح رسائل الدكتوراه والماجستير في الآثار العثمانية المنجزة مؤخرا، مدى التطور الثقافي في الجزائر إبان الفترة العثمانية، إذ تشكل تلك الأبحاث منطلقات علمية راسخة لإثبات مدى زيف الأطروحة الفرنسية حول الوجود العثماني في الجزائر.[1]

لقد كان الوجود العثماني بمثابة الحماية من الغزو الخارجي، بينما ترك الأمر للشعب الجزائري في حياته الخاصة.

ويذكر الأستاذ محمد الأمين بلغيث في تساؤل لماذا غيبوا عنا تاريخنا قبل 1830م ؟

مجيبا:" كان ذلك لهدف واحد، كي لا نعلم ما كنا عليه، وما كانت مكانتنا بين الأمم، فرنسا التي جاءت لتنتهك حرماتنا وتطمس هويتنا، وتستغل عرقنا،وتسيل دماءنا، كان لابد عليها أن تخفي عن الجزائريين مكانتهم التي كانوا عليها قبل أن تأتي حاملة شعارات نشر الحضارة بيننا، ولكن هيهات.قبل الغزو الفرنسي كنا عظماء وبعده صرنا أذلة، قبل فرنسا كنا متعلمين، وبعد فرنسا صرنا أمة لاتقرأ ولاتكتب، كنا أسياد فصرنا عبيدا .إن الوثائق الرسمية الفرنسية والعثمانية، وكتابات الجزائريين قبل الاحتلال تضاف إليها تقارير الرحالة والزائرين الآخرين تعطينا صورة مختلفة عن الجزائر عما يقال عنها اليوم، حيث تؤكد العديد من الوثائق والشهادات، أن المستوى الثقافي كان رفيعا على حد قول المؤرخ الأمريكي وليام سبنسر وهو من أوثق المصادر التي تتحدث عن تلك الفترة " يقول: فكل من شهادات المسيحيين والمسلمين تتفق على إعطاء الدولة الجزائرية علامات مرتفعة على ما عرفته من الانظباط

[1]كما يمكن التحفظ على بعض مضامينها والتي تعتبر خطيرة لاسيما التي تعتبر مجرد اجترار لمقولات أجنبية ترسخت بالتداول التعليمي على غرار التركيبة السكانية للجزائر والتي كان منطلقها مدينة الجزائر فقط في حين نجد الطلبة يعممونها على كل القطر الجزائري، ويطلقون لفظ البرانية على البساكرة والجبايلية والمدن المجاورة، في حين هؤلاء هم الجزائريون كما ينسبون العديد من الحرف والأعمال لليهود وهم لا يتجاوز عددهم 1500فردا في عام1533 ليرتفع العدد نظرا للهجرات الأندلسية الى 1300 أسرة كأقصى تقدير في سنة 1675 وهم منتشرون في المدن الكبرى، في حين لا نجد الحديث عن 8ملايين جزائري غداة الاحتلال حسب عثمان خوجة ، وهذا يدعو إلى الحزم في البحث العلمي والتحلي بالروح العلمية ، وعدم الانسياق وراء مقولات الدراسات الغربية ، التي كان هدفها دراسة تاريخ الأوروبيين فقط، ولا يهم تاريخ سكان الأرض الأصليين.

والاستقرار واحترام القانون، والارتباط الاجتماعي والمستوى الثقافي الذي بلغته" وينقل الأستاذ بلغيث عدة شهادات لمؤرخين أوروبيين عن المكانة الدولية المرموقة للجزائر في تلك الفترة على غرار ما يؤكده المؤرخ الفرنسي برنارد أوغستين، وكذلك استماتة الجزائريين في الدفاع عن أرضهم .

حيث يقول سبنسر " وقد أظهرت الوقائع المؤكدة أن مختلف الحملات الأوروبية والتي شنت على الجزائر قد أثبتت عجز السياسة الخارجية الأوروبية حينما جوبهت بأمة قوية في الداخل، متحدة مصممة، وإن فشل حملة شارلكان التخريبية سنة 1541م لمثل لذلك الفشل الأوروبي"[1]

كما أن الجزائر حققت حماية حرية التجارة الدولية حيث يقول المؤرخ الفرنسي دوغرامون:"فلقد كانت الضرائب السنوية التي كانت تدفعها ثلاثة أرباع أوروبا، بل وحتى أمريكا، في الحقيقة والواقع مجرد مساهمة منها في التكاليف التي كانت الجزائر تتجشمها لضمان حرية الملاحة في البحار، بطلب من تلك الدول نفسها، وبدافع من روح المسؤولية الدولية للجزائر على تلك البحار، وخاصة منها البحر الأبيض المتوسط، بحرها، عليها حراسته، والسهر على سلامة الملاحة فيه، لانها منه هوجمت سنة 1505م وظلت تهاجم منه " فحرية الملاحة في البحار كانت تقتضي وجود كيان قوي يحميها من ضربات القراصنة الأوروبيين الذين يرتعون في جزره وتنطلق منه هجماتهم على سواحل شمال إفريقيا[2]

وخلاصة القول أن الحياة الثقافية كانت أحسن بكثير مما كانت عليه بعد الاحتلال وهذا مرتبط أساسا بالاستقرار السياسي والاقتصادي والاجتماعي والحماية العسكرية للحدود الجزائرية.

6 ــ الوقف ودوره في تطور الحياة الثقافية والعلمية في الفترة العثمانية بالجزائر:

[1]- وليام سبنسر، الجزائر في عهد رياس البحر ،تعريب وتقديم ،عبد القادر زبادية،دار القصبة للنشر،الجزائر 2006،ص ص 161وما بعدها

[2] - Grammont Henri Delmas,Histoire d'alger sous la domination turque (1515-1830),ed ernest leroux,paris 1887,pp 20-29

– مفهوم الوقف:

الوقف في اللغة: الحبس، يقال: وقف يقف وقفا أي حبس يحبس حبسا، والوقف والوقوف خلاف الجلوس، وقف بالمكان وقفا ووقوف، والجمع وقف(بضم الواو وسكون القاف)، ويقال وقفت الدابة تقف وقوفا، ووقفتها أنا وقفا، ووقف الدابة بتشديد القاف جعلها تقف[1].

أما في **الاصطلاح الفقهي:** فهو"حبس الأصل وتسبيل الثمرة، أي حبس المال وصرف منافعه في سبيل الله"[2]، وقيل:"هو حبس ملك أو منفعة في سبيل الله، ويبقى أصلها للواقف، وهي من أعمال البشر" [3] ويذكر الفقهاء دليل مشروعيته من الكتاب والسنة فقد وردت أحاديث كثيرة ترغب فيه، قال في الحجة السالفة " وهو الوقف من التبرعات، كان أهل الجاهلية لا يعرفونه، فاستنبطه النبي صلى الله عليه وسلم لمصالح لا توجد في سائر الصدقات، فإن الإنسان ربما يصرف في سبيل الله مالا كثيرا ثم يفنى، فيحتاج أولئك الفقراء تارة أخرى، ويجيء أقوام آخرون من الفقراء فيبقون محرومين، فلا أحسن ولا أنفع للعامة من أن يكون شيئا حسيا للفقراء وابن السبيل، يصرف عليهم منافعه، ويبقى أصله على ملك الواقف [4]، وقد ذهب إلى مشروعية الوقف ولزومه جمهور العلماء، وقد جاء في إحدى المنظومات [5]:

والوقف هدي طيب إذ أجـــــره بعد الممات يظل في جريان

من يشترط بالوقف شرطا فاســـدا فاردد عليه الشرط بالبرهان

أنواع الأوقاف[6]:

---

[1]ابن منظور ، لسان العرب .الزمخشري ، أساس البلاغة مادة : وقف.

[2] ــ السيد سابق ،**فقه السنة** ، القاهرة : مكتبة التراث ، ج : 3 ، ص : 273 .

[3] ــ مراد شكري ،**المنخلة النونية في فقه الكتاب والسنة** ، الجزائر: دار الإمام مالك ، ط : 1 ، 1998 ، ص : 2003.

[4] ــ صديق حسن خان ،**الروضة الندية** ، القاهرة : دار ابن عفان ، ط : 1 ، 1994 ، ص : 512 .

[5] ــ المنخلة النونية ، ص : 203 .

[6]– ينظر سليمان بن عبد الله أبا خليل، الوقف في الشريعة الإسلامية ،حكمه وحكمته وأبعاده الدينية والاجتماعية ،جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية ،الرياض،2008،ص 50 .فهيمة عميراوي ،أوقاف الجيش الانكشاري بمدينة الجزائر ،من 1009 إلى 1246 هـ 1600 إلى 1830 م رسالة دكتوره جامعة الجزائر 22017–2018م،،ص 46 .

ينقسم الوقف إلى أقسام نذكر منها:

الوقف الأهلي أو الذري وهو وقف على الأهل والذرية.

الوقف الخيري وهو الوقف على جهة بر وخير ويتعلق به مصالح جميع الناس مثل المساجد والمدارس والأربطة والمستشفيات وغيرها.

الوقف المشترك وهو الذي يجمع بين النوعين الخيري والذري

وما يميز صحة الوقف: توفر الواقف، والموقوف عليه، أوله، وصيغة الوقف، والتأبيد، وديمومة الوقف.

مؤسسات الوقف في الجزائر في الفترةالعثمانية: نظرا لأهمية الأوقاف في الفترةالعثمانية بالجزائر، واهتمام الجزائريين بالوقف والسعي لنيل الأجروتأبيد الوقف في الذرية أو الخير فقد وجدت، عدة مؤسسات لتسيير هذه الأوقاف سنذكرها فيما بعد .

أهمية الوقف: للوقف أهـــمية كبيرة اجتماعيا واقتصادياو ثقافـــيا، فقد شرع الله الوقف وندب إليه، وجعله قربة من القربات التي يتقرب بها إليه"[1] ."وكـــان الوقـــف هو المصـــدر الأساسي لنـــشر التعـــليم والمحافـــظة عـــلى الدين"[2]، فالموارد الوقفية هي التي كانت تقـــوم عـــلـــيها المؤسسات التعليمية بمختلف أنواعها، وهي التي تحافظ على اللغة العربية كعنصر من عناصر الهوية الوطنية في الجزائر .

أوقاف الجزائر في الفترة العثمانية:هناك أنواع للأملاك الموقوفة في الفترة العثمانية حيث تعددت العقارات التي أوقفتها الدايات على المنشآت التي أمروا ببنائها بين دور وطوابق سفلية وعلوية وحوانيت واسطبلات ومخازن وجنانين وبحاير[3].

قسم د.سعد الله الأوقاف الموجودة غداة الاحتلال الفرنسي إلى فرعين:

---

[1] ــ السيد سابق ،فقه السنة ، ج : 3 ، ص : 273 .

[2]ــ ابو القاسم سعد الله ،تاريخ الجزائر الثقافي،ج : 5 ، ص : 152.

[3]– ينظر، فهيمة عميراوي ، المرجع السابق ،ص 295–318 .

أ- الأوقاف العامة : 1- أوقاف بيت المال.

2- أوقاف الطرقات.

3- أوقاف العيون (المياه).

4- أوقاف الأندلس.

5- أوقاف الأشراف.

6- أوقاف مكة والمدينة.

7- أوقاف سبل الخيرات (خاصة بمباني المذهب الحنفي).

ب- الأوقاف الخاصة: 1- أوقاف الشيخ الثعالبي.

2- أوقاف الجامع الكبير.

3- أوقاف مختلف المساجد والزوايا والقباب والجبانات.

ج-ـ خدمات المؤسسات الوقفية:لهذه المؤسسات الوقفية خدمات كثيرة نذكر منها :

1- ما يذهب ربعه للتخفيف على الفقراء بتوزيع المال والمواد الغذائية يوم الخميس وعشية الجمعة.

2- ما يستعمل ريعه لصيانة المؤسسات الدينية في مكة والمدينة بالذات وهو الريع الذي يصل إلى شيخ الإسلام في مكة و سوريا.

3- الريع الذي يستعمل لافتداء الأسرى المسلمين عند النصارى.

4- ما يعود ريعه إلى صيانة المساجد والمباني الدينية على العموم.

5- مصاريف وأجور القائمين على المساجد وغيرها كالأئمة والعلماء والطلبة والحزابين والوكلاء وغيرهم.[1]

وهناك خدمات أخرى كثيرة تضطلع بها أموال الوقف، ولهذا نجد أن الفرنسيين غداة الاحتلال، و الذين اعتبروا الجزائر ملحقة فرنسية، ورأوا أن المؤسسات الوقفية كثيرة

[1] فهيمة عميراوي ،اوقاف ..،المرجع السابق

جدا، وهي مصدر أساسي للحفاظ على الهوية الوطنية، ومصدر تمويل للمقاومة، بدأوا منذ الوهلة الأولى بمصادرة هذه الأوقاف وقضوا عليها، وتسبب ذلك في تعطيل التعليم بالعربية بالدرجة الأولى، و تدهور وضعية اللغة العربية بعد ذلك تبعا لها.

إن المتتبع لخدمات الأوقاف وأنواعها يتبين له أن لها علاقة مباشرة وغير مباشرة بالحفاظ على الدين الإسلامي واللغة العربية، فالأوقاف العامة والخاصة كانت تمول المدارس والمساجد والمكتبات والزوايا وخدمات هذه المؤسسات كانت تعود بالنفع على الطلبة والمعلمين على حد سواء، ولذلك و جدنا التعليم منتشرا في الفترة العثمانية قبل الاحتلال، في حين ساد الجهل و صارت العربية غريبة في بلادها وبين أهلها بعد قضاء الاحتلال على خدمات الأوقاف المتعددة .

ي- مآل هذه الأوقاف وتدهور الثقافة العربية الإسلامية:

لم تبق الإدارة الفرنسية هذه الأوقاف كأمانات، بل تصرفت فيها بالبيع و العطاء والتأجير و نحو ذلك،كما تصرفت فيها بالهدم والتحويل والتعطيل والاحتلال العسكري والمدني (المصادرة و الاستيطان) .

وقد قال تقرير يرجع إلى 1839م أنّ نصف المنازل التابعة للأوقاف الدينية قد اختفى بالهدم أو منح للمصالح العامة مدنية و عسكرية ودينية، وكانت الأوقاف المصادرة منذ 1830[1] أرضا وعقارا تتصرف فيها الدولة بالإبقاء عليها تحت يدها أو بإعطائها إلى المهاجرين الأوروبيين، وقد بلغت قيمة أملاك الأوقاف التي استولت عليها الدولة ولم توزعها على الأوروبيين إلى سنة 1891 ما يلي:

- **<u>إقليم الوسط (الجزائر):</u>** 509.202 فرنك.

[1]ـ و قد ذكرت سابقا قرار 1830 (سبتمبر-ديسمبر) الذي ينص على مصادرة الأملاك الدينية مهما كان نوعها.

- **إقليم الشرق (قسنطينة):** 554.078 فرنك.

- **إقليم الغرب (وهران):** 1574.225 فرنك.

لقد أخذ موضوع الوقف حيزا في دراسات عديدة، ولازال بحاجة إلى تدقيق البحث فيه من جديد، ومايهمني في دراستي هذه أن فرنسا قامت منذ الوهلةالأولى بالقضاءعلى الوقف الذي كان يمثل عصب التعليم العربي والحفاظ على اللغة العربية في الفترة العثمانية "فبعد ما كان الوقف موردا للتعليم وتنشيط الحياة الدينية والتكافل الاجتماعي وصيانة المساجد وتكريم العلماء والمعلمين والطلبة ونحو ذلك، انتهت إلى ثكنات وطرقات وساحات وكنائس ومزارع للكولون ومنازل للخواص الأجانب والغرباء، وانهدم بعضها منذ اللحظات الأولى قبل التفكير حتى في بقاء فرنسا بالجزائر أو الجلاء عنها، لقد انهدمت معه المساجد والزوايا وعشرات المدارس القرآنية والثانوية واختفت دروس المساجد التي كانت تضيء أرجاء العاصمة وغيرها من المدن وهاجر العلماء والقضاة وافتقر النظراء والوكلاء

وصادرت السلطات الفرنسية الأملاك العامة والخاصة[1]مما كان له انعكاس واضح على تدهور التعليم باللغة العربية وتطبيق سياسة الفرنسة بسهولة واختفاء اللغة العربية من الاستعمال فيما بعد "لقد كتب السيد بولار الذي لا يمكن رميه بالتحيز ما يلي: " لقد أسندت إدارة التصرف في المساجد والمكاتب إلى أفراد بارعين في الكيد والدس، استخدموا القسط الوافر من الأموال في مصلحتهم، ومن هنا أهملت أغلبية المكاتب وتركت وشأنها"، وإن الضابط رين الذي لا يتبادر للأذهان وصفه بالعداء لفرنسا يقول أيضا : " إن الفرد الفرنسي كان له الأثر السيء، إذ بسط يده على العقارات دون أن يخصص ولا محل واحد للتعليم

[1] ــ سعد الله ،تاريخ الجزائر الثقافي ، ج : 5،ص203.

ولم يبق من المكاتب الموجودة سابقا إلا عدد قليل يحتوي على 30000 تلميذ، وهذا العدد أقل من خمس التلاميذ الموجودين قبل عهد الاحتلال "[1]

7-الهيآت الثقافية ووضعية التعليم:

لا يمكن للمرء أن يدرس فترة **أكثر من ثلاثة قرون** من الوجود العثماني في كتاب واحد أومجموعة كتب، بل حرّي أن يكون ضمن موسوعات خاصة إن الحديث عن الهيئات الثقافية ووضعية التعليم بالجزائر في الفترة العثمانية مهم جدا، " فكل الذين درسوا موضوع التعليم في الجزائر غداة الاحتلال اندهشوا من كثرة المدارس وحرية التعليم في الجزائر وكثرة المتعلمين ووفرة الوسائل من أجل التعليم، كالمداخيل الوقفية، ومحلات الأوقاف والأجور العالية.

وفي المدن كما في الأرياف كان التعليم جزءا أساسيا من حياة الناس، وكان المعلم والمتعلم موضع تقدير للجميع، وحب العلم كان جزءا من العبادة، كما اندهش أولئك من وفرة المدارس التي كانت تزيد ربما عن حاجة نسبة السكان، وكان التعليم حرا وخاصا ويكاد يكون مجانيا وإجباريا قبل أن تشرعه فرنسا لأبنائها الفرنسيين في الجزائر بعد 1873.م

7-1 المساجد: كانت العناية بالمساجد ظاهرة بارزة في المجتمع الجزائري، فلا تكاد تجد مدينة أو قرية أو حيا بدون مسجد، فقد كان المسجد هو ملتقى العباد ومجمع الأعيان، ومنشط الحياة العلمية والاجتماعية وهو قلب القرية في الريف، وروح الحي في المدينة، إذ حوله كانت تنتشر المساكن والأسواق والكتاتيب"[2]

وقد عرفت الفترة العثمانية بالجزائر تطورا كبيرا في بناء المساجد والزوايا، فرغم ما تعرضت له هذه البنايات في الفترة الاستعمارية من تدمير، إلا أن ما تبقى شاهدا من الأثار يبين مدى تطور المساجد في الجزائر في الفترة العثمانية.

[1] ــ يحي بوعزيز ، السياسة الاستعمارية من خلال مطبوعات حزب الشعب ، ص : 96 .

[2] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص 243.

ويذكر الأستاذان عبد العزيز لعرج وخيره بن بلة في حديثهما عن المساجد في الفترة العثمانية أن هناك ثلاث نماذج لطرز المساجد في الجزائر:

- الطراز المحلي: وهو الطراز الذي تقوم فيه بيت الصلاة على الأعمدة والدعامات ويغطى بسقف مسطح.
- الطراز الوافد: وهو طراز متعدد الأشكال والأنماط.
- الطراز المختلط: وهو طراز يحافظ على بعض العناصر الفنية المعمارية المحلية وأخذ من العمارة الإسلامية في الأندلس وتركيا وبلاد المشرق بعض العناصر.

- **دور المساجد في نشر الدين والثقافة والعلوم في الفترة العثمانية:**

لقد كانت مهمة المساجد الأساسية إقامة الدين من صلاة وإلقاء دروس الوعظ والإرشاد، كما كانت تقام فيها حلقات الدروس العمومية المتخصصة للجماهير بكل طبقاتها "فالمسجد بحكم وظيفته الأساسية يتعامل مع شريحة أوسع، ولذلك فإن تأثيره العلمي أوسع، ورغم انتشار مؤسسات علمية أخرى مختلفة، إلا أنها لم تستطع منافسة المسجد أو التقليل من أهميته، بل أدت هذه المنافسة الشريفة إلى تطور دوره ونفع المتعلمين[1].

فعلى غرار ما كان واقعا في كثير من مدن العالم الإسلامي، أقيمت في الجزائر جوامع أدت الدورين العبادي والتعليمي، كالجامع الأعظم بالعاصمة والجامع الأعظم بتلمسان، جامع قسنطينة وجامع بجاية[2] وغيرها كثير.

لقد كانت الحياة الثقافية في الجزائر في الفترة العثمانية مدينة للمساجد بشكل كبير" فقد اهتم العثمانيون في الجزائر كأفراد ببناء المساجد وتحبيس الأوقاف عليها، ولم يهتموا بشيء آخر من حيث العمران كاهتمامهم بها، أمنوا الموارد لصباغتها والإنفاق على إقامة الشعائر

[1] أحمد بحري: الجزائر في عهد الدايات، دراسة للحياة الاجتماعية إبان الحقبة العثمانية، الجزء2، الجزائر، دار الكفاية، 2013، ص 161.

[2] العيد مسعود: حركة التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني، سيرتا، ماي 1980، ص 64.

الدينية فيها، وقد قدر "هايدو" الإسباني عدد المساجد في مدينة الجزائر سنة 1581 بمائة مسجد، بينما لم يكن عددها تجاوز اثنين قبل دخول الأتراك[1]، ويعني هذا أنهم شيّدوا هذا العدد الهائل من المساجد في خلال ثلثي قرن فقط.

وفي العاصمة وحدها بنى الأتراك أكثر من 23 مسجدا جامعا وما يقارب 109 مسجدا صغيرا لعدد من السكان لا يتجاوز 30 ألف نسمة[2].

وكانت اللغة العربية هي اللغة المتداولة والمستعملة في المساجد، خاصة في الخطب المنبرية في الجمع والأعياد، كما كانت الدروس التي تلقى فيها أغلبها بالعربية وبالدارجة حسب المناطق المترامية الأطراف، الأمر الذي جعل اللسان العربي يوحد الشعب الجزائري مشرقا ومغربا شمالا وجنوبا، وتؤكد المخطوطات المنتشرة في المكتبات الخاصة هذا الطرح، لا سيما تلك التي جمعت خطب الائمة والعلماء عبر الزمان والمكان في الفترة العثمانية.

وسنتطرق في هذا البحث إلى العديد من المساجد كأمثلة على انتشار الكتابة العربية، لا سيما الكتابات الأثرية في اللوحات التأسيسية أو ما هو مكتوب في المحاريب والواجهات الداخلية والخارجية أو على الأبواب والمنابر.

7-2-المدارس: هي المكان المخصص لإلقاء الدروس على المتعلمين، وكانت منتشرة في أغلب المدن، وكانت بهذه المدارس غرف يسكنها الطلبة المسافرون، "وقد عرف أبو راس الناصري المدرسة التي نحن بصددها، بأنها هي التي تبنى لدراسة العلم، أي لتعليمه وتعلمه"[3]، فمن الواضح والجلي ومن خلال رأي أبو راس أن المدرسة لم يكن المقصود من

[1] هذا حكم مبالغ فيه ربما يقصد 20 مسجدا قبل دخول الاتراك

[2] أحمد بحري، مرجع سابق، ص 163.

[3] أبو راس الناصري، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، ص 79.

ورائها الزاوية أو المسجد، بل هي مدرسة مستقلة متخصصة في التعليم وحده بشطريه الثانوي والعالي[1].

وتلعب المدرسة في المدينة نفس الدور الذي تلعبه الزاوية في الريف، وكان من أهداف المدرسة تحفيظ القرآن الكريم إلى جانب تعليم مبادئ القراءة والكتابة وبعض العلوم الأخرى، كالحديث والنحو واللغة والفقه والتوحيد، واستكمال هذه الدراسات بعلم الحساب وقراءة المؤلفات الطبية لابن سينا، إلا أنها كانت قليلة بسبب انشغال العلماء بالعلوم الآنفة الذكر[2].

وقد ذكر أبوراس مجموعة من المدارس ببايلك الغرب على غرار المدرسة المحمدية التي أسسها الباي محمد بن عثمان بالغرب الجزائري، والتي كان لها صدى واسع بالعالم العربي والإسلامي، والتي تعتبر أكبر معهد علمي يضم أساتذة أكفاء، متفرغين لمهنة التعليم لا غير، إلى جانب الآلاف من الطلبة والتلاميذ الذين سارعوا إلى الإقبال على العلم بلهف شديد، وهي التي أشار إليها أبو راس بقوله "وهي المدرسة التي كاد العلم أن ينفجر من جوانبها"، وقد تولى أبو راس مهمة التدريس بهذه المدرسة.

كانت المباني الدينية منتشرة في الجزائر لحرص الجزائريين على العلم والتعلم، فقد شهد غير واحد من الرحالة الأوروبيين انتشار التعليم في الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي، وتمثلت مراكز التعلم في المدن في المساجد والكتاتيب والمدارس والزوايا، فنجد العديد من المدارس: "مثل المدرسة القشانية في مدينة الجزائر، ومدرسة الجامع الكبير التي عُدت شبه جامعة لشهرة العلماء الذين كانوا يدرسون بها، وللمرافق التعليمية التي كانت تحتويها مثل المكتبة، ومرقد الطلبة والأساتذة والضيوف الغرباء[3]، كما نجد مدرسة مازونة التي تأسست في القرن

---

[1] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ص 181.

[2] Turin. Yvonne, Affrontements Culturells dans L'algerie colonial ,écoles medcines , religion 1830-1880,ed entreprise nationale du livre,alger 1983 ,p 35-38,

[3] عمار عمورة: الجزائر بوابة التاريخ،(ما قبل التاريخ إلى 1962)، الجزء 2، دار المعرفة، الجزائر، 2009، ص 140.

10ه/16م، وكانت البديل عن الثقافة المفتقدة والفوضى العارمة، فالحملات الإسبانية، فجرت مبادرة تعويضية تمثلت في خلق مدرسة للعلوم الدينية موجّهة لتحضير الجهاد وتجاوز تناقضات المحيط"[1].

كما عرفت المدرسة في عهد كل من صالح باي بالشرق (1185- 1206هـ/1771-1792م) ومحمد الكبير باي الغرب (1193-1213هـ/ 1779-1799م) نقلة نوعية أواخر القرن 12هـ/18م)[2].

وذكر العديد من المؤرخين انتشار هذه المدارس "فقد تأسست في الجزائر مدارس من هذا الطراز حظيت بشهرة واسعة، وقد أشار إلى بعضها الرحالة "الحسن الوزان" فذكر أن بتلمسان خمسة مدارس حسنة التصميم مزدانة بزخارف الفسيفساء، وقد أشار إلى وجود عدد من المدارس في بجاية، ومدرستين في قسنطينة.

وفي قسنطينة عاصمة الشرق الجزائري أسس "صالح باي" سنة 1779 مدرسة سيدي الأخضر الملاصقة للمسجد المسمى بهذا الاسم، كما شيّد مدرسة سيدي الكتاني سنة 1776م لتعليم مختلف الفنون وجعل لها نظاما خاصا محكما، وما تزال هذه المدرسة قائمة إلى وقتنا الحاضر، كما شيّد مدارس أخرى في عنابة والقل وجيجل، وكان يلحق بالمدرسة جامع وكتاب ودارا للكتب[3].

وقد اهتم الباي محمد بن عثمان في الغرب الجزائري بتشييد دور العلم من مساجد ومدارس، حيث بنى مدرسة في مدينة معسكر والتي أشار إليها المؤرخ "أبو راسي الناصري" في حديثه عن المدارس وامتدحه أحمد المقري لأجلها في قصيدة منها:

---

[1] بعارسة صباح: العلماء والمنضومة في الجزائر خلال العهد العثماني، دار كوكب العلوم للنشر والطباعة والتوزيع ، ص 45، نقلا عن Berque j ;: L'intérieur du Maghreb 15-16 siécle , Editions Grallimard, Paris, 1978 , p 48.

[2] – بعارسية صباح: العلماء والمتصوفة في الجزائر ..، المرجع السابق

[3] الجزائر في عهد الدايات، مرجع سابق، ص 163.

وترى المدرس قد علا كرسيه يلقي على العلماء حب الجوهر

تحويه مدرسة غدت آثارهـــا تحييه بالعلم الشريف الأشعري

مبنى الأمير محمد في الغرب قد لاحت رسومه كالصباح المسفر

ومن أهم المدارس أيضا التي يجب ذكرها المدرسة التاشفينية ومدرسة العباد المعروفة عند المؤرخين برباط العباد واليعقوبية، ومدرسة مازونة وهي نموذج مصغر لمدارس تلمسان[1].

- برامج التكوين في المدارس:

تختلف برامج ومناهج التكوين من مدرسة لأخرى، لكن تتفق كل المدارس في المبادئ الأساسية للعلوم، ففي المرحلة الأولى للصغار تتمثل المواد في تعليم مبادئ القراءة والكتابة وحفظ القرآن، وإذا استمر الطلبة في دراستهم فإنهم كانوا ينتقلون إلى المعاهد، حيث كانوا يدرسون العلوم الدينية واللغة العربية والمنطق والميتافيزيقيا والحساب وعلم الفلك وعلم الجداول لتحديد مواقيت الصلاة، ثم الطب والرسم لزخرفة المخطوطات، وعندما يتحصل الطالب على الإجازة يمكن له مباشرة التعليم أو الرحيل إلى بلاد الإسلام لمواصلة دراسته[2].

فنرى أن هذه المدارس والمعلمين بها يهتمون بالمبادئ الأساسية (علوم الوسائل) مع العلوم المرتبطة بها: اللغة والفقه وأصول الدين والحديث والتفسير والحساب والفلك، مع بعض كتب التاريخ والطب، وكان التركيز على القرآن وعلوم اللغة.

وتتعدد أهداف المدرسة كما تتعدد مواردها، فهي تارة تزود الدولة بما تحتاج إليه من قضاة ومفتشين وغيرهم من الموظفين، كما أن رجال الشريعة والتوحيد كانوا أساتذة موظفين يدافعون بأقلامهم ودروسهم عن العقيدة الرسمية في المدارس وفي حلقات الدروس.

[1] المرجع نفسه ، ص 164.

[2] صباح بعارسية ، العلماء والمتصوفة في الجزائر في العهد العثماني، الجزائر ، دار كوكب العلوم ، ص 51.

وكان أولياء التلاميذ يدفعون أجر المعلمين كل حسب ثراءه وأحيانا يتم دفع الأجر بمساعدة الحبوس[1].

وكانت هذه المدارس بعضها داخلي وبعضها نصف داخلي وبعضها يستقبل التلاميذ للدراسة في النهار ويعودون إلى ديارهم، أما النظام الداخلي للمدارس فكان يتم بقبول طلبة قاطنين بالمؤسسة وهم من الغرباء عن المدينة تجرى عليهم منحة يتقاضونها مواد غذائية، ويلازمون الدروس إما متخصصين في علم واحد أو مشاركين في عدة علوم، ويكونون مع الطلبة المداومين من أهل المدينة طائفة الطلبة الرسميين، إلا أن حلقات الدروس مفتوحة مع هذا لكل من يريد أن يكسب معارف دون قصد الإجازة للتدريس أو التوظيف[2].

وكانت هذه المدارس بأساتذتها وعلماءها تعطي إجازات للتلاميذ المتخرجين، وكان السند متصلا في عدّة علوم لا سيما علم القراءات وعلم الحديث، ويمكن للأستاذ أن يجيز تلميذه أو يرخص له إذا رأى أنه يستحق منه لقب الأستاذية، وكان ذا كفاءة عالية مع ذكر ما أخذ منه من العلوم لتثبيت إجازته، وكان بعض الطلبة يجاز في سنتين وبعضهم ينتظر عدّة سنوات وللأستاذ أن يعمل بأخلاقيات مهنته في تقييم مستوى طلبته[3].

وكانت المدارس متنوعة، فهناك من تضم مئات الطلبة وعشرات الأساتذة، مثل ما كان الشأن في المدرسة الكتانية والمدرسة المحمدية والمدرسة التاشفينية وأخرى يشرف عليها عالم واحد يستعين بكبار الطلبة، وقد لا تقل هذه المدارس إشعاعا عن غيرها إذا كان أصحابها من المشاركين في عدة علوم.

[1] صباح يعارسية، العلماء والمتصوفة في الجزائر خلال العهد العثماني، ص 51.

[2] احمد بحري،الجزائر في عهد الدايات، ص 165.

[3] المرجع نفسه ، ص 166.

مستوى التعليم:

إن الباحث في تاريخ الثقافة والعلوم بالجزائر في الفترة العثمانية يتبين له مدى انتشار المدارس والكتاتيب والزوايا والمساجد، فيكفي التذكير مرّة أخرى أن مدينة الجزائر في نهاية القرن التاسع عشر ميلادي تضم 100 كتابا (مدرسة ابتدائية)، وكان علماؤها يعيشون في يسر مادي ويتمتعون باحترام الناس، أما منطقتها فقد كانت تنتشر فيها 299 مدرسة يتلقى التعليم فيها حوالي 5583، أما البليدة فيوجد فيها 24 زاوية وفي بلاد القبائل ثلاث مراكز علمية شهيرة وعدة زوايا.

أما في الشرق الجزائري، فقد كان في مدينة قسنطينة عندما دخلها الفرنسيون سنة 1837 خمسة وثلاثون مسجدا وسبعة مدارس تضم حوالي 700 تلميذا يدرسهم أساتذة ذوو شهرة، أما بضواحي قسنطينة فقد كانت هناك عشرات المؤسسات العلمية زيادة على معاهد بسكرة وسيدي عقبة وطولقة والتي كانت على جانب من الأهمية.

أما الغرب الجزائري، ففي تلمسان ووهران ومعسكر ومازونة العديد من المدارس والمعاهد[1]، وهذا يبين لنا أن الجانب الهيكلي المؤسساتي للتعليم موجود ومنتشر، كما أن هناك مناهج وبرامج وهيئات علمية تقوم بالتعليم في الجزائر طيلة الفترة العثمانية، فلماذا نجد العديد من الكتابات التاريخية تناقض هذا الواقع الملموس، وغلبة الذات ولا تقارن الواقع التعليمي للجزائر كما هو موجود في أوروبا في القرن 15 و16 وما بعدهما، فهذه القرون هي الأخرى في أوروبا كانت قرون انحطاط علمي واضح، إذ لم تظهر في أوروبا الثورة الصناعية إلا بعدها وباستثمار العلوم العربية في مدارسها وجامعاتها.

إن المتمعن في الواقع التاريخي يجد أن انتشار العلم في الفترة العثمانية بالجزائر لافت للنظر وهي عادة الجزائريين التي لا تخالف الطبع الإنساني السليم، كما لا تخالف دعوة

[1] احمد بحري،الجزائر في عهد الدايات،المرجع السابق، ص 170 بتصرف.

الإسلام والقرآن إلى العلم فأول آية نزلت هي "اقرأ"، بل يمكن القول أن ما كان من تحضر علمي في الجزائر وما نجده اليوم في المكتبات من مخطوطات دون ما أتلفه الزمن عبر أيادي الاستخراب،المتعددة، ليوضح بجلاء مدى تفوق كثير من الجزائريين على سلوكيات أكثر الأمم تحضرا.

تصور المدرسة الفرنسية والغربية واقع الجزائريين في الفترة العثمانية كقطيع من الوحوش أو عصابة من قطاع الطرق ساقتهم الظروف إلى الوقوف في وجه الحضارة الغربية، ومن سوء قدر هذا المجتمع أن مؤرخيه أهملوا الكتابة حول هذه الجوانب وقصروا تواريخهم على ذكر بعض الأحداث السياسية ومآثر الحكام الذين عاصروهم.

كما أن تجاوزات الدايات في أيامهم الأخيرة والتي دفعتهم إليها جملة من العوامل والظروف الدولية والمحلية أكدت مزاعم هذه المدرسة، وجعلت مواجهة أرائها تتطلب بحثا طويلا وتنقيبا مضنيا على الأدلة من بين كتب المؤرخين المعاصرين[1].

بالمقابل لا بد من الإعتراف بالمستوى التعليمي الموجود في هذا العصر، فهو ابنالبيئة في المشرق والمغرب، ولا بد أن نقارنه بما كان سائدا في كل أنحاء العالم الإسلامي ولا يحق لنا مقارنته بما هو موجود في عصرنا، يكفي أن أوروبا نفسها كانت تعاني من الجهل أكثر مما هو موجود في العالم العربي بشهادة الكتاب المؤرخين الغربيين أنفسهم، غير أن وجود الجزائر في مقدمة خط المواجهة في الصراع الحضاري الدائر بين العالمين الإسلامي الشرقي والمسيحي الغربي، جعل عيون الملاحظين مركزة على دقائق الآفات في هذا البلد، كما أن كتابة تاريخ الجزائر العثماني بشكل عام وعهد الدايات منه بشكل خاص لم تعرف الرواج إلا بعد سقوط حكم الدايات ووقوع الجزائر في عهد سابقيهم وتبرير الوجود الاستعماري وممارساته الفضيعة تجاه الأهالي.

[1]–احمد بحري،الجزائر في عهد الدايات،المرجع السابق، ص 176.

لقد عملت المدارس والكتاتيب والمعاهد والمساجد والجوامع دورها المنوط بها في الحفاظ على مقومات الامة الحضارية ونشر التعليم في الفترة العثمانية بالجزائر في إطار الوضعية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي عرفتها المنطقة وما جاورها من تحديات جيوسياسية، لا سيما الوجهة الشمالية التي كانت تحاول دوما الاستيلاء على الرقعة الجغرافية لجنوب أوروبا وإلحاقها ببلاد الأندلس.

7-3- الكتاتيب:

إذا كنت قد تعرضت سابقا إلى مفهوم المدارس وانتشارها، فإن الحديث عن الكتاتيب أو الكتاب أمر مهم في هذا البحث، حيث تعتبر من العناصر الأساسية في الهيئات الثقافية في الجزائر في الفترة العثمانية وما قبلها.

فالكتاب هو المرحلة التعليمية الأولى التي يمرّ بها الطفل، أو كما تسمي المدرسة الابتدائية، والكتاب نوعان: بدوي وحضري، فأما البدوي فهو عبارة عن خيمة ممتازة وسط الحي البدوي تخصص للتعليم، وأما الحضري فيسمى "مسيد" أو مكتب.

ويلتحق الأطفال بالكتاب عندما يبلغون السادسة حيث يتعلمون الكتابة والقراءة، وتركز برامج التدريس على تعليم مبادئ اللغة العربية واستظهار كتاب الله وتعلم بعض مبادئ الحساب والتدريب على الزخرفة والخط[1].

كانت هذه الكتاتيب المنتشرة في الأرياف عبارة عن خيم صغيرة أو غرف بالقرميد تحوي ما بين 15 إلى 20 صبيا، وقد يصل العدد إلى مائة صبي في بعض الأوقات، وكان المعلم يعتبر من أهل الحي أو تنتخبه زاوية قريبة أو مدرسة، ويشترط فيه أن يكون رجلا خيرا.

وكانت هذه الكتاتيب غير نظامية فهي مفتوحة في كل الأيام وحلقاتها للصغار خاصة، وقد تفتح للكبار، بينما نجد المعلمين أحرارا في المواد المدرسة وكذلك الإجازات الممنوحة،

[1] أحمد بحري، الجزائر في عهد الدايات، ص 155، P.Boyer, p 201.

وكانت هذه الكتاتيب مكملة للمؤسسات الثقافية الأخرى من مدارس ومعاهد وزوايا ومساجد، فكان الكتاب هو المنطلق الأول لتعلم الصبيان، بينما الكبار يزاولون تعليمهم في المساجد أو الزوايا.

والأمر نفسه بالنسبة لكتاب المدن، فهي عبارة عن بنايات منتشرة في الأحياء وتكون وقفا من المحسنين، ويعين لها مربيا ومعلما يعلم القراءة والكتابة والحساب وحفظ القرآن والآداب.

وكانت ألبسة التلاميذ معروفة وكذلك لباس المعلم، كما أنه لهذه الكتاتيب خصائصها من حيث التعليم والمواد المستعملة فيه كاللوحة والدواة والصمغ والحبر والأقلام والمصاحف وغيرها.

وقد ساهمت هذه الكتاتيب بمدّ المدارس والمعاهد والزوايا بالمعلمين والذين يواصلون تعليمهم في المراحل العليا، وقد كانت هذه الكتاتيب منتشرة في الفترة العثمانية بالجزائر انتشارا كبيرا مما جعل التعليم منتشرا بين فئات المجتمع بنات وبنين.

- 7-4-الزوايا:

تعريف الزوايا وأنواعها وواقعها ودورها في المحافظة على اللغة العربية في الجزائر في الفترة العثمانية :

الزاوية مأخوذة من فعل زوى وانزوى بمعنى ابتعد وانعزل والجمع زوايا، وسميت بذلك لأن الذين فكروا في بنائها أول مرة من المتصوفة والمرابطين، اختاروا الانزواء بمكانها والابتعاد عن صخب العمران وضجيجهةبحثا عن الهدوء والسكون، لأنهما يساعدان عن التأمل والرياضة الروحية، ويناسبان جو الذكر والعبادة[1]

والزاوية في الأصل ركن البناء، وأطلقت على المسجد الصغير أو المصلى، ومصطلح زاوية في شمال إفريقيا يطلق على بناء، أو طائفة من الأبنية ذات طابع ديني، نجد فيها:غرفة

[1]ابن منظور ، لسان العرب .مادة زوي.

للصلاة بها محراب، ضريحا لأحد المرابطين، أو ولي من الأشراف تعلوه قبة، غرفة قصرت على تلاوة القرآن، مكتبا أو مدرسة لتحفيظ القرآن، ثم غرفا مخصصة لضيوف الزاوية وللحجاج والمسافرين والطلبة، ويلحق بالزاوية عادة قرافة تشمل قبور أولئك الذين أوصوا في حياتهم بأن يدفنوا فيها، ويقول دوماس عام 1857 " أن الزاوية هي على الجملة مدرسة دينية ودار مجانية للضيافة، وهي بهذين الوصفين تشبه كثيرا الدير في العصور الوسطى.[1].لقد اختلف الباحثون في تعريف الزوايا"والزاوية بالمعنى الصوفي هي خلوة للعبادة، وقد كانت أساسا رباطا للجهاد، وتعر أيضا بكونها مؤسسات دينية ومراكز ثقافية ونواد اجتماعية وخلايا سياسية يتعلم الناس فيها مبادئ دينهم،وتعاليم شريعتهم، وفيها يتلقون مختلف العلوم والمعارف، ويقيمون العلاقات الاجتماعية والعسكرية والسياسية [2]

وتعرف في المشرق بالربطو الخنقاوات، وهي منشآت مخصصة لإقامة المنقطعين للعبادة والمتصوفين، أما في العهد العثماني فيطلق عليها التكايا[3]وهي منتشرة بكثرة في الجزائر فماهو واقعها ؟

واقع الزوايا في المجتمع الجزائري :

ذكر **محمد علي دبوز** أن الزاوية لا تخرج عن ثلاثة أنواع:"زاوية مطلقة أو منسوبة لمكان ما بنيت للعلم و أفعال البر والاحسان،ولا تنسب لشخص معين،وهذه أحسن أنواع الزوايا،ثم الزاوية المنسوبة إلى شخص ميت تقدسه العامة وتحيي ذكراه وهو مدفون بالزاوية وتنسب إليه، وفي هذه الحالة تأتي العامة إلى الزاوية

[1] ــ محمد نسيب ، زوايا العلم والقرآن بالجزائر ، تقديم محمد الصالح صديق (الجزائر : دار الفكر) ص : 27 ، وقد تحدث عن تطور الزوايا في العالم الإسلامي ، وعدد معانيها ومكوناتها ودورها .

[2]سعيد بوزرينة : الزوايا في الجزائرخلال العهد العثماني دراسة أثرية معمارية فنية ، رسالة دكتوراه 2017، جامعة الجزائر2،نقلا عن سعد الله ، الحركة الوطنية الجزائرية ، ص 64.

[3]المرجع نفسه ، ص103 ، نجيب محمد مصطفى ، العمارة في العصر العثماني تاريخها فنونها وآثارها ، مطابع الأهرام التجارية،1970ص 264.

زائرة طالبة للبركة لا للعلم ولا للاحسان، أما النوع الثالث فهو الزاوية المنسوبة إلى إحدى الطرق الصوفية،وهي إما زاوية الطريقة الأم وإما فرع لها ولكن تنسب إليها[1].

وإذا كان محمد علي دبوز يرى هذا التقسيم للزوايا، فإن الأستاذ محمد الصالح الصديق يرى أن آراء المختصين في التاريخ الحديث وبخاصة المهتمين بالمؤسسات الثقافية بهذا البلد لا تخرج عن ثلاث فئات[2]

فئة تنظر إلى مختلف الزوايا بمختلف البلاد على أنها جميعا أوكار البدع والخرافات، و بؤر المناكر والمفاسد، و مغارس العادات السيئة التي تشد الإنسان إلى الوراء ودور هذه الزوايا في نظر هؤلاء التخدير والتجميد، والترويض على حياة التبعية والذوبان ويقول هؤلاء إن الطالب يقضي أنفس عمره في التعليم العقيم، حتى إذا ولى شبابه خرج منها شيخا لا يميزه عن العوام إلا عمامته وهذه النظرة مجحفة للغاية .

وفئة ثانية ترى أن الزوايا جميعها مراكز الإشعاع الروحي والعلمي في الإسلام، ومنابع الهداية والفضيلة والأخلاق، والحصون المنيعة للعقيدة والإيمان، والمعاهد الوحيدة التي يتلاقى فيها أبناء المسلمين للدراسة والعبادة معا، ويقول هؤلاء لولا الزوايا التي انتصبت لتحفيظ القرآن والتعليم الديني واللغة العربية لكانت شعوب العالم العربي الإسلامي ممسوخة مشوهة بالثقافة الاستعمارية، وهذه الفئة غير منصفة في حكمها هذا حسب رأي محمد الصالح الصديق، فما كانت الزوايا كلها بنفس المستوى.

والفئة المنصفة العادلة في رأيها وحكمها في نظره هي التي تحررت من عقال الجهل والتعصب، والمبالغة ونظرت إلى الواقع بعين العقل، وترى أن الزوايا على نوعين:

[1] ــ المرجع نفسه ، ص : 26 ــ محمد علي دبوز ، تمهيد الجزائر المباركة ، ج : 1، ص: 47 .

[2] ــ محمد نسيب ،زوايا العلم والقرآن بالجزائر ، ص : 11 .

النوع الأول : الزوايا التي أسست لعبادة الله وتحفيظ القرآن وتعليم الدين ونشر القيم والخصال الإسلامية .

النوع الثاني : الزوايا التي اتخذت لعبادة الشيطان بما يمارس فيها من أنواع الشعوذة والدجل والخداع، ومما يقام فيها من حفلات ولقاءات (زردات) يخجل منها السفيه ويبكي في عواقبها اللبيب.

فالزوايا المؤسسة للتعليم الديني، وتحفيظ القرآن الكريم كان لها الدور الكبير في حماية العقيدة الإسلامية من حملات المبشرين التشكيكية والتنصيرية، وفي الحفاظ على القرآن الكريم واللغة العربية، " ومن هنا فالتعليم في الزوايا ــ وإن كان بسيطا مقصورا على الدين والأخلاق واللغة العربية له أهميته الكبيرة في تكوين المسلم"[1]، وفي الحفاظ على مقومات الشعب الجزائري .

وإذا علمنا هذا عن الزوايا، فإن البعض من الزوايا القديمة كان دارا للطلبة ونشر العلم، و هذه الزوايا منتشرة بكثرة في الأرياف في الفترة العثمانية وما قبلها، كما قد تلتصق الزاوية بالمسجد أو الجامع، و قد تصبح الزاوية مدرسة عليا إذا تخصص لها أو ألحق بها مدرس شهير لتدريس العلوم العالية .

لقد كان للزوايا دور بارز في الفترة العثمانية في تعليم اللغة العربية، فاللغة شفوية بطبيعتها، و قد كان عدد كبير من المريدين يتكلمون العربية و يلقنون الأوراد بهذه اللغة وهذا ما جعلها اللسان المتداول لديهم، وكانت جل الزوايا تهتم بتعليم القرآن وتعاليم الإسلام.

كان لكل زاوية وزنها في المجتمع في العهد العثماني وقد قامت بعض الطرق المسيرة لها بمواجهة الاحتلال الاوروبي"وكان عليها أن تتولى هي

[1] ــ محمد نسيب ،زوايا العلم والقرآن بالجزائر ، ص : 15 .

الجهاد دفـــاعـــا عـــن الإســـلام والأرض و العـــرض، كما شاركت في مقاومة نظم الحكم الطاغية والمستبدة منها المحلية التركية او الاستعمارية .

إن الدور الذي لعبته الزوايا لاسيما في جانب اللغة العربية، والحفاظ على الهويـــة الوطـــنيـــة في الفترة العثمانية وفترة الاحتلال هو دور لا يستهان به فالزاويه وملاحقها بمثابة عنصر هام في عناصر المؤسسات الثقافية في الجزائر.

وهكذا يمكن القول باختصار شـــديد أنه كان للزوايا دور في نشر العـــربية وتعـــليم الدين الإسلامي والمقاومة المسلحة الشعبية في عدة مرات في الفترة العثمانية وحتى عند دخول الاحتلال الفرنسي.

لقد كان التعليم في الزوايا تعليما إنشائيا ولكنه " يرجع إليه الفضل في الحفاظ على اللغة العربية وعلومها، وهو تعليم كان يسير على المناهج القديمة التي تعطي الأولوية لعلوم اللسان والدين، وتتلخص طرق هذا النوع من التعليم في تحفيظ القرآن وقراءاته ثم حفظ المتون ــ متون النحو والصرف والفقه والتوحيد دون اهتمام بالفهم أو الاستنباط، وإذا كان هذا المنهج العقيم قد أضر بتقدم الأدب والشعر منه خاصة، إذ جعله يعيش في موضوعات قديمة، ولا يعنى بالمجتمع وقضاياه إلا في إطار محدود، فمن جهة أخرى فقد أفاد اللغة العربية فحافظ على بقائها وإن لم يساعد على تطورها"[1] .

هدم الزوايا:

لـــقـــد كـــان مـــصيـــر الزوايا الهـــدم بعد الاحتلال، وقـــد كانت الزاوية كما سبقت الإشارة إليه مؤسسة كاملة فيها السكن والطعام والملجأ والتعليم والـــعبـــادة ، وكـــان بعـــضـــها يـــعـــتـــبـــر مـــدارس عـــلـــيا لـــمـــواصلـــة التعليم الذي بدأه الفتيان في المكاتب أو المدارس القرآنية، وهذا ما يدل على أنها كانت ترسا منيعا للحفاظ على العربية.

[1] ــ عبد الله الركيبي ،**الشعر الديني الجزائري الحديث** (الجزائر : م . و .ن .ت ، ط : 1 ، 1981) ص : 30 .

و يذكر المؤرخون أنّ هذه الزوايا قد تعرضت للإهمال و التحويل عن مقصد الواقفين، واغتصبت السلطات الفرنسية أوقافها أيضا وقد ذكر **سعد الله**[1] مصير عدد منها مثل زاوية **القاضي المالكي** في شارع **بابا عزون** وكانت مسكنا للطلبة في العهد العثماني وقد هدمت عن آخرها،وكذلك زاوية **القشاش** وهي من أقدم المؤسسات الدينية فهي تستعمل لإقامة العلماء والطلبة وكانت ملجأ ومدرسة عليا وزاوية **سيدي الجودي**، زاوية **الجامع الكبير**، وزاوية ا**حمدأيوب**، وزاوية **الشرفة** (الأشراف)، وزاوية **سيدي ولي دادة**، و زاوية **المولى حسن**،و زاوية **الأندلس**،وزاوية **أبي التقى**، زاوية **سيدي السعيد**، وزاوية **سيدي محمد الشريف**،و زاوية **سيدي عبد الرحمن الثعالبي**.وغيرها من الزوايا التي كانت معقلا لتعلّم العربية و كان مصيرها جميعا الهدم هذا في الجزائر فقط وقد لاقت الزوايا نفس المصير بالشرق والغرب والجنوب إلا القليل منها.

" لقد وقف الاستعمار الفرنسي حائرا حيث وجد الأبواب مغلقة في وجهه، والطرق مسدودة أمامه. وفكر كعادته في ضرب زوايا القرآن والثقافة الإسلامية، وعمل على طمسها، وتشويه سمعتها، ثم القضاء عليها بطرق الحيل والدس والمكر والخداع " [2] .

5-6 المكتبات :

عرفت الجزائر قبل الفترة العثمانية العديد من الأسر العلمية فقد مرت بعصر الازدهار الثقافي وعصر النضج الثقافي وعصر الاستقرار الثقافي أدى ذلك إلى انتشار دور العلم والمكتبات الخاصة والعامة وقد ساعد الحكام على نشر الكتب ووقفها، وفي الفترة العثمانية استمر الحال على ماكان عليه سابقا، حيث واصلت الأسر العلمية في تزويد مكتباتها الخاصة عن طريق الشراء والوقف والاهداء و الهبة وغيرها، مما جعل المكتبات عامرة بالكتب، يغدو

[1] ــ سعد الله ،تاريخ الجزائر الثقافي، ج : 5 ، ص : 112 .

[2] ــ محمد نسيب ،زوايا العلم والقرآن بالجزائر ، ص :35 .

إليها طلبة العلم فينهلون من نبعها، فاكتنزت هذه المكتبات العديد من المخطوطات والتي لاتزال تحافظ عليها إلى اليوم في المساجد والزوايا و القصور والدور وغيرها.

8 .الهيئة العلمية والهيئة الدينية بالجزائر في الفترة العثمانية:

عرفت الفترة العثمانية بالجزائر ظاهرة السلطة الدينية أو السلطة العلمية، فالسلطة العلمية كانت ممثلة في فئة من العلماء والمفتين والقضاة والأئمة والمدرسين والطلبة وغيرهم، بينما السلطة الدينية كانت ممثلة في المرابطين وشيوخ الطرق الصوفية ومقدميهم ومريديهم ووكلاء الزوايا[1].

- فئة العلماء: وهي فئة تتعاطى العلم الشرعي وتعمل على تنفيذ الشرع من منطلق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتمتهن التدريس والفتوى والقضاء وتكون قدوة للناس من خلال رجوعهم إليها، وهي التي يحتاج الحكام إلى تزكيتها، وكانت تتشكل هذه الفئة من عدة عناصر من القمة إلى القاعدة، أي من المفتي إلى المقرئ مرورا بالقاضي والإمام والخطيب ومسيّر الأوقاف، وصولا إلى طلبة العلم في المراكز العلمية وحلقات البحث فيها[2].

- فئة المتصوفة: والمقصود هم شيوخ الطرق الصوفية وشيوخ الزوايا من مقدّمين وخلفاء ووكلاء..الخ، إضافة للمرابطين والأشراف ومن كان تحتهم من الأتباع والفقراء والخدام..الخ، وقد شكلت هذه الفئة سلطة دينية في مقابل السلطة العلمية (العلماء)، وهم ثلاث فئات، رسميون ومرابطون أحرار، وقادة الطرق الصوفية. وعناصر الصوفية تتداخل من ما هو موجود في الزوايا، فنجد الشيخ والخليفة والوكيل والمقدم والنقيب والرسول أو الشاوش والإخوان (المريدون) والعامة[3].

---

[1] صباح يعارسية، العلماء والمتصوفة في الجزائر خلال العهد العثماني، ص 13.

[2] المرجع نفسه ، ص 15-44.

[3] [3] صباح يعارسية، العلماء...، المرجع نفسه ،ص 15-44.

وقد لعبت الفئتان دورا كبيرا في المدن والأرياف في الحياة الثقافية في الجزائر في الفترة العثمانية.

ومن عوامل تدهور اللغة العربية في الجزائر القضاء على الهيئة الدينية بمفهومها الواسع، فقد وجد الفرنسيون ساعة الاحتلال هيئة دينية قائمة، و كانت تتألف من العلماء الذين يشملون القضاة والأئـــمـــة والمفتيين والمدرسين.وكان على رأس هؤلاء "**شيخ الإسلام**" الذي كان مقـــدما عـــن جميع العلماء وللعلماء مجلس أعلى يعقد أسبوعيا للنظر في القضايا الشائكة أوالـــمعلـــقة الـــتي لم يستطع القضاة أن يجدوا لها حلا، "ففي الجزائر العصمة هناك مجلس مؤلف من المفتين المالكي والحنفي ومن القاضيين المالكي والحنفي، وكان ذلك المجلس يعين ناظرا يقوم على التدريس ويقدم للداي بالجزائر وللباي بوهران وقسنطينة المترشحين لكراسي التدريس"[1]وفي عاصمة كل إقليم (قسنطينة، وهران بالخصوص) مجالس متشابهة،في قسنطينة نجد الشيخ محمد بن علي الطلحي والشيخ عامر بن شريط وعمار العربي والشيخ محمد المبارك خطيب المسجد الكبير ومفتي المالكية والجانب الغربي نجد في تلمسان عائلات شهيرة مثل عائلتي شعيب والمجاوي"[2]

هـــذا الـــوضـــع كـــان يـــعرفه الفرنسيون جيدا قبل الاحتلال من خلال المخططات التي كانت تقدم من قبل الجواسيس والسفراء الذين كانوا في الجزائر، وقد عنوه كما عناه الداي عندما وقّعـــوا اتـــفاق1830م، الذي نص عـــلى حرية العـــقيدة وعلى احترام الدين الإسلامي والمساجد...الخ ولكن ذلك الاحـــترام لـــم يـــدم طـــويلا وكان الاتـــفاق المذكور كما قال عنه كلوز يل وهو يرد على حمدان خوجة، مجرد "**لعبة حرب**" في نظرهم وهكذا بقي الإسلام تحت النفوذ الفرنسي مضطهدا أكثـــر من قـــرن كما قال **ماسينيون** ويمكن أن

[1] M. EMERIT, L'etat intelectuel et moral en Algerie en 1830, *Revue international de l enseignement*,juillet, septembre,1955.pp

[2]ينظر إبراهيم مياسي ، مقاربات في تاريخ الجزائر ،ص 153

نمثل لذلك بما فــعلته السلطات الفرنسية في أوائل الاحتلال حيث نفت شــيخ الإســلام "**محمد بن العنابي**" وألــقــت هــذا الــمــنصب ســنة 1830، وألغي منصب شيخ الإسلام من قسنطية سنة 1837 [1]بعد احتلالها.

لقد عملت سلطات الاحتلال على إظهار العلماء والمفتين بصورة مشينة أمام العوام لاسيما بعدما رأت أنهم سبب عدم تقدم الاحتلال وبسطه على كافة تراب الجزائر، ولهذا قدمت هؤلاء العلماء بصورة غير حقيقية" فالعالم المصلح المجاهد الذي يوقظ النيام، ويدعو للإيمان والعمل والعلم والإصلاح، وتحرير العقول من الخرافات والأوهام، وترك عبادة القبور والأشجار، والابتعاد عن الدجالين والمشعوذين، وترك استشارة الكهان والدراويش والسحرة ... كل من يفعل ذلك يعتبر كافرا ملحدا يريد إزعاجهم وإقلاقهم وإفساد حياتهم"[2].لا شك أن خلو البلاد من المعلمين هو قضاء على الدين واللغة .

2 ــ واقع اللغة العربية في الجزائر في الفترة العثمانية:

اللغة العربية في فترة الخلافة العثمانية:

لم يقتصر تأثير اللغة العربية والثقافة العربية على اللغة التركية فحسب، وإنما شملت كل الحياة الثقافية، فقد ذكرت سابقا كيف اهتم الخلفاء والسلاطين بالدين الإسلامي الذي كانت لغته لغة القرآن، وهي اللغة العربية، فنجد آيات في القرآن الكريم صريحة ففي قوله تعالى:"وكذلك أنزلناه حكما عربيا ولئن اتبعت أهواءهم بعدما جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولا واق"[3] وكذلك قوله تعالى"إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون"[4] .وغيرها من الآيات، فحالا ومقالا كان القرآن عربيا ــ وكان آخر الأنبياء عربيا من ولد إسماعيل، من

---

[1] ــ سعد الله ،المفتي الجزائري ابن العنابي رائد التجديد الإسلامي (1775–1850)،الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1977، ص 25.

[2] ــ محمد نسيب ،زوايا العلم والقرآن بالجزائر ، ص : 36 .

[3] الآية 37 سورة الرعد

[4] الآية 2 سورة يوسف

قبيلة تحسن العربية وتفتخر بذلك على باقي القبائل، وكان الحفظ فيهم ميزة لأغلبهم. وكأنها كانت آية ليحفظ القرآن الكريم في الصدور قبل أن يحفظ في السطور. وهكذا انتشر القرآن الكريم خارج الرقعة الجغرافية العربية من منطلق قوله تعالى: "وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين" [1] فكان الإسلام رسالة للأرض جميعا فتعاقبت دول على الحكم إلى أن وصل الأمر إلى الفترة العثمانية وصارت الخلافة إلى محمد الفاتح الذي فتح القسطنطينية سنة 1453م **والذي قال فيها الرسول صلى الله عليه وسلم" نعم الجيش جيشها و نعم الأمير أميرها"،**[2] فكان محمد الفاتح يستأنس بهذا الحديث، وبعد أن بقي أكثر من 52 يوما محاصرا القسطنطينية، فتحت على يديه في اليوم 53، وانتصر الجيش وفتحت.فهذا يدل على أن المنطلقات الفكرية كلها إسلامية في هذه الدولة.و حتى وإن اتسعت رقعتها وأرسل السلاطين والخلفاء إلى الولايات حكاما من البلاط الملكي، إلا أن الصلة بقيت وثيقة بين الإسلام والعروبة. هكذا نجد الأتراك سيتعلمون اللغة العربية حيث دخلت الكثير من المفردات العربية إلى الاستعمال التركي عن طريق الاقتراض والترجمة الحرفية، وهي ظاهرة لا تخلو لغة منها عن طريق الاحتكاك وكان ذلك عن طريق تأثير لغة القرآن بالدرجة الأولى. وقد ذكرت كيف ابتدع الأتراك أدبا أسموه بأدب الديوان "الذي تطور بشكل مواز للأدب العربي والأدب الفارسي"[3] كما انتقلت أوزان الشعر العربي إليهم، ونبغ عندهم شعراء السير العاطفية والبطولية من أصحاب الطرق الصوفية إضافة إلى المدائح النبوية التي يؤديها الدراويش المولويين تقربا لأوليائهم و فق أداء موسيقي، و أداء رقصات السماع، كما انتقلت القصص الواردة في القرآن الكريم إلى الثقافة التركية بشكل أسطوري، كما فتح المجال أمام الشعر الشعبي المبسط للولوج إلى أدب الديوان والتأثير فيه."[4]

---

[1] الآية 107، سورة الأنبياء.

[2] رواه الامام أحمد في المسند ، وصححه الحاكم و الذهبي .

[3] سيدهم فاطمة الزهراء ، علاقات دايات الجزائر بالدولة العثمانية ، ص 339

[4] م.ن. ص 339

إذن اللغة العربية في الخلافة العثمانية منتشرة في الأدب والكتابات انطلاقا من المؤسسات الثقافية المشهورة بداية من المساجد والكتاتيب والزوايا ونهاية بالمنتوج الثقافي المتمثل في الشعر والنثر بأغراضه المختلفة وقد كانت اللغة المستعملة بسيطة إلى حد ما، يفهمها كل الناس مع تمسكهم بالنمط التقليدي في مخاطباتهم النخبة المثقفة[1]"

و نجد في كثير من الأحيان انجذاب العثمانيين للعرب والتزاوج بينهم، وقد وصفوهم بالنجباء والأشراف ووصفوا أيضا بالكرم والشهامة والمحافظة على العرض والجوار، وحبهم للفروسية واتصافهم بالأخلاق الكريمة وينصرون من يستصرخهم."والعربي عندهم إنسان متحضر يتجنب النهب والغب والظلم والتخريب، ولا يقاتل من غير المسلمين من لم يقاتله، يعامل من يقع في أسره معاملة كريمة تليق بالمسلم"2

وهكذا يتبين لنا أن المنطلقات الحضارية العربية الاسلامية، والزائر إلى إسطنبول مثلا يجد تلك الآثار الدالة على رقي هذه الحضارة في عظمة مبانيها ومساجدها ومنائرها وقصورها ودورها، كما يتبين له أيضا هذه العظمة في ما خلفته هذه الحضارة في المخطوطات الموجودة في المكتبات بتركيا وغيرها من البلدان التي كانت تابعة لها، حيث ساهم الولاة الذين حكموا باسم الدولة العثمانية في تطور الجوانب الثقافية فيها و الاهتمام باللغة العربية، و ذلك بترك الحرية للساكنة فيما يتعلق بالحياة الاجتماعية.

وللتذكير فإن اللغة العثمانية كانت تكتب بالحروف العربية ومن اليمين إلى اليسار.

اللغة العربية في الجزائر في الفترة العثمانية:

مرت الجزائر(المغرب الأوسط) بمراحل تاريخية عدّة شكلت عروبتها منذ ما قبل الفترة الفينيقية والقرطاجية "وليس بوسعنا أن نَقْفُوَ معالم المنطوق الجزائري عبر مراحله الطويلة،

[1]– المرجع السابق،. ص 339

[2]محمد حرب، العثمانيون في التاريخ و الحضارة، دمشق دار القلم، 1989،ص 261–263 ،سيدهم فاطمة الزهراء،ص 340.

إلا بوساطة ما هو مخطوط، وهذا الأخير يعطينا صورة جيدة بذلك المنطوق، ولكنه لا يقوم مقامه كليا، أما النصوص الأدبية والرسائل الإخوانية ودواوين السلطة والأوقاف العامة والخاصة، والرحلات، ظلت محافظة بل حريصة على تحريرها باللغة العربية الفصيحة"[1].

والناظر في تاريخ وآثار الجزائر يتبين له مدى اهتمام الجزائري بدينه ولغته، وقد كانت فترة الحكم العثماني بالجزائر فترة طويلة جدا، فاقت ثلاثة قرون، وقد نجد بعض المؤرخين المتحاملين على هذه الفترة يركزون على مظاهره الجزئية ويعممونها على كل الفترة، في حين أن الإنصاف التاريخي يقتضي دراسة الظاهرة في زمانها ومكانها، وما يحيط بها من مؤثرات.

لقد ركزت المدرسة الفرنسية على محو كل الفضائل الموجودة في الجزائر في الفترة العثمانية وما قبلها، وبالعودة إلى الأثار الموجودة في الجزائر بين أيدينا والتي ضاع منها الكثير في الفترة الاستعمارية الفرنسية بقصد وبغير قصد، يتبين لنا مدى قدرة الجزائري على الإبداع والتطور، فإذا كان بعض النقاد يرون "ضعف الحركة اللغوية والأدبية والثقافية في الفترة العثمانية بالجزائر تعود إلى سببين[2].

1- الدولة الجزائرية في الفترة التركية: كانت عجمية اللسان، لا تفقه شيئا مما ينشده الشعراء، فهي دولة حرب لا تهتم إلا برجال الحرب.

2- التوجيه التعليمي: كان توجيها دينيا أكثر منه أدبيا وعلميا.

فهذا الحكم في ذاته هو حكم على كل الاقاليم العربية في تلك الفترة، بل المتتبع للمظاهر الثقافية قبل الحكم العثماني يجد التشابه واردا إلى أبعد الحدود.

[1] عبد الجليل مرتاض، التهجين اللغوي في العهد التركي، الجزائر، دار الأمل، 2015، ص5.

[2] محمد بن ميمون الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تحقيق: محمد بن عبد الكريم، الجزائر، ش.و.ن، ط1، 1972.

إن فترة الحكم العثماني بالجزائر في بدايته الأولى كان وسيلة لحماية السواحل المغاربية من التحرشات الصليبية الأوروبية.

إن طرد الإسبان للمسلمين من الأندلس شكل فاجعة حضارية في العالم لاسيما مع تنصيب محاكم التفتيش، فلا تزال الآثار المادية واضحة للعيان فيما لا يجعل مجالا للشك أن جرائم قد ارتكبت في حق الإنسانية تجاه المسلمين بالأندلس،" فقد قضى الاسبان على العروبة والإسلام فيها ولم يقفوا عند هذا الحد، بل أغاروا على الشمال الإفريقي، واحتلوا المراكز الاستراتيجية، واستقروا في البلاد، وعجزت السلطة الزيانية عن صد العدو أو طرده، فتعين على الشعب مقاومة العدو بنفسه ولكن هذه المقاومة مهما قويت شوكتها لا تكون نافذة المفعول إلا إذا كان لها قيادة حربية، والزيانيون لم يفكروا، بل لم يقدروا على أن يكونوا قوة حربية، اشغلهم على ذلك تنازعهم على السلطان و الطموح إلى السيطرة والنفوذ، فقام الشعب بإعانة القوة العثمانية وطردوا العدو، ثم قضوا بعد ذلك على أولئك السلاطين، وأرغموا الحفصيين على التخلي عن مقاطعتي قسنطينة وبجاية فاسترجع الشعب سيادته الكاملة وأجلى الإسبان عن أرض الوطن، فصفا الجو، ووقع استقرار نسبي كان له الأثر الحسن في ميادين عدة اقتصادية واجتماعية وثقافية."[1]

أما من الناحية السياسية فإن الأتراك لم يندمجوا في المجتمع الجزائري، وذلك لأن السياسة العثمانية كانت متخوفة من الجزائريين وقائمة على حرمانهم من مناصب الإدارة والحكم، وهذا ما يفسر عدم انتشار اللغة التركية في الوسط الجزائري، لكن من الناحية الاجتماعية لوحظ انصهار العثمانيين في مفاصل الشعب وتزاوجوا وأخذوا لغة المجتمع وجعلوها لغة الاستعمال، و بالتالي ترك الأمر في الشؤون الثقافية للسكان الجزائريين، ونعلم أن هذه الفترة و التي سبقتها عرفت إقبالا كبيرا للمهجرين من الأندلس إثر الاضطهاد الإسباني المسيحي،

[1]–محمد الطمار، الروابط الثقافية بين الجزائر و الخارج، الجزائر، ش،و،ن،ت ،1983،ص 247–248.

وهؤلاء اندمجوا اندماجا كاملا مع الجزائريين بمختلف طبقاتهم وفي مدن عدة، فبعد استيلاء الاسبان على غرناطة سنة 1492 فما كان من المسلمين إلا أن يهجروا الأندلس، فنزح عدد كبير منهم إلى الجزائر وانتشروا في حواضرهم مثل تلمسان ومستغانم و تنس و شرشال والبليدة والجزائر وجيجل و بجاية وعنابة وغيرها." وتمتاز هذه الحقبة من الزمان بحركة التعريب في الربوع الجزائرية، و هذه المرحلة التي قام بها أولئك النازحون لاحقت حركة التعريب في عهد الرستميين في تيهرت وفي عهد المأمون ببغداد و زيادة الله بالقيروان وعبد الرحمان الناصر والحكم بقرطبة"[1] وكانت قد سبقت هذه المرحلة بقرون مرحلة الوجود الكنعاني والفينيقي والقرطاجي .

إذن يمكن أن نلاحظ ثلاثة عناصر هامة في انتشار اللغة العربية في الفترة العثمانية: **العنصر الأول** يتمثل في تدخل الدولة العثمانية لصد بغي الاسبان والتحرش المسيحي الصليبي على شمال إفريقيا وتطهير البلاد من الاستعمار ثم توحيد البلاد تحت راية واحدة بعد القضاء على أطماع السلاطين ونزاعهم فيما بينهم من حفصيين وزيانيين، ومرينيين هذا سمح بالاستقرار السياسي الذي أدى إلى استقرار اجتماعي وثقافي فيما بعد.

والعنصر الثاني يتمثل في نزوح المسلمين الأندلسيين إلى المدن الجزائرية واستقرارهم بها وحملهم معهم الثقافة العربية في أبعادها المختلفة يحملون معهم علومهم وآدابهم وفتوتهم وحرفهم واندمجوا مع الجزائريين وشكلوا شعبا واحدا طوروا الحياة الثقافية.

والعنصر الثالث: هو اهتمام الجزائريين بالعلم والمؤسسات الدينية من مساجد وكتاتيب ومدارس و زوايا، واهتمامهم بالوقف الذي كان سببا في انتشار العلم والقراءة.

العنصر الرابع: هو البيئة العربية الموروثة من القرون الماضية الغابرة والتي جعلت الاستعمال اللغوي العربي سليقة لدى الجزائريين وبلهجات متعددة ضمن نظام لغوي موحد.

[1]–محمد الطمار، م، س، ص 232.

تعلم اللغة العربية في الفترة العثمانية:

ذكرت سابقا أن الجزائر في الفترة العثمانية قد عرفت انتشارا كبيرا للمساجد والكتاتيب والمدارس والزوايا والمكتبات نتيجة لكثرة الأوقات، حيث على الرغم من كون الخلافة العثمانية ذات طابع عسكري، وأن الجزائريين لم يساهموا في السلطة بشكل مباشر وفعال إلا أن الباشوات أوالآغاوات أوالدايات قد ساهموا مساهمة كبيرة من حيث عدم تدخلهم في الشؤون الاجتماعية للجزائريين، فقد كان العلماء المحليون يقومون بدور التعليم والدعوة في نفس الوقت، كما كانوا يمارسون القضاء ويحكمون في الخصومات دون أن تصل إلى الحاكم الحنفي في البايلك.

والناظر في تاريخ الكتابة في علوم العربية يتبين له أنها امتداد للبحوث التي كانت موجودة في الدول السابقة المرابطية أوالموحدية أو الزيانية، فقد غلب على التعليم في هذه الفترة اعتماده الحفظ وانتشرت المتون العلمية والتعليمية في علوم العربية، وشاع الحفظ والشرح والتقييد في الحواشي والتعليقات و التقريرات، و قد ذكر ذلك ابن خلدون في مقدمته حينما تحدث عن طرق التعليم في المشرق وفي والأندلس وبلاد المغرب.

" ورغم أن الجزائريين لم يؤلفوا كثيرا في علوم اللغة فإنهم اهتموا بالنحو خصوصا وتركوا لنا إنتاجا طيبا فيه، ومنذ يحيى بن معطي الزواوي تركزت العيون على زواوة باعتبارها مدرسة هامة لعلم النحو ثم .جاء أبو جميل زيان بن فايد الزواوي القسنطيني فتقدم بالدراسات النحوية أشواطا عريضة"[1]وقد ذكر سعد الله وغيره نقلا عن مصادر كالرحلات وبعض كتب التراجم أن اهتمام الجزائريين بالنحو كان كبيرا، و قد ذكروا من أشهر العلماء في هذا الفن مثل يحيى الشاوي، و عبد الكريم الفكون ومحمد بن راشد الزواوي، وعاشور الفكيرين القسنطيني،وسعيد قدورة وغيرهم.

[1]–أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص 157.

و يذكر أبو القاسم سعد الله اهتمام الجزائريين بالأجرومية وألفية ابن مالك فيذكر من ألف فيها شروحا وحواشي مثل محمد الصباغ القلعي الذي ألف" الدرة الصباغية في شرح الأجرومية" وكذلك نظم خليفة بن حسن الغماري الأجرومية في نظم سماه" اللامية في نظم الأجرومية" وذكر أن الأجرومية كانت ملح الطعام عند مدرسي وطلاب الجزائر في الفترة العثمانية[1] .

أما ألفية ابن مالك فمن أوائل من ألف فيها في العهد العثماني محمد بن عامر الأخضري البسكري (وهو والد عبد الرحمان الأخضري) ووضع أحمد بن العباس الوهراني شرحا على لامية الأفعال في التصريف لابن مالك، وهناك علماء كثر اهتموا بالنحو على غرار أبا القاسم بن محمد البجائي ومحمد الزجاي الذي خلف شرحا على ألفية السيوطي وعلى التسهيل لابن مالك وعلى لامية الأفعال في التصريف وعلى نونية صاحب الشذور إلخ كما نجد من ألف أيضا في تراجم النحاة مثل: بركات بن باديس وتلميذه أحمد بن قاسم البوني هذا الأخير الذي ذكر له كتاب عنوانه فتح المبين في تراجم بعض مشاهير النحاة واللغويين."[2]

وكما اهتم الجزائريون بالكتب التعليمية خاصة النحو، اهتموأيضا باللغة وإن كان عدد المهتمين قليل حيث أن المعجم مهم جدا في تثبيت الملكات اللغوية، وقد بدأ التفكير في المعجم وفهم الألفاظ منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم، بل كان العرب في الجاهلية يعطون المترادفاتللعديد من المسميات مثل السيف والأسد و غيرهما.وجاء القرآن واحتاج الناس إلى تفسيره فظهرت كتب غريب القرآن وغريب الحديث، ثم ظهر أول معجم وهو معجم الخليل بن أحمد الفراهيدي هكذا تطورت المعجمية العربية في مدارس مختلفة ساهمت في الحفاظ على متن اللغة العربية تطورها وانتشارها خاصة مع ظهور الدخيل والمعرب بعد فتح العديد من الدول غير العربية.

[1]– المرجع نفسه ،ص 162.

[2]–سعد الله،التاريخ الثقافي، ص 164–166.

وانتشرت العربية في الجزائر نظرا لمعرفة الجزائريين العميقة لهذه اللغة منذ ما قبل الوجود الفينيقي في الجزائر وزادت مع اعتماد يوغرطة ومن قبله هذه اللغة في المدارس المنشأة، وزادت تجذرا مع الفتوحات الاسلامية وانتشار التعليم بها في المساجد والزوايا والكتاتيب. وفي الفترة العثمانية محل الدراسة نجد الاهتمام واضحا من قبل الجزائريين بهذه اللغة في احترامها والكتابة بها ونجدها في إبداعاتهم وحياتهم.

والدارس يجد أن ممن اهتم بعلم اللغة المحض في الجزائر في الفترة العثمانية أحمد بن محمد بن علي بن ويغلان البجائي الذي نسب إليه بروكلمان (الروض المنظم في معاني حروف المعجم) ومحمد بن بدوي الجزائري المعسكري صاحب كتاب (الارتضاء في الفرق بين الضاد والظاء).

وهو مختصر كتاب (الارتضاء في الفرق بين الظاد والظاء)لأبي حيان محمد بن يوسف الأندلسي والذي ألفه سنة1127م وألف أبوراس كتاب(ضياء القابوس على كتاب القاموس) كما وضع المفتي على بن عبد القادر بن الأمين سنة 1186 إتحاف الألباب بفصل الخطاب"[1] فهذه أمثلة تبين اهتمام الجزائريين بعلم اللغة.

اهتمام الجزائريين بالنصوص الأدبية والشروح :فعلى الرغم من أن الجزائريين كغيرهم من دول شمال إفريقية حسب ابن خلدون كان اهتمامهم بعلوم اللغة أكثر من اهتمامهم بالنصوص الأدبية في التعليم حيث كانوا يركزون على حفظ المتون العلمية في النحو والصرف والبلاغة والعروض وغيرها خلافا لما هو موجود في الأندلس الذين كانت ملكة لغتهم راقية و ظاهرة في إنتاجهم العلمي والأدبي، ويرجع ذلك إلى اهتمامهم بالقرآن والحديث والنصوص الأدبية الشعرية والنثرية إلا أن الفترة الزمنية الطويلة التي فاقت ثلاثة قرون نجد فيها من حين لآخر ظهور العديد من الأسماء لعلماء وأدباء أبدعوا في عصرهم في فنون النثر والشعر.

[1]–سعد الله، التاريخ الثقافي، ص 165.

فقد ظهر ما يعرف بالشروح الأدبية " فهناك ظاهرة تلفت النظر في الأدب الجزائري هي أن الأدباء عمدوا إلى شرح الأعمال الجاهزة الأدبية والشرح الأدبي قد يكون على قصيدة نظمها الشارح نفسه وقد يكون على قصيدة أو عمل آخر لغيره، وقد حفل الأدب الجزائري بالنوعين".[1]

ويمكن التمثيل بالعديد من الشروح مثل قصيدة سعيد المنداسي المسماة (بالعقيقة) والتي تداول على شرحها كل من أبي راس الناصر وأحمد بن سحنون الراشدي وشرح لامية العجم لمحمد بن أحمد بن قاسم البوني وشروح المواعظ والحكم والحلل الحريرية لأبي راس أيضا. ولعل شرح الشواهد النحوية يدخل أيضا في هذا الباب كما فعل عبد الكريم الفكون في شرح شواهد أبن يعلي، وقد كان هدف أصحابها خدمة الأدب واللغة والبلاغة مظهرين بلاغتهم العلمية والخيالية ومحفوظاتهم وذوقهم الفني"[2]

البلاغة والعروض عند الجزائريين في الفترة العثمانية:

ذكرت سابقا أن هذه الفترة وما سبقها عرفت بظهور الشروح والحواشي، حيث أن جل العلماء توجهوا صوب التعليم ونشر المعارف التي كان العلماء الأوائل قد برعوا فيها، فظهرت العديد من الكتب في مختلف العلوم وفي اللغة العربية ظهرت كتب مشهورة في النحو والصرف والبلاغة وغيرها فراح العلماء يشرحونها ويبسطونها للتلاميذ والطلبة فظهرت الشروح وتحت الشروح الحواشي وتحت الحواشي التقريرات وتحت التقريرات التعليقات وهكذا صار المتن العلمي النثري أو المنظوم لا يظهر أمام هذا الكم الكبير من الكلام عليه في الحواشي وما اتصل بها، وصار كالفرع ولم يعد أصلا معتمدا عليه، حتى صار الهدف في التعليم الحاشية، مما أدى إلى انغلاق الملكات.

[1]–سعد الله، م.المرجع السابق، ص 174.

[2]–سعد الله المرجع السابق، ص 178 بتصرف.

وعلى الرغم من ذلك فقد ساهمت هذه الحركة التأليفية في الحفاظ على طريقة معينة في تعليم العلوم، وفي البلاغة أعمال كثيرة مثلما نجد في أعمال عبد الرحمان الأخضري في نظمه (الجوهر المكنون)في علمي البيان والمعاني وقد أتم عمله العديد من العلماء مثل أحمد بن المبارك العطار القسنطيني في عمله المسمى(نزهة العيون) وكذلك الفكون القسنطيني؛ بل تعدت حدود الجزائر وعلق عليها وشرحها العديد من المشارقة مثل أحمد الدمنهوري، كما نجد أعمالا أخرى مثل شرح قصيدة الحلي المسمى (أنوار التجلي على ما تضمنته قصيدة الحلي لعبد الله بن أبي القاسم الثعلبي و(التحقيقات الإعجازية بشرح نظم العلاقات المجازية) لمحمد بن محمود بن العناني و(ذيل الأماني) لأبي راس الناصر وغيرها.

اهتمام الجزائريين بعلم العروض:يظهر جليا من خلال دراسة أشعارهم فتدل في مجملها على إلمامهم بهذا العلم من الناحية التطبيقية والنظرية، أما من الناحية النظرية فكان طلبة العلم يحفظون متون علم العروض المعروفة في زمنهم شرقا وغربا، وقد حمل الأندلسيون هذا العلم إلى الجزائر ونشروه وعلموه في المدارس، فنجد شرح سعيد قدورة على الرامزة الشافية في علمي العروض والقافية) للخزرجي المعروف بأبي الحسين المغربي، والذي سماه شرح المنظومة الخزرجية. والمتابع لمراكز المخطوطات الجزائرية يتبين له اهتمام الجزائريين بعلم العروض وشروحه ويظهر ذلك في نظمهم وشعرهم الذي يبين مدى إحكامهم لعلمي العروض والقافية .

الآثار الأدبية النثرية والشعرية في الجزائر في الفترة العثمانية:

هذا المبحث له علاقة وطيدة بتبيان انتشار اللغة العربية في الفترة العثمانية على العكس مما تريد أن تروج له بعض الكتابات الغربية التي توضح بأدلة واهية أن اللغة العربية غير منتشرة ويركزون على مدينة الجزائر فقط في العهد العثماني، ولا يخرجون على الجانب السياسي والعسكري لهذه المدينة والتي كانت بقلاعها وحصونها مدينة لحماية شمال إفريقيا

والمغرب العربي من الغزو الصليبي الأوروبي منذ سقوط غرناطة، فالباحث يتبين له أن الجزائر كبيرة جدا وأن الدولة العثمانية لم تتدخل في الشؤون الداخلية للشعب الجزائري، بل تركتهم على سجيتهم مثلما كانوا في الدول المستقلة قبل الوجود العثماني، واستمرت الحالة العلمية والثقافية على ما كان عليه في عهد المرابطين والموحدين والحفصيين والزيانيين، فالعديد من المرافق العلمية من مدارس و مساجد و زوايا وكتاتيب كانت تمارس حياتها الثقافية و إنتاجها الفكري، و هكذا برع العديد من الفقهاء و العلماء والأدباء والشعراء طيلة ثلاث قرون، بتفاوت في المراحل والشخصيات، فقد كان بعض الحكام العثمانيين يهتمون بالجوانب العلمية والأدبية ويغدقون على الأوقاف من أموالهم الخاصة، ويجرون إصلاحات كبيرة في مدنهم، وامتدت إصلاحاتهم إلى المدن المجاورة في قسنطينة وعنابة وسكيكدة وتلمسان ومعسكر ووهران ومازونة والمدية والبليدة وغيرها من المدن، فاز دهرت الحياة الأدبية في بعض الفترات وضعفت في فترات أخرى، والمتصفح للموروث الأدبي الشعري والنثري في المكتبات الجزائرية في الوطن وخارجه يتبين له أن قرائح الأدباء أثرت الخزانة الجزائرية بعديد المؤلفات والأسماء في الفترة العثمانية وهذا يوضح أن الخلفاء العثمانيين على تباين في مواقفهم تجاه الثقافة العربية كان أغلبهم يهتمون بالجانب العسكري والسياسي للحفاظ على الخلافة ومكوناتها الحضارية والجغرافية المترامية الأطراف والتي ازدادت أطماع الدول الغربية فيها من كل جهة، فصار التوجه نحو الحفاظ على الحدود أولى من كل شيء، بينما أبقت الحرية للشعوب و العلماء والأدباء دون تدخل في شؤونهم.ويمكن في هذا البحث الإشارة إلى أن الأدب شعرا ونثرا ساهم في الحفاظ على اللغة العربية في الخلافة العثمانية ويمكن التمثيل للعديد من الأسماء التي تزخر بها المكتبة العربية في الجزائر العثمانية من ذلك أحمد المقري، عبد الكريم الفكون، أحمد بن عمار، ابن حمادوش، وابن علي والمانجلاتي وابن سحنون وابن الشاهد وغيرهم كثير.

مظاهر اللغة العربية في الأغراض الأدبية:

هذه الأغراض الأدبية الشعرية والنثرية في مجملها مكتوب باللغة العربية، ولم تظهر اللغة التركية في الجزائر إلا في بعض الدواوين وفي استعمال بعض الحكام وما جاورهم في الحكم في دار السلطان وفي بايلك الشرق والغرب وإن المتتبع لكل الانتاج الفكري الموجود في المخطوطات والمطبوعات .

يتبين له مدى انتشار اللغة العربية في الجزائر في الفترة العثمانية، ويمكن التمثيل بالتقاريظ والإجازات والعقود وهي بعض من الأشكال الأدبية والتي كانت تسيطر عليها الروح الإخوانية، كما كانت تبرز ثقافة الكاتب الأدبية واللغوية.

فالإجازات تتناول السند وسرد أسماء الشيوخ ومواد الدراسة، وتكتب بصيغة واحدة تقريبا وأسلوبها أسلوب أدبي وهناك شواهد كثيرة على ذلك في المكتبة الوطنية وفي دور المخطوطات.

الأمر نفسه نجد في العقود، لاسيما عقود الزواج التي كانت تظهر فيها البراعة اللغوية وجمال الأسلوب وكذلك التقاريظ إذ يحفل العهد العثماني بها، وهذه التقاريظ يكتبها أصحابها لمؤلف كتاب جديد ويغلب عليها السجع والمحسنات البديعية مثلما نجد في رحلة ابن حمادوش التي حوت تقاريظ من علماء الجزائر.

المخطوطات آثار تدل على تطور الخط في الجزائر في الفترة العثمانية .

الجزائر من البلدان الغنية بالمراكز العلمية، وهذا ما بينته عند حديثي عن المدن الثقافية ، وكذلك انتشار مراكز التعليم كالمدارس والمكتبات والزوايا والكتاتيب والمساجد والقصور وغيرها، وهي ملأى بكنوز من التراث المخطوط ، وهي تشمل مختلف العلوم والمعارف الإنسانية من علوم قرآن كالتفسير والتجويد والقراءات .وعلوم السنة كالحديث ومصطلح الحديث والجرح والتعديل وكتب الرجال ووعقيدة وتوحيد وتصوف وفقه وأصول فقه

،وسيرة وتراجم وفلسفة ومنطق ورياضيات وهندسة وجبر وطب وتاريخ وجغرافية وعلوم لغة كالنحو والصرف والبلاغة وآداب ورحلات وغيرها من العلوم النقلية والعقلية .

وقد تجمعت هذه المخطوطات في هذه المكتبات عبر مختلف العصورمنذ نشأة الدول الإسلامية في بلاد المغرب الأوسط (الجزائر)بفضل الحكام والعلماء وطلبة العلم فتجمعت هذه المخطوطات وانتقلت بالنسخ من مدينة لأخرى، وكانت الجزائر منطقة عبور وهمزة وصل بين المشرق والغرب الإسلامي بالأندلس.وكذلك مع بلاد إفريقيا جنوب الصحراء .

وتحتاج هذه المخطوطات إلى عناية فائقة لأنها تمثل آثارا تحفظ للأجيال القادمة تاريخها .

والدارس للخطوط التي كتبت بها هذه المخطوطات يتبين له انتشار وتطور الخط في الجزائر في الفترة العثمانية وماقبلها.

الفصل الثاني:

الخط والكتابة الأثرية

بالجزائر في الفترة العثمانية

مدخل: انتشار الكتابة في الجزائر في الفترة العثمانية:

يقول الأستاذ محمد بن سعيد شريفي:"سألت أستاذي الدكتور سهيل أنور(1898-1936م) يوما عن سر بلوغ الخط العربي عند العثمانيين أزهى عصوره عبر التاريخ فكان جوابه: "إنهم لا يختلفون عن غيرهم، وإنما العمل الدؤوب وشغفهم، وتقديرهم له، بلغ بهم إلى هذه الدرجات" .و يضيف الأستاذ وهو من هو في علم الخط بالجزائر قائلا:"ولكنني لم أقتنع بجوابه على الرغم من تصديقي لمنطقه، فقد بدا لي هذا التعليل عاديا و بديهيا، وما قام به العثمانيون في الخط هو أكثر من عادي، إن لم نقل من الخوارق، وطفقت استنطق مراحل تاريخهم للوقوف على الشواهد والوسائل المؤدية إلى ازدهار الخط في عهودهم"[1].

أوردت هذا الكلام في بداية الفصل لأبين أن الباحث المنصف لا ينبغي أن يعتمد على ما هو أمامه من مكتوب خاصة الأثري الذي يبني نتائج أبحاثه على الآثار المادية، وهي موجودة بكثرة، و لهذا حينما بدأت هذا البحث وجدت تحاملا كبيرا على العثمانيين ودورهم الثقافي، بحجة أن جل أعمالهم عسكرية وقرصنة بحرية ،والأمر مخالف تماما لذلك، صحيح أن فترة حكمهم هي فترة حاسمة و مفصلية في العالم الإسلامي حيث تعرض هذا الأخير لهجمات كبيرة ، وغزو مستمر صليبي وأوروبي؛ ولكن فترة حكمهم التي دامت قرابة أربع قرون عرفت مدا وجزرا في الجوانب الحياتية الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية. وإذا كانت الكتابات الغربية، والفرنسية منها خاصة، المتعلقة بالجزائر متحيزة، فالكتاب الفرنسيون لم يكونوا يرون أي شيء جدير بالتنويه والإشادة في ماض الجزائر سوى العهد الروماني وفترة الاحتلال الفرنسي والكتاب الجزائريون من جهتهم ظلوا هم الآخرون يعتبرون الفترة

[1]-محمد بن سعيد شريفي، اللوحات الخطية في الفن الإسلامي المركبة بخط الثلث الجلي دراسة فنية في تاريخ الخط العربي، الجزائر، شركة بن باديس للكتاب،2011، ص 200.

العثمانية مجرد خاتمة لأبحاثهم المتعلقة بالقرون الوسطى أو تمهيدا لدراساتهم المتصلة بفترة الاحتلال"[1]

فمن هذا المنطلق فإن الباحث الجزائري بعد الاحتلال وجد أمامه ركاما كبيرا من الكتابات الفرنسية وحتى لجزائريين تتلمذوا في المدرسة التاريخية والأثرية الفرنسية وراحوا يعيدون ما صاغه أساتذتهم من أفكار تتعلق بتشويه كل ما حدث في الفترة العثمانية بالجزائر، وكتبوا من وجهة نظر واحدة، وأهملوا الشعب الجزائري وثقافته وتاريخه ومنجزاته، وهذا لا يمت بصلة إلى الروح العلمية التي ينشدها الباحث، فنجد تكرارا واضحا للعديد من المفاهيم تبين مما لا يجعل مجالا للشك أنها من إنتاج عقل واحد وفكر موجه، تريد أن تصقل الفكر الجزائري عليه؛و لكن مع بروز نخبة جديدة من الباحثين تركوا كل ما كتب بالفرنسية وراحوا يبحثون في الآثار الحقيقية الموجودة، فالآثاري يبدأ بحثه من حفرية أو تحفة ثابتة أو منقولة ومنها يصوغ بحثه لا من أفكار مكتوبة في كتاب وهكذا بينت الدراسات الأثرية زيف العديد من الكتابات التاريخية حول الفترة العثمانية بالجزائر خاصة ما تعلق منها بالجانب الثقافي، فقد حمت الخلافة العثمانية الثغور والساحل من الغزو الأوروبي، وأبقت على الحرية الفكرية عند الشعوب المنضوية تحت لوائها، فهكذا تبين للعديد من أساتذة الآثار خاصة أن:"أغلب الدراسات التي تمت حول الفترة العثمانية كانت تهدف لخدمة الاستعمار وتبرير وجوده، حيث أصبحت الجزائر بفعل هذه الدراسات المتحيزة منطقة فراغ حضاري تفتقر إلى وجود شعب متكامل وأمة متماسكة فهي عبارة عن حيز جغرافي يتعاقب عليه الحكام وتنتقل عبره العشائر المتناحرة التي لا تسكن إلا للإرهاب الذي يسلطه عليها الحكام الأتراك حسب زعمهم،وهكذا نلمس من خلال هذه

[1]– نصر الدين سعيدوني، دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر، العهد العثماني، ص09.

الاستنتاجات والأحكام المغرضة وجهة نظر الكتاب الفرنسيين الذين لا يرون الجزائر سوى من خلال الاحتلال ومشروعات الاستعمار"[1]

فهذه الفئة من الباحثين وهم من خريجي الجامعات خاصة، احترموا المنهج التاريخي وتقيدوا بطرق البحث الحديثة، مع عدم اتخاذهم لموقف محدد قبل الوصول إلى نتائج معينة وهذا ما يوصلنا حتما إلى كتابات موضوعية منهجية مبنية على حقائق علمية[2].

وفي هذا البحث نعود إلى الشواهد الأثرية في الجزائر التي تبين مدى اهتمام الجزائريين والنخبة العربية بالخط العربي في الآثار الثابتة والمنقولة، وقد بينا في بداية هذا المدخل من خلال شهادة أكبر خطاط جزائري على اهتمام الدولة العثمانية بالخط العربي على غيرها من المدارس الأخرى البغدادية والشامية والمصرية وغيرها.

2-الخط العربي النشأة والتطور:

الكتابة والخط سمتان بارزتان في تاريخ حضارة الإنسان، فبظهور الكتابة تغيرت حياته.

أ-مفهوم الخط

الخط لغة: الخط كلمة الاسم (خط) في صورة مفرد مذكر وجذرها (خطط).

وجاء في مختار الصحاح[3]: خ ط ط: الخط واحد الخطوط وخطّ بالقلم: كتب، وبابه نصر.وكساء مخطط: فيه خطوط.

وجاء في لسان العرب[4]: الخط الطريقة المستطيلة في الشيء، والجمع خطوط وجمعها العجاج على أخطاط .وخط الشيء يخطه خطا: كتبه بقلم أو غيره، والخط: الكتابة ونحوها مما يخط.

---

[1]-نصر الدين سعيدوني ،المرجع السابق ، ص 10.

[2] لا يمكن التعميم حيث نجد العديد من الرسائل في الفترة الأخيرة تفتقد الموضوعية و المنهجية الاكاديمية

[3]مختار الصحاح ، مادة خطط.

[4]لسان العرب ، مادة خطط.

وللخط معان مجازية وأصلية أخرى في المعاجم.

فخط خطا بالقلم:كتب، وخط الشيء:كتبه بقلم أو غيره وحسب ما ورد في معاجم العربية فإن الخط لغة [1]: يقال:خط خطا بالقلم:كتب، و خط الشيء:كتبه بقلم أو بغيره. فالخط والكتابة والتحرير والرقم و السطر كلها بمعنى واحد، وتعني نقل الأفكار من عالم العقل إلى عالم مادي على الورق، بواسطة إعمال اليد بالقلم للحفاظ عليها خوفا من نسيانها، وذلك برسم أشكال للحروف تعارف عليها الناس خلال تاريخهم الطويل"[2]

أما اصطلاحا [3]:

فقال ابراهيم بن محمد الشيباني: "الخط لسان اليد، وبهجة الضمير، وسفير العقول، ووحي الفكر، وسلاح المعرفة".

وقد قيل في تعريف الخط:علم تعرف به أحوال الحرف في وضعها وكيفية تركيبها في الكتابة"

وذكر محمد الطاهر الكردي "أن الخط ملكة تنضبط بها حركة الأنامل بالقلم على قواعد مخصوصة"

وقد قيل في تعريف الخط:" علم تعرف به أحوال الحرف في وضعها وكيفية تركيبها في الكتابة" وذكر القلقشندي في كتابه "صبح الأعشى" أن الخط هو ما تتعرف منه صورة الحرف المفردة وأوضاعها و كيفية ترتيبها خطا"[4]

---

[1]ابن منظور: لسان العرب، ، الزبيدي: تاج العروس،الزمخشري: أسرار البلاغة،البستاني :محيط المحيط.

[2]–فضل عمار رمالي، مدخل إلى فن الخط العربي، الجزائر، دار الأبحاث للترجمة و النشر و التوزيع، ط2009،3، ص 17.

[3]عبد الناصر ونوس ، محمد غنوم ، الخط العربي نشأته ، مبادئه ، استخداماته ، (ج ع س ، جامعة دمشق ، 2010) ص 248.

[4]–م. ن.

وقال غيره:"أن الخط علم تعرف فيه صور الحروف المفردة وأوضاعها وكيفية تركيبها خطا، وما يكتب منها في السطور، وكيفية كتابته، وإبدال ما يبدل منها وبماذا يبدل"

ويمكن أن نورد كلام ابن خلدون[1] عن الخط حيث ذكر في المقدمة:

والخط ما تتميز به الإنسانية قاطبة، ولكن اللسان العربي امتاز خطه بالجمال وكونه فن في حد ذاته، ولهذا صار لدينا في الفنون العربية فن الخط:"وهو فن من الفنون البصرية التي تخاطب العين والإرادة مستوحيا تزييناته ليس من الطبيعة بل من الروح الإنسانية، وأخذ هذا الفن مكانته بين الفنون الجميلة لقيمة عناصره الجمالية"[2]

ب- ظهور الخط والكتابة: يذكر العلماء المختصون في الكتابة واللسانيات أن مرحلة ظهور الخط شكلت مرحلة الحد الفاصل بين عصور ما قبل التاريخ والعصور التاريخية ويذكرون أن الكتابة في تطورها مرت بمراحل توجت بانتاج الحروف.

ويمكن أن نوجز هده المراحل في[3] :

1-مرحلة الرسوم (الطور الصوري) : أي التعبير عن الشيء برسم صورته.

2-مرحلة الرموز (الطور الرمزي): أي استنباط معان جانبية من الصورة الأصل باستخدام العلامة الدالة، أي استخدام صورة الشمس للتعبير عن الأشياء الساطعة المشرقة.

3-مرحلة المقاطع (الطور المقطعي):وهو بداية اكتشاف الأبجدية حيث يعتمد تهجية كلمات بعيدة عن الرسم ذاته، حيث رسم يد للدلالة على مقطع (يدل، يدمر، يدع)

4-مرحلة الصوت (الطور الصوتي):وفيه استخدمت العلامة ليد للدلالة على معناها الصوري، بل من أجل صوتها، وبذلك كتبت أسماء الأعلام والأشياء الأخرى.

---

[1] عبد الرحمان ابن خلدون ، المقدمة ، ص:423

[2] فضيل صفار رمالي ، ص 18.

[3] عبد الناصر ونوس ، محمد غنوم ، الخط العربي ، ص 6 ، وما بعدها ، عمار محمد النهار ، محمد شعلال الطيار، الحضارة العربية الاسلامية ، ص 355 وما بعدها يتصرف

5-اكتشاف الأبجدية:تنوعت طرق التعبير عن الكتابة باختلاف الشعوب، وهذا الأثر الذي أدى بالإنسان إلى إيجاد الأبجدية، ومنه اختلف المؤرخون والأثريون واللسانيون في تحديد أصل الكتابة العربية وموطنها، فذكرت نظريات وظهرت دراسات يمكن الرجوع إليها في مضامينها.

ذكر بعض الباحثين في مجال الخط العربي[1] أن نظريات نشأة الخط ثلاث:

الأولى نظرية التوقيف، التي تقول أن الكتابة منزلة من عند الله، علمها لآدم عليه السلام، استنادا إلى قوله تعالى:"وعلم آدم الأسماء كلها"[2] والبعض الآخر ينسب الكتابة إلى إدريس عليه السلام وهناك من ينسبها إلى اسماعيل عليه السلام[3].

الثانية النظرية الاصطلاحية (الاختراعية)، وهي النظرية القائل أصحابها بأن حاجة الإنسان جعلته يخترع الكتابة ويصطلح الأفراد فيما بينهم على نظام موحد للخط ، فكما أشار ابن خلدون في المقدمة أن الخط من ضمن الصنائع التي يتدرب عليها الإنسان، ويكتسبها مع مرور الأيام.

والخط العربي حسب الدراسات الأثرية والتاريخية من هذا المنظور الاصطلاحي يمكن أن نجمله في:

النظرية الحميرية الجنوبية:التي تقول بأن الخط العربي منقول عن الخط المسند من بلاد اليمن.

النظرية الحيرية الشمالية:وتعود أصل الكتابة حسبها إلى شمال الجزيرة بالحيرة.[1]

ج- الخط العربي قبل الإسلام:

---

[1]عبد الرحمان بويدر ، معالجة مشكلات الخط عند التلميذ المبتدئ ، الجزائر ، دار الأنيس ، ص18.

[2]سورة البقرة ، الآية 31

[3]محمد مرتاض ، الخط العربي وتاريخه ، د.م.م ، الجزائر ، ص2.

[1]ينظر تفصيل النظريات في عبد الناصر ونوس ، محمد عتوم ، الخط العربي : نشأته ، مبادئه ، استخداماته ، جامعة دمشق 2016 ، ص:15 ومابعدها .

لقد بحث العديد من الدارسين في نشأة الخط العربي، وهناك نظريات عديدة في ذلك مثل النظرية التوقيفية والنظرية الاصطلاحية، كما تطرق الباحثون إلى مواضيع كثيرة تخص الخط مثل أصل الخط العربي وتطوره قبل الإسلام ومكان نشوء الخط العربي، الآثار المادية المعتمد عليها لتوثيق نشأة الخط العربي مثل نقش النمارة النبطي ونقش حوران، ويعرجون بعد ذلك على بعض الوثائق التي تثبت المراحل التي تنقل فيها الخط العربي في صورته الأولى إلى الحالية، مثل نقوش القرن الثالث للميلاد، ونقوش القرن الرابع الميلادي الذي اكتشف في مدفن امرؤ القيس بن عمرو ملك العرب، و كذلك نقوش القرن السادس الميلادي[1] وهنا يتبين أن الباحثين بحثوا في تطور الخط العربي قبل الإسلام وبينوا مصدره ووضعوا الجداول لأصله، و كما تبين لنا الأبحاث.أن العصر الجاهلي عرف الكتابة بثلاث قرون على الأقل،" فقد كانت هناك مدارس و كان هناك معلمون يقومون بالتدريس فيها وتأكيد ذلك أمر سهل فهو مبثوت في المصادر العربية، ذلك أننا نجد الكثير منها قد ألم بطرف أو جانب من هذه القضية، فقد حدثتنا هذه المصادر أن عمرو بن زرارة وقد كان يدعى الكاتب ــ كان معلما في الجاهلية. كما أن غيلان بن سلمة بن متعب كان من المتعلمين أيضا"[2]. ثم نجد في القرآن الكريم ما يثبت ذلك في قوله تعالى:"و قالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا"[3]. هناك آيات كثيرة وأبيات شعرية تثبت أن الكتابة كانت منتشرة في الجاهلية من ذلك قوله تعالى :" وقالوا لن نومن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرأه،قل سبحان ربي هل كنت إلا بشرا رسولا"[4]. وآية الدين تبين ضرورة الكتابة" يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى

[1]–محمد مرتاض، الخط العربي و تاريخه، الجزائر،.د. م. ج . 1994.

[2]–محمد مرتاض، الخط العربي و تاريخه، الجزائر،.د. م. ج . 1994 ، ص : 30

[3]–الفرقان، الآية 05

[4]–الأسراء، الآيات : 90– 93

فاكتبوه، وليكتب بينكم كاتب بالعدل، ولا يأب كاتب أن يكتب، كما علمه الله فليكتب وليمل "للذي عليه الحق "[1]

فهذه الآيات والأبحاث والشواهد تجعلنا نسلم مقتنعين بأن الكتابة العربية على عهد الجاهلية كانت شائعة، وأن الكتاب كانوا غير معدودين حتى ولو لم تعرفنا المصادر إلا على قليل منهم، وأكثر من ذلك أن بعض العرب في الجاهلية كان عارفا باللغات الأجنبية حادقا لها"[2].

د- عناية الحضارة العربية بالخط العربي وجودته:

الخط والدين:ارتبطت الكتابة العربية بالدين الإسلامي، فقد نشأت وتطورت في بيئته، ونصت آيات القرآن الكريم أن العلم بالقلم .وأقسم الله تعالى بالدواة والقلم، قال تعالى:

" ن، والقلم وما يسطرون"(1) ولعل أعظم شاهد لجليل قدر الكتابة وفضلها، وأقوى دليل على رفعة شأنها أن الله تعالى نسب تعليمها إلى ذاته العلية[3] فقال في أقل ما انزل من القرآن: "اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الأكرم، الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم"[4] وقوله تعالى:"يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل"[5]

وقوله :"إن هذا لفي الصحف الأولى، صحف ابراهيم وموسى"[6]

وحث الرسول صلى الله عليه وسلم على تعلم الكتابة، واتخذ كتابا من الصحابة يدونون ما نزل من الذكر الحكيم، وما يحتاجه من مراسلات للدعوة الإسلامية، فقد كان يكتب للنبي

---

[1]- البقرة ، الآية : 282

[2]-محمد مرتاض، الخط العربي و تاريخه، الجزائر ، ص : 34 . أبي الفرج الأصفهاني ، الأغاني ، ج : 2 ، ص : 101 . ابن سعد ، الطبقات ، ج : 4، ص11

[3]نابق معروف ، خصائص العربية ، دار النفائس ، بيروت ، 1985 ، ص 133.

[4]سورة العلق ، الآيات 1-4.

[5]سورة البقرة ، 281.

[6]سورة الأعلى ، 18-19.

(صلى الله عليه وسلم) أبو بكر، وعمرو، وعثمان، ومعاوية، وزيد ابن أبي سفيان، وقد نزل القرآن في قريش وكثيرون يكتبون منهم سعيد بن زرارة وسعيد بن عمرو[1].

ولما كان للقرآن الكريم في قلوب المسلمين مكانة خاصة فقد بالغوا في الاهتمام به وتقديسه واعزازه وأبدعوا في احترامه والحفاظ عليه وكتابته بصور مختلفة، فالإسلام شجع من اللحظات الأولى لبزوغ نوره على القراءة والكتابة، فكان له فضل النهوض بالتطور المستمر للخط العربي فبه لحافظ على القرآن في السطور كما حافظ عليه السمع في الصدور، وهكذا يبقى القرآن الكريم في حرز من التعريف أو التزييف أوالتصحيف أو البيان.

فاكتسبت الكتابة قدسيتها بذلك، واعتني بتجويدها تقديرا لكلام الله، فظهرت في أحسن صورة، فغدا عمل الخطاط عبادة، لأنه يعلي من الحق، وينشر تعاليم السماء في الأرض"[2]. يقول باول بارتيس:" يلعب الوازع الديني في الإسلام دورا أساسيا في عمل الخطاط، الذي يعبر عن التسليم لله والتوكل عليه"[3]. ويقول ريسلر:" وكانت حروف الكتابة في حد ذاتها زخرفة، ولم تجد كتابة تجاريها في رشاقتها وفي المصاحف ذات الكتابة النسخية التي وصلت إلينا من العصر الإسلامي الوسيط، تعبر الزخرفة، وجناس السطور الدقيقة وتناسق الألوان، عن الإتقان الهادئ للجمال المجرد، وعن كثير من السمات التي تتعلق بفكر عاش في سلام وكان مجرد نسخ الكتاب يعد عملا من أعمال التقوى"[4]، لقد كتب العديد من الخطاطين مصاحف كثيرة

_ 1

[2] محمد بن سعيد شريفي ، اللوحا ت الخطية في الفن الإسلامي ، ص :27

[3]محمد بن سعيد شريفي ، م.ن ، نقلا عن : باول بارتيس ، الفن الحديث و فنون الخط ، مجلة فكر وفن ، ألمانيا ، هامبروج ، عدد 17 ،1971، ص : 7 ،

[4]محمد بن سعيد شريفي ، م.ن ، نقلا عن ريسلر(جا ك س) الحضارة العربية ، ترجمة غنيم عبود ، مصر ، الدار المصرية للتأليف و النشر ، د. ت ، ص : 105-106

ورثوها لمن بعدهم وكانوا يرون ذلك حسنة باقية بعد رحيلهم عن الدنيا لقوله صلى الله عليه وسلم:" إذا مات ابن آدم انقطع عنه عمله إلا من ثلاث وذكر منهم مصحفا ورثه"[1].

وتحمل الكتابة العربية على الرغم من تجردها سحرا وأسرارا، ذلك لأن ارتباط الصورة بالكلمة وثيق في عين الرائي وفي فكره .

لقد فرض الإسلام التعليم،آيات و أحاديث كثيرة وردت تشيد بفضل الكتابة و التعليم والتوثيق.

والخط صورة من صور الحفاظ على الكتابة، وهو أداة من أدوات التدوين الذي عرف به العرب والمسلمون منذ أن نهضوا لجمع القرآن وتدوينه، فكانوا بذلك أول أمة تتصدى لحفظ تراثها ولو لم يكن التدوين قائما ومستمرا لضاع هذا التراث أو أكثره وما وصل إلينا عن طريق الذاكرة إلا النزر القليل منه[2].

وقد وجد العرب في الخط وسيلة للتعبير عن ابداعهم، حيث انصرفوا عن الرسم والتصوير، وكان لكتابة المصحف الشريف أثر في تشجيعهم على تطوير وتطويع الحرف والعناية به، والاهتمام بضبطه وتنقيطه وتشكيله، وكان دافعهم إلى ذلك حب الكتاب الكريم، ولذلك ظهرت خطوط أخرى متنوعة[3].

لقد أقبل الفنان المسلم على استعمال الخط العربي في تزيين مختلف أنواع العمائر والفنون التطبيقية الإسلامية إقبالا كبيرا منقطع النظير، ولا يكاد يخلو أثر من الآثار الإسلامية منها، بل يمكن القول بأن الخط العربي هو هوية الزخرفة الإسلامية جميعها، ويعزى السبب في ذلك إلى عاملين أساسيين: أولهما الصلة الوثيقة بين الخط والدين فقد كتب به القرآن الكريم

[1] حديث شريف

[2] عادل الألوسي.الخط العربي نشأنه وتطوره، القاهرة ، مكتبة الدار العربية للكتاب، 2008 ، ط: 1 ص: 41 .

[3] ص: 42، د. عادل الألوسي.

والأحاديث النبوية الشريفة وغيرها من الأدعية والمأثورات، أما العامل الثاني فهو في ابتعاد المسلمين عن تصوير الكائنات الحية خوفا من مضاهاة الخالق سبحانه وتعالى.[1]

و- مراحل تطور الخط العربي:

الخط العربي في صدر الإسلام

إن استعمال الكتابة في زخرفة العمائر ترجع بأصولها إلى عصر ما قبل الإسلام، فقد نسب بعضهم استعمالها إلى الشرق الأقصى، وأعاد بعضهم الآخر إلى العصر الهيليني، لكنها في الواقع لم تلق العناية والاهتمام مثلما لقيته في العصر الإسلامي، إذ لم يكن القصد منها تسجيل اسم صاحب التحفة أو مشيد البناء أو تاريخه أو التبرك ببعض الآيات القرآنية فحسب، بل قصد بها أن تكون عنصرا زخرفيا وجماليا بذاتها من دون الاهتمام بالمضمون المكتوب، وكان الخطاط أكثر الفنانين تكريما وإجلالا، سواء عند العامة أو عند الخاصة من الناس.[2]

ومما زاد تمسك الفنان بالخط ودفعه على رعايته والاهتمام به هو نزول القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم باللغة العربية، وباعتبار الكتابة الوسيلة الأساسية التي حفظ بها القرآن الكريم ، وهذا ما أدى إلى إعزاز شأن الخط العربي وإجلاله إذ أنه صار يرتبط في أذهان المسلمين بالقرآن الكريم. [3]

جاء الاسلام بالقرآن الكريم. ودعا هذا الكتاب الخالد إلى القراءة والكتابة، فعنوان الإسلام "اقرأ"، والدعوة إلى العلم من أهم مرتكزات الدين الإسلامي فقد شجع الإسلام على الكتابة والعلم، وشجب الأمية والجهل، وفي القرآن الكريم آيات كثيرة تثبت ما نقول، فمن ذلك قوله

[1] غيلان محمود غيلان، محاريب صنعاء حتى أواخر القرن 12هـ /18م صنعاء، وزارة الثقافة والسياحة ، 2004 ، ص209

[2] محمدحسن زكي، فنون الاسلام، ص 234، شريفة طيان ساحد، الفنون التطبيقية الجزائرية في العهد العثماني، ص 260 محمد حسن زكي، فنون الاسلام، ص 234، شريفة طيان ساحد ، الفنون التطبيقية الجزائرية في العهد العثماني، ص 260

[3]

تعالى: "قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون"[1]، وقوله: "يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات"[2]، وكما نجد القرآن يرفع من قيمة العلم والعلماء فكذلك جاءت السنة شارحة وموضحة كما في القرآن الكريم. فقد قال (صلى الله عليه وسلم):"طلب العلم فريضة على كل مسلم" [3] وقال: "اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد"[4] ولما نزل القرآن كان الصحابة يكتبونه ويسجلونه على مواد مختلفة إلى أن جمع في عهد عثمان بصفة نهائية في المصاحف المعروفة.

"وتشير الرسائل التي بعث بها الرسول صلى الله عليه وسلم إلى ملوك الأرض يدعوهم فيها إلى الإسلام، أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) قد اختار لكتابتها أجود الكتاب خطا، وذكر أن النبي الكريم كان له من الكتبة عدد من الصحابة الكرام، مثل عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وعثمان بن عفان، وخالد بن سعد، وابان بن سعيد، وأبو سعيد بن العاص، وعمرو بن العاص، وشرحبيل بن حسنة وزيد بن ثابت، والعلاء الحضرمي وغيرهم[5].

لقد عرف صدر الإسلام تطورا للكتابة، "فبناء على القيم الروحية والحضارية التي جاء بها الإسلام أقبل الناس على تعلم القراءة والكتابة وبلغ اهتمام الرسول صلى الله عليه وسلم بنشر العلم أن جعل إطلاق سراح الأسير في بدر إذا علم عشرة من صبيان المسلمين الكتابة. وأول العناية بالكتابة كانت في مكة والمدينة في عصر النبوة لشدة لزومها لتدوين القرآن"[6].

---

[1] سورة الزمر الآية 9

[2] سورة المجادلة الآية 11

[3] رواه ابن ماجة .

[4] صحيح في معناه .

[5] عادل الألوسي ، الخط العربي نشأنه وتطوره ، القاهرة ، مكتبة الدار العربية للكتاب ، 2008 ، ط: 1 ، القلقشندي ، صبح الأعشى في صناعة الانشا ، ج 3 ، " 14.

[6] فضيل صفار الرمالي ، مدخل إلى فن الخط العربي ، الجزائر ، دار الأبحاث للترجمة والنشر والتوزيع ، 2009 ، ط 1 ، ص 24 بتصرف

والباحث في عصر النبوة والخلفاء الراشدين تظهر له العديد من النصوص الكتابية العربية منها رسائل الرسول صلى الله عليه وسلم كما أسلفت، وكتابة الوحي وتدوينه، وظهور الدواوين بعد توسع الدولة وزيادة المهام، ومراسلة قادة الجيوش في الفتوحات الإسلامية وإصدار المسكوكات، وذكر بعض الشعارات والكتابات في الرايات وغيرها.

كما انتشر الخط العربي خارج مكة والمدينة كالعراق والشام ومصر وغيرها، ولكن أعظم عمل في هذا العصر هو جمع القرآن الأول والثاني في عهدي أبي بكر الصديق ثم عثمان بن عفان رضي الله عنهما "حيث تدارك عثمان أمر المسلمين فأجمع رأيه مع صحابته الأجلاء على نسخ وكتابة مصاحف متعددة، يرسل لكل بلد مصحفا يكون مرجعا للناس، وقد اختير زيد بن ثابت على رأس مجموعة الكتاب لاستنساخ المصاحف وهو الشخص نفسه الذي انتدب للجمع الذي بدأ للقرآن في عهد أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) لاعتبارات منها اختصاصه العالي بأمر الخط والكتابة، وهذا الانتقاء وهذه الإجراءات لم تكن اعتباطية إنما كانت قرارات مقصودة، الهدف منها إعطاء الوجه المضيء من الاعتناء البالغ بالخط والخطاطين بغية إظهار المصحف على أجمل كتابة معروفة يوم ذاك، مما تتطلب معه بذل أقصى الجهود في التأني والتألق والتحسين كي يتوازن الجانب الفني الخطي مع الجانب اللفظي في القراءة"[1].

فعصر صدر الإسلام عرف اهتماما كبيرا بالكتابة ولخط نظرا للتطور الذي عرفته الدولة الإسلامية الناشئة، ونظرا لحاجة الإدارة والاقتصاد اليها .

لقد تطور الخط العربي على يد العرب إلى فن جميل احتل مكان الصدارة بين الفنون الإسلامية، حيث أصبحت الكتابة العربية أولى الكتابات تناسقا وأبدعها زخرفا، واستطاع

[1] مدخل إلى فن الخط العربي، ص 24/23.

الفنان المسلم أن يضع لها قواعد وأصول، روعي فيها أن تؤدي صور الحروف حسنا من العين شبيها بحسن مخارج اللفظ العذب عند السمع .[1]

الخط العربي في العصر الأموي: (41 هـ– 132هـ) (مرحلة التحسين والتجويد)

امتد نفوذ الدولة الأموية إلى أماكن بعيدة مشرقا ومغربا، وصارت عاصمة الخلافة هي دمشق، وصارت الدولة تحتاج إلى إدارة في شتى المجالات القضائية والعسكرية والتشريعية والعلمية وعليه تثبت لنا الآثار تطور الكتابة في هذا العصر فقد انتشرت الكتابة على لفائف البردي (القراطيس) وكذلك الرقوق والجلود وكتابات الأحجار وشواهد القبور وأميال الطريق والنقوش التذكارية"[2].

وقد ساعد على انتشار تجويد الخط وتطوير أدواته ، اشتغال كثير من الناس بالكتابة وتدوين الأثر ونسخ المصاحف، فأخذ الخط يسمو ويرقى ويتحسن وبهذا التطور تفتحت أمام الكتبة الخطاطين سبل الاستنباط والتجويد، فأخذ كل كاتب يستخدم مواهبه الفنية في إيجاد إضافات جديدة، لكنها إضافات لم تخرج عن القواعد الأصلية والجذور، وبذلك أخذت نهايات العصر الأموي تشهد نماذج جديدة وجميلة من الخط[3].

الخط العربي في العصر العباسي (132هـ–694 هـ) التجويد والتجديد والابتكار

ظهر في العصر الطويل، وفي أمصار الخلافة مشرقا ومغربا تطورا واضحا ،فقد تجاوز الخطاطون في هذه الحقبة مرحلة التقليد والتحسين إلى مرحلة الإبداع والابتكار الذي شكلت عاصمة الخلافة بغداد مهد نشأته وتطوره، وانتشرت منها شرقا وغربا أصول الخط البديع الذي خالف في أصوله ما شاع في الكوفة من حيث الميلان والتركيز على إجادة الرسوم

[1]محمد حسن زكي ، فنون الاسلام، ص 234، شريفة طيان ساحد، الفنون التطبيقية الجزائرية في العهد العثماني، ص 260

[2]عمار محمد النهار ، محمد شعلال الطيار ، الحضارة العربية الإسلامية ، ص 364 ، 366.

[3]عادل الألوسي ، الخط العربي نشأته وتطوره ، ص 84.

وجمال الرونق التي رفع رايتها ببغداد ابن مقلة بعد أن هندس مقاييس الحروف، ووضع المعايير والضوابط التي تنظم بها الحروف بعد تقدير المقاييس والأبعاد بين الحروف بالنقاط، وضبط أشكالها ومداتها وقوائمها ضبطا محكما، ونسب الحروف جميعها من حيث القياس إلى الألف، وتتلمذ على يديه العديد من الخطاطين مثل ابن البواب وغيره[1].

وحينما نقول العصر العباسي، فهو عصر زمنه طويل، ورقعته الجغرافية واسعة، وعليه فإن انتشار الخط وتطوره لم يكن في عاصمة الخلافة فقط ، ولكن انتشار الكتابة عرف ذيوعا كبيرا في مصر و طرابلس والقيروان وتيهرت وبجاية وتلمسان وفاس وقرطبة وفي المشرق أيضا في دمشق والكوفة وحلب وعسقلان ومكة و المدينة وبخارى وسمرقند وغيرها.

إن تطور الخط له علاقة بتطور الحضارة وانتشار العلم وهو ما عرفته الحضارة الإسلامية مشرقا ومغربا، وفي دولها المستقلة والمنضوية تحت راية الخلافة العامة.

لقد ميزت الكتابة العربية الفن الإسلامي باستعمالها كعنصر زخرفي لما تتميز به حروفها من جمال ومرونة وليونة وقابلية في التشكيل والتصنيف ، وهنا يظهر دور الفنان المسلم في قدرته على تحقيق فن قائم بذاته ، كما تلعب الكتابات العربية الزخرفية دورا مهما في تاريخ التحف الفنية المختلفة ذات الكتابات، لأن لكل عصر ولكل بلد في العالم الإسلامي أسلوبه الخاص في الخط وزخرفته، ومن هذا المنطلق يستطيع المختصون أن ينسبوا التحفة الإسلامية إلى العصر أو البلد الذي صنعت فيه . [2]

[1] عمار محمد النهار ، محمد شعلال الطيار ، الحضارة العربية الإسلامية ، ص 372.

[2] محمدحسن زكي ، فنوناالاسلام ، ص 235، شريفة طيان ساحد ، الفنون التطبيقية الجزائرية في العهد العثماني ، ص 260

ي-الخط العربي في الفترة العثمانية

ورث العثمانيون الخط عن مدرسة تبريز التي ازدهرت ليس في الخط فقط، وإنما في صناعة الكتاب أيضا، بل ونشطت فيما يتعلق بالكتاب من صناعة الورق والكرتون والخط والزخرفة والتجليد والرسوم والتذهيب وغير ذلك وصار الأتراك يمثلون مدرسة مستقلة ذات شهرة متميزة في خط الثلث، ولكبار الخطاطين الأتراك مصاحف كثيرة محفوظة إلى الآن في المتاحف التركية، وخاصة في متحف الأوقاف في استنبول حيث أضافوا إلى هذا الخط الجميل زخرفة وتجليدا أنيقين[1].

ونال الخطاطون احترام الخلفاء، فنالوا منهم الحظوة، وأغدقوا عليهم العطايا، وجعلوهم من المقربين منهم، وأسندوا لهم العمل في الدواوين التابعة للدولة، وبرواتب عالية[2].

لقد امتلأت مساجد الخلافة العثمانية بالخطوط الرائعة، والزخارف الجميلة لكبار الخطاطين الأتراك، وغير الأتراك الذين استقطبتهم دار الخلافة العثمانية للعمل في عاصمة الدولة[3].

إن العصر العثماني هو عصر نضوج الخط العربي في العصور المتأخرة، ونستطيع أن نسميه العصر الذهبي للخط العربي وذلك لأسباب كثيرة[4]:

1-أن الدولة العثمانية دولة واسعة المساحة، جمعت الجنسيات والألسن والألوان البشرية المختلفة تحت مظلة الإسلام

2 ــ أن فترة حكمها طالت حتى بلغت أربعة قرون

3ــ كانت تعتبر التصوير حراما، لذلك شجعت الخطوط والزخارف والنقوش لسد فراغ تحريم التصوير.

---

[1] أحمد شوحان ، رحلة الخط العربي من المستند إلى الحديث "دراسة سورية ، دمشق ، 2001 ، ص38.

[2] المرجع نفسه ص 39.

[3] أحمد شوحان ، رحلة الخط العربي ، نفسه

[4] أحمد شوحان ، رحلة الخط العربي.

4 ــ كان الخلفاء يقربون إليهم العلماء والأدباء والمبدعين ويستقطبونهم إلى عاصمة خلافتهم، ويغدقون عليهم المنح والعطايا المختلفة، وأخذوا عنهم مبادئ الخط العربي

5 ــ بلغ الشعب التركي من الترف ما جعل ذوي الإبداع يعملون في قصورهم النقوش، والزخارف والرسومات بمبالغ عالية

6ــ استطاع الأتراك في ظل تكريم الدولة لهم، وإغداقها العطايا عليهم، أن يبتكروا خطوطا جديدة كالرقعة والطغراء والديواني وغيرها .

3-الفترة العثمانية وتطور الإبداع في الخط:

ذكرت سابقا أن للخط علاقة بالدين الإسلامي، كما أن الدولة العثمانية قامت على قواعد الدين الإسلامي، وهذا ما جعل اللغة العربية منطلقا هاما لتطبيق الشريعة وفهم القرآن والسنة وعلومهما، لذا تبين الكتابات التاريخية مدى اهتمام العثمانيين باللغة العربية والخط العربي. ففي العهد العثماني قلد العثمانيون الخط العربي في المرحلة الأولى لكنهم ما لبثوا أن تجاوزوا مرحلة التقليد إلى مرحلة التحسين حتى وصلوا إلى مرحلة أعلى وأسمى هي مرحلة الابتكار.

ويتضح تقدير العثمانيين للخط العربي من استعمالهم له كجانب زخرفي في العمائر والفنون التطبيقية ومن بينها المربعات الخزفية والتحف المعدنية والقطع النسيجية كما تتجلى عاطفتهم الدينية وإيمانهم العميق في ما ضمنوه في الكتابة من صيغ دينية وأشعار.[1]

نظر العثمانيون إلى فن الخط نظرة تقديسية جعلهم يهتمون بتطويره تطويرا كبيرا، فوضع في أسمى مكان وأعلى درجة بين الفنون جميعا، فأبدعوا في إخراجه في أحسن صورة

[1]عبدالعزيز مرزوق ، الفنون الزخرفية الإسلامية في العهد العثماني ،ص 175،، شريفة طيان ساحد ، الفنون التطبيقية الجزائرية في العهد العثماني ، ص 262

كالخط الكوفي والنسخي والثلث والديواني بالإضافة إلى خط التعليق، الذي كان يطلق عليه خط التعليق العثماني. [1]

إن المتتبع لتاريخ الخلافة العثمانية يتبين له سبب اهتمامهم بالخط العربي وتجويده وتطويره، فقد دخل الأتراك في الإسلام في القرن الرابع الهجري فصاروا عونا للإسلام والمسلمين، ولما فتح محمد الثاني القسطنطينية وفكها من البيزنطيين سنة 1453م دخل كنيسة آياصوفيا واتخذها مسجدا باسم الإسلام،وطمأن الأهالي، فرجع عدد غفير من الروم بناء على دعوته، وحشد الصقالبة إلى عاصمته هادفا إلى زيادة عدد سكانها ونزح المسلمون إليها من آسيا[2]

و قد أشار ابن خلدون إلى اهتمام الترك ببناء المدارس والزوايا والربط وتحبيس الأوقاف عليها، مع ما فيهم غالبا من الجنوح إلى الخير والصلاح والتماس الأجور في المقاصد، وكثر طالب العلم ومعلمه بكثرة جرايتهم منها، و قصدهم طلاب العلم من العراق والمغرب"[3]

وقد أشارت الدكتورة خيرة بن بلة في رسالتها إلى استخدام العثمانيين للخط العربي[4] كما نجد محمد عبد العزيز مرزوق[5] في كتابه الفنون الزخرفية في العصر العثماني قد أوضح اهتمام العثمانيين بالخط، كما أفرد محمد بن سعيد شريفي للخط العربي مدرسة قائمة بذاتها سماها المدرسة التركية العثمانية[6].كما تحدث أقطاي أصلان عن مكانة الخط العربي في مجال العمارة في الفترة العثمانية .وأشار عبد العزيز محمد الأعرج في كتابه الزليج في العمارة

[1]عبدالعزيز مرزوق ، الفنون الزخرفية الإسلامية في العهد العثماني ،ص 175،، شريفة طيان ساحد ، الفنون التطبيقية الجزائرية في العهد العثماني ، ص 262

[2] محمد بن سعيد شريفي ، ص 200.

[3]–ابن خلدون ، المقدمة، ص 887

[4]–خيرة بن بلة،المنشآت الدينية في الجزائر في العهد العثماني، رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر، معهد الآثار، 2008، ص 387.

[5] محمد عبد العزيز مرزوق ، الفنون الزخرفية في العهد العثماني ، ص 180 ومايعدها .

[6]محمد بن سعيد شريفي ، ص 200 ومابعدها .

الإسلامية بالجزائر في العصر التركي إلى الزخارف الكتابية[1]، و كما نجد العديد من الأساتذة في الآثار الذين تحدثوا عن أهمية الخط في العمارة والفنون العثمانية من بين هؤلاء الأساتذة : عبد الحق معزوز، لخضر درياس، محمد الطيب عقاب، سعيد بوزرينة

من هذا المنطلق سأبين كيف تطور الإبداع في الخط العربي في الفترة العثمانية.

أ-اهتمام السلاطين العثمانيين بالخط:

لا يزال الخطاط منذ ارتقائه بالخط، يحظى بالمكانة السامية اللائقة بفنه في نظر الخلفاء والسلاطين والرؤساء، كما حظي الخط أيضا بالتقدير. وتنافس الخطاطون في إبداعه فغدا من متطلبات الديوان، ومستلزمات الوزارة والسلطنة. لقد تولى الحكم في الدولة العثمانية من القرن الخامس عشر إلى السابع عشر الميلادي، عشرون سلطانا، اهتم منهم ما لا يقل عن تسعة أو عشرة بنسخ القرآن الكريم، ورسم اللوحات الخطية[2].

" بلغ من اهتمام الأتراك بالخط أن بعض سلاطينهم تتلمذ على كبار خطاطي العصر، إذ تتلمذ السلطان" مصطفى خان الثاني" و"أحمد خان الثاني" على يد الخطاط "الحافظ عثمان"، كما تتلمذ "محمود خان الثاني" على يد الخطاط " مصطفى راقم"، وتتلمذ "السلطان عبد الحميد الثاني على يد الخطاط "عزت "و ونال منه إجازة، فقد كان الكثير من السلاطين العثمانيين يتذوقون الجمال في الخط ويقربون إليهم نوابغ الخطاطين.كما أن الترف الذي بلغته الدولة العثمانية دعا كثيرا من الأغنياء ووجهاء القوم لاقتناء المخطوطات الكاملة والنماذج الرائعة لكبار الخطاطين، فجملوا بها قصورهم ، مما لا تزال المتاحف تزخر به حتى أيامنا هذه [3]

[1]-عبد العزيز محمود الأعرج ، الزليج في العمارة الأسلامية بالجزائر في العصر التركي ، الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، ط: 1 ، 1995 ص : 247

[2]كونل صنعة الخط في الإسلام ، مجلة فكر وفن ، عدد3 ، ص 19.نقلا عن محمد بن سعيد شريفي ، اللوحات الخطية في الفن الإسلامي ، ص38

[3]-فضيل صفاررمالي ، مدخل إلى فن الخط العربي، ص : 36-37

وتذكر المصادر التاريخية، والآثار المادية شاهدة على ذلك[1] وهذا من خلال إطلاعي على العديد من المساجد والأضرحة والمدارس والقصور في اسطنبول خاصة وفي بعض الولايات التي كانت تحت لواء الخلافة العثمانية(الجزائر، تونس، مصر، الشام، مكة والمدينة) وأن اهتمام الخلفاء والحكام بالعمارة الدينية كبير جدا" فكلما استلم سلطان الحكم شرع في بناء الجوامع ولواحقها وتكتمل هذه المنشآت بتزيينها بالخطوط والزخارف يسطرها أبرع الخطاطين ويخرجها أبرع المنفذين[2] .

فقد أسس باي سنقر(ت 1433) بهراة مدرسة لتعليم فن الكتب، عمل فيها بنفسه كخطاط.[3] ويحلو لبعض الخلفاء والسلاطين، النظر ساعات طوالا، إلى الخطاط، أثناء عمله، وذهبوا في تقديرهم للخطاط إلى إمساك الدواة له، أو الشمعدان.وكان السلطان أحمد الثالث(ت1143-1703)، من تلاميذ الحافظ عثمان" قيل:إنه كان يمسك الدواة لأستاذه وهو يكتب، متخليا بذلك عن أصول التشريفات السلطانية، حتى يستطيع الحافظ أن يغمس قلمه بسهولة في مدادها وذات يوم تعجب السلطان لبراعة أستاذه في تنميق الحروف، فقال: لا أظن أن حافظا آخر يأتي بعدك، فكان جواب الحافظ أن قال:إذا جاء سلاطين يمسكون الدواة لمعلمهم مثل سلطاننا لأتى كثيرون مثل الحافظ.[4]

وهذا مثال حي على اهتمام سلاطين الخلافة العثمانية بالكتابة والخط العربي، وهو الأمر الذي سار عليه مندوبوهم في الولايات التي كانت منتشرة مشرقا ومغربا تحت راية الخلافة.

وتذكر بعض المصادر "أن محمد الفاتح كان مثلا يحتذي طريقته الأخلاف، وكان مهتما بالشعر فنظمه، ولافتتانه بالتراث الكلاسيكي منح اليونان استقلال داخليا، كما كان شديد الاهتمام

[1] قمت بزيارات متعددة إلى تركيا و اطلعت شخصيا على زخم الخط العربي في الآثار خاصة بأسطنبول.

[2] –محمد بن سعيد شريفي ، اللوحات الخطية في الفن الإسلامي ، ص200

[3] هيار ، الخطاطون ، ص 129نقلا عن محمد بن سعيد شريفي ، اللوحات الخطية في الفن الإسلامي ، ص38

[4] محمد بن سعيد شريفي ، اللوحات الخطية في الفن الإسلامي ، ص38، نقلا عن فن الخط ، ص 31،

بالنهضة التي انبثقت في إيطاليا، حتى طلب من جمهورية " راغوسة "مرة أن تدفع له الجزية مخطوطات تجمع من إيطاليا، وهو ما لم يعهد مثله في تاريخ الحضارات.وامتلأت خزائن الدولة بأهم المخطوطات من مصاحف وكتب ومرقعات ولوحات محفوظة بكل اعتناء وتقدير"[1]

ويرى بروكلمان أن السلاطين العثمانيين اهتموا بالعمارة وبنوا الجوامع وأحاطوها بالمعاهد التعليمية والمكتبات وسكنى الأساتذة والطلبة والمستشفيات ومطاعم للفقراء والحمامات والأسبلة والآبار[2].

وكان السلطان العثماني محمود خان(ت 1855 –1839)، يتعلم الخط على يدي أستاذه مصطفى راقم، و عندما تولى الخلافة ذهب لتهنئته ، فذكر له السلطان أنه لا يزال مواظبا على التعلم، وأمره أن يوافيه في الأوقات المعلومة. وكان السلطان سابقا يمسك الدواة للخطاط أثناء التعليم شأن كل الطلبة تقديرا للأستاذ ولدى بدء التعليم أخذ الأستاذ الدواة، وناولها للسلطان قائلا:أمسك الدواة، فأمسكها على مضض، متعجبا، كيف وقد أصبح سلطانا يأمره بإمساك الدواة. و لما انتهى التعليم، قام الخطاط، وقبل الأرض بين يدي السلطان، ووقف مكتوفا فبادره السلطان:ما هذا الأمر المتناقض، تقول لي: أمسك الدواة، وبعد التعليم، تقبل الأرض أمامي إعظاما؟ فأجاب الأستاذ: يا مولاي إمساك الدواة حق الأستاذية، وأما تقبيل الأرض، ووقوفي مكتوفا، فهو حق السلطنة أوفيته، وأنعم عليه السلطان بألف غازي محمودي[3].

ب– تنافس الخلفاء والسلاطين على الخطاطين :

[1]–.محمد بن سعيد شريفي ، م.ن، ص 200

[2].بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ص 434.

[3]السباعي ، رسالة اليقين مخطوطة ص : 22–26 ، نقلا عن محمد بن سعيد شريفي ، اللوحات الخطية في الفن الإسلامي ، ص38

ولقد أدى اهتمام السلاطين في الخلافة العثمانية بالخط والكتابة إلى التنافس على الخطاطين و إغداق المال عليهم وتقريبهم، وكسب الموالاة لهم، ولكن ذلك أدى في بعض الأحيان إلى التحاسد، وجلب العداء، "فمهنة الخطاطين تقتضي العمل في دواوين السلاطين، ومراكز الخلفاء، والاتصال بهم يوردهم أحيانا موارد التهلكة، فإن شعور الحكام بمراتبهم، وسطوتهم، واعتزاز الخطاطين بقدراتهم ومواهبهم، يؤدي بالعلاقات بينهم إلى الالتحام، ثم الانتقام ومثال لذلك ما جرى لأشهر الخطاطين الوزير ابن مقلة(328-940) فقد قطعت يمينه ولسانه، ومات في سجنه بعد العذاب والوحشة".[1]

وقد حدثت أمثلة في التاريخ تبين مدى مكانة الكتاب والخطاطين في دواوين السلاطين ومعاناتهم، فقد يخطؤون في كتابة الرسائل، أو قد يفضلون طرفا على طرف، فقد تقع المآسي، وقد تفضي إلى القتل، فتذكر كتب التاريخ أن مأساة وقعت مع أكبر خطاط في قلم التعليق، و هو عماد الحسني (اغتيل سنة1024هـ-1615م)، كان من أسياد قزوين، فقد بلغ مبلغا عظيما في الخط، وامتاز بأسلوبه الخاص مع الدقة المتناهية في تنفيذ أعماله، و كان يتمرن ليل نهار ولعكوفه على الكتابة، وانشغاله بها لا يتسع وقته لحلق شعر رأسه سوى مرة في كل ستة أشهر.وأشهر سبب لاغتياله، أن عباس الأول، فضل عليه الخطاط على رضا عباس، وذهب إلى أن أمسك له المشعل يوما وهو يكتب في محضر عماد، وسماه كاتبه الخاص، وأمين مكتبته، ولم يتحمل عماد هذه المحاباة، فاستشعر بنسبه وهو من الأشراف، وبتفوقه في الخط، فكتب أشعارا بها تورية تعرض بالشاه، فما كان من الشاه إلا أن بعث إليه أعز أصدقائه يدعوه إلى العشاء عند أحد الكبراء، فسطا عليه قطاع الطرق، وقتلوه، وقطعوه أشلاء ولما

[1]ابن خلكان أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر ، وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان ، مصر ، مكتبة النهضة المصرية ، 1949 ج4، ، ص 198 ، ــ الثعالبي أبو منصور عبد الملك بن محمد ، ثمار القلوب في المضاف و المنسوب ، مصر ، مطبعة القاهرة ، 1908، ص 167نقلا عن محمد بن سعيد شريفي ، اللوحات الخطية في الفن الإسلامي، ص38

سمع جهانكير بن أقبار المغولي (1559-1627م) بما حدث بكى حزنا عليه وقال :" لو أن الشاه بدل قتله سلمه لي، كنت فديته بوزنه ذهبا "[1]

ج- امتداد اهتمام الخلافة العثمانية بالخط خارج مقر الخلافة :

لقد امتد الخلافة العثمانية مشرقا ومغربا، ولقد كانت المنقد في فترات للعديد من الشعوب العربية الإسلامية من الغزو الأوروبي في حوض المتوسط، ولقد كان الحكام في هذه المناطق يدينون بالولاء للخلافة، ورغم ذلك نلاحظ الاستقلال االشبه كلي لبعض المناطق في تسيير الشؤون الداخلية، ورغم ذلك فإن الاهتمام بهذه الإيالات بقي مستمرا، فقد اهتم الخلفاء بالخط وتطوير الدواوين داخل الخلافة وخارجها، ومما يذكر في اهتمام السلاطين بالخط: أن تسعة أو عشرة من السلاطين العثمانيين كانوا يجيدون الخط. ويمثل الخطاط في الدولة ما يمثله الرسامون المبدعون في عصرنا من ناحية الشهرة، وكان الخط هو الفن الأسمى عند المسلمين، فلا يخلو بيت تركي من لوحة خطية، والناس على دين ملوكه؛ بل صارت مدينة اسطنبول متحفا مترفا بفن الخط"[2] ويتضح لمن يزور آثار اسطنبول اليوم وفرة الإبداع الخطي في العمارة المدنية والدينية، فما من بناية إلا ونجد فيها زخارف خطية في جدرانها وأعمدتها ومكوناتها العمرانية وقد انتشر هذا الاهتمام إلى خارج مركز الخلافة الإسلامية، فكان السلاطين يرسلون إلى الولايات بعد تنصيب الحاكم هيئة تقوم بشؤون الدولة." وكانت المكاتبات من ديوان مركز الخلافة الإسلامية إلى الأقاليم المترامية أعظم وسيلة لإشاعة الخط الجميل وبالتالي غدت دواوين الحواضر تبعا للأصل في اختيار أبرع الخطاطين للقيام بمهام الديونة، وصار تقدير الخط الجميل والاهتمام به إرثا جاريا حتى العهود المتأخرة في كل الأقطار التابعة للخلافة.وسأبين لاحقا من خلال الآثار الجزائرية في الفترة العثمانية كيف أن الكتابة الديوانية عرفت تطورا كبيرا وأن الرسائل التي كانت ترسل كانت بخط جميل جدا – وهذا ما لاحظه

[1] هيار، الخطاطون ، ص 239،نقلا عن محمد بن سعيد شريفي ، اللوحات الخطية في الفن الإسلامي ، ص38

[2] –محمد بن سعيد شريفي ، م.س، ص 200

في الأرشيف الوطني – يبين ذلك مدى اهتمام الحكام بالخط والكتابة وإشاعتها بين الناس الأمر الذي جعل أحد الفرنسيين يقول بعد الاحتلال مباشرة أنه لم يجد من لا يقرأ في الجزائر غداة دخول الفرنسيين. كلهم يكتبون ويقرأون.

يمكن أن تعتبر الفترة العثمانية فترة محافظة على الخط العربي، إذ يرجع لها الفضل في الذب عن حمى المسلمين وثغورهم، خاصة لما تكالب الصليبيون على أراضي المسلمين في أراضي الأندلس وحاولوا مرارا غزو المغرب العربي، فما كان من العثمانيين إلا أن مدوا يد العون لإخوانهم للمحافظة على الإسلام في ديارهم، بل وعملوا على نجدتهم خاصة في بلاد الأندلس التي كانت لها حضارة لا تزال شواهدهابارزة إلى اليوم تجليها لنا الكتابات الأثرية على الجدران والأبواب والمنابر والمحاريب والأواني والألبسة.كتبت على الخزف والخشب والنحاس والرخام وعلى الأوراق وغيرها من المواد التي احتفظت بجمالية الخط العربي.

إن اتساع الرقعة الجغرافية للخلافة العثمانية أدى إلى امتزاج العديد من الأعراق في بوتقة الإسلام والعروبة، وأحبوا اللغة العربية كونها لغة القرآن، لهذا أدى التمازج إلى "تطور الخط العربي في العصر العثماني وتلاعب الخطاطون الأتراك (وغيرهم) بالحروف والخطوط فابتكروا الأشكال المتنوعة على هيئات آدمية وحيوانية ونباتية كما أبدعوا في الأشكال المقلوبة واخترعوا خط الطغراء الذي هو توقيع السلطات العثمانية في الأصل، ثم طوروه ليصبح شكلا فنيا استوعب الآيات القرآنية والأحاديث النبوية"[1].

د- إتقان العثمانيين للخط العربي :

لما كان اهتمام السلاطين بالخط العربي كبيرا أنشأوا له المدارس و أغدقوا على الخطاطين الهبات ، الأمر الذي دفع بالعديد من الفنانين إلى الاهتمام به و إجادته و تعلمه ،و أعتقد أن

[1] مدخل إلى فن الخط العربي ، فضيل صفار رمالي ، ص36-37.

ما قرره كارل بروكلمان في تاريخه عندما نص "أن العثمانيين امتازوا بالجلد و نزعة إلى الإتقان هما صفتان من أولى الأسباب في النبوغ الفني"[1] .فطبيعة الأتراك هي الصرامة، والناظر في الآثار العثمانية يتبين له تلك العظمة والأبهة والدقة في الهندسة والإنجاز. فمنذ أن أصبحت إسطنبول مركزا للخلافة الإسلامية صارت أعظم منتج للخط الجميل يأوي إليها أبرع الخطاطين لتقدير الخلفاء لهم، ولاعتدال هوائها الذي يساعد على الإنتاج[2].

لقد برع العديد من الخطاطين في فترة الخلافة العثمانية، وأنشئت المدارس كما أسلفت، وصار عددهم كبير جدا. يقول الأستاذ أرسفين " الخط كالرسم والموسيقا يتطلب استعدادا خاصا، ليس في متناول كل الناس، فمن بين الخطاطين الألف من الأتراك لا نستطيع أن نعتبر منهم سوى عشرة يمتازون بجمال الخط وأصالته " [3]

وهذا يبين عدد الخطاطين في الدولة العثمانية وأنه عدد كبير جدا ومنهم المتقن للصنعة ومنهم غير ذلك، لكن انتشار الخط أمر واضح للعيان في الآثار العمرانية والمنقولة إلى اليوم.

ذكرت سابقا أن الخطوط العربية متنوعة تنوعا كبيرا، وكل نوع يمتاز بخصائص جمالية وفنية معينة، بل نجد أحيانا هذا التنوع ضمن النوع الواحد من الخطوط كالخط الكوفي، والنسخي اللذان ينقسمان إلى أنواع الخطوط وقد استمرت نفس الأنواع من الخطوط السابقة في العصر العثماني"[4]

لقد اهتم الأتراك العثمانيون اهتماما عظيما بالخط العربي الذي ورثوه عن أسلافهم من الأمم الإسلامية التي دخلت في ملك دولتهم وخضعت لسيادتهم وورثوا هذا الفن ناضجا مستويا وخطوا به خطوات واسعة إلى الأمام فلقد عرفوا جميع أنواع الخطوط العربية السابقة

---

[1]–بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ص 486.

[2]–محمد بن سعيد شريفي ، ص : 201

[3]أرسفين جلال أسعد ، الفنون الزخرفية التركية ، ص ، Arseven Celale Esad,Les arts decoratifs turcs,ed milli egitime,Istambul,1939,p314

[4]–عبد العزيز لعرج ــ الزليج ..ص 248

واستعملوها في حياتهم وفنونهم كالخط الكوفي وخط الثلث والنسخي والتعليق والديواني وخط الرقعة"[1]. لقد استمرت نفس أنواع الخطوط السابقة عن الفترةالعثمانية فيجميع المدن التي كانت تحت سلطه الخلافةالعثمانية وقد ابتكر الفنانون الأتراكأنواعاأخرىخاصة بهم وطوروا من الخطوط المحلية في المدن على غرار الخط الأندلسي والخط المغاربي والخط الجزائري القندوسي وغيرها وكتبوا بها عده مخطوطات كما أنهم نظروا إلى فن الخط نظرة تقديس جعلتهم يهتمون به ويعملون على تطويره تطويرا كبيرا حتى بلغ قمته على أيديهم،ولم يكونوا في ذلك أقل سموا من العرب كما عرف الأتراك جميع أنواع الخطوط العربيةالسابقة واستعملوها في حياتهم وفنونهم كالخط الكوفي وخط الثلث والنسخ والتعليق والديواني وخط الرقعة[2]. وقد ذكرت سابقا اهتمام الأتراك العثمانيين بالدين الإسلامي"ويتضح إجلالوتقدير الأتراك للخط العربي من استعمالهم له كجانب زخرفي في العمائر والفنون التطبيقية من بينها البلاطات الخزفية،كما ضمنوه معان جليلة تنم عن العاطفة الدينية والإيمان العميق،وخصوصا حين تستعمل في المباني الدينية من مساجد وأضرحة، كما تتجلى عاطفتهم الدينية وإيمانهم العميق فيما ضمنوه في الكتابة من صيغ دينية مختلفةوأشعار صوفية مثلما يتضح في كتابات بلاطات الزليج من النوع التركي التي تكسو الحوائط الداخليةلضريح سيدي عبد الرحمن بالجزائر العاصمة[3]وقد فصل فيها الأستاذ عبد العزيز الأعرج رحمه الله في رسالته الزليج في العمارةالإسلاميةبالجزائر في العصر التركي .

و- انتشار الخط في أوروبا

لقد انتشر الخط العربي في بلاد المشرق، وقد وصل مع الفتوحات إلى بلاد أوروبا من منافذ عدة، فقد دخل عن طريق آسيا الوسطى مع الفتوحات العثمانية في القسطنطينية وعن طريق

---

[1]-.محمد بن سعيد شريفي ، ص : 202

[2]- عبد العزيز لعرج، ص 248، محمد عبد العزيز مرزوق ،الفنون الزخرفية الإسلامية في العصر العثماني ،ص 175

[3] -عبد العزيز لعرج ،ص 249

الأندلس غربا بعد الفتح الإسلامي وانتشار المكتبات والجامعات والمدارس وانتشار التعليم والتحاق الأوروبيين بها ونقلهم للعلم بالخط العربي إلى بلدانهم، وكذلك عن طريق صقلية ومنها إلى ايطاليا وغيرها.

وتؤكد كتب التاريخ ازدهار أوروبا بعد دخول العرب والمسلمين إليها وحملهم شتى صنوف العلم والثقافة.

وتؤكد الآثار الموجودة بوضوح في جدران الكنائس وأبواب القصور آثار الخط العربي فيها وهذا ما يؤكده مارسيه: "لقد كانت الحضارة العربية الاسلامية شديدة التغلغل في عالمنا حتى العناصر الاسلامية طغت منذ نهاية القرن الحادي عشر في واجهات الكنائس الرومية ، ثم رأيناها فيما بعد تختلط في الكنائس القوطية مع العناصر الواردة من فرنسا"

والكل يعلم بما قدمته الأندلس واسطنبول لأوروبا من أجل الحضارة الحديثة.

3ــ أنواع الخط العربي:

خضع الخط العربي لتجارب ومحاولات عديدة في قرون وسنين متعاقبة ليصل إلى ما وصل إليه من النضج والجمال والكمال في شكله وتجلياته، وفي هذا البحث نلمح إلى أهم الأنواع لهذه الخطوط.

1- **الخط الكوفي:** هو أقدم الخطوط وأساسها، انطلق من الكوفة فارتبط اسمه بها نسبة لها، ومن ثم انتشر في أرجاء الوطن العربي كافة وهو أساس الخطوط العربية، ويصفه مؤرخو الخط العربي على أنه خط كان يعتمد في تركيبته الشكلية على الخطوط المستقيمة القاسية، كتبت به المصاحف ويستعمل في الكتابات الزخرفية الكبيرة والعناوين، وله عدّة أنواع ورد ذكرها في كتاب "الخط العربي الكوفي لحسن قاسم حسن[1] نذكرها باختصار:

[1] فضيل صفار رمالي: مدخل إلى فن الخط العربي، ص 47، عمار محمد النهار. محمد شعلان الطيار، الحضارة العربية الإسلامية، ص 373- 376.

- الكوفي البسيط، الكوفي المورّق، الكوفي المزهر، الكوفي المضفور، الكوفي الهندسي (المربع)، الكوفي الصوري. وهناك تسميات أخرى للخط الكوفي منها: القيرواني (المغربي)، الأندلسي، القرطبي، الشامي، الموصلي، النيسابوري، الفاطمي، الأيوبي....

2-خط النسج: ويعرف أيضا بالخط النسخي، انتهى إلى عرب الحجاز، أوجد قواعده ابن مقلة ، وقد اشتقه من الخط الكوفي الذي كانت تكتب به المصاحف، وسماها البديع، وهناك من يرى أنه اشتقه من الخطين الجليل و الطومار، لكن الظاهر أنه مشتق من الخط الكوفي، وسمي بالنسخ لاستعماله في نسخ القرآن الكريم والكتب والمؤلفات وقد تطور في العهد العثماني وزيد في تحسينه على يد "مصطفى راقم" و"الحاج أحمد كامل "حتى وصل إلى ما هو عليه الآن من حسن وجمال[1].

ويتميز خط النسخ بسهولة قراءته وزيادة وضوحه وليونته التي تطغى على اليد أثناء كتابته.

3-**خط الثلث:** خط جميل كتبت به المصاحف واختلف الباحثون في أصل تسميته وفي معناه، قيل أنه من الخطوط المستقيمة، قطع منها الثلث فسمي بالثلث[2]، وذكر أنه منسوب إلى خط الطومار[3]، ويذكر القلقشندي أن قلم الثلث نوعان:

قلم الثلث الثقيل وقلم الثلث الخفيف.

وقد استعمل خط الثلث في تزيين القباب والمحاريب بالمساجد، "وقد تطور عن خط الثلث مجموعة من الخطوط منها[4] : المحقق، الريحاني، خط التوقيع، الرقاع، خط

[1] فضيل صفار رمالي، مرجع سابق، ص 77.

[2] من الأراء البارزة في تسميته بالثلث ما بني على أن تطور الحياة الإجتماعية وما تبعها من توسع في أوامر الخليفة ولّد ضرورة جعل قطة القلم أقل عرضا مما كان معمولا به في خط الطومار، أي ان قلم الطومار عرضه 24 شعرة من شعر ذيل البرذون (نوع من الأحصنة)، وهو ما تطلب جعل القطة تنزل إلى 16 شعرة فأصبح هناك قلم الثلثين، تم قلم النصف بمقدار 12 شعرة، وأخيرا انقص حتى بلغ 8 شعرات حوالي (3 ملم) فسمي بقلم الثلث، لان 8 ثلث 24، وبعدها أصبح يطلق الأعم على النوع بصرف النظر عن عرض قطته، محمد فضل صفار رمالي، ص 79.

[3] عادل الألوسي، الخط العربي نشاته وتطوره، ص 49.

[4] الحضارة العربية الإسلامية، ص 379- 380.

الثلثين، الخط المسلسل ويسمى بالمترابط، خط الثلث العادي، الثلث الجلي، الثلث المحبوك، خط الثلث المتأثر بالرسم، خط الثلث الهندسي، خط الثلث المتناظر.

4- **خط الطومار:** ويعني خط الصحيفة، ويتميز بضخامة الحجم ووضوح المعالم، ودقة النهايات، ويصلح للوحات الكبيرة والكتابة على الجدران، تقدّر مساحته ب 24 شعرة البرذون.

5- **خط التعليق:** يتميز بجماله ودّقة امتداد حروفه وطواعيتها بيد الكاتب، شاع منذ القرن الثالث الهجري وعرف هذا الخط فيما بعد بالنستعليق وهذا لجمعه بين خطي النسخ والتعليق[1].

6- **خط الرقعة:** شاع خلال الفترة العثمانية، وسمي بالرقعة نسبة للرقعة وهي قطعة من الورق يكتب عليها ولا علاقة لهذه التسمية بخط الرقاع القديم، ويستعمل في عناوين الصحف والكتب والمجلات واللافتات[2].

7- **الخط الديواني:** يسمى بذلك نسبة إلى استخدامه في دواوين السلطة العثمانية لكتابة البلاغات والكتب الرسمية وهو نوعان: الخط الديواني الجلي والخط الديواني الجلي الزورقي[3].

8- **خط الإجازة:** خط الإجازة أو التوقيع، خط قديم اشتق من خطي الثلث والنسخ، وسمي بذلك نسبة للشهادة الممنوحة من المعلم للطالب، فتكتب بها الشهادات.

9- **خط التعليق أو الخط الفارسي:** يتميز بالإنسيابية والرشاقة الليونة.

10- **خط الطغراء:** وهو نوع من الكتابة التقليدية والتوثيقية على شكل توقيع للسلاطين العثمانيين، ويتميز بوجود ألفات ثلاثة ولامات ثلاثة، وقبضة كقبضة الإبريق

[1] م. ن، 381.
[2] فضيل صفار رمالي، ص 82- 83.
[3] م. ن، ص 82- 83.

وفم، وأصل كلمة طغراء مغولية، وأول من استخدمه السلطان المملوكي محمد بن قلاوون والسلطان العثماني مراد الأول[1] .

11- **الخط القيرواني (المغربي):** ينسب هذا الخط إلى بلاد المغرب الأدنى والأوسط والأقصى، ويدخل ضمن جماليات الفنون المغربية كفن النقش على الجبص والخشب والفسيفساء والنحت على الأحجار، ويطلق لفظ المغربي للتمييز بينه وبين الخط المشرقي، وينسب من حيث الأنواع إلى بيئاته وأقاليمه فيقال القيرواني والجزائري والفاسي والأندلسي والقرطبي[2].

ويذكر محمد بن سعيد شريفي في كتابه خطوط المصاحف عند المشارقة والمغاربة من القرن الرابع إلى القرن العاشر الهجري نوعين من الخطوط المغربية: المبسوط والمجوهر[3].

الخط العربي والزخرفة:

بعد تطور الحضارة العربية الإسلامية وانتشارها مشرقا ومغربا، ومن منطلق العقيدة الإسلامية، انتشر الخط العربي، فبعد أن شاع استعمال الورق تطور الخط ودخل مرحلة الإبداع مع ازدهار الحضارة العربية، فنجد الخطاطين يختارون الخامات التي تتفق ومهارة ما ينتجه الصناع من أعمال راقية من أنفس الأعمال من التحف والهدايا والصناعات الفنية.

فنجد الزخرفة بالخطوط على الأجر والحصى والرخام، كما نجدها على الخزف، واتسعت الزخارف الخطية لتشمل الخشب والمعادن من حديد ونحاس وذهب وغيرها. كما نجد الخطوط منتشرة في النقود وفي النسيج.

[1] الحضارة العربية الإسلامية، ص 381.
[2] فضيل صفار رمالي، ص 88.
[3] م. ن،

يعد الخط العربي أهم عنصر من العناصر الزخرفية في الفنون الإسلامية، وذلك لكراهية الإسلام للصور الآدمية والحيوانية، خشية مضاهاة خلق الله ورغبة في ملء أسطح المواد.

وقد تعاون الخطاطون مع الفنانين في إخراج أعمال فنية وتحف ثمينة تداخل فيها الخط بالزخرفة، وارتقت أعمالهم بفضل التعاون الفني.

ولهذا صارت للزخارف الخطية أهمية خاصة في ظل الإسلام من منطلق المعجزة الخالدة القرآن الكريم، حيث أصبحت تلاوة القرآن وكتابة آياته من أعظم الوسائل التي يتقرب بها إلى الله، ومن ثم كان من البداهة أن تحلّ الآيات القرآنية في المساجد محل الصور التي نراها في الكنائس، وهكذا أصبحت مهمة الخطاط أشرف المهن.

لقد درج الخط العربي في مشارق الأرض ومغاربها على التطور وابتكر الخطاطون عديد الأنواع واستعملوا عديد الأدوات وكتبوا على العديد من المواد فخلفوا ثروة فنية لاتزال المتاحف تحتفظ بها شهادة على عظمة الحضارة العربية الإسلامية وعلى عظمة العقل البشري العربي الإسلامي.

4- الخط والكتابة الأثرية:

الكتابة وأهميتها:لقد كانت الفترةالعثمانية فترة حماية من التدخلات الأجنبية حيث شكلت الهجومات الأوروبية على السواحل الجزائرية الميزةالأساسية لهذه الفترة،وقد واجه الجزائريون هذه الحروب أكثر من 300 سنة حسب ما ذكره أحمد توفيق المدني[1] وغيره، ولكن الداخل الجزائري كان ينعم بالحرية والاستقرار الثقافي ولهذا شكلت المراكز الثقافية

[1]أحمد توفيق المدني ، حرب 300 سنة ، دار الأصالة ، الجزائر .

دورا كبيرا في تطور الكتابة وكان الخط والنقش و الكتابة في هذه الفترة منتشرا حيث يذكر بعض المؤرخين أن الأمية كانت تكاد تكون شبه منعدمة غداة الاحتلال الفرنسي.

والكتابة وسيلة من وسائل التعبير الجمالية في الجزائر خلال الفترة العثمانية حيث لعبت دورا بارزا في إظهار المواهب الفنية المحلية فقد اشتهرت مثلا أسرة ابن صارمشق التلمسانية بنقش الكتابات على مختلف العمائر والمعالم بالمنطقة كما نجد من النقاشين أيضاالأسطى حسين وعلي بن محمد التونسي، واحمد بن عمر التونسي، وإبراهيم الحركاتي من مدينه الجزائر الذي نقش الآيات المحفورة في جامع كتشاوة، والمعلم اللبلابشي الذي نقش باب جامع علي بتشين[1] وانتشر الخط والكتابة على أيدي العديد من الخطاطين في الشرق أيضا حيث يذكر سعد الله أنه بمدينه قسنطينه اشتهر بعض الخطاطين منهم :أبو عبد الله بن العطار الذي كان من أسرة شهيرة تولت الوظائف الرسمية في العهد العثماني،وقد عرف هذا الأخير بجودة خطه، وكان يقصده العام والخاص في تدوين الوثائق والعقود،وكذلك اشتهر الشيخ إبراهيم الحركاتي كان مدرسا بالمهنة، وأصبح مشهودا له بجودة خطه كما اشتهر محمود الزياني بالنساخة حتى أصبح له فيها مهارة وطاقه كبيرة، ومحمد التليلي الذي كان بديع الخط سريع اليد.[2]

وهذا بين أن انتشار الخط العربي في الفترةالعثمانية بالجزائر كان له دورا بارزا في بقاء العديد من التحف ولكن تجدر الإشارة إلىأن الخطاط تختلف مهنته من ماده إلى أخرى ، فقد يكون الخط في النسيج أو الجلد أو التحف المعدنية يختلف على غيرها من الرخام والجبس

[1] –ابو القاسم سعد الله،تاريخ الجزائر الثقافي ،ج2، ص 248

[2] – سعد الله ،تاريخ الجزائر الثقافي ،ج1،ص 290

والخشب، فهذه مهنة الحرفيين الرئيسية بينما نجد جودة الخط في الدواوين وكذا المخطوطات وفي المصاحف ولا تزال هذه الأخيرة شاهدة على جودتها ورونقها إلى اليوم[1].

أ-أساليب تنفيذ الكتابات:

يعتبر الخط من الفنون العربية التي عرفت انتشارا واسعا في الفترةالعثمانية والمتتبع للمخطوطات والمعاهدات والمصاحف يتبين له اهتمام الجزائريين بالخط خاصة في عقود الأوقاف والزواج والبيع والشراء وغيرها.وهذه الكتابات لها أقلامها وقراطيسها وأوراقها.

وكانت هناك كتابات أثريه جعلها أصحابها على المعادن والخشب والرخام والجلود وغيرها والكتابات على هذه المواد تختلف عن الكتابات على الأوراق من حيث الأداء ومن حيث المواد، وقد لعب هذا النوع من الفنون دورا هاما في الجزائر خاصة منذ بداية القرن السادس عشر حيث أضفت تلك الكتابات و الزخارف بمختلف أساليبها ومضامينها طابعا خاصا زاد من زينةالتحفة من رفوف وموائد وأواني ومرايا ودرابزينات وصناديق وسقوف وغيرها[2].

ومن خلال البحث يتبين أن أساليبالكتابة على الأخشاب والجلود و المعادن وغيرها تختلف من نوع إلى آخر، هناك ما هو مشترك وهناك ما هو خاص بمادة من المواد، ولا يمكن التفصيل في هذا الموضوع ولكن يكفي أننشير إلى أهم الأساليب والتي نشير إليها في مضامنها عند الحديث عن التحف والأمثلة المختارة.

ويمكن أن نذكر أهم الأساليب في تنفيذ الكتابات باختصار:

- أسلوب النقش : يتم بإزالة جزء خفيف من الرخام أو المعدن أو الخشب بواسطة آلة حادة

[1] فيصل نايم ، فن تجليد وتذهيب مصاحف الجزائر في العهد العثماني ، موفم للنشر ، الجزائر ، 2015 حيث تطرق في الاطروحة إلى موضوع مهم جدا يعبر عن انتشار الثقافة و الفنون في المخطوطات خاصة المصاحف

[2] - نفسه ، ص169

– أسلوب الحفر :وهو ضرب من الزينة تنقش فيه الكتابات والرسوم ومختلف الزخارف على أسطح مختلف الخامات كالعاج والزجاج والمعدن والحجر والرخام ونحوها [1]

– الحز:هي إزالة جزء بسيط من الحامل ويستعمل غالبا مع الأساليب أخرى كالحفر مثلا.

– التقريع والتخريم:وهذا الأسلوب واسع الاستعمال في الجزائر في الفترة العثمانية

– الطبع والتكفيت: حيث تنقش الكتابات على أداة صلبة وتكون محفورة ومقلوبة ويطبع بها على التحفة وتكون لينة فتظهر الكتابة بارزة ومعتدلة.

– التكفيت: وهو أسلوب يستعمل في التحف المعدنيةالنحاسيةأوالبرونزية ويكون التكفيت بمعدن الفضة وهو سائل بعد أن يملأ أو يكفت المساحة الداخلية

– أسلوب النيللو: استعمل هذا الأسلوب بكثرة في الفترة العثمانية وهو عبارة عن خليط مذاب بين الفضة والنحاس والرصاص مع الكبريت ويوضع في الأماكن التي حزت في التحفه ثم توضع التحفه ككل في الفرن.

– التطريق والضغط :وغالبا ما تكون عند الحرفيين والنحاسين

– الصب:ويكون بصهر المعدن وصبه على القوالب المصنوعة من الرمل أو الجبس أو الخشب أو غيره.

– أسلوب الصبغ: ويكون بالدهن على مواطن الكتابات وقد كان منتشرا بكثرة في الفترة العثمانية خاصة في التحف الخشبية كالصناديق والرفوف والأبواب والمنابر وغيرها[2]

– الكي : وهو نوع يستخدم على الخشب وكذلك على العاج.

الترصيع والتطعيم:إضافة مادة ثمينةإلى التحفة وقد انتشرت في الجزائر في الفترةالعثمانية في أشكال مختلفة وكانت الكتابات من العناصر الزخرفيةالمهمة التي تنفذ بهذه الطريقة وقد

[1] –محمد رزق عاصم ، الاندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين 17/16 ، ط 3، الدار البيضاء 1993، ص82

[2] – شريفة طيان ،الفنون التطبيقية ،ص 124

كان الخط الكوفي وخط الرقعة من أنماط الخطوط المميزة على هذه النوعية من المنتجات والتي يسهل تشكيلها بهذه التقنية[1]

ب-الكتابات الأثريةأهميتها وقيمتها التاريخية والثقافية:

يمكن اعتبار الكتابة من أهم الإنجازات الحصرية التي توصل إليهاالإنسان كونها وسيلة نقل المعلومات والمعارف من شخص لآخر ومن زمن لآخر بواسطتها يضمن الشخص وصول ما يريد إلى غيره وبواسطتها يمكن كذلك حفظ ما يريد من المعلومات والمعارف إلى الأجيال القادمة[2] فالكلام يبقى صوت فيزيائي ينتهي بسماعه من المتلقي ولكن الكتابة هي التي تضمن بقاء ما يقال، ونذكر ما قاله ابن خلدون في المقدمة:"أنالكتابة رسوم أشكال حرفية تدل على الكلمات المسموعة الدالة على ما في النفس وهي من خواص الانسان التي يتميز بها عن الحيوان،وأيضا فهي تطلع على ما في الضمائر وتتأدى بها الأغراضإلى البلاد البعيدة، فتقضي الحاجات ويطلع بها على العلوم والمعارف وصحف الأولين وما كتبوه من علومهم وأخبارهم، فهي شريفة بهذه الوجوه والمنافع، وخروجها في الإنسان من القوه إلى الفعل إنما يكون بالتعليم،وعلى قدر الطلب في ذلك تكون جوده الخط"[3]

وقد تقدم الحديث عن تاريخ الخط وتطوره في الإسلام والبلدان الإسلامية واهتمام المسلمين بالكتابة العامة والكتابة الأثرية لا سيما في الفترةالعثمانية والتي تطورت الفنون فيها في شتى المدن العربية بالشام والعراق ومصر وليبيا وتونس والجزائر،وهنا يمكن القول أن الطابع الديني الذي كسى التصوير أدىإلى تطوير الخط والكتابة وجعلها في لوحات فنيه لا تزال شاهده على إبداع العقل المسلم لاسيما بعد عزوفه عن الفنون التصويرية والتجسيمية.

---

[1] – محمد عبد الستار عثمان ،ادوات الكتابة بين النشأة و التطور،مجلة مقاليد عدد 6،الملحقة الثقافية السعودية بفرنسا ،ص 221 ، للاستزادة ينظر سمير بوطيش ، الخطوط والكتابات الأثرية ..رسالة دكتوراه ، الجزائر2 ، 2019، ج1،

[2] – احمد هبو ، الابجدية ،نشأة الكتابة و أشكالها عند الشعوب ،اللاذقية،1984،ص 6

[3] – ابن خلدون ،المقدمة ،ص 181

لقد ظهرت الكتابة الفنية في الفنون التطبيقية فنفذت على مختلف الآثار والتحف مستخدمة كل الأساليب حسب المادة التي نقشت عليها من تطريز وطبع وخز وكتابه ونحت ونقش وحفر وطرق وتخريم وتكفيت وطلاء وتطعيم وتذهيب ،كما يمكن أن نجمع بين أسلوبين أو أكثر في تحفه واحدة.

ولهذه الكتابات أهمية كبرى حيث تدرس من حيث الجودة الفنية والابتكار والإبداع الفنيين مما تبين حضارة الفترة والقيم الاجتماعية الموجودة، كما أن لها أهميتها من حيث مضمون الكتابة، فهي وثيقة تاريخيه شاهده يدرسها المؤرخ والأثري وعالم الاجتماع وعالم النفس والجغرافيون والمهندسون، كما تدرس من النواحي اللسانية من حيث التراكيب اللغوية ومن حيث المضامين اللغوية.

والكتابات مفيدة جدا لعلم الآثار والتاريخ من عدة نواحي فهي كثيرا ما تفيد في تأريخ الأثر وتدلنا على صاحب العمل وعلى صاحب التحفة وعلى مكان صناعته. كما أن تأريخ تحفة من التحف يساعد على تأريخ تحفة أخرى غير مؤرخة وذلك عن طريق المقارنة. وكذلك مكان الصناعة يفيد على التعرف على المراكز الصناعية وتأثرها ونشأة صناعة معينة في أماكن معينة.هذا أضافة على المساعدة على معرفة أهم منفذي تلك الكتابات وهل هم الصناع أنفسهم أم أنهم كانوا يعهدون بها إلى أشخاص آخرون. [1]

وللكتابات الأثرية قيمة تاريخية وثقافية أيضا فهي تعبر عن مدى التطور الثقافي بالمدينة التي وجدت بها هذه الكتابات، كما أنها تعتبر ذات قيمة تاريخية من حيث التأريخ لمنطقه ما وكل أمة تأخذ قيمتها من الثرات الأثري والوثائقي الذي تملكه، وتبرز تلك القيمة إذا حظي ذلك التراث بالعناية والحفظ والصيانة والترميم.فتتحقق حينذاك فائدته من حيث أنه يمثل مرجعية للأمة ومن حيث أنه يشكل ثروة معرفية وعلمية وتاريخية وجمالية.

[1] حسن الباشا موسوعه العماره والاثار والفنون الاسلاميه الجزء الاول بيروت 1999 صفحه 220

ج-لغة الكتابات الأثرية في العهد العثماني:

المتتبع للآثار العثمانية وللكتابات في تلك الفترة يجد أن الجزائريين ركزوا أكثر على اللغةالعربية باعتبارها اللغة الأولى التي يتكلم بها أغلب السكان، وحتى وإن كان العثمانيون وهم قلة موجودون في الحكم يستعملون أحيانا اللغة العثمانية في بعض الأمور الإدارية، إلاأن استعمالهم للعربية جعلهم يندمجون مع الحضر والعرب والأندلسيين،وعليه اللغةالعربية في الكتابات الأثرية منتشرة بكثرة ولكن نجد اللغة العثمانية أيضا حاضرة في بعض الكتابات.

د- اللغة العربية:

تعتبر اللغة العربية هي اللغة الأصلية والمنتشرة في كل البلاد الجزائرية، حيث اضطر العثمانيون إلى تعلمها كذلك الأندلسيون المهاجرون إلى الجزائر كانت لغتهم العربية، كل هؤلاء انصهروا في الدارجة الجزائرية التي تستعمل أكثر الألفاظ العربية، فالقاموس المستعمل عربي خالص، وكذلك القواعد والقوالب الكلامية من حيث الصوت والصرف والنحو وحتى الأساليب البلاغية.

وعليه يمكن القول أن العربية كانت في الجزائر طيلة الفترة العثمانية وهي استمرار طبيعي لما قبلها من الفترات، وانتشرت بفعل التمدن الثقافيو انتشار المؤسسات الثقافية من مساجد ومكتبات وزوايا ومدارس وكتاتيب وغيرها.

ومن خلال التحف التي تم دراستها وكذلك الكتابات الأثرية، يتبين أن اللغة العربية هي الأكثر شيوعا وانتشارا واستعمالا.

وتجدر الإشارة إلى أن العديد من الألفاظ من لغات أخرى استعملت في اللهجات الجزائرية العربية مثل الاسبانية والتركية والأوروبية[1]

[1] -يمكن مراجعة رسالة ابن شنب في الموضوع

و-اللغة العثمانية:

اللغةالعثمانية هي اللغةالرسمية للبلاد،استعملها الأتراك فيما بينهم وكانت هذه لغة الأوجاق كما أنها كانت لغة للحديث أكثر منها للكتابة، فلا نجد أعمالاأدبيهأ وعلميه هامه أنتجت بهذه اللغة في الجزائر، وقد كان المسؤولون يتكلمون بها ويستعملونها في بعض الدواوين والمعاهدات وفي بعض السجلات والمراسلات[1] وكانت هذه اللغة خليط من العربية والتركية والفارسية، تكتب بالخط العربي ،حيث بقيت الحروف العربية مستعملة لغاية القرن العشرين أين استبدلت بالحروف اللاتينية.

ومن خلال تتبعنا للتحف والمنقولات واللوحات التذكارية نجد بعضها كتب باللغة العثمانية خاصة الإمضاءات والكتابات الوقفية وبعض الكتابات العسكرية وفي العيون، ولكنها تعتبر قليلة جدا مقارنة بما هو مكتوب باللغة العربية.

[1]- ابو القاسم سعد الله ،تاريخ الجزائر القثقافي ،1500-1830 ،دار البصائر ، الجزائر ،ج1،ص 194

الفصل الثالث:

الكتابات الأثرية العربية في العمارة الدينية بالجزائر في الفترة العثمانية بدار السلطان (الجزائر) وبايلك التيطري

واقع اللغة العربية في الكتابات الأثرية في العمارة الدينية بالجزائر في الفترة العثمانية

1-العمارة الدينية في الجزائر في الفترة العثمانية:

لدراسة الكتابات الأثرية نعرج باختصار عن العمارة الدينية فقد اهتم الجزائريون بالعمارة الدينية في الفترة العثمانية وما قبلها، سواء في المساجد أو الكتاتيب أو الزوايا أو غيرها فقد تشربت قلوب الجزائريين الدين الإسلامي، وصار الإسلام بالنسبة إليهم الروح التي تسكن أجسادهم، فللمسجد في الإسلام مكانة عالية، فهو بيت للعبادة ومركز للقاء المسلمين، ومدرسة للتعليم فللمسجد وظائف عديدة عرفها منذ مجيء الإسلام.

وعرفت الجزائر كغيرها من أمم الإسلام العمارة الدينية الإسلامية، واهتم الجزائريون ببناء المساجد، ومن نافلة القول أن نبحث في هذا الموضوع بهذا البحث، إذ تكفي الإشارة إلى أن هذه المساجد بأوقافها الكثيرة كانت مراكز للعبادة والتعليم بصفة عامة، كما أنها كانت منبعا رئيسا من منابع تعلم العربية ونشرها.

لقد عرفت الجزائر بسخاء أبنائها في بناء المساجد ومراكز التعليم مما جعلها تنتشر في ربوع الجزائر، فلا تخلو بقعة من أرض الجزائر من مسجد أو مدرسة أو وقف. "كان اهتمام الجيش الجزائري في العصر الحديث إبان الحكم العثماني بالمسجد كبيرا، حيث أن مدينة الجزائر التي لا تزيد مساحتها على 42 هكتارا، كان بها ما يزيد عن 120 مسجدا أو مصلى. والأكثر من هذا فإن جميع البروج والقلاع والثكنات قد زودت بمصليات داخلية مخصصة للحماية المشرفة عليها"[1] وهذا يوضح بجلاء اهتمام الجزائريين في الفترة العثمانية بالعمارة الدينية.وقد بين المؤرخون أن انتشار المساجد والزوايا والمدارس والمكتبات في الفترة العثمانية كان لافتا للنظر "فكل الذين درسوا موضوع التعليم في الجزائر غداة الاحتلال

[1]علي خلاصي ، القلاع والحصون في الجزائر –المنشآت العسكرية الجزائرية في العصر الحديث ، الجزائر ، مطبعة دالمان ، 2008، ص27.

اندهشوا من كثرة المدارس وحرية التعليم وكثرة المتعلمين، ووفرة الوسائل من أجل التعلم، كالمداخيل الوقفية، ومحلات الأوقاف أو الأجور العالية في المدن كما في الأرياف كان التعلم جزءً أساسيا من حياة الناس. كما اندهش أولئك من وفرة المدارس التي كانت تزيد ربما عن نسبة السكان"[1].

لقد تطورت المباني الدينية في الفترة العثمانية تطورا كبيراً ويمكن أن نجمل ما في العمارة الدينية في أربعة أقسام: المساجد والزوايا والمدارس والأضرحة وقد سبق أن فصلت في الفصل السابق مراكز الثقافة في الفترة العثمانية وبينت تفاصيلها.

وقد ذكرت الأستاذة خيرة بن بلة في أطروحتها للدكتوراه تطور العمارة العثمانية خلال القرن الرابع عشر وما بعده وبينت الطرز المنتشرة ودور سنان باشا الذي طور أسلوبا جديدا كليا في القسطنطينية والذي أوصل أسلوبه الجديد في العمارة إلى كل البلاد العربية، كما بينت خصائص عمارة المساجد العثمانية في البلاد العربية عموما[21]

ونظرا لكون الخلافة العثمانية ممتدة عبر البحر الأبيض المتوسط في الضفتين، فقد نقلت هذا التطور إلى بلاد مصر والشام والحجاز وتونس وليبيا والجزائروغيرها.

تبين الآثار الموجودة في العمارة الدينية بالجزائر أن هناك مزج بين أصالة البناء والتجديد فهناك عدة أنماط:إذ نجد الطراز المحلي والطراز الوافد الخالص، والطراز المختلط.

2-الكتابات الأثرية العربية في العمارة الدينية:

ذكرت سابقا مفهوم الكتابة والكتابة الأثرية وبينت أنواع الكتابات الأثرية وأهميتها في الثقافة بصفة عامة، ولدى المؤرخ وعالم الاجتماع والمهندس وغيرهم، إذ يحتاج هؤلاء إلى النتائج

[1]أبو القاسم سعد الله ، التاريخ الثقافي ، ج: 03 ، ص: 19.

[2]خيرة بن بلة ، المنشآت الدينية بالجزائر خلال العهد العثماني، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في الآثار الإسلامية ، جامعة الجزائر، 2008

التي يتوصل إليها عالم الآثار الذي يفكك الكتابات الأثرية ويعيد دراستها وتحيين مفاهيمها ومراميها. فالكتابات الأثرية تفيد في تاريخ الأثر، وتدلنا على صاحب العمل وعلى مكان الصناعة، كما أن تاريخ تحفة من التحف يساعد على تأريخ تحف أخرى غير مؤرخة، وكذلك مكان الصناعة يفيد على التعرف على المراكز الصناعية وتأثرها بصناعات أخرى، ونشأة صناعات معينة في أماكن معينة، هذا إضافة إلى المساعدة على معرفة أهم منفذي تلك الكتابات ومكانتهم ومحلات صناعتهم، بل تفيد في التعرف على ثقافتهم.

وقد قمت في هذا البحث بتقسيم الكتابات الأثرية وتتبع لغة كتابتها، وهي أنواع عدة وتنقسم إلى قسمين: الكتابات في الآثار الثابتة والكتابات في الآثار المنقولة.

الكتابات في الآثار الثابتة:ونقصد بها تلك العمائر الدينية أو المدنية أو العسكرية، فكثيرا ما نجد نقوشا تتضمن نصوصا دينية لها تاريخ انشاء عمارة ما أو تجديدها أو ترميمها أو توسيعها، وتسمى أيضا بالكتابات التأسيسية، وتكون في الغالب على الرخام أو الحجر وتوضع فوق المداخل الرئيسية، ويكون فيها أدعية وأبيات شعرية وتعبر في الغالب إلى صاحب البناء وتاريخه.

ويدخل أيضا في هذا القسم الكتابات الشاهدية وهي تلك الكتابات والنقوش التي تسجل على شواهد القبور والتي تساعد كثيرا في معرفة مكانة صاحب القبر وتاريخه كما تبين دراستها تتبع الألقاب والأنساب وكذلك تطور الكتابة والخط.

كما يدخل في هذا القسم كتابات الطرق وتعرف بأحجار المسافة أو علامات الطرق لإعلام الناس بمقدار المسافات بين المدن خاصة الحجاج.

الكتابات في الآثار المنقولة:وهي نقوش عادة ما نجدها في الأواني الفخارية والخزفية أو النسيج أو الخشب والمعادن والنحاس والذهب والفضة والعاج والزجاج وتكون في التحف الفنية أو نقوش السكة وغيرها.

3-اللغة العربية في الكتابات الأثرية في العمائر الدينية

اهتم العثمانيون بالعمارة الدينية في كامل أرجاء الخلافة، حيث تميزت العمارة لديهم بطابع خاص "وكل الكتابات التذكارية الخاصة بالمنشآت الدينية نقشت باللغة العربية، في الفترة العثمانية بالجزائر".

تنوعت الكتابات الأثرية في العمارة الدينية بين الكتابات التأسيسية من جهة والكتابات على المحاريب والأبواب والمنابر.كعناصر زخرفية كما نجدها في المآذن والقباب، وقد استعمل فيها أنواع عدة من الخطوط، فهناك الخط الحسن المجود ومنها المتوسط ومنها الأقل جودة والذي لا يعتمد قواعد فنون الخط العربي بأنواعه المختلفة كما تبين متابعتنا لهذه الكتابات استعمال الخطاط للعديد من الأساليب التقنية والفنية في تجسيد هذه الكتابات مثل الحفر البارز والنقش الغائر المحشو بالرصاص وغيرها.

وبينت هذه الكتابات العديد من الأسماء التي أوقفت هذه المساجد أو أعادت بناءها وترميمها كما بينت الأماكن الموجودة فيها، وتاريخ بناءها أو ترميمها، كما بينت ثقافة الفترة، حيث نجد العديد من الأبيات الشعرية أو الآيات القرآنية أو الأحاديث النبوية أو الأدعية المأثورة.

4 الاستعمار الفرنسي وهدم العمارة الدينية في الجزائر:

لقد تعرضت الجزائر لاستعمار استطاني في القرن التاسع عشر حيث عمل الاحتلال على استبدال ثقافة عربية إسلامية بثقافة فرنسية مسيحية، وتذكر المصادر التاريخية همجية الاحتلال في بداياته الأولى وتعامله مع الجزائريين وممتلكاتهم، حيث مارست القتل والتهجير والمصادرة،كما أنها تدخلت في الشؤون المدنية والدينية للجزائريين، حيث حرمتهم من حرية العبادة، وصادرت الأوقاف، وهدمت المساجد والزوايا والمدارس وحولت أغلبها إلى طبيعة أخرى.

ولـــما كـــانـــت الـــمســـاجـــد مراكز للتعليم والإشعاع الثقافي قام الاحتلال بإصدار تصنيف لهذه المساجد حسب أهمية المسجد والمدينة الواقع فيها وهي على النحو التالي:[1]

1- **الصنف الأول:** المساجد ذات المنارة الكبيرة.

2- **الصنف الثاني:** المساجد ذات منابر الخطب (الجمعة والعيدين).

3- **الصنف الثالث:**المساجد ذات المنابر الأقل أهمية.

4- **الصنف الرابع:** المساجد التي ليس لها منابر.

5ـ **الصنف الخامس:** الزوايا (المساجد التابعة لها).

لـــقد اعـــتمـــد **د.سعد الله** مـــراجـــع مـــتعـــددة في الجزء الخامس مـــن" التاريخ الثقافي" واتبع في تصنيف البنايات الـــديـنـــيـــة جـــغـــرافـــيـــا ثـــلاثـــة أصناف: بـــنايات إقـــليم الوسط (الجزائر) وبنايات إقليم الغرب (وهران) وبنـــايات إقـــليـــم الـــشـــرق (قسنطينة)، واتـــبـــع طـــريقـــة في ذلـــك حـــيث يـــذكر الـــبناية الدينية وحالتها وتاريخها إذا توفرت المعلومات عنها، وأوقافها إذا ذكرت إلى جانبها، ومصيرها بعد الاحتلال، وحكـــم **سعد الله** عن التقســـيم الـــفرنسي للمساجد بأنه اعتباطي حيث راعى الجانب المادي أكثر من الجانب الروحي، فبعد أن كان في الـــجزائـــر العاصمة أكـــثـــر من 150 مسجدا أصبح فيها تسعة مساجد فقط، ويعبر عن مآل المساجد قائلا: "وكم كانت في العاصمة من المساجد ذات الصوامع الكبيرة والجمـــيلة ولكنها هدمت أو حولت عن أغراضها مثل جامع **كتشاوة** وجامع **السيدة** "[2] .

ويـــنتـــقل إلى الـــشـــرق الجزائري لـــيـــبين أن قسنطينة هي الأخرى هـــدمـــت مـــساجدها حيث كانت عدة مساجد من الدرجة الأولى من التصنيف، لو أنها بقيت على

[1] ــ أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ،ج 4 ، ص : 389.

[2] ــ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج:04 ، ص :389.

حالها، وفي تلمسان لم يبق إلا **الجامع الكبير**، وقد كان في معسكر مسجد ذو منارة عالية أشاد به الفرنسيون"[1].

مآل هذه المساجد :

تنفيذا لسياسة الفرنسة شرعت الإدارة الاستعمارية في القضاء على هذه المراكز، فالبعض منها حولته إلى معاهد الثقافة الفرنسية، وبعضها سلمته إلى الهيئات التبشيرية المسيحية التي اتخذته مراكز لنشاطها في هدم عقيدة الجزائريين، والبعض الآخر قامت بهدمه تحت حجة إعادة تخطيط المدن الجزائرية، وعلى سبيل المثال كان في مدينة قسنطينة قبل دخول الاحتلال سنة1837 ثمانون مدرسة وستة معاهد وثلاثمائة زاوية في منطقتها،لم يبق منها بعد الاحتلال إلا ثلاثون مدرسة فقط[2].

تقول **إيفون تورين** "كان يوجد في مدينة عنابة 39 مدرسة و37 جامعا قبل الاحتلال،لم يبق منها بعده سوى 03 مدارس و15 جامعا،وقس على هذه النسبة بقية المراكز الثقافية الأخرى في كافة أنحاء البلاد"[3].

وقد اعترف **(الدوق دومال)** الوالي العام على الجزائر في تقرير له إلى حكومة فرنسا حيث قال:"قد تركنا في الجزائر خرابا واستولينا على المعاهد العلمية وحولناها إلى دكاكين وثكنات"[4].

لقد لعب المسجد دورا بارزا في الحفاظ على الشخصية الوطنية وفي ترسيخ الأخلاق الدينية وفي مقاومة الاحتلال الفرنسي منذ أن وطئت أقدام الجيش الاستعماري أرض الوطن،

---

[1] نفسه

[2] ــ تركي رابح ، التعليم القومي و الشخصية الوطنية (الجزائر : ش و ن ت ، 1975) ، ص :53 .

[3] ــ مجلة الأصالة الجزائرية ، ع : 06 (جانفي–فيفري) 1972، ص : 135 Yvonne turin, affrontement culturels dans l'algerie coloniale, écoles medcines, religion, 1830 1880, ed emtreprise national du livre 1983, alger pp 35-47

[4] ــ تركي رابح، التعليم القومي و الشخصية الوطنية ، ص : 125 .

فقد كان من ضمن الإستراتيجية العسكرية لقوات الاحتلال تهديم العشرات من بيوت العبادة[1]، فهدم مسجد الجيش سنة 1830 بعد أن حوّل إلى مخزن، وشوّه الوجه المشرق للجامع الكبير وحوّل بعدها مسجد الداي إلى مستشفى عسكري وحوّلت مساجد أخرى مثل مسجد علي بتشين ومسجد كتشاوة والجامع البراني إلى كنائس، وهدم مسجد السيدة الذي كان من بين أجمل المساجد، وسأعرض هذا في هذه الدراسة باختصار.

وقد سأل أوميرا نفسه سنة 1315هـ / 1898م قائلا:"ماذا بقي من المساجد التي كانت بالعاصمة؟ ثمّ أجاب: إنّ ثلاثة منها قد حوّلت إلى كنائس كاثوليكية، وبعضها حوّل عن غرضه وأعطي إلى المصالح العامة، عسكرية ومدنية، ثمّ إنّ معظم المساجد حدث لها ما حدث للزوايا والأضرحة.فقد هدّمت لفتح الطرق والساحات أو توسيعها أو بناء مؤسسات عمومية كبيرة كالمستشفيات والمدارس والمسارح والكنائس[2]

وفي سنة 1332هـ / 1913م كتب جورج ايفر، المتخصص في تاريخ الاستعمار وأستاذ بجامعة الجزائر، عن المساجد التي عانت من الاحتلال بناء على الوثائق المعاصرة، أنّ بعض المساجد حوّلت إلى كنائس كاثوليكية، وأنّ بين خمسة وستة مساجد أصبحت مخازن، وان من بين 80(ثمانين) مسجدا وزاوية التي كانت بالعاصمة سنة 1830هدم منها ستة وستون بين 1830 – 1832 فقط[3].

لقد كانت هذه المساجد مفخرة الحضارة العربية الإسلامية، لقد كانت مآذنها تصدح بالأذان، كما كانت تحافظ على الطراز المحلي وكذلك الطراز الوافد، ويمكن أن نعطي صورا نمثل

[1] – سعاد فويال ،المساجد الاثرية في مدينة الجزائر ،دار المعرفة ،الجزائر،2006

[2] Aumerd (M) ,La propriété urbaine a alger,in revue africaine ,n , année 1898, pp 168-201

[3] – Yver (G.), « Mémoire de si Hamdan », IN *Revue Africaine*, Alger, 1913, p134

بها فقط مثل مسجد السيدة، ومسجد بيزو مورطو اللذان هدما من أصلهما ومسجد علي بتشين الذي هدمت مئذنته المربعة [1]، وغيرها من المساجد.

وخلاصة القول أن العمارة الدينية بالجزائر في الفترة العثمانية عرفت ازدهارا وتطورا، وقد أبقت لنا العديد من المساجد بطراز وافد ومحلي ومختلط، إلا أن العديد من هذه المعالم الأثرية اندثر مع الوجود الفرنسي الصليبي، وما يهمنا في هذه الدراسة هي الكتابات الأثرية، فلا شك أن اللغة العربية هي اللغة المستعملة في تلك الفترة، فهي لغة القرآن، واللغة التي كانت مستعملة في نشر تعاليم الإسلام، وعلى الرغم من هدم العديد من المساجد، إلا أننا نلاحظ من خلال بعض المتاحف وجودا لبعض الآثار الدالة على مكانتها التاريخية .

ولقد قام غير واحد من الباحثين بتتبع الآثار الباقية لهذه المساجد على غرار مسجد السيدة، وتبين مدى التطور الحضاري للجزائر كلهافي تلك الفترة[2] كما تبين بعض الآثار المتبقية الكتابات التاريخية والتي سأعرضها مختصرة، مركزا على الدراسة الأثرية واللغوية.وهذا بالرجوع إلى المتاحف أو بعض الكتب التي اهتم أصحابها بتحليل الآثار المندثرة.

5.الكتابات الأثرية المحفوظة بالمتاحف ودلالتها على العمارة الدينية بالجزائر في الفترة العثمانية:

ذكرت سابقا تقسيمات إيالة الجزائر في الفترة العثمانية، كما تطرقت في الحياة الثقافية لأهم المدن في الجزائر في الفترة العثمانية. وتعتبر دار السلطان من أهم هذه المدن حيث ألحقت بالخلافة العثمانية، بعد طرد الإسبان من الجزائر وأصبحت ولاية عثمانية منذ سنة 925 هـ/1519م، بعد موافقة السلطان العثماني سليم الأول بضم الجزائر تحت راية الدولة

[1] تم ترميمها و قد عاينتها مؤخرا .

[2] ينظرسعيد بوزرينة ، المنشآت الدينية المؤرخة بالكتابات التأسيسية بمينة الجزائر خلال العهد العثماني ، دراسة تاريخية معمارية ، جامعة الجزاير ، رسالة ماجيستير 2009/ 2010، حيث ذكر بعض المساجد المندثرة في مدينة الجزاير ، كما قمت بزيارة المتحف الوطني للآثار القديمة و اطلعت على هذه الكتابات.ينظر أيضا : رشيد بورويبة ، الكتابات الأثرية في المساجد الجزائرية.

العثمانية، وجعل خير الدين حاكما عليها ولقبه "باي لارباي" أي أمير الأمراء، وتلقت الجزائر بالفعل مساعدات عسكرية ومالية، وظلت تتلقاها مدة طويلة باعتبارها المركز الإسلامي يجسد ثغر المغرب الإسلامي في مواجهة أوروبا المسيحية غربا [1] وقد عرفت هذه المدينة تطورا كبيرا في الفترة العثمانية في الجانب المعماري، خاصة العمارة المدنية والعسكرية والدينية، فلا تزال العديد من القصور شاهدة على روعة الفن الجزائري، كما أن استقرار العثمانيين فيها مدة طويلة أدى إلى تنافس الأمراء والأعيان على بناء المساجد والمدارس والزوايا، حتى أحصى شاهد منهم (دوفلكس) في تقريره أكثر من مئة مسجد في الجزائر لوحدها (دار السلطان)[2] والعديد من هذه المساجد هدمت وخربت وصودرت وحولت إلى كنائس ومراكز عسكرية بعد مضي فترة وجيزة لا تتجاوز العشر سنوات من الاحتلال الفرنسي، ورغم اندثار العديد من هذه المعالم إلا أن الشواهد الأثرية من كتابات على قطع رخامية موجودة في المتاحف وبعض المساجد الباقية تشهد لعلو الشأن الحضاري في هذه الفترة.

عرفت دار السلطان إذن العديد من المساجد يمكن أن نمثل ببعضها لنبين أهمية الكتابات الأثرية فيها.

حفظت لنا العديد من المتاحف آثارا بالغة الأهمية من منابر وأبواب ولوحات رخامية وأعمدة بينت بوضوح ما تعرضت له الجزائر طيلة 132سنة من الاستعمار، حيث يتبين للزائر مدى فضاعة الجرائم الثقافية الأثرية، تؤكدهذه الآثار تطور العمران في الجزائر في الفترة الاسلامية عامة والفترة العثمانية على وجه الخصوص، وسنأخذ أمثلة فقط للدلالة على هذه الفرضية.

أ –مسجد علي باشا المعروف بجامع سيدي لكحل:

[1] عبد الرحمان الجيلالي ، ص. 44– 46.

[2] مصطفى بن حموش ، مساجد مدينة الجزائر و زواياها وأضرحتها في العهد العثماني من خلال مخطوط ديفولكس والوثائق العثمانية ، الجزائر ، دار الأمة ، ط:1 ، ، 2007. ، ص:60

هذا المسجد من المساجد التي هدمت وذهب أثرها حيث أسسه علي باشا[1] سنة 1164هـ/1750-1751م، ويعد من بين أكبر مساجد مدينة الجزائر، فهو مربع الشكل تبلغ مساحته 327 م^2

كانت تقام فيه صلاة الجمعة وبه مئذنة، ويذكر دوفولكس أن المسجد أصبح بيد سلاح الهندسة كجزء من الثكنة الانكشارية القديمة وفي سنة 1287هـ/1870م استولى عليه الكاردينال لافيجري وحوله إلى مقر للحلقة الدراسية ثم هدم المسجد ولم يعد له أثر.

ونجد كتابتان أثريتان في لوحة واحدة في وجه،والاخرى في ظهر:



الكتابة الأثرية لجامع علي باشا ــ وجه اللوحة ــ (متحف الآثار القديمة بالجزائر)

نص الكتابة الأولى:

جدد هذا الجامع الشريف علي باشا

[1] تولى الحكم مابين 1168هـ-1180هـ/1754م-176م يلقب ببوصباع ، أنشأ عدة عيون و أخمد عدة ثورات و اتسم عهده بالمجاعة والطاعون. ينظر : الشريف الزهار ، مذكرات الحاج الشريف الزهار ، تح : أحمد توفيق المدني ، الجزائر : 1974، ص18

يسر الله مراده ما يشاء سنة اثنتان و سبعون و مائة و الف

ويذكر رشيد بوروبية أن اللوحة تبين تجديد المسجد من طرف علي باشا سنة 1127هـ/1758-1759م، وبعد هدم المسجد وضعت اللوحة بالنادي العسكري بمدينة الجزائر ثم نقلت إلى المتحف عند تجهيزه في حي مصطفى باشا، ثم سلمت إلى المتحف الوطني للآثار القديمة.

وهنا تظهر للعيان الاهتمام باللغة العربية و بالخط العربي، الجملة الأولى والثانية فعليتان والسطر الثالث ذكر فيه التاريخ .

الكتابة في ظهر اللوحة:



الكتابة الأثرية لجامع علي باشا- ظهر اللوحة - (متحف الآثار القديمة بالجزائر)

النص:

جدد هذا الجامع الشريف
علي باشا يسر الله مراده ما يشاء سنة **١١٧٢**

هذه اللوحة لها ميزة خاصة حيث كتبت على الوجهين وإذا قمنا بدراسة الكتابتين من الناحيتين التاريخية واللسانية فإن الكتابتين تبينان زمن التجديد واسم المجدد والدعاء له.

ومن الناحية اللسانية فإن اللغة المستعملة عربية فصيحة عبارة عن جملة فعلية تعقبها جملة فعلية غرضها الدعاء.

والاختلاف الوارد في الكتابتين من حيث شكل الكتابة.

فالكتابة الأولى كتبت بخط النسخ بطريقة الحفر البارز، وجاءت الكتابة في ثلاثة أسطر في ثلاثة خراطيش داخل كل خرطوش سطر، وفي زوايا المربع هلال في كل زاوية، ويحيط باللوحة إطارات. فيتبين أن هذه الكتابة أجود في النحت.

بينما الكتابة الثانية جاءت في سطرين فقط وكتبت بخط النسخ وفي أسلوب الحفر الغائر المملوء بالرصاص وجاء السطران في خرطوشين.

مما يوحي أن صانع هذه اللوحة بدأ الكتابة بالصورة الأولى ثم لم تعجبه فأعادها مرة أخرى على ظهر اللوحة.

ب- جامع باب الجزيرة:

بني هذا الجامع سنة 1105هـ الموافق لـ1694/1693م وقد بناه شعبان خوجة، وقد قام بتوسعته حسن باشا 1209هـ -1795م، وقد تداول عليه وكلاء وله موظفون كثيرون نظرا لكثرة أوقافه، فقد كان المسجد يضم إماما وخطيبا وحزابين وبوابين وشعالين وكناسين، وكان تحت رعاية مؤسسة سبل الخيرات[1] وبعد الاحتلال الفرنسي حول المسجد إلى ثكنة لسلاح الهندسة، ثم هدم سنة 1250هـ-1834م لرداءة حالته فأعطي لإدارة أملاك الدولة (الدومان)

[1]عبدالرحمان الجيلالي ، تاريخ الجزائر ، ص200.

التي باعته بتاريخ 26 سبتمبر 1259هـ-1834م وأدمجوه في المنازل المجاورة له، لا سيما الدار رقم 36 المسماة (الدار الفرنسية) من شارع القناصل[1].

الكتابة الأثرية:

نجد في المتحف الوطني للآثار القديمة اللوحة ذات الصورة في الأسفل لوحة مربعة من الرخام تعبر عن كتابة تأسيسية لمسجد باب الجزيرة (الدزيرة) سمكها 03سم وضلعها 50سم، وقد كتب على هذه اللوحةكتابة باللّغة العربية من نوع خط الثلث، وبأسلوب الحفرالبارز، يجري النّص فيها على ستة أسطر متشابكة الكلمات، والحروف تندمج مع بعضها في توافق وروعة، يحيط بالكتابة من جوانبها الأربع شريط زخرفي عبارة عن جدائل، أعطت للّوحة نوعا من الجمال الزخرفي القائم على التناسق والتماثل، أمّا على أركان المربع نجد توريقات على شكل مراوح نخيلية محوّرة. ونقرأ في النص مايأتي:

لا اله الا الله الملك الحق المبين
محمد رسول الله صادق الوعد الام ...(الامين)
دذا المسجد لوجه الله العظيم المتوكل
العلام الناسك لبيت الله الحرام الحاجي شعبان
دائي بقاء الدولة محروسة الجزاير المحمية بالله عليه الافضل
(التحية في شهر صفر الخير و في السنة خمس و الف بعد الهجرة النبوية 1105)

ومن خلال قراءة النص يتبين الروح الدينية في الكتابة تشبه الى حد ما الكتابة الشاهدية. ومن الناحية اللغوية نلاحظ أن النص خال من التشكيل وحركات الأعراب. كما نلاحظ استعمال الدارجة واللغة العادية .مما يبين اندماج العثمانيين في النسق الثقافي الجزائري.

[1] Aumerat (M), La proprieté urbaine à Alger, Revue africaine, p في ... 48 ، ص

وقد ورد في النص صفة " العلام " فقد كان شعبان أديبا ينتمي إلى جماعة الخوجات ومنهم جاء الاسم شعبان خوجة الذي حمله قبل استلام السلطة[1] .

وأيضا كلمة الناسك لبيت الله وهو الحاج حيث نجدها صراحة في النص" الحاجي شعبان "ولقب " دائي بقاء الدولة " وهي صفات حربية اتصف بها الداي شعبان باشا ووردت كلمات كانت تلقّب بها مدينة الجزائر خلال العهد العثماني وهي " المحروسة و" المحمية".

كما أن النص لا يخلو من الأخطاء الإملائية، حيث نجد:

- الأفضل التحية بدل أفضل التحية (السطر الخامس والسادس).
- الهجرة اليوية بدل الهجرة النبوية (السطر السادس).
- محروست بدل محروسة (السطر الخامس).
- كتابة التاريخ بالحروف (خمس وألف أي 1005)، تم نجدها بالحروف كتبت هكذا 1105 وهو التاريخ الصحيح.

بناه الداي الحاج شعبان خوجة سنة 1105 هـ / 1693 –1694 م.

[1] رشيد بورويبة ،*الكتابات الأثرية في المساجد الجزائرية*، ترجمة: إبراهيم شبوح، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1979، ص134.



صورة/ الكتابة التأسيسية لمسجد باب الجزيرة المحفوظة في المتحف الوطني للآثار القديمة.

5ـ 3ـ مسجد عبد الرحيم[1]

ذكر في وثيقة شرعية تعود إلى سنة (1089 هـ– 1678 م) حررها القاضي الحنفي آنذاك على أنه بني حديثا أعلى الحمامات بالقرب من ضريح سيدي محمد الشريف، على يد أندلسي اسمه مصطفى بن محمد الأندلسي، المدعو ابن كرومية، وتبلغ مساحته 47.50 م^2 ويقع هذا المسجد عند تقاطع شارعي دامفروفيل الذي أخذ منه الرقم 24 سنة 1830 وشارع ابديدام، الي اشتق فيما يبدو من اسمه، ويعود اسمه الأول إلى أحد الوكلاء الذي كان يقوم بإدارته، أما الثاني فيعود إلى وجود حمامين عند الباب الجديد[2].

الكتابة الأثرية [1]: المتحف الوطني للآثار القديمة رقم (II .S.197)

[1]يدعى كذلك مسجد الحمامات.

[2]مصطفى بن حموش ، مساجد مدينة الجزائر ، ص 137.



صورة / الكتابة التأسيسية لمسجد عبد الرّحيم المحفوظة في المتحف الوطني للآثار القديمة.

حسب الصورة الموجودة أعلاه فنص الكتابة هو:

مصلح هذا المسجد اراد به وجه الله
لان فاعل الخير لا يضيعه الله
مصلحه علي بن محمد النجار شاوش سدي محمد شريف
بالاجرو الثواب عوضه الله سنة 1255 ابن معز بن مكحلة المعروف بجليس

جاءت هذه اللوحة في قطعة من الرخام مربعة الشكل طول ضلعها 31سم كتب عليها بخط الثلث وبأسلوب الحفر البارز وضعت الأسطر في مستطيلات متعاقبة محاطة باطار خال من الزخارف.

ومن الناحية اللغوية فالنص مكتوب باللغة العربية، ونلاحظ وجود أخطاء إملائية مثل النص السابق، كما تستعمل عبارات قريبة من الدارجة على الرغم من فصاحة كلماتها مثل: "لان فاعل الخير لا يضيعه الله".

تم ترميم المسجد سنة 1255هـ / 1839 –1840 م من طرف علي بن محمد النجار شاوش سيدي محمد الشريف. وهذا ما تدل عليه العبارة "مصلح هذا المسجد:، أي المرمم والموسع وهذا يبين تعرض هذا المسجد للترميم و الإصلاح و التوسعة وهو أمر معروف لدى الجزائريين حيث اهتمامهم بمراكز التعليم و المساجد متوارث .

وممّا يميز هذه الكتابة، وجود اسم النقاش فوق اللوحة وهو: بن معز بن مكحلة المعروف بجليس، نقش بحجر صغير متداخل في وسط كلمات السطر الأخير.

وهذا النص أيضا يوضح انتشار اللغة العربية في الكتابات الأثرية.

وكذلك الروح الدينية البارزة في النص .

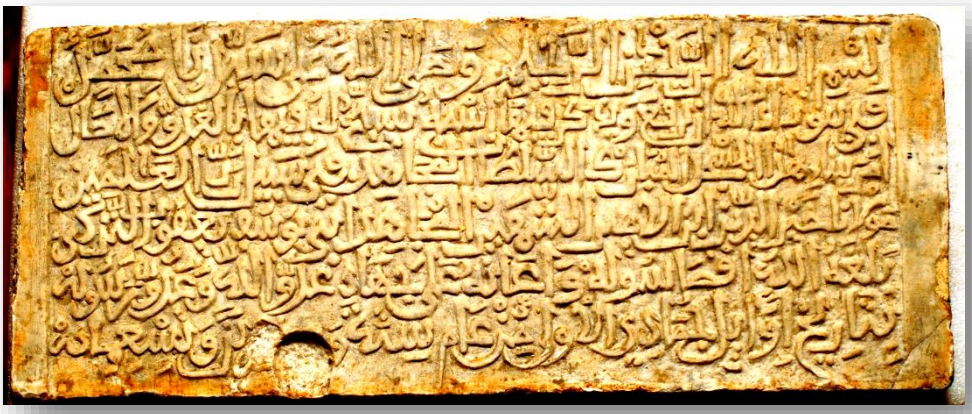
5 ــ 4 ــ مسجد خير الدين:

يسمى أيضا مسجد الشواش، ويعود بناؤه إلى سنة 926هـ –1520 م

ويقال أنه أول مسجد بني في الجزائر في الفترة العثمانية بمدينة الجزائر وسمي باسم مسجد خير الدين على اسم مؤسسه خير الدين بربروس وهو الذي أدخل الجزائر في حماية الخلافة

العثمانية [1]، ولم تكن لهذا المسجد أوقاف مهمة، وبعد الاحتلال تحول إلى مقر عسكري وقد تم هدمه مع قصر الحاكم[2].

الكتابة الأثرية[3]:



صورة / الكتابة التأسيسية لمسجد خير الدين المحفوظة
في المتحف الوطني للآثار القديمة. رقم 178 ،5 ،11.

جاء في الكتابة ما نصه:

1 بسم الله الرحمان الرحيم و صلى الله على سيدنا محمد
2 – في بيوت أذن الله أن ترفع و يذكر فيها اسم الله يسبح له فيها بالغدو و الاصالة
3– أمر ببناء هذا المسجد المبارك المجاهد في سبيل رب العالمين

[1]خير الدين هو أول من أدخل الجزائر في حماية الخلافة العثمانية، نشأ في جزيرة " مدللي" وهي من جزر الأرخبيل سنة 877هـ/1470م، التي كانت تابعة للدولة العثمانية، انتهج خير الدين سياسة بحرية جهادية ضد القوى البحرية المسيحية، حيث رد على حملات الإسبان في سواحل المغرب الأوسط، تمتع خير الدين بالشهرة الكبيرة في المجتمع الجزائري، نظرا للانتصارات التي أحرزها، كما نجد اسم المنشئ الذي كان مسبوقا حسب الكتابة جملة " مولانا السلطان " كما في أسماء أمراء المرينيين، متبوعا بجملة " المجاهد في سبيل ربّ العالمين " وهو صفة لا يضفي إلا على الملوك الذين يحاربون المسيحيين، توفي في استانبول سنة 952هـ/1547م.

[2]مصطفى بن حموش ، مساجد مدينة الجزائر ، ص 67.

[3]هذه الكتابة كانت تعلو المدخل الرئيسي ووضعت في المتحف سنة 1855 وهي في المتحف الوطني للآثار القديمة تحت رقم 178 ،5 ،11.

4- مولانا خير الدين الامير الشهير المجاهد يوسف يعقوب التركي
5- بلغه الله سؤله واعانه على جهاد عدوالله و عدو رسوله
6- بتاريخ اوائل جمادى الاول عام سنة .....ن و تسعمائة

والناظر المتبصر في اللوحة الرخامية يتبين له أنها كتبت بخط النسخ وبأسلوب الحفر البارز، خالية من التشكيل، كما أننا لا نجد بها زخارف.

أما مضمون الكتابة فهو:

البسملة والصلاة على النبي

وفي السطر الثاني الآية 36من السورة النور

ثم ذكر لمن بنى المسجد والدعاء له وتاريخ بنائه.

يلاحظ أن الكتابة نقشت باللغة العربية نفذت بالخط النسخي وبأسلوب الحفر البارز، وتخل الكتابة من الزخارف والتشكيل.

اللغة فصيحة لكونها مقتبسة من القرآن والأدعية .

5.5 . جامع السيدة (1198هـ/1784 م)

يعتبر هذا المسجد أحد أهم مساجد مدينة الجزائر في الفترة العثمانية، فقد كان يرتاده الحكام وأصحاب المراتب العليا بقصر الإمارة، ذلك لأنه كان يقع مقابلا للمدخل الرئيسي لهذا القصر وتجديد بنائه في فترة حكم الداي محمد بن عثمان ثم تم تهديمه في بداية الفترة الاستعمارية.

ولقد أعيد بناء جامع السيدة سنة 1198 هـ /1784م وهذا ما تثبته الكتابة التأسيسية المحفوظة بالمتحف الوطني للآثار القديمة وتمثل رقم الجرد 199 S. II وهي لوحة مستطيلة طولها 143 سم وعرضها 34سم وسمكها 2,81 سم، وهي في حالة حفظ جيدة، وقد نقشت عليها بطريقة الحفر الغائر المطعم بالرصاص وبخط نسخي مشرقي، وجاءت الكتابة في سطرين كل سطر يتكونن من ثلاثة خراطيش.



صورةالكتابة /المتحف الوطني للآثار القديمة . رقم الجرد 199 S. II

ونص الكتابة :

حبذا أثار جليل مشيدا //ونعم الخيرقد أبتنى مؤبدا //أميرنا صاحب الفضل محمد باشا أتقن بتصويبه قبلتهمسددا //لحديث قيل ان في الجنة بيتا//قد نالها من بنى لله مسجد//

لقد تم هدم هذا المسجد مع بداية الاحتلال من أجل إيجاد مساحة لساحة الحكومة[1] (ساحة الشهداء حاليا) وبعد هدمه استعملت أعمدته في تشييد واجهة المسجد المرابطي المعروف بالجامع الكبير وعددها 18 عمودا صغيرا و18 عودا كبيرا مع الفوارة الرخامية وذلك عام 1837م.[2]

والمسجد يقع حسب ما ورد في وثائق المحاكم الشرعية في مكان يحاذيه بيت المال أو دار السكة وهذا حسب ما أوردته الباحثة لطيفة بورابة اعتمادا على وثيقة وقفية تبين موقع المسجد حيث نجد في الوثيقة: "بعد أن ملك المعظم محمد تركي جميع الحانوت القريبة من بيت المال.حبس جميع الحانوت المذكورة على المسجد القريب منها المعروف بجامع السيدة"[3].

والكتابة من الناحية الشكلية عبارة عن ثلاثة أبيات شعرية لكنها وضعت في سطرين

---

[1]قيل أنه هدم هذا المسجد لان الحاكم العام كلوزيل سمع أنه يوجد تحت أعمدة هذا المسجد ذهب ، وقد وضع هذا الذهب بغرض استعماله لترميم المسجد إذا تعرض للهدم ، فطمع في الذهب و أغلق المسجد وبدأ بهدمه ، ولما لم يجد شيئا ، وقيل أنه وجد ، قام بتهديم المسجد كليا لتوسيع الساحة العامة سترا لفضيحته.

[2]– محمد رافع ، المنشآت المعمارية لبنايات الجزائر، ص 152 .

[3]– لطيفة بوروبة ، جامع السيدة المندتر في مدينة الجزائر العثمانية ،مجلة الامير عبد القادر ع 38 ،سبتمبر 2016 ص 515–542 ،محمد رافع ،م،ن ص 148 .

وحرف الروي هو الدال.

حبذا أثار جليل مشيدا .....ونعم الخير قد أبتنى مؤبدا
أميرنا صاحب الفضل محمد باشا .....أتقن التصويب قبلته مسددا
احديث قيل أن في الجنة بيتا .....قد نالها من بنى لله تعالى مسجدا

نلاحظ التصريع (نهاية صدر البيت وعجز البيت بنفس الحرف)في البيت الأول (مشيدا ــ مؤيدا)

ومن الناحية اللغوية نلاحظ التعجب في بداية البيت بحبذا،

كما نلاحظ التضمين وهو محسن بلاغي ، حيث أخذ من الحديث من الحديث " من بنى لله مسجدا بنى الله له بيتا في الجنة "[1].

ولغة الابيات فصيحة تدل دلالة واضحة على انتشار العربية في الجزائر.

وما يلاحظ أن مضمون هذه الكتابة هو نفسه الذي سنجده في لوحة أخرى في المسجد الجواني لجامع الداي .

لقد مثلث بالبنايات المندثرة في المحروسة فقط ولكن الذي يزور المتاحف الجزائرية يتبين له مدى الدمار الذي لحق الآثار الإسلامية في الفترة الاستعمارية، شرقا وغربا شمالا وجنوبا، كما أن العديد من الآثار للبنايات الدينية لا تزال شاهدة على التخريب. وما أتلفته أيادي الاستعمار طيلة 132 سنة لا يمكن إحصاؤه.

6-الكتابات الأثرية الثابتة في العمارة الدينية بدار السلطان (الجزائر)

تحدثنا في الفصل الثاني عن المدن والحواضر في الفترة العثمانية ، وقد انتشرت الثقافة العربية الإسلامية انتشارا واسعا فيها، كما غلب عليها الطابع الديني، على الرغم من ظهور

[1] رواه ابن ماجه .

العديد من المظاهر العلمية فيها ومن بين هذه المدن مدينة الجزائر والتي كانت تسمى دار السلطان.

وما نلاحظه من خلال الزيارات الميدانية والسير في شوارع المحروسة اليوم، أنه لا تزال بعض المساجد الأثرية قائمة في الجزائر المحروسة على الرغم من هدم العديد منها في الفترة الاستعمارية كما سبق ذكره، ومن خلالها يمكننا التعرف على بعض خصائص العمارة الدينية بالجزائر خلال الفترة العثمانية وماقبلها .نأخذ أمثلة فقط عن هذه البنايات للدلالة على استعمال الكتابات العربية فيها.

أ-الكتابات الأثرية بالجامع الجديد

-الجامع الجديد دراسة تاريخية ووصفية:

الجامع الجديد مبنى عظيم يطل على البحر ويراه القادم من بعيد، ويصل المدينة مع الشاطئ عن طريق دهليز يمر تحته. ويتربع الجامع على مساحة قدرها 1371.20م^2. وهو ذو شكل مستطيل متوجه من شمال -شمال غرب إلى جنوب- جنوب شرق. ويبلغ ضلعه الطولي 39.50م وعرضه 24م. وفي العرض الآخر 24.50م. أما سمك حوائطه فهو حوالي متر، ويعلو المسجد قبة كبيرة عند تقاطع الحدبتين وتحيط بها أربع قبب صغيرة. أما المئذنة فتقع على الجانب الشمالي الغربي ويبلغ ارتفاعها 29.50م وبعد عمليات الردم التي قامت بها الإدارة الفرنسية هناك أصبح ارتفاعها 25م فقط. كما وضعت أثناء ذلك ساعة كبيرة على المئذنة"[1].

ويقع الجامع الجديد في ساحة الشهداء حاليا من الجهة الشرقية، وهو يطل على البحر؛ ويعود تاريخ بنائه إلى الفترة حكم الأغوات ، وبالضبط سنة 1070 هـ- 1660م، وهذا ما تؤكده الكتابات التأسيسية

[1]مصطفى بن حموش ، مساجد مدينة الجزائر وزواياها وأضرحتها في العهد العثماني من خلال مخطوط ديفولكس والوثائق العثمانية ، الجزائر ، دار الأمة ، ط:1 ، ، 2007. ، ص:60

التي سنوردها لاحقا، ولكن هناك وثائق تثبت أنه بني قبل هذا التاريخ، "فيلخص دوفولكس أهم ما عثر عليه من خلال قراءته للوثائق المتعلقة بالجامع الجديد أنه بني بإذن من العسكر الإنكشاري وبأموال مؤسسة سبل الخيرات التي كانت تتولى شؤون الأحباس الحنفية، ولذلك فهو بناء جماعي لا يعود إلى شخص واحد معين، كما أن موقعه يشغل مكان مدرسة قديمة تدعى مدرسة المولى بوعنان أو المدرسة العنانية، ففي وثيقة تعود إلى سنة 991هـ (1583- 1584م) تصف المدرسة بأنها كانت بالقرب من البادستان، وفي وثيقة أخرى تصف المسجد الجديد باسم زاوية بوعنان[1] وكان هذا المسجد يقع في حي راق حيث كان مركزا لعدد من الحرف الفاخرة مثل الصباغة والنساجة. كما كانت تكثر في محيطه المقاهي الشعبية الممتدة حتى حي البحرية[2] كما تبينه الصور أدناه .

والناظر للمسجد من الناحية الخارجية يظهر له كبناية فخمة ناصعة البياض. يندهش القادم من المرسى لمرآه من حيث التخطيط فهو من الطراز المختلط بين عناصر معمارية وافدة وعناصر معمارية أصيلة في العمارة الجزائرية خاصة المئذنة المربعة.

وبالرجوع إلى الصور والمخططات يتبين أن المسجد الجديد يتخذ شكلا مستطيلا (24م عرض، 39.5م طولا)، "وللجامع أربعة أبواب ، يفتح الأول في الواجهة الغربية الجنوبية، وقد سدتها الإدارة الفرنسية فيما بعد، والثاني يفتح على الرواق المنحدر الذي يصعد من المرسى"[1].

الكتابات الأثرية العربية في الجامع الجديد

نجد بالجامع الجديد عدة كتابات أثرية أقتصر على بعضها لنبين مدى انتشار هذه الكتابات في العمارة الدينية.

---

[1] مصطفى بن حموش ، مساجد الجزائر ، ص .61

[2] Klein (H), Op.cit, p.153

[1] سعيد بوزرينة ، ص:117.

الكتابات الموجودة على المحراب:

نجد في المحراب شريطا كتابيا منفذا على الجص، ومثبتا بطريقة أفقية وعمودية، ويمكن تفريغ هذه الكتابات على النحو الآتي:

-الشريط على يمين المحراب:

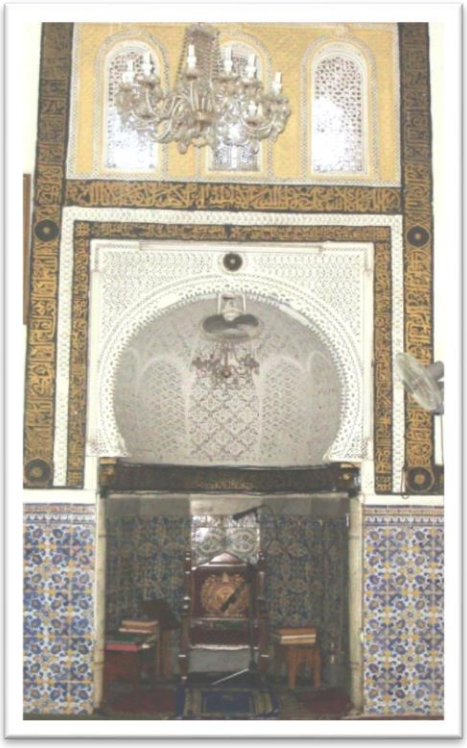
أعوذ بالله من الشيطان الرجيم (كل شيء هالك الا وجهه له الحكم)

-الشريط الأفقي:

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد أما بعد رحمكم الله قد اجتهد في بنيان هذد المسجد عبد الله الراجي

-الشريط على يسار المحراب:

عفو مولاه المجاهد في سبيل الله الحاج حبيب كان الله له



صورة تبين الكتابات في المحراب في الجامع الجديد

ونجد كتابة أخرى في شريط منفذ على الجص، طول هذا الشريط 118م وعرضه 0.21م ونفذت هذه الكتابة بالخط المغربي على طريقة الحفر البارز.

نص الكتابة:

الحمد لله وحده من يتعرف بسبب طلوع المسجد وكيله الحاج حبيب و تمامه سنة 1070

وهذه الكتابات تأسيسية تبين متى شيد المسجد ومن شيده وتوضح هذه الكتابات أيضا من أشرف على بناء المسجد، وبالتالي "تفتح شكوكا حول صحة الرواية السابقة المتعلقة بالبناء المسيحي، وقد يكون الاحتمال هنا أنه قد توالى على الإشراف على بناء المسجد عدة وكلاء، كان آخرهم الحاج حبيب المذكور في اللوحة"[1] "وفترة بناء الجامع، هي الفترة التي كانت فيها مدينة الجزائر تحت حكم الأغوات الذين لم يحتفظوا مبدئيا بزمام تسيير الأمور إلا مدة شهرين، في عهد رمضان باشا. أما الحاج حبيب الذي ذكر اسمه في الكتابة فقد كان مدير الأشغال والقيم على الجامع والذي وصف أيضا في كتابة أخرى غير مؤرخة بصفة المجاهد في سبيل الله.

نجد كتابة تأسيسية أخرى محفوظة بالمتحف الوطني للآثار.



صورة / الكتابة التأسيسية لجامع كتشاوة المحفوظة في المتحف الوطني للآثار القديمة

لوحة مستطيلة الشكل، نقشت عليها كتابة باللّغة العربية من طراز خط الثلث وبأسلوب الحفر الغائر المملوء بالرصاص على الطريقة العثمانية، نظمت على شكل أبيات شعرية، يجري

[1]– مصطفى بن حموش ، المرجع السابق ،ص 60

النّص فيها على سطرين مجزأين، ينحصر كل قسم داخل خرطوش مستطيل،مفصص الجانبين، ممّا شكل معينات مفصصة، وهي مزودة بنقط الإعدام وحركات الإعراب كالشدة تحتل الكتابة المساحة الكلية للّوحة.

النص:

حبذا جامع يرام بالمنا من مبلغ القصد.....وتبسم بروق الختام من أفق العهد
قد أفتى لتشييد أساسها على التقى .....ثقل فخاره من مال تجل عن العد
بناه سلطاننا الرضي عظيم القدر .....حسين باشا بالبهاء عديم المثل و الند
وحاز بهجة لدى الناظرين أرخ .....لما كملت كالسعدو باليمن و المجد

نجد كتابات أخرى في المسجد منها ماهو مثبت على "الباب الثانية التي تفتح على الرواق المنحدر الذي يصعد من المرسى وقد كتب عليها مقاطع من قصيدة البردة وهي كالتالي:

بشرى لنا معشر الاسلام أن لنا .....من العناية ركنا غير منهدم
لما دعا الله داعينا لطاعته .....بأكرم الرسل كلنا أكرم الامم

وعلى الوجه الداخلي لنفس الباب كتب عليه ما يلي:

بسم الله الرحمان الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد و على اله و صحبه و سلم تسليما كثيرا الى يوم الدين ولا حول و لا قوة الا بالله العظيم كتبه أحمد بن علي[1]

ونجد كتابة أخرى في نقش منفصل[2]:

أبشر بما ترتجي من خير مولاك .....يا دخيل المسجد الله يرعاك
كل يد مسكتني سلمت من كا آفة ..... كل عين نظرتني ضوء هاداي ممعافة

[1] –مصطفى بن حموش ،المرجع السابق ،ص 61

[2]–نفسه

السرور و الافراح في المساء و الصباح.....كتبه أحمد بن علي

خصائص هذه الكتابات الأثرية:

يمكن من خلال تحليل هذه الكتابات أن نتبين ما يأتي:

-كتبت هذه الجمل بالخط العربي لفظاومعنى.

-تنوعت صيغة الكتابات: حيث نجد الكتابة التذكارية التأسيسية كما نجد أبياتا شعرية تراثية (البردة) كما نجد أبياتا مبتكرة.

-حملت الكتابة التخليدية استهلالا دينيا وتنصيصا على الأشغال المنجزة، واسم الشخص الذي أمر ببناء المعلم أو تجديده والتاريخ الذي أجريت فيه الأشغال.

-نجد أيضا ألفاظا عامية في الكتابات وهو أمر وارد في الفترة العثمانية وما قبلها.

-نجد استعمال كلمة طلوع من الفعل طلع تشمل مصدر هذا الفعل (طلوع).

ب- الكتابات الأثرية بالجامع البراني

الجامع دراسة تاريخية ووصفية:

الجامع البراني من المساجد الأثرية بدار السلطان (الجزائر)، وقد وصف هذا المسجد العديد من المؤرخين اعتمادا على وثائق تاريخية حيث ذكر نور الدين عبد القادر:"أن جامع القصبة البراني يعني خارج القصبة، وهي القصبة الجديدة التي شرع في تشييدها عروج بعد استقراره بمدينة الجزائر، وأقامت بها طائفة من الجند إلى أن انتقل إليها الداي علي خوجة (1233-1234هـ) (1817-1818م)، وهو مسجد صغير مقابل لباب القصبة، وله منارة قليلة الارتفاع، وكان في حالة بالية وقدم فجدده حسين داي ووسعه في سنة 1233هـ

(1817–1818م)[1] ، بينما ذكر دوفولكس أن "المسجد يتميز بسقفه المسطح، ومئذنته المثمنة القصيرة[2] وأن هذا المسجد يوجد في منطقة خارج الباب الجديد، ويذكر أن بعض الوثائق التاريخية الشرعية التي اطلع عليها والمحررة في سنة 1064 هـ (1653–1654م) توضح وتذكر أن هناك مسجد يقابل البوابة المسماة "الباب الجديد" كما يذكر أنه في سنة 1064هـ (1653م) كانت للجامع أوقاف وذلك حسب الوثائق الشرعية المحررة دائما وقد رممه ووسعه "الباشا حسين" آخر الدايات عندما نقل دار الإمارة من القصبة السفلى إلى القصبة العليا خلال سنة 1816م، ثم ذكر ما كتب في اللوحتين ثم قال: وقد ألحقت بهذا المسجد ميضاءات للوضوء، وحمامات باردة وقد تحول في العهد الفرنسي إلى ثكنة منذ سنة 1830، وقد كان لهذا المسجد بابان أحدهما على شارع القصبة والثاني على شارع النصر (فكتوار)، وفي سنة 1839 تحول إلى معبد مسيحي كاثوليك[3].

وكغيره من المساجد الجزائرية نال قسطه من التغيير خلال فترة الاحتلال الفرنسي، فتذكر المصادر التاريخية أن هذا المسجد قد "تم استغلاله من طرف الجيش الفرنسي سنة 1839 ليخصص للديانة المسيحية الكاثولوكية ويسمى سانت كروا sainte croit الصليب المقدس.[4] ويذكر أن احتلال الجامع كان من طرف السلطات العسكرية الفرنسية سنة 1830م وجعلته مرقدا للجنود وفي 03 أفريل 1839 أعطاه سلاح الهندسة العسكرية إلى أملاك الدولة التي سلمته في نفس اليوم إلى إدارة الشؤون الداخلية (المدنية) فقامت هذه الأخيرة بمنحه إلى الديانة الكاثوليكية[5].

لقد كان للاستعمار الفرنسي اثر بالغ في التغيرات الداخلية و الخارجية في المسجد .

---

[1]– نور الدين عبد القادر ،المرجع السابق، ص 161

[2]– مصطفى بن حموش المرجع السابق ، ص 160

[3]– مصطفى بن حموش ، المرجع السابق ، ص 160–161

[4]-خيرة بن بلة ،المرجع السابق ،ص 76

[5]– سعيد بوزرينة ،المرجع السابق ،ص 69

دراسة الكتابات الأثرية:

أثناء تنقلي إلى المسجد وجدت كتابة تاريخية على بابه، جاءت هذه اللوحة كما هو مبين في الصورة على شكل قطعة رخامية تقترب من الشكل المربع، وكتب عليها كتابة يبدو أنها تجديدية، وبأسلوب الحفر الغائر المملوء بالرصاص، وتبين هذه اللوحة تاريخ التجديد وهو سنة 1233هـ، والتاريخ مكتوب بالحروف والأرقام.



صورة /كتابة تأسيسية للجامع البراني محفوظة في المتحف الوطني للآثار القديمة



صورة /كتابة تأسيسية للجامع البراني موجودة فوق المدخل من الناحية الجنوبية

وما يهمنا في هذا المجال هو أن هذه الكتابات التاريخية تبين سنة التجديد وليس التأسيس فهي تبين أن مجدد هذه البناية هو حسين باشا، وهو آخر دايات الجزائر، حيث قام بتوسعته

وذلك سنة 1817 ــ 1818، وذلك بعد أن نقل إدارته من قصر الجنينة إلى المقر الجديد بقلعة المدينة، إذ جعله لاستقبال الموظفين السامين الذين انتقلوا معه إلى القصبة [1].

تحليل الكتابات الأثرية وخصائصها

نص الكتابة:

صاحب الخيرات و الحسنات .....السيد حسين باشا رفعه الله أعلى الدرجات المتمسك بقول من له اللواء و الشفاعة...من بنى لله مسجدابنى الله له في الجنة بيتا سنة ثلات وثلاتين و مائتين و الف.....من بعد الهجرة من له الفخر و الشرف سنة 1233

و كتب في المربعات الزرقاء:

الصبر سلامة (مكررة)	العجلة ندامة	ابشر يا فتى (مكررة)	إن الفرج قد أتى

-هذه اللوحة تسجيلية، وهي كتابة تجديدية للجامع البراني

-كتبت على مادة الرخام

-وقد كتبت بخط النسخ وبأسلوب الحفر الغائر المملوء بالرصاص

-اللوحة عبارة عن أبيات شعرية دونت في ثلاثة أسطر في ستة خراطيش

-زينت جوانب المعينات والمثلثات بزخارف نباتية مبسطة نفذت بأسلوب الحفر البارز، قوامها ورقة الأكنتا وأنصافها

-لا يوجد تشكيل للكلمات

[1] ــ Devoulx(A) , Epigraphie indigène du musée archéclogique d'Alger , Alger , 1978 , p : 100

-يحيط بالأسطر الثلاثة قطع خزفية زرقاء مكتوب عليها بخط أبيض مما أعطى القطعة خاصية فنية ذات جمال راق.

-نجد في الكتابة وصف للباي حسين باشا آخر دايات الجزائر

-نجد بالكتابة دعاء

-تضمن الكتابة الأثرية حديث للنبي صلى الله عليه وسلم "من بنى لله مسجدا بنى الله له بيتا في الجنة"[1]

-تضمنت الكتابة الأثرية تاريخ التجديد وهو 1233هـ وهو مكتوب بالحروف والأرقام.

وما يلاحظ من الناحية اللغوية، أن اللغة عادية جدا، وهي دليل على استعمال العربية في الجزائر طيلة الفترة العثمانية.

ج- الكتابة الاثرية بجامع الداي (الجواني):

الدراسة التاريخية والوصفية للمسجد :

حسب المعاينة الشخصية يمكن القول أن جامع الداي يقع داخل القصبة وبالضبط ضمن الوحدات المعمارية لقلعة الجزائر، نجد من الجهة الشرقية مسجد الجيش ومن الشمال قصر الآغا وحمام الداي من الغرب، ونادي الجيش وحمام الجيش من الجنوب، فهذا المسجد (جامع الداي) أو مسجد القصبة الداخلي سمي بذلك تمييزا له عن المسجد البراني الذي جدده الداي حسين، والذي يقع خارج القصبة فهذان المسجدان جددهما الداي حسين بعد نقل الإدارة إليها. ذكره سعد الله باسم مسجد القصبة الداخلي، وهو نفس العنوان الموجودعندDevoulx: مساجد داخل القصبة، ويصفه بكونه: " مسجد جميل وكبير مغطى بقبة كبيرة، ويضم عدة أعمدة رخامية جميلة عالية تضفي مسحة مميزة للمسلمين بفضل وضعها وشكلها" [2] .

[1] رواه ابن ماجة من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه .

[2] ــ مصطفى بن حموش ، ص : 128 .

ويذكر سعد الله أن هذا المسجد قديم، ولكن الداي حسين جدده ووسعه سنة (1234 ــ 1819) وهو يقع داخل القصبة خلافا للجامع البراني [1] .

وقد أعد مسجد القصبة الداخلي ليكون جامعا تلقى فيه الخطبة، وهذا بعد انتقال الباشا إلى القصبة العليا" [2] .

عند معاينة المسجد وقراءة العديد من المؤلفات التي أرخت له، يمكن القول أن جامع الداي أو مسجد القصبة الداخلي يتربع على مساحة قدرها80 , 317 م²، وتجاوزا يمكن القول أنه يحتوي على قاعة صلاة مربعة مغطاة بقبة كبيرة مضلعة "(8 أضلاع) وتغطي هذه القبة قرابة 117م² من مساحة المسجد ، ويبلغ ارتفاع هذه القبة 11م وهي مرتفعة على دعامات (أعمدة) يبلغ عددها 52 عمودا مصنوعة من الرخام، ونجد في قاعة الصلاة في الجهات الأربعة بلاطات مغطاة بقبيبات صغيرة، نجد في قبلة المسجد محرابا يشبه محاريب الجامع الجديد وصفر والبراني، كما نجد فوق المحراب 3 شمسيات .كما يلاحظ الداخل إلى المسجد قبة تتقدم المحراب، وهي خاصية في المساجد العثمانية، ولكنها قليلة بالجزائر، ودون أن نطيل في وصف المسجد نورد الآن كلاما شاهدا على ما آل إليه المسجد بعد الاحتلال الفرنسي، فقد أعجب ديفوكس بهذا المسجد، وتأسف على ما آل إليه، وتمنى مصيرا أفضل له لاسيما بعدما شاهد أن الفرنسيين اتخذوا هذا المسجد مرقدا لجنودهم، وبيتا يعبثون فيه ويعربدون، وقد وصفه ديفوكس قائلا:" والداخل إلى الثكنة العسكرية التي استولى عليها الفرنسيون ووضعوا فيه المدفعية يرى أمامه مسجدا جميل المنظر كبير الحجم تعلوه قبة مزخرفة من الداخل بعرصات مرمرية جميلة متقاربة وعالية، وهي في بنيتها ومواقعها تسر

[1] ــ سعد الله ،تاريخ الجزائر الثقافي،المرجع السابق، ج : 5 ، ص : 60 .

[2] ــ مصطفى بن حموش ، ص : 128 .

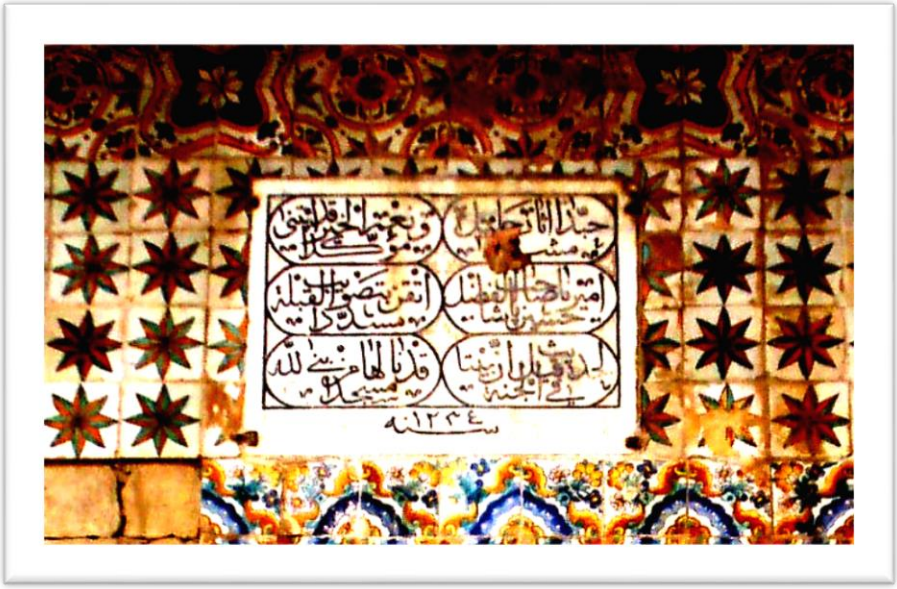
الناظرين، ولكن المرء يشاهد بداخل المسجد صفوفا من الأسرة للجنود مما يفسد رشاقة منظر المحراب"[1].

دراسة الكتابات الأثرية:

نجد للمسجد مدخلان ثبت عليهما لوحتان رخاميتان كتب فوق مدخل البيت الأيمن ما يلي:

اللوحة الأولى جاء فيها:

حبذا آثار جليل مشيدا .....ونعم الخير قد ابتنى مؤكد
أمرنا صاحب الفضل حسين باشا.....أتقن بتصويب القبلة مسددا
لحديث قيل أن في الجنة بيتا .....قد نالها من بنى لله مسجدا
سنة 1234



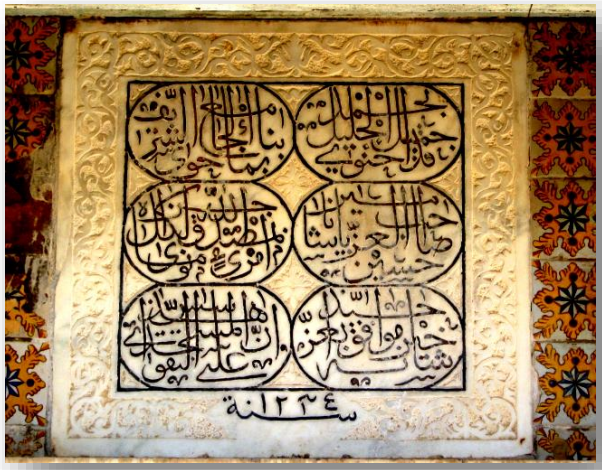
صورة / الكتابة التأسيسية الأولى لجامع الداي (الجواني)

وهناك كتابة أخرى جاء فيها:

جميل بحمد الجليل قد احتوى .....زبناء الجامع الشريف بما حوى
أميرنا صاحب العز حسين باشا..... جزاه الله بمصدق لكل امرئ ما نوى

[1] ــ سعد الله ، ص : 60 .

حبذا خير موافق يعز شأنه .....إن المسجد أسس على التقوى
سنة 1234



صورة/ الكتابة التأسيسية الثانية لجامع الداي (الجواني)

وتوجد هذه الكتابة فوق المدخل الأيسر، وهي مكتوبة بخط النسخ كما تبينه الصورة أعلاه، والكتابة داخل خراطيش، ويحفها شريط زخرفي عبارة عن فروع نباتية.

وما يهمنا من الكتابتين في الجانب التاريخي هو أن هذا المسجد بناه الداي حسين باشا وهو آخر دايات الجزائر في العهد العثماني، ولد بمدينة دترلي بتركيا سنة 1779، وقدم مع أخيه إلى الجزائر وانظم إلى الجيش الانكشاري، وترقى إلى أن بلغ رتبة خوجة الخيل ونصب بعدها سنة 1818 دايا على الجزائر، واستمر حكمه إلى غاية 1830، وفي عهده احتلت الجزائر ووقع معاهدة الاستسلام، وتوفي سنة 1254هـ 1838م بإيطاليا، والمهم أن الكتابة تبين أن الجامع بني سنة 1234هـ 1819م. أما في الجانب اللساني فتبين الكتابتان مستوى اللغة المستعملة في الفترة العثمانية وأنها امتداد لما قبلها .

تحليل الكتابات الأثرية:

الكتابة الأولى:

-نفذت الكتابة على الرخام ونقشت بالحفر الغائر المملوء بالرصاص

-الخط الذي كتبت به الكتابات نسخي

-الكتابة هي كتابة تأسيسية لجامع الداي

-النص عبارة عن أبيات شعرية

-جاء النص في ثلاثة أسطر في ستة خراطيش

-يحف اللوحة شريط زخرفي عريض يتشكل من فروع نباتية متشابكة

-مضمون القطعة الشعرية: ثناء على حسين باشا ، ورفع من شأن المسجد. كما تضمنت جزء من حديث نبوي "إنما الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى"[1]

-تضمنت الكتابة أيضا تاريخ التأسيس

الكتابة الثانية:

-وهي موجودة في أعلى الباب الأيمن بالجهة الجنوبية الشرقية للجامع

-وهي كتابة تأسيسية

-نفذت على الرخام ونقشت بالحفر الغائر المملوء بالرصاص

-كتبت بخط النسخ

-النص عبارة عن أبيات شعرية.

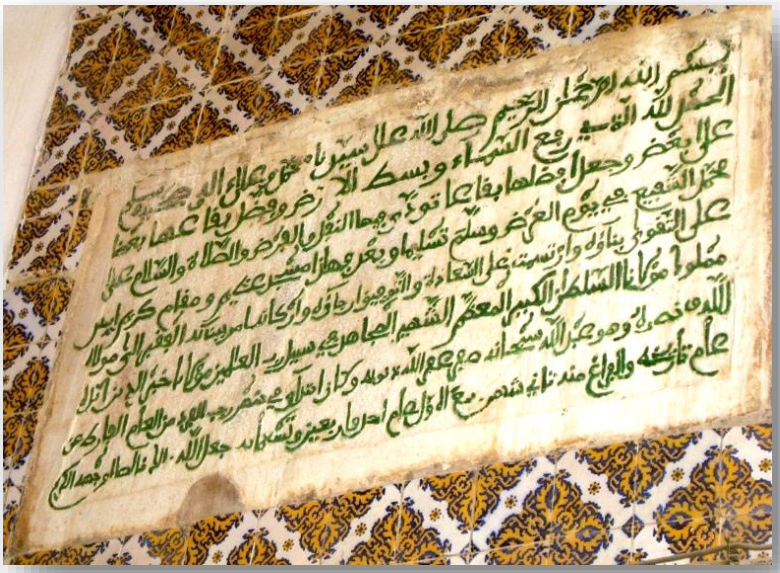
د-الكتابات الأثرية في جامع صفر:

بالتنفل إلى المسجد يمكن أن ندلل من خلال كتابة تأسيسية على لوحة رخامية مستطيلة الشكل موجودة في جامع صفر نجد فيها ثمانية أسطر، وقد ذكر دوفولكس هذه الكتابة [1]، وعند معاينتنا لها تبين لنا أنها كالآتي:

[1] حديث رواه البخاري ومسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عليه.

[1] مصطفى بن حموش ، ص : 134 ــ 135 ، نور الدين عبد القادر ، ص : 165 ، سعد الله ، ص : 63 .

1بسم الله الرحمان صلى الله على سيدنا محمد و على آله و صحبه و سلم
2الحمد لله الذي رفع السماء و بسط الارض و فضل بقاعها بعضا
3على بعض و جعل أفضالها بقاعا تؤدى فيها النفل و الفرض و الصلاة واللام على
4محمد الشفيع في يوم العرص و سلم تسليما و بعد فهذا مسجد عظيمم ومقام كريم أسس
5على التقوى وارتسمت على السعادة و التوفيق أرجاؤه وأركانه أمر ببنائه الفقير الى مولاه
6مملوك مولانا السلطان الكبير المعظم الشهير المجاهد في سبيل رب العالمين مولانا خير الدين أيده
7الله نصره وهو عبد الله سبحانه صفر غفر الله ذنبه و كان ابتداؤه في شهر رجب الخير من العام
8الفارط عام تاريخه والفراغ منه ثاني شهر ربيع الاول عام أحد و أربعين وتسعمائة جعل الله ذلك
خالصا الى وجه الله حالصا الى وجهه الكريم



صورة الكتابة التأسيسية لجامع صفر

لكن هذا المسجد عرف تجديدات متتالية، فرغم نشأته البسيطة في البداية إلا أن الإنشاء به ووقف أوقاف كثيرة عليه[1]، وأهم تجديد وقع له هو ما تثبته كتابة تاريخية ثانية موجودة في الجامع عبارة عن لوحة رخامية مستطيلة الشكل جاء فيها:

[1] ــ وقد حبس خير الدين باشا مزرعة مساحتها نحو 10 هكتار بناحية سيدي يخلف بقرب سطاوالي غربي مدينة الجزائر يصرف دخلها على جامع القائد صفر بن عبد الله الكائن بالجهة العليا لمدينة الجزائر (الجبل) وأوصى بأن هذا العقار

بسم الله وأول الذكر الحمد لله..... ونصلي على محمد امتثالا للأمر بالصلاة
وبعد فان مما يسره الله وأولاه..... تجديد هذا المسجد للذكر والصلاة
وكان ذلك من خيرات أسعد الولاه...المخلص لصالح العباد لوجه الله
فكان التاريخ لما جدده وعلاه..... موسوما باسمه ووصفه الذي أعلاه
وهو جدد الرسوم بحمد الله..... حسين باشا المجاهد في سبيل الله سنة 1242



صورة رقم : / الكتابة الأثرية الثانية لجامع صفر .

فهذه الكتابة تثبت أن حسن باشا أعاد بناء جامع سفير سنة 1242هـ (1826 ـ- 1827)[1]، وقيل ذلك كان قد جدده بابا حسين سنة 1206هـ / 1791م، وكان على نمط جامع كتشاوة[2]. إذن الجامع عرف عدة تغييرات أثناء العهد العثماني .

لا تجري عليه أي ضريبة ، وذلك بتاريخ منتصف ـ ربيع الأول من سنة 942هـ سبتمبر 1535 والظاهر أن سيدي يخلف المذكور أعلاه هو الذي يسمى سيد خلف (بسكون الخاء المعجمة وفتح اللام) بقرب بلدة الشراقة ، بنحو كيلومتر عنها لقاصد الساحل . ينظر : نور الدين عبد القادر ، ص : 165 ، ويؤكد ذلك ما ذكر دوفوكس باستشهاده بوثيقة شرعية تعود إلى سنة (1535 ـ 942هـ) حررها القاضي الحنفي آنذاك . مصطفى بن حموش ، ص : 135 .

[1] ـ نور الدين عبد القادر ، ص : 165 ينظر كذلك : G . Marçais . l'archetecture musulmane d'occident . Tunisie , Alger , Maroc , Espagne sicile , paris 1954 , p : 431 .

[2] ـ رشيد بورويبة ، ص : 114 نقلا عن كلاين .

لغة الكتابات الأثرية: يتبين من النصوص في اللوحات السابقة الاهتمام الكبير باللغة العربية، وعلى الرغم من كون اللوحة تسجيلية إلا أننا نلاحظ استعمال النثر تارة كما في شبه الخطبة الأولى و النظم تارة أخرى كقالب شكلي لتضمين المحتوى التاريخي.

واللغة فصيحة تحوي بعض الأخطاء الاملائية.

6 ــ 5 ــ الكتابات الأثرية في جامع عبد الرحمان الثعالبي

بعد المعاينة المتكررة لمسجد سيدي عبد الرحمان الثعالبي وقراءة العديد من المؤلفات والأبحاث التي اعتنت بهذا المعلم التاريخي والاستعانة بمن قبلنا من الأساتذة يمكن قراءة هذه الكتابات. يتبين لنا أن هذه الكتابات توضح التأسيس والبعض الآخر يبين تاريخ التجديد.

الكتابة الأولى:

بسم الله الرحمان الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد

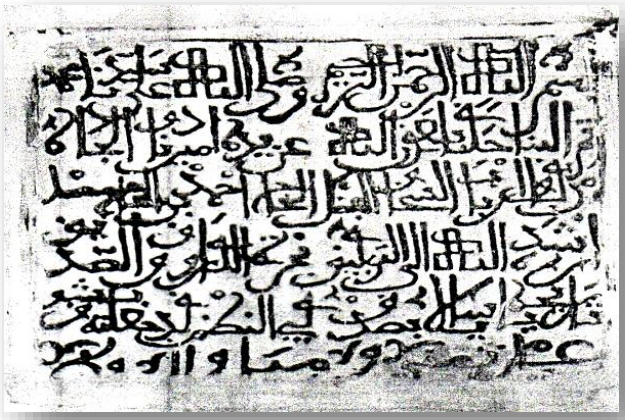
تم البناء حقا بعون الله على يد أميرنا دو الجاه

من فاق أرباب السخا و الفضل الحاج أحمد بن الحاج مصل

أرشده الله الى التوفيق بحرمة الفاروق و الصديق

تاريخه يا سايلا بصدق في النظم قد جعلته بشوق

عام ثماني ومية والف



صورة: / الكتابة التأسيسية الأولى لضريح سيدي عبد الرحمان الثعالبي

الكتابة الثانية جاء فيها :

هذا مقام شيخنا الثعالبي	**الثناء الجميل والمناقب**
تم بعون الواحد الجليل	**على يد عبد القادر الوكيل**
لعشرة مضت من رجب	**من زاره فاز بنيل المطلب**
...فاستمع خطابه وماية من بعدها ثمانية	
فجاء مكسولا بحمد الله	**بفضل شيخنا عظيم الجاه**
فالله يقضي للذي تسببا	**فيه بغفران وعفو وهبا**
ويقبل الزايران أتاه	**ويرحم الملهوف ان دعاه.**



صورة / الكتابة التأسيسية الثانية لضريح عبد الرحمان الثعالبي

الكتابة الثالثة جاء فيها:

كمل البناء بحمد رب الفاتح.....لمحرم بحسن واضح
سنة اثنتين و أربعين تعقبت .....مائة وألفا أسرعت كاجامع
في مدة الاحضا أمير المرتضى ....عبدي وقاه الله كل طوائح

ولقد سعى فيه الوكيل محمد.....الفاضل المشهور بابن الواضح
يعطينا الله واياه الرضى.....ويقيلنا من كل ذنب فاضح
هما لذات القطب لارى .....ركنا لمقهور وقصد الرابح



صورة / الكتابة التأسيسية الثالثة للضريح.

وهكذا يتبين لنا أن هذا المسجد باختلاف هذه الكتابات لا يمكن التوصل إلى تاريخ بنائه نظرا لتداخل التجديدات المتتالية وبالتالي يمكن القول" أنه لم يتوصل إلى تحديد زمان البنيان الذي أقيم حول ضريح الثعالبي، وقد يكون تاريخ هذا البنيان مرافقا لزمان وفاة صاحبه، أو بعد أيام قلائل منذ سكونه في ضريحه على الأكثر، والسبب في ذلك أن صاحب هذا الضريح قد كان لدى جميع الناس لا سيما وجهائهم محترما معظما مبجلا يلتمسون منه الدعاء الصالح، ويقتدون به في دينهم ودنياهم، وقد بنوا له مسجدا قرب منزله زمان حياته وأسموه باسمه، فعرف منذ ذلك الحين إلى ما بعد الاحتلال بمسجد سيدي عبد الرحمان الثعالبي، فأحرى بهم بعد موتهم أن يبنوا حول ضريحه المبارك [1]مقاما يكون لهم بمثابة تعبير صادق عن شعورهم

[1] ــ الحقيقة أن هذا العمل مناف للشرع الحنيف تماما فقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم أن تبنى المساجد على القبور ولو كان قبره صلى الله عليه وسلم فقبل وفاته نهى عن ذلك وقال : " وقد شاهدت أثناء زيارتي لهذا الضريح العديد من الأمور الشركية الباطلة من عامة الناس ، فهم يتمسحون بالقبور ، ويقربون القربات المادية والمعنوية ، بل ويدعون

الخالص وإحساسهم الروحي نحو طاعة شيخهم الموقر حيا وميتا [1]وقد أورد عبد الرحمان الجيلالي في الجزء الثاني من تاريخه ترجمة لصاحب المسجد فلتراجع.

أما بناء المسجد فكان من قبل الحاج أحمد داي، وقد ذكره غير واحد من المؤرخين، وذكر الشيخ عبد الرحمان الجيلالي ولاية الداي الحاج أحمد فقال: "هو الحاج أحمد داي ابن مصل، وكان والده إسكافيا منقطعا إلى مهنته، وإن ولده هذا حمل على تولية الحكم حملا فقبله واستقل بزمام الحكم يوم 23 ذي الحجة 1106هـ 4 أوت 1695م" [2]، ثم ذكر بعض مآثره وأعماله منها:"إشادته لبناية المسجد والقبة بضريح علامة الجزائر ودفين عاصمتها" سيدي عبد الرحمان الثعالبي" وهي من عمل المهندس البناء عبد القادر بتاريخ 1108هـ 1696م حسبما تشير إليه النقوش الموجودة بجدار الضريح الداخلي، وكذلك إقامة جسر وادي الحراش شرقي العاصمة"[3] ، ولقد ورد ذكر المسجد في العديد من المؤلفات التاريخية [4]، وهذا المسجد كما تبدو هندسته من الطراز الوافد " فقد جاء بهندسته الأتراك إلى الجزائر، ولم تكن قبل مجيئهم موجودة، ويظهر ذلك جليا في شكل القبة التي تغطي قاعة الضريح فهي تتألف من ثمان زوايا متحدة المساحة ، وفي داخل القاعة نلاحظ محرابا مزخرفا بين عمودين من الرخام، كما نلاحظ أيضا جدرانه مزينة بأرقى أنواع البلاطات الخزفية الملونة المجلوبة من

المقبور مباشرة ، وهذا قدح في التوحيد والعقيدة ، ويخشى على صاحبه الفتنة وسوء العاقبة ، فإن أعظم ما جاء به الإسلام هو نبذ الشرك ، والدعوة إلى التوحيد ، وقد كانت جمعية العلماء حريصة كل الحرص على تطهير الدين الإسلامي من هذه ال الأضرحة ، ولهذا نجد مبارك الميلي يؤلف كتابا جليلا سماه " الشرك ومظاهره " ، وتحدث فيه عن كثير من المسائل منها عدم الخضوع لمثل هذه الأضرحة ، ولكن بحثنا يتعلق بدراسة أثرية واقعية ، ولهذا سنترك المجال لأهل الاختصاص للحديث في ذلك .

[1] ــ خيرة بن بلة ، ص : 100 ، محمد بن عبد الكريم ، عبد الرحمان الثعالبي وضريحه ، ضمن ملاحق التحفة المرضية في الدولة البكداشية الملحق الثالث ، ص : 348 .

[2] ــ عبد الرحمان الجيلالي ، تاريخ الجزائر العام ، ج : 3 ، ص : 204 .

[3] ــ المرجع نفسه ، ص : 205 .

[4] ــ ينظر : خيرة بن بلة ، ص : 106 .

آسيا الصغرى، تتخلله عدة خطوط كتابية عربية الشكل بنوعيه الثلث والفارسي[1]وللتذكير فإن جامع سيدي عبد الرحمان يوجد في مقبرة للعديد من أعيان الجزائر نذكر من بينهم:خيدر باشا، الحاج أحمد باي قسنطينة، سيدي بن عبد الله يوسف باشا ، سيدي واضح، حسن باشا، مصطفى باشا، والأميرة روزة بنت الداي حسن باشا، الحاج علي بن الحفاف، محمد السعيد ابن زكري، عبد الحليم بن سماية، وابن شنب وعمر راسم[2] ويذكر المؤرخون أن لهذا المسجد والضريح أوقاف كثيرة" فقد كان لهذا الضريح أحد عشر عقارا عند تأسيس الوقفية، كانت تدخل حوالي 600 فرنك سنويا توزع على فقراء مدينة الجزائر، كما أوقفت بعض النساء أواني الطبخ النحاسية لفائدة الضريح"[3]، ويذكر سعد الله في كتابه التاريخ الثقافي أنه " كانت أوقاف الثعالبي تتكون من أحد عشر عقارا عند تأسيس الوقفية، لكن في سنة 1834 كانت الوقفية تتكون من 69 ملكية، وكانت هناك 13 ملكية غير منتجة، وزادت الصدقات والتبرعات فكثرت أوقاف المسجد وقد صادرت السلطات الفرنسية أوقاف الشيخ الثعالبي في آخر سنة 1848م" [4].

حكم وشعر في الكتابات بمسجد عبد الرحمان الثعالبي :

[1] ــ خيرة بن بلة ، ص : 108 ، محمد عبد الكريم ، ص : 347 .

[2] نور الدين عبد القادر ، ص : 172 .

[3] ــ سعاد فريال ، المساجد الأثرية ، ص

[4] ــ سعد الله ، التاريخ الثقافي ، ج : 5 ، ص : 69 ، وذكر دوفلكس الذي كان عضوا تنفيذيا في الإدارة " أن إدارة الممتلكات العامة سنة 1848 صادرت أحباسها ، وتكلفت رسميا بدفع رواتب موضفيها كما هو الحال بالنسبة لكل المؤسسات الوقفية حيث خضعت لقرار صادر من السلطات العسكرية الفرنسية أمضاه شارون ، يقضي بوضع يد الإدارة على كل الممتلكات الدينية " ينظر : بن حموش ص : 152 ، و للاستزادة في الموضوع ينظر : notes historiques sur les mosquees et autres edifices religieux d’alger Albert Devoulx Revue Afrciaine ; N ° 7 188 176. 10 .1883.P

ذكر ا.د. عبد العزيز لعرج في كتابه: الزليج في العمارة الاسلامية بالجزائر في العصر التركي العديد من الكتابات في هذا المسجد نلخصها فيما يأتي:[1]نجد العديد من البلاطات الخزفية على جدران الجامع البعض منها شوه، وبعض الكتابات مقلوبة وتتميز الكتابة بنوعين من الخطوط: الخط الفارسي والخط النسخي

أما المضمون الكتابي فيمكن تقسيمه إلى قسمين:

الأول عبارات وصيغ دينية مكتوبة بالخط الفارسي باللون الأزرق الكوبالتي على أرضية زرق بيضاء ناصعة من بينها بحران في الضلع الجنوبي الغربي تتضمن ما يلي:

البحر الأول: الدنيا كلها غرور

البحر الثاني: كله نعيم دون الجنة فانية

يليه بحران آخران:

الأول قوامه:الإيمان في التقوى

والثاني :لا شرف أعلى من الإسلام

ويذكر ايضا أننا نجد بجدار القبلة يمين المحراب ستة بحور متراكبة كل بحرين في صف أفقي الصف الأعلى يتميز بصغره عن بقيه بحور الصفوف الأخرى ويتضمن

في الصف الأول: لا اله إلا الله في الثاني محمدا رسول الله

والصف الثاني :البحر الأول:لا تحزن على كل مفقود. البحر الثاني :وذاكر المعبود موجود

الصف الثالث: البحر الأول: من يكن في خدمه الله. البحر الثاني::يجعل الله الأشياء في خدمته

والى يسار المحراب صف أخر من بحرين لم يبق منهما غير أجزاء صغيرة

[1]عبد العزيز لعرج الزليج في العمارة الإسلامية بالجزائر ، ص ص 247–253 بتصرف شديد

القسم الثاني من الكتابات ، تقع بأسفل الكتابة السابقة، رتبت في صفوف أفقية من ثلاث بحور أو بحرين ورسمت الكتابة بالخط النسخي من نوع الثلث التركي ، وتشمل الكتابه على أشعار صوفيه في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم من قصيده البردةللإمام البوصيري وتمتاز أبياتالقصيدة بالتقطع وعدم الترتيب الناتج إما من اختيار أبيات معينه لها أوأزيلت البحور المكملة لها ونجد مطلع ألقصيده في بحر بالجدار الجنوبي الغربي مرتبه في ثلاث بحور كالتالي

الأول:امن تذكر جيران بذي سلم مزجت دمعا جرى في مقلة بدم

الثاني: نعم سرى طيف من أهوى فأرقني

الثالث :والحب يعترض اللذات بالألم

ويوجد صفان من أربع بحور أخرى على يسار التجميعةالسابقة وعلى نفس الجدار الجنوبي الغربي

الأول قوامه: فان أمارتي بالسوء ما اتعظت

الثاني :من جهلها ينذير الشيب والهرم

ويوجد أسفلها بحران تشوهت كتابتهما واتخذت الحروف فيهما وضعا معكوسا كما يوجد بجدار القبلة إلى يمين المحراب صفان من أربع بحور

الأول:البحر الأول منه: لولا الهوى لم ترق دمعا على الطلل

الثاني :ولا أرقت لذكر البان والعلم

إنما في البحر الأول منه يتضمن أيحسب الصب أن الحب منكتم

الثاني :ما بين منسجم منه ومضطرم

وبجانب المحراب إلى اليمين شطر واحد داخل بحر يتضمن:وما لقلبك إن قلت استفق يهم وهو الشطر الثاني للبيت "فما لعينيك إن قلت اكففاهمتا"

و الأكسية الأخيرة إلى اليسار المحراب اندثر جزء منها ولم يبق غير أربعة بحور ذات صفين:

الأول: فكيف تنكر حبا بعدما شهدت

الثاني: به عليك عدول الدمع والسقم

الثالث: واثبت الوجد خطى عبرة وضنى

الرابع: مثل البهار على خديك والعتم

وتتميز هذه الأبياتالشعريةبأنها كتبت على مستويين رسمت الحروف القائمة فيها باستطالة واضحة تتداخل وتتقاطع مع الحروف المستلقية كما رسمت فيها أشكال الحرف الواحد بتطابق تام في جميع اللوحات مثل الواوات والميمات المبتدئة والعينات المتوسطةأما اللامات والألفات القائمة فذات ارتفاع واحد، سواء كانت مرسومه في المستوى الألفأو في المستوى الثاني

مما يدل على أن هذا النوع من الكتابة كان يعهد به لفنانين متمكنين

ويوجد على جدار القبلةإلى يمين المحراب ويساره حشوات مربعه من بلاطات الزليج صغيرة الحجم، ذات كتابة بخط النسخ المغربي وتتضمن عبارتين متكررتين بنفس النمط وبنفس اللون الأبيض و الأرضية الزرقاء التركوازية

الأولى ابشر يا فتى أن الفرج قد أتى

والثاني :في التأني سلامه وفي العجلة ندامة

تحليل الكتابات الأثرية

باختصار شديد يمكن القول أنه غلبت على هذه الكتابات الشعر، وهنا نجد البردة للامام البوصيري وهو الشيخ الامام أبو عبد الله محمد بن سعيد البوصيري(608-

696هـ/1213-1295م) المشهور بقصائد مدحه للرسول صلى الله عليه وسلم، وقصيدة البردة م[1]ن أشهر القصائد مطلعها :

أمن تذكر جيران بذي سلم مزجت دمعا جرى من مقلة بدم

وتقع في 162 بيتا وقد ترجمت لعدة لغات وشرحت أكثر من تسعين شرحا، وخمست وشطرت مرات كثيرة. والقصيدة تتكون من عشرة فصول تبدأ بمقدمة غزلية كعادة الشعر العربي القديم، ثم تلي الفصول تباعا: فصل في منع هوى النفس، مدح الرسول (ص)، فصل في مولد المصطفى، الفصل الخامس في ذكر معجزات الرسول (ص)، والسادس : في ذكر شرف القرآن، السابع: في ذكر معجزة الاسراء والمعراج، ثم ذكر جهاد النبي (ص)، والتاسع والعاشر: ابتهالات ومناجاة .

والقصيدة قمة في اللغة والبيان والبديع تحليها موجود في عديد الدواوين .

فقط نشير إلى اهتمام الجزائري بها حتى جعلها على البلاطات الخزفية في المساجد والقصور على غرار مسجد عبد الرحمن الثعالبي.

6 ــ 6 ــ الكتابات الأثرية بجامع كتشاوة

يذكر أن مسجد كتشاوة سمي بمسجد الكتابات، حيث وصف الزياني كتاباته بقوله بعدما مدح حسن باشا وذكر جملة من أعماله فتحدث عن ظروف بناء هذا المسجد ومما ذكره:"وجمع له أنواع المرمر والرخام من بلاد الأتراك والاروام، من كل قائم ومبسوط، وربع ومخروط، ومدرج ومشجر، ومنقوش ومسطر، وخدود وقدود وكتبوا أسماء الله وآياته "[2]

تحليل بعض الكتابات بجامع كتشاوة

---

[1]روى البصيري أنه أصيب بمرض عضال (شلل نصفي)جعله يفكر في نظم قصيدة في مدح الرسول الكريم ، ويتضرع إلى الله بها ، راجيا الشفاء و العافية ، وحدث ذات ليلة أن رأى الرسول – صلى الله عليه وسلم –في المنام ، فمسح وجهه بيده الشريفة ن وخلع عليه بردته مكافأة له ، وكان ذلك سببا في شفائه.

[2]أبو القاسم الزياني ، الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور برا وبحرا ، تح : عبد الكريم الفيلالي ، الرباط ، المغرب ، دار المعرفة للنشر والتوزيع، 1991 ، ص376 حيث زار جامع كتشاوة سنة 1210/1796هـ



الكتابة التأسيسية بجامع كتشاوة بالمتحف الوطني للآثار القديمة بالجزائر

هذه الكتابة محفوظة بالمتحف الوطني للآثار القديمة بالجزائر، جلبت للمتحف سنة 1855،ذكرها كل من كولان ودوفو أنها كانت فوق المدخل الرئيسي للجامع، نقش عليها باللغة العربية بخط الثلث كتابة منفذة بطريقة الحفر الغائر المطعم بالرصاص

جاء فيها :

السطر الاول:حبذا جامع يرام بالمنام مبلغ القصد/وتبسم بورق الختام من أفق العهد/بناه سلطاننا الرضي عظيم القدر /حسن باشا بالبها عديم المثل و الند
السطر الثاني: قد أفنى لتشييد أساسها على التقي /ثقل فخاره من مل عن العد .وجاز بهجة لدى الناظرين وازح/لما كملت كاشعر و بايمن و المجد سنة 1209



صورة/لوح تذكاري كان على جدار جامع كتشاوة بمتحف الآثار القديمة

نص الكتابة :

قال الله تبارك وتعالى في كتابه القديم /بسم الله الرحمن الرحيم /الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا

وتجدر الإشارة إلى ان هاتان الكتابتان هما الوحيدتان التان يحتفظ بهما متحف الآثار القديمة، مع أننا نجد عند كولان أنه يذكر وجود لوحات أخرى عند بوكري(colection boucris) وهي مجموعة تضم العديد من اللوحات لا نعرف مكانها (يمكن أن تكون في فرنسا) ومن بين النصوص التي يذكرها: كانت في كتابات جامع كتشاوة:"سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار"، " ماشاء الله " و"ولا تدعو مع الله أحدا"و"يا فتاح يا وهاب" و"إنه هو التواب الرحيم "[1].

7ــ الكتابات الأثرية بمساجد مدينة البليدة في العهد العثماني:

الكتابات الأثرية بمسجد ابن سعدون:

يحوي المسجد ثلاث أبواب وقد بني المسجد على أرضية مستوية وقد كتب اسم المسجد على هذه المداخل على النحو التالي:

المدخل الغربي: مسجد ابن سعدون.

المدخل الشمالي: مسجد ابن سعدون.

المدخل الجنوبي وفيه اللوحة التأسيسية وكتب فيها:

أسس المسجد المالكي بالبليدة ابن سعدون

في أواخر القرن التاسع

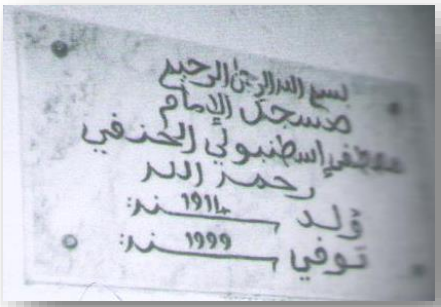
وبداية القرن العاشر الهجري .

وفيما يلي صور لأبواب المسجد على التوالي :المدخل الغربي، المدخل الشمالي، المدخل الشرقي، المدخل جنوبي .

[1]محمد رافع ، المنشآت المعمارية عند دايات الجزائر خلال الفترة العثمانية ، ص204 ، نقلا عن Colin (g) p168

8.المسجد العثماني الحنفي بالبليدة:

الكتابة الأثرية في المسجد الحنفي:



صورة / اللوحة التذكارية بالمسجد الحنفي بالبليد ة .

وتبين اللوحة أعلاه أن المسجد جدد عدة مرات ويعود تاريخ بناء هذا المسجد حسب الوثائق الأرشيفية المعتمدة في التصنيف إلى سنة 1750 م/1164 هـــ.

ما أستنتجته من معاينتي للمسجدين أن الحفاظ على الكتابات الأثرية الأصلية غير موجود، على الرغم من وجود آثار عثمانية وأندلسية عديدة بالمدينة، لكن عدم الحفاظ عليها أدى إلى اندثارها لاسيما في الفترة الاستعمارية .

8. المسجد الكبير بالمدية(مثال عن مساجد التيطري)



صورة الكتابة التأسيسية للمسجد الكبير بالمدية، المتحف الوطني للآثار القديمة والفنون الاسلاميةA:56

مضمون الكتابة:

الحمد لله كمل بناء هذا المسجد المبارك المكرم
الأجلأبو الرضى خليل بن محمد كان الله له ذلك
بتاريخ شعبان
من عام سبعة وعشرين ومائه وألف
1127

للوحة في الأعلى خاصة بالمسجد الكبير أوالأعظم بالمدينة القديمة بالمدية، مكتوبة بالخط النسخي وهي مربعه الشكل طول ضلعها 37 سم، وجاءت الكتابة في أربعةأسطر.

يذكر أن هذا المسجد قام بتجديده الداي بابا علي شاوش ما بين 1715م-1718م وكان هذا المسجد تعقد به الجلسات القضائية التي يحضرها السادة المالكيةوالحنفية وتعرض القضايا التي لم يستطع حلها في المساجد الصغرى في القرى والمدن المجاورة، وكانت أوقافه كثيرة.

تم هدم هذا المسجد بعد الاحتلال الفرنسي سنه 1843م ميلادي ونهبت أوقافه وكنوزه وحتى أعمدته لم تسلم من السرقة، وأخذت إلى وجهات مجهولة.يذكر أن هذه اللوحة حفظها بربروجر مدير متحف الآثارالقديمة وقدمها الكابيتان بارون من المدية وسلمت إلى المتحف

الفصل الرابع:

الكتابات الأثرية في العمارة الدينية

بالجزائر في الفترة العثمانية

بايلك الشرق الجزائري وبايلك الغرب الجزائري

1ــ الكتابات الأثرية في مساجد بايلك الشرق الجزائري في العهد العثماني

أ- العمارة الدينية في قسنطينة في العهد العثماني :

اهتم العثمانيون اهتماما بالغا بالعمارة الدينية سيما بناء المساجد، والحقيقة أن اهتمام سكان قسنطينة ببناء المساجد كان في الفترات المتتالية للحكم الإسلامي أي منذ استقرار الاسلام بها، وقد كان شكل المسجد في البداية بسيطا، وليس لها من الفخامة ومتانة البنيان ما تثبت به أمام الزمن، ومع مجيء العثمانيين زاد الاهتمام ببناء المساجد وتطور عمرانها، وحسب الخريطة أعلاه يتبين لنا كثرة هذه المساجد، و هذا على غرار المدن الجزائرية في هذا العهد، وسنمثل بثلاث مساجد في المدينة وهي مسجد سوق لغزل، والجامع الأخضر، والجامع الكتاني . و قد ذكر فايسيت أن عدد المساجد في قسنطينة قد بلغ 100 مسجد وزاوية [1]

الكتابات الأثرية في جامع سيدي الكتاني:

ذكر غير واحد من المؤرخين منهم رشيد بورويبة[2] أنه هناك كتابة منقوشة على قطعة رخامية فوق باب من أبواب الجامع تبين تاريخ بناء المسجد وقد عاينت هذه الكتابة وأخذت لها هذه الصورة[3]

---

[1]- Vayssette,opcit,p25

[2] ــ رشيد بورويبة ، الكتابات الأثرية في المساجد الجزائرية ، ترجمة : إبراهيم شبوح ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1979 ، ص : 179 ، وقد ذكرت الدكتورة بن بلة هذا التاريخ أيضا في رسالتها .

[3] ــ هذه الكتابة وجدتها مثبتة فوق المدخل الرئيسي لمسجد سيدي الكتاني وهو يقع في الجهة الجنوبية واللوحة مربعة الشكل من الرخام وفيها إطار يلفه زخارف نباتية بينما الكتابة تتوزع على سبعة أسطر في كل سطر خرطوشان مستطيلان الأول فيه خرطوش واحد فقط ، وقد استعمل خط النسخ المغربي.





صور/ الكتابة الأثرية بجامع الكتاني

وجاء فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم ....صلى الله على سيدنا محمد
مطالع الخير جاءت .....من أفق شاو السعادة
وأشرق الجو منها.....بمسجد للإفادة
بناه باي الزمان.....وهو الصالح ذو المجادة
تلاه في الخير يسعى.....ذخرا ليوم الاعادة
حباه ربي بيتا.....في جنة و زيادة
إن رمت تاريخه قل .....ذا مسجد للعبادة سنة 1190

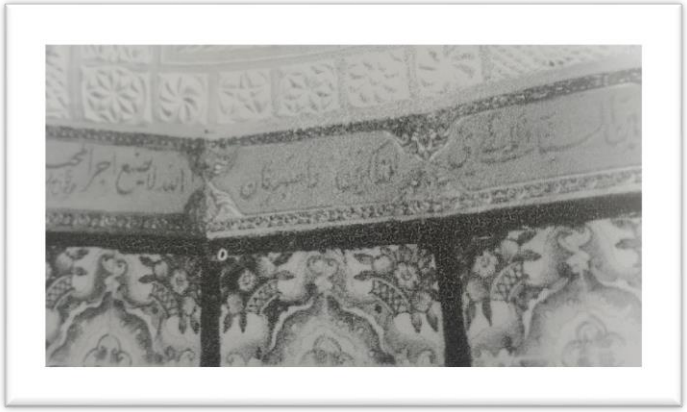
فالكتابة تبين أن باني هذا المسجد هو صالح باي وذلك في سنة 1195هـ الموافق لـ1776م.

وقد وقفت أيضا على كتابة أخرى في المحراب وذكرها العديد من المؤرخين والأثريين الذين تعرضوا لدراسة جامع سيدي الكتاني[1]، وهي عبارة عن شريط مكون من ستة خراطيش وتؤطرها زخارف نباتية .ويعود تاريخها إلى 1789/1204م

وجاء فيها :

[1]ينظر : على سبيل المثال .عبد القادر دحدوح ، مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني ، ص : 306، . خيرة بن بلة ، عبد الحق معزوز ، درياس لخضر و غيرهم .

بسم الله الرحمان الرحيم فاستعذ ب (الله)
وأقم الصلاة طرفي النهار
وزلفا من اليل إن الحسنات
يذهبن السيئات ذكرى
للذاكرين واصبر فإن
الله لا يضيع أجر المحسنين .....عمر بن قاسم في سنة 1202



صورة تبين الكتابة في المحراب

وبالمقارنة مع الكتابة التاريخية الموجودة بالمدخل يتبين لك وجود فارق بين التاريخين حيث أن 1202 يقابل 1787م بينما انتهت الأشغال بالمسجد سنة 1776، وربما يعود اسم هذا الشخص إلى من قام بالنحت في المسجد.

كما نجد كتابة أخرى على المنبر المرمري تبين تاريخ الصنع وهي سنة 1204هـ 1789م[1].وهي على شكل مستطيل يزين جبهة المنبر، نقشت عليها كتابة تسجيلية بخط جميل شبيه بكتابة المحراب، وهو خط الثلث المنفذ بأسلوب الحفر البارز، وهي تقع في سكرين ومنظمة حسب النظم الشعري ممتدة بداخل أربعة خراطيش متساوية المقاسات، تحمل الكتابة اسم صالح باي بن مصطفى، هذا الأخير هو الذي بنى المسجد سنة 1190هـ

[1]عبد الحق معزوز ، لخضر درياس ، جامع الكتابات الأثرية العربية ، ج/1 ، ص 184

نص الكتابة :ونجد فيها الشهادتين: اسم المنشىءــ تاريخ الصنع .

لا اله الا الله .....محمد رسول الله
بنى منبرا بالعز و النصر صالح .....له سبل الخيرات تاريخه رشد



صورة الكتابة على المنبر الرخامي

ومما سبق يمكن أن نقول أن بناء هذا الجامع يعود إلى الباي صالح مصطفى الزميرلي نسبة إلى مدينة آزمير التي تقع غرب الأناضول[1]

[1]حيث ولد بها سنة 1725م ثم دخل إلى الجزائر بعد ارتكابه لحادثة قتل أحد أقربائه خطأ وكان عمره لا يتجاوز 16 سنة (1741 ــ 1742) ، اشتغل في الأول بمقهى للإنكشارية فكانت له فرصة للتقرب منهم ، والتحق بهم وانخرط في صفوف الجيش الانكشاري ، تعرف على الباي أحمد القلي وصار مساعدا له ، واستمر في الوصول إلى المراتب العليا في الجيش حيث ساعده أحمد القلي من جهة حينما زوجه ابنته وتوطدت العلاقات بينهما ، وقوته العسكرية من جهة أخرى ..وتذكر المصادر أنه تزوج من امرأتين إحداهما ابنة رفيقه القديم أحمد الزواوي بن جلول الذي صار سنده المالي والمعنوي طيلة فترة حكمه وقد رزق بمجموعة من الأولاد ، ، وبعد ثلاث سنوات صار خليفة لأحمد القلي.

ولما توفي أحمد القلي عين صالح بن مصطفى بايا على قسنطينة سنة (1185 ــ 1771)، وقد عرفت مدينة قسنطينة في عهده تطورا واضحا حيث دامت ولايته اثنتان وعشرون سنة اكتسب فيها ثروة كبيرة أثارت حوله عدة تساؤلات ، وكانت له نشاطات عسكرية وسياسية ، حيث شن حملات كثيرة على القبائل منهم أولاد نايل (بوسعادة) سنة (1187هـ ــ 1773م) وكذلك أولاد عمور (آفلو والأغواط) سنة (1187 ــ 1773) وهاجم أولاد بن عاشور بفرجيوة (1190هـ ــ 1776م) ، كما ساهم في صد العدوان الإسباني على الجزائر سنة 1189ــ 1775م.

- الكتابة التاريخية في جامع حسن باي بقسنطينة (جامع سوق لغزل)

- **جامع حسن باي بقسنطينة:** يقع جامع حسن باي حسب المعاينة الشخصية في القصبة القديمة بمدينة قسنطينة، يحده من الناحية الغربية الشمالية ساحة فسيحة شوشان عبد الباقي، بها مركز عسكري من الجهة الغربية ومتوسطة من الجهة الجنوبية، وقصر أحمد باي من الجهة الشمالية، ويحده من الجهة الجنوبية نهج صغير ودرج يؤدي إلى الساحة السالفة الذكر، ومن الجهة الشرقية يحده شارع ديدوش مراد، الذي كان يعرف في عهد الاستعمار بشارع كرمان، ويطلق عليه العامة شارع فرنسا الذي يتفرع منه نهج عميرة الميلود ونهج 24 أفريل، ويقابله مباشرة مسجد سيدي قموش الذي بني سنة 1343هـ /1924م، وهو إلى الجهة الشرقية الشمالية ويحده من الناحية الشمالية أيضا نهج 19 جوان.

أما في المجال العمراني فقد شيد العديد من المنشآت على غرار جامع سيدي الكتاني والمدرسة الكتانية والمدرسة التي بجانب الجامع الأخضر وجدد الجسر الذي يتقدم باب القنطرة ، وشيد العديد من المباني التجارية ، كما اهتم بإنشاء المساجد فقد بلغ عددها ثمانية وسبعون (78) مسجدا وذلك حسب سجل الأوقاف ينظر : سجل صالح باي للأوقاف 1185 – 1207 هـ 1771ـ 1792 م تقديم وتحقيق أ . د . فاطمة الزهراء قشي ،تقديم أ . د . عبد الجليل التميمي ، الجزائر : قسنطينة ، دار بهاء الدين للنشر و التوزيع ، 2009

، أما عن الزوايا فقد بلغت ثلاثة عشر (13) زاوية ، كما اهتم بالعمارة في خارج المدينة حيث نجد سبعة (7) مساجد ، كما بنى جامعا بعنابة يحمل اسمه وسأدرسه في هذه الرسالة.

كما اهتم بالجانب الصناعي من أبرزها صناعات الجلود ، النحاس ، الحدادة ، الحلي ، النسيج ، الفخار، الخياطة .. كما اهتم بالزراعة فأنشأ بساتين ومزارع مثالية في سهول عين مليلة وعنابة وسكيكدة ، كما أسس مرسى في هذه الأخيرة وساهم ذلك في تطور التجارة الخارجية .

لقد كانت نهاية صالح باي نهاية مأساوية حيث كثرت المظالم فعزله الداي حسن باشا وعين مكانه الباي إبراهيم بوصبع في 28 ذي الحجة 1206هـ / 21 أوت 1792م ، إلا أن صالح باي لم يرض به وقتله وشق عصا الطاعة فأرسل إليه حسين باي بن حسن بوحنك فألق عليه القبض وقتله شنقا سنة 1207هـ ـ 1792م . ـللتعرف أكثر على سيرة الرجل ينظر : عبد الرحمان الجيلالي ، تاريخ الجزائر العام ، مذكرات أحمد شريف الزهار ـحقيق : أحمد توفيق المدني ، محمد المهدي شعيب ، أم الحواضر في الماضي والحاضر ، محمد الصالح ابن العنتري فريدة منسية . تحقيق : يحي بوعزيز ، وكذلك طاهر بن عبد الحليم ، مدرسة صالح باي ، عبد القادر دحدوح ، مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني ..

ويعتبرمسجد حسن باي بقسنطينة من المساجد العتيقة التي عرفتها المدينة في العهد العثماني، وكما هو معروف خلال هذا العهد، أن الحياة الاقتصادية كانت منظمة في المدن الكبرى وعرفت مدينة قسنطينة العديد من الحرف والتجارة في هذه الفترة، وفي هذه الأماكن يكثر السكان من جهة والمرتادون على هذه الأسواق من جهة أخرى، مما جعل الأعيان والاغنياء والحكام يتسابقون في بناء المساجد والمدارس.

وسوق لغزل هو أحد الأسواق في قسنطينة القديمة نسبة إلى السوق المختصة في بيع الأصواف. وقد اشتهر اسم هذا المسجد بعد الاستقلال باسم جامع حسن باي، ولا توجد أي وثيقة أو نص تاريخي يعود الى العهد العثماني وردت فيه هذه التسمية[1].

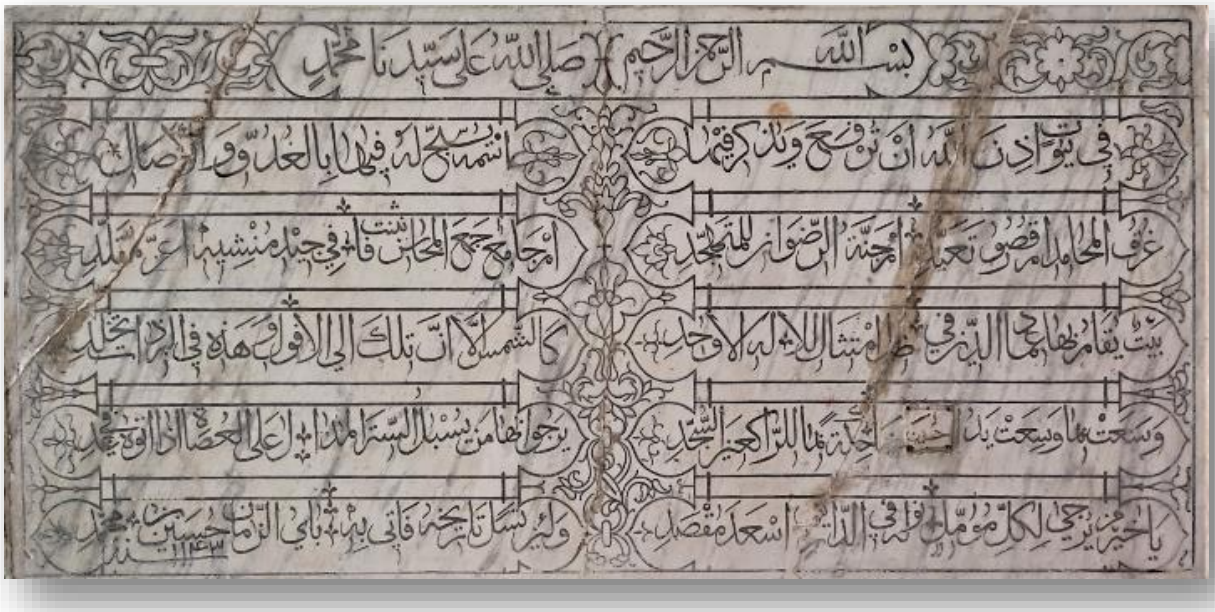
الكتابات التاريخية للجامع:ومن خلال الكتابة التاريخية الموجودة في قصر أحمد باي[2]، وهي عبارة عن لوحة رخامية مستطيلة جاء فيها:

بسم الله الرحمان الرحيم صلى الله على سيدنا محمد
في بيوت أذن الله أن ترفع و يذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو و الآصال
غرف المحامد أم قصور تعبد أم جنة الرضوان للمتهجد
أم جامع جمع المحاسن فأنشئت....في جيد منشيه أعز مقلد
بيت يقام بها عماد الدين ف.....ي ظل امتثال للإله الاوحد
كالشمس إلا أن تلك الى الأفو.....ل وهذه البر ذات الخلد
وسعت بما وسعت بدا حسين ضا...حكمة بما للراكعين السجد
يرجو بها من يسبل الستر المذ.....ال على العصاة إذ أتوه في غد
يا خير من يرجى لكل موصول.....نوله في الدارين أسعد مقصد
ولئن تسل تاريخه فأتى به .....باي الزمان حسين ابن محمد
في سنة 1143

[1] – عبد القادر دحدوح، المرجع السابق ،ص 275.

[2]– رشيد بورويبة، الكتابات الأثرية، ص155, خيرة بن بلة، ص 77, عبد القادر دحدوح، ص276، وغيرهم.





صور/الكتابة التذكارية الموجودة بقصر الباي.

تبين هذه الكتابة التاريخية بوضوح تاريخ بناء المسجد ومؤسسه، فالتاريخ كما هو موضح هو سنة 1143[1]،أما المؤسس فهو حسب الكتابة التاريخية الأثرية "باي الزمان" أي "حسن ابن محمد"، وبالرجوع إلى الدراسات التاريخية وكتب التراجم نجد أن الباي هو حسن بوكمية وهو الباي الثامن عشر في ترتيب البايات الذين تعاقبوا على حكم قسنطينة، وقد تولى الحكم سنة 1125هـ و1713م، وقد عرفت المدينة في عهده استقرارا كبيرا و سار في الناس سيرة حسنة وقد بقي في الحكم مدة 23سنة وتوفي سنة 1149هـ/1736م[2].

[1] اختلفت الدراسات الأثرية حول تاريخ بناء هذا المسجد ، فذكرت الدكتورة بن بلة ، أنه كان سنة 1154هـ الموافق لـ 1741م ، و كان منطلقها الجملة الحسابية ، و اعتمدت حساب الجمل على الطريقة المغربية ، لكن هذا التاريخ يأتي بعد و فاة مؤسس الجامع الباي حسين ، و استدركت على ذلك بقولها " الظاهر أن الأعمال قد بوشرت خلال حياته ، بينما انتهت هذه الأعمال خمس سنوات بعد و فاته" و ردت ماذهب إليه رشيد بورويبة حيث استعمل حسب رأيها طريقة حساب الجمل المشرقية ، بينما يرى الدكتور عبد القادر دحدوح ، أن التاريخ الصحيح هو المثبت على اللوحة ، و الذي أثبته أيضا رشيد بورويبة ، و قال أن الدكتورة بن بلة لم تنتبه لهذا ، و علق على الجملة الحسابية التاريخية الواردة في اللوحة التاريخية " أنها توجد بها هفوة لغوية ، تكمن في إضافة حرف الياء إلى كلمة (فأتي) ، و هو الحرف الذي يقابله في الحساب بالجمل رقم 10 ، .. و عليه فالتاريخ المحدد بالأرقام هو 1143 ـــ 1730 ، و هو نفس التاريخ الذي ذكره كل من شاربونو و فايسات ، في حين يذكر بن علي شعيب ، أن بناء الجامع كان في سنة 1334 هـــ / 1721م دون أن يحدد السند الذي اعتمد عليه ، و يبقى التاريخ المحدد على الكتابة التاريخية هو الأصوب ، ينظر : عبد القادر دحدوح ص : 277 ، خيرة بن بلة ص : 77

[2] ينظر ترجمته في : محمد الصالح بن العنتري ، فريدة منسية ، تح : يحيى بوعزيز ، و رغم وجود هذا الاسم في الكتابة الأثرية ، إلا أننا نجد اختلافا في نسبة هذا المسجد لمؤسسه من الناحية التاريخية ، فقد عرف بعد الاستقلال باسم جامع حسن باي ، و على حسب محمد المهدي شعيب في كتابه أم الحواضر ، ص : 249 ، فإن حسن باي ـــ نسبة إلى الباي حسن بو كمية ـــــ و الكتابة تبين أن مؤسسه هو "حسين " ، و لكن هناك من يرى رأيا آخر و هو أن هذا المسجد بناه الحاج عباس بن علي جلول ، و هو جد مصطفى بن جلول الذي كان يشغل وظيفة القضاء بالمحكمة الحنفية بقسنطينة ، و حسب شاربونو ، فإن هذا الأخير قد أمده بمعلومات استقاها من عقد عائلي مفادها أن جده الحاج عباس هو من بنى الجامع بأمواله الخاصة ، و نقش اسمه على لوحة رخامية ، إلا ان الباي حسين بوكمية لم يرض بذلك ، و طلب منه إدراج اسمه ، و بعد وفاة الحاج عباس قام الباي بمحو اسم المؤسس الحقيقي ، و عوضه باسمه حسين ، و هناك بعض المصادر التاريخية تذكر غير ذلك . ينظر : عبد القادر دحدوح ، ص : 275 .

-الكتابات في جامع سيدي لخضر بقسنطينة:

جامع سيدي لخضر :يتوسط الجامع الأخضر المباني على الرغم من وجود شوارع ضيقة تحده من عض النواحي، ويظهر الجامع على أنه مبني من طابقين ويحتوي الجامع على مدخلين رئيسيين، يقودك أحد الأبواب إلى داخل المسجد، و بالضبط إلى شبه الصحن، فهو عبارة عن ردهة غير مسقفة ، تقع بالطابق السفلي، بينما نجد الميضأة في الطابق السفلي من المسجد .أما بيت الصلاة فهي في الطابق الثاني مما يجعل هذا الجامع من المساجد المعلقة وهو بذلك يشبه جامع سيدي الكتاني، في سوق الجمعة (العصر)وقاعة الصلاة مستطيلة الشكل، وحسب إمام المسجد السيد محمد بوزرد فإن السلم المؤدي إالى قاعة الصلاة قد غير سنة 1958م،حيث كانت خشبية واستعملت فيها الإسمنت والزليج الأخضر الذي لا يزال إلى اليوم، بينما ألصقت درابزين لإعانة الشيوخ المقعدين للصعود بسهولة في عهد هذا الإمام، وتبلغ مقاسات بيت الصلاة[1]، 15,20م في 12,60م، يتم الدخول إليها عبر مدخلين فتحا في ضلعه الشمالي الغربي، وتتكون بيت الصلاة من خمس بلاطات موازية لجدار القبلة تقطعها بلاطة وسطى عمودية، وعلى يمين ويسار هذه البلاطة توجد أربعة أساكيب عمودية اثنتان في كل جهة، و هي محددة بأعمدة رشيقة متشابة في القواعد التي ترتكز عليها ويقوم على هذه الأعمدة سقف المسجد المسطح المكون من الخشب، و نجد به قبتان واحدة تتوسط بيت الصلاة بينما الثانية تتقدم المحراب ، وهما قائمتان على حنايا ركنية مثلثة الشكل.

وفي وسط الجدار القبلي محراب نصف دائري يبلغ عمقه 75 سم، وهو ينقسم إلى قسمين نصفه العلوي عبارة عن نصف قبة عبارة عن محارة مشعة، بينما الجزء السفلي كسي بلاطات خزفية مربعة مزخرفة، وعلى جانبي المحراب عمودين مزدوجين، ونجد في

[1]– بن بلة خيرة، المرجع السابق، ص149.دحدوح عبد القادر ، ص : 291 . على تفاوت بينهما .

المحراب كتابة آية قرآنية:"وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين"[1]

وعلى جانب هذا المحراب من الجهة اليمنى يوجد منبر خشبي طوله 2م وعرضه 70سم فيه باب يرتفع بـــ170سم.[2]

ويقابل المنبر والمحراب دكة المبلغ ، تقوم على أربعة أعمدة رخامية، وبعد هذه الدكة نجد سدة مصنوعة من الخشب، وهي الأخرى ترتكز على أعمدة خشبية ويصعد إلى السدة عبر سلم خشبي.





[1]هود ، الآية 114 .

[2]– وحسب إمام المسجد فان بعض المصلين أراد تغير المنبر مرات عديدة نظرا لكبر حجمه مقارنة بقاعة الصلاة، حيث تقطع الصفوف الأولى والتي رغب الرسول(ص) في التبكير إليها وهناك من اقترح تعديله ، و آخرون أرادوا تغيير مكانه بعد صلاة الجمعة، وهناك من اقترح أخذه إلى المتحف وصناعة منبر جديد ولكن الإمام حسب قوله رفض هذه الاقتراحات وأبقى هذا المنبر في المسجد لكونه تحفة أثرية تبين تفكير الأجيال الماضية، وللإشارة فان إمام المسجد بوزرد محمد متعاقد مع مديرية الشؤون الدينية منذ سنة1988م، كإمام بهذا المسجد.



صور من داخل الجامع الأخضر .

ويلاحظ على جدران بيت الصلاة تكسية خزفية متنوعة الأشكال والألوان ونجدها تتوزع على كل المسجد بارتفاع يبلغ 180سم،وقد يتناقص أحيانا.وما لفت انتباهي في هذا المسجد وجود بلاطات جصية نقشت فيها أبيات من بردة البصري في شكل شريط على غرار ما وجدته في بعض المساجد القديمة بمدينة دمشق، وكذلك ما وجدته في مدينة فاس.

وهو عبارة عن شريط طويل من الجص ينطلق من الجدار الشمالي ويستمر على الجدار الغربي ليواصل مسيرته أخيرا على الجدار الجنوبي حيث نهاية الشريط، يبلغ عرضه 12سم، نقشت بداخله كتابة بخط النسخ بأسلوب الحفر البارز نفذت بطريق القولبة، تزينها بعض الزخارف النباتية .



صورة تبين جزءا من كتابة البردة.

مضمون النص:

وكلهم من رسول الله ملتمس .....غرفا من البحر أو رشفا من الديم	
وواقفون لديه عند حدهم	من نقطة العلم أو من شكلة الحكم
فهو اللذي تم معناه وصورته	ثم اصطفاه حبيبا بارىء النسم
منزه عن شريك في محاسنه	فجوهر الحسن فيه غير منقسم
دع ما ادعته النصارى في نبيهم	واحكم بما شئت مدحا فيه و احتكم
وانسب إلى ذاته ما شئت من شرف..... وانسب إلى قدره ما شئت من عظم	

النص عبارة عن مقتطف من البردة للإمام شرف الدين محمد البصيري، وهذا المقتطف يمثل الأبيات من 41 إلى 46 من نفس القصيدة [1]

[1] عبد الحق معزوز و لخضر درياس ، الجامع للكتابات ، ص 166.

يشغل جامع سيدي لخضر (الجامع الأخضر)، مساحة مستطيلة مقاساتها 13م في 15,50م[1]. والمسجد له طابقين كما أسلفت فهو من المساجد المعلق، حيثتكون بيت الصلاة في الطابق الثاني ويصعد إليها عبر سلم، كما أن الطابق السفلي خصص لمرافق المسجد.

الكتابات التاريخية:

يعود تاريخ تأسيس هذا الجامع حسب الكتابات التاريخية التأسيسية الموجودة بالمسجد، الأولى موجودة على الجانب الأيمن المفضي إلى الرواق المؤدي إلى مدخل بيت الصلاة، وهي عبارة عن لوحة رخامية مربعة الشكل يبلغ طول ضلعها 56سم، تحمل كتابة ضمن 08 ثمانية خراطيش مقسمة إلى أربعة أسطر على شكل أبيات شعر. نقشت عليها كتابة تسجيلية بخط الثلث المركب نفذت بأسلوب الحفر البارز.

مضمون الكتابة : اسم المنشيء ــ الدعاء ــ تاريخ الانشاء . أنظر الصورة



صورة / لوحة تأسيسية بالجامع الأخضر .

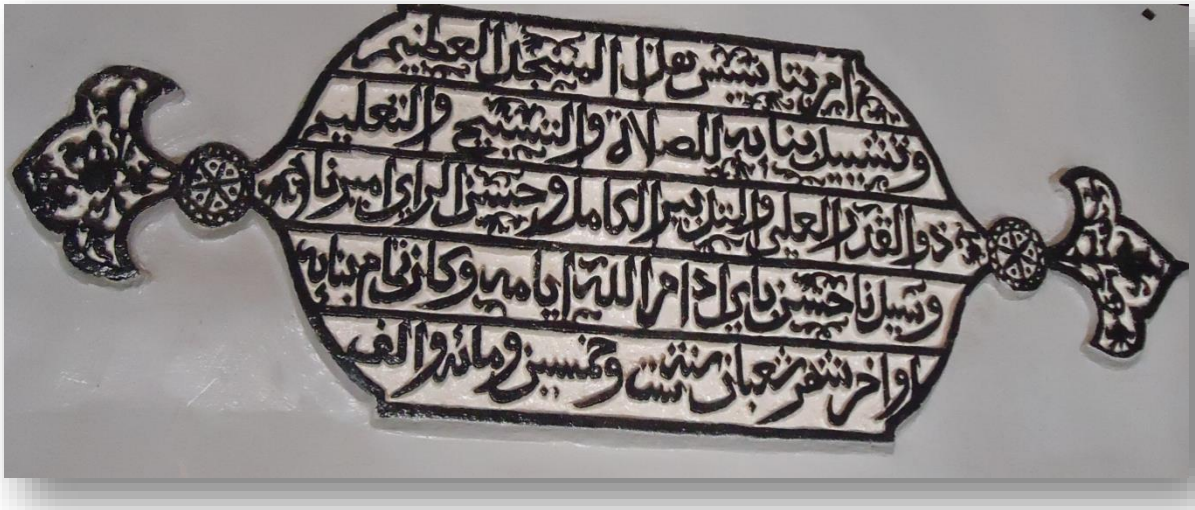
[1]–خيرة ن بلة، المرجع السابق، ص149.

جاء في هذه الكتابة ما يلي[1]:

تم بناؤنا البديع الباهي	عن إذن بانيه لوجه الله
به حسن بك بن حسين أمر	فصار مسجدا لنا كما ترى
1156هـ	
جعل الله سعيه سعيا مشكورا	و جزائه جزاء موفورا
سنة ستة وخمسين ومائة و ألف	من هجرة من له العز و الشرف

أما الكتابة الثانية: فهي عبارة عن لوحة جصية مستطيلة الشكل يبلغ عرضها 65سم وطولها120سم، وينتهي طرفاها المعقودين بقوسين مدببين يليهما دائرة وورقة ثلاثية الأطراف.

وجاءت الكتابة في خمسة أسطر مؤطرة.



صورة / الكتابة التأسيسية(التسجيلية) الثانية بالجامع الأخضر .

ومضمون الكتابة التسجيلية هو:

صيغة الأمر بالتشييدــ الإشادة بالأميرــ اسم الآمر بالتشييدــ تاريخ البناء.

ونصها:

[1]عبد الحق معزوز و لخضر درياس ، ج/1 ، ص 161

أمر بتأسيس هذا المسجد العظيم
وتشييد بنائه للصلاة والتسبيح والتعليم
ذو القدر العالي والتدبير الكامل وحسن الرأي أميرنا
وسيدنا حسن باي أدام الله ايامه وكان تمام بنائه
أواحر شهر شعبان سنة ست وخمسين و مائة وألف

فيتبين من خلال هاتين الكتابتين الأثريتين التأسيسيتين أن الجامع الأخضر قد بني في أواخر شهر شعبان سنة 1156هـ الذي يوافق أكتوبر1743م، وهذا ما أشار إليه المؤرخون مثل أبو القاسم سعد الله في كتابه التاريخ الثقافي، ومن هذه الكتابات الأثرية يتبين بأن باني هذا المسجد هو الباي حسن المدعو بوحنك ابن كلياني حسين حيث ولد سنة (1149هـ/1739م)، وقد تولى السلطة سنة (1139 هـ/1726م) وتولى بايليك قسنطينة بعد وفاة والده الباي بوكمية، وقد عمل[1] طوال حياته على بناء المؤسسات مثل المدارس كما شق الطرقات وتوفي سنة (1168 هـ/1754م).[2]

ب-ـ مسجد صالح باي بعنابة .

يقع هذا المسجد بقلب المدينة وبالضبط في الناحية الشرقية من ساحة العرض العسكري في ساحة أطلق عليها اسم 19 أوت 1956م.

أما تاريخ تأسيس مسجد صالح باي فيعود إلى سنة 1206هـ الموافق لـ 1792م، وهذا ما توضحه الكتابة التاريخية الموجودة في خارج المسجد بالناحية الشمالية ، وتحتوي هذه اللوحة الرخامية على مقطوعة شعرية من خمسة أبيات، وقد جاء فيها:

1- محمد الصالح بن العنتري ، فريدة منسية، تحقيق يحي بوعزيز . الحاج أحمد بن المبارك، تاريخ حاضرة قسنطينة، ص20 . مولاي بلحميسي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني (الجزائر ، ش . و .ن . ت 1 ، 1981، د. ت.) ص: 38-39.وسعد الله ، التاريخ الثقافي / كما تعرضت د . .بن بلة خيرة ود.عبد القادر دحدوح لهذه الشخصية في رسالتيهما.

2- محمد الصالح بن العنتري ، فريدة منسينة، ، تحقيق : يحيي بوعزيز ، المرجع السابق،ص20.

لعمرك بيت الله للسر جامع .....مشيد أركان به النور ساطع
بدت دونه زهر الكواكب رفعة.....به بونة للسعد منها مطالع
به جاد تاج الدين والمجد صالح ...إلى درج العلياء راق وطالع
أمير البرايا زاد ظفرا ونصرا.....مؤيد دين الحق للشرع تابع
فمذ أسس البيت الرفيع على الهدى ...أأرخه للخير برك جامع سنة 1206

وهكذا يتبين أن هذا المسجد بني في سنة 1206هـ، وبانيه هو صالح باي وهو نفسه الذي قام ببناء مسجد الكتاني .

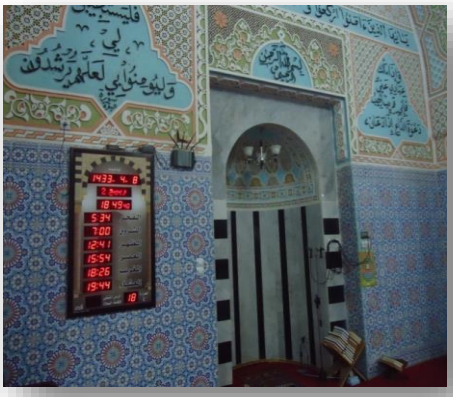
تحليل الكتابة الأثرية :

هذه الأبيات تبين بوضوح ما بلغته اللغة العربية في هذه الفترة

فهذا النظم يذكر اسم المسجد وصفاته و المكان الذي بني فيه وهو مدينة بونة كما يذكر مشيده صالح باي و أهم أوصافه ويختم بذكر تاريخ إنشائه .

وقد اتخذ الناظم من حرف العين حرفا للروي ، كما نجد التصريع في البيت الأول وهو من المحسنات البديعية .

نجد أيضا كتابات في المحراب وهي جديدة حيث أخذت صورتين لنفس المحراب بينهما سنتين و لا حظت تغييرات في الكتابات .

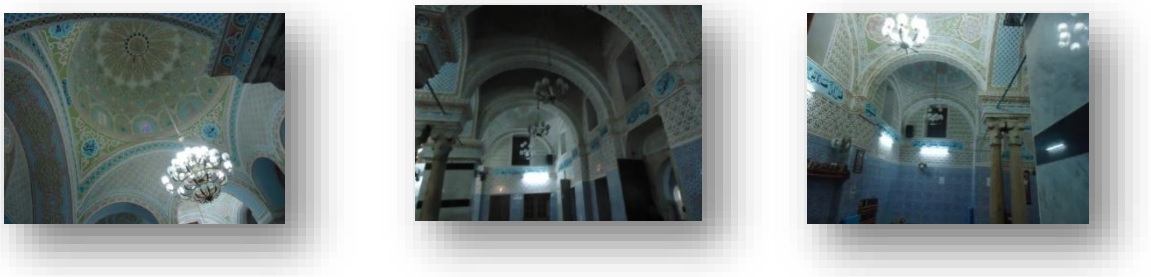




صورة / المحراب 2010 صورة/ المحراب 2012

كما نجد في آخر بيت الصلاة سدة نصعد إليها من الركن الشمالي الشرقي وبها دكة المبلغ و هما من الخشب، وكليهما هدما كليا في الترميم الأخير [1]

يقوم سقف المسجد على دعامات تشكل بوائك وهو ثلاثة أنواع: مسطح، وقبة مركزية وقبيبات وأقبية برميلية .



صور . بيت الصلاة في مسجد صالح باي

وعلى الرغم من هذا التسقيف نجد أن للمسجد صحنا كبيرا ندخل إليه من باب وعلى يمينه الميضأة التي نصل إليها عبر درج ننزل معه إلى قبو تحت الصحن، بينما يتكون الصحن من بائكتين تتكون كل واحدة من ستة عقود نصف دائرية وشكلت بذلك مجنبتين واحدة في الناحية الشرقية والأخرى في الجهة الغربية.

ج– بعض الكتابات الأثرية في بايلك الشرق :

ذكر الأستاذان عبد الحق معزوز ولخصر درياس كتابات أخرى في عنابة، نشير إليها هنا:

الكتابة في مسجد أبي مروان:

جاءت الكتابة **في مسجد أبي مروان** على لوحة رخامية طولها 140سم وعرضها 44سم مقسمة إلى خمسة خراطيش مفصصة مشكلة على عمودين تزينها دوائر ومسامير بارزة.

[1] في زيارة قمت بها للأستاذ الدكتور عبد العزيز لعرج تحدثت معه في هذا الموضوع فاستاء كثيرا مما لحق بهذا المعلم الأثري .

مضمون الكتابة:

لعمرك بيت لله للبر جامع .....مشيد أركان به النور ساطع

بدت دونه زهر الكواكب رفعة ....به بونة للسعد منها طالع

به جاد تاج الين والمجد صالح....إلى درج العلياء راق وطالع

أمير البرايا زاد ظفرا ونصرة .....مؤيد دين الحق للشرع تابع

فمذ أسس البيت الرفيع على الهدى ...أأرحه للخير برك جامع

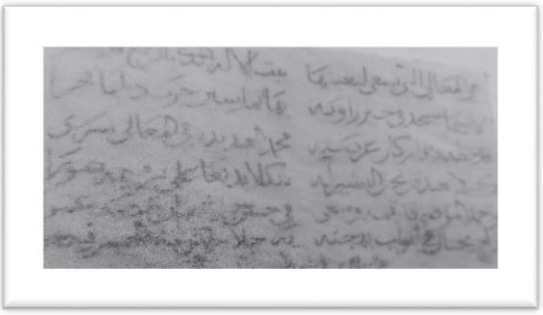
سنة 1302

تتضمن الكتابة كتابة تسجيلية نظمت على هيأة قصيدة شعرية من البحر الطويل وكتبت بخط النسخ وبأسلوب النقش الغائر المملوء بالرصاص، وفيها نقط الإعجام وحركات الاعراب وقد جاء في الكتابة الصيغ: الإشادة بالمسجد والباي صالح ــ اسم الباي ــ الدعاءــ التاريخ .

3.8مسجد تاملاحت بتاماسين:

نجد في الفترة العثمانية ايضا امتداد ا للجنوب كما أسلفت، فقد ذكر عبد الحق معزوز ولخصر درياس كتابات في الجنوب نذكر منها هذه الكتابة:

جاءت الكتابة في لوحة رخامية مستطيلة الشكل، معلقة خارج المسجد عللى يسار مدخله الرئيسي، نقشت عليها كتابة تسجيلية بخط الثلث بأسلوب الحفر الغائر، جاءت الكتابة في سبعة أسطر على شكل أبيات شعرية، وتحمل الكتابة عناصر واضحة: الحث القرآني على بناء بيوت الله ــ الإشادة بمسجد تاماسين ــ اسم المشيد ــ اسم المجدد ــ اسم المنمق ــ تاريخ التنميق .



كتابة تذكارية بمسجد تاملاحت بتاماسين نقلا عن الجامع للكتابات

نص الكتابة :

هي المعالي التي يسعى لبغيتها..... بيت الإله بالرفع قد أمرا
لا سيما مسجد في خير زاوية..... بها تماسين جرت ذيلها فخرا
قد خطه وبنى أركان عرضه..... حمد العيد بدر في المعالي سره
وجدد العيد قل نجل البشير له..... شكل بديعا على ترميمه صورا
وأحمد المرضى قديمه وسعى..... في حسن خليفة أرخصه عمرا
فراح يختال في أبواب بهجته..... به جملا مرقش بماء الحسن فيه جرا
حفى السايح بن البشير التجاني 1200

وبنفس المسجد نجد كتابة على المنبر الخشبي [1]



نموذج من الكتابة على المنبر بمسجد تاملاحت نقلا عن الجامع للكتابات .

[1] عبد الحق معزوز و لخضر درياس ، الجامع في الكتابات العربية ، ص 193/191

على يسار المنبر :

1 بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد
2 جدد هذا المنبر الشيخ الذي اسمه إبراهيم بالجود قد أثنى عليه كثيرا الناس في كا موطن وهو ابن جلاب فبالفضل أجلبنا

على يمين المنبر :

3 وجاد رضى عن طيبة النفس محلصا قد يبقى على دنيه تفنى
4 بنا مسجدا لله ذو الكرم الاسنى ولرام به يوم الزي منتهى الحسنى
5 فتم بعون الله في آخر صفر سنة 1219 ميرس بالرمز قد تفهم المعنى

والعناصر الموجودة في هذه الكتابة هي: البسملة ــ الصلاة على النبي ــ اسم الصانع ــ الإشادة به ــ تاريخ الصنع .

وقد جاءت الكتابة بخط النسخ المغربي بأسلوب الحفر البارز.

الكتابة الأثرية بالجامع العتيق بتقرت

نجد في المسجد العتيق بتقرت لوحة من الرخام الأبيض مربعة الشكل طول ضلعها 42سم ومثبتة على الجدار الجنوبي لصحن المسجد، نقشت عليها كتابة بخط النسخ المشرقي العثماني بأسلوب النقش الغائر المحشو بالرصاص، جاءت الكتابة في سبعة أسطر داخل أشرطة مفضضة الجانبين.



الكتابة الأثرية بمسجد تقرت نقلا عن الجامع للكتابات .

نص الكتابة:

1 بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد
2 كمل بناء هذا المسجد الأعظم بحول الله
3 وحسن عونه على يد من أسس بناءه بتقوى
4 .من الله ورضوان الأمير الأسعد
5 الأهنى الأرشد قاصدا به وجه الله الأكرم
6 الشيخ إبراهيم بن المرحوم الشيخ أحمد بن محمدبن
7 جلاب سنة 1220 عشرين ومايتين و ألف و بالله التوفيق

والكتابة تضمنت البسملة ــ الصلاة ــ اسم المنشيء ــ الإشادة بالمنشيء ــ تاريخ الإنشاء ــ الدعاء.

9ــ الكتابات في مساجد بايلك الغرب الجزائري في العهد العثماني: وهران ومعسكر .

شهد بايلك الغرب هو الآخر عدة تطورات في الفترة العثمانية على الرغم من تعرضه للاستعمار الاسباني خاصة وهران والتي تم تحريرها، وقد تطورت العمارة الدينية، وأحدثت عدة منشآت جديدة كما تمت ترميمات وتجديد للبنايات القديمة، وقد انتشرت الكتابات الأثرية بكثرة نمثل بما يأتي.

أ- جامع عين البيضاء بمعسكر دراسة تاريخية و موقعية:

يقع جامع عين البيضاء على بعد 300م من السور الشرقي لمدينة معسكر، وسمي بعين البيضاء نظرا لكون الحي الذي يوجد فيه يسمى حي عين البيضاء[1]، كما يدعى هذا الحي

[1] ــ مهيرس ، ص : 50 .

أيضا حي الصبايحية [1]، ويقع هذا الحي في أسفل مدينة معسكر على الناحية الشرقية منها على أرض مائلة إلى الشرق كذلك، ويقال أيضا: " أخذ اسم المسجد من وجود عين كانت موجودة أسفل السور المذكور، وكان لونها يميل إلى الأبيض، ولم تقتصر هذه التسمية على الجامع فقط بالمنطقة بل سمي الحي كله باسم هذه العين، ويشير أحد الكتاب في سنة 1841 إلى هذه المنطقة بكونها قسم من أقسام مدينة معسكر، التي يقول عنها أنها كانت تنقسم إلى أربعة أقسام بارزة: معسكر وسط المدينة، وركوب إسماعيل وبابا علي وعين البيضاء، وتعتبر الأقسام الأخيرة بمثابة ضواحي مدينة معسكر[2]، وسمي هذا المسجد أيضا مسجد الباي محمد الكبير وكذلك مسجد المبايعة [3]."[4] تشير المصادر إلى المسجد الذي يقع في ضاحية العين البيضاء جنوب المدينة دون إعطائه اسما، وقد أعجبت به التقارير الفرنسية لجمال نباته، ولكون منارته الرشيقة كانت تعلو جميع المنازل"[5] .

لقد كانت مدينة معسكر عاصمة لبايلك الغرب الوهراني في القرن السابع عشر الميلادي خلفا لمازونة التي كانت بعيدة بعض الشيء على وهران، وتذكر المصادر التاريخية والأثرية أن تاريخ بناء هذا المسجد يعود إلى يوم 1 ذو القعدة من عام 1195هـ الموافق لـ 1780م،

---

[1] ــ يحي بوعزيز ، ص : 110 .

[2] ــ خيرة بن بلة ، ص : 14 ، , L'Algérie promenades pittoresques Libraire Editeur ,. ,louis jard , Paris , 1840 , p : 148 ,

[3] ــ يحي بوعزيز ، ص : 200 .

[4] ــ عقب الأستاذ مبروك مهيرس على ذلك مضيرفان فا اسما ثالثا وهو مسجد سيدي حسان وقال : " ليطمس الاستعمار الفرنسي معالم واسم هذا المسجد المزدوج الشرف والذي تعاقب عليه شرفين لمجاهدين ، الأول الباي محمد الكبير فاتح وهران و الثاني االأمير عبد القادر بطل المقاومة الشعبية بالغرب الجزائري ضد الاستعمار الفرنسي ، و أنه ليس من مصلحة الاستعمار أن يترك ماا المسجد مفتوحا ، و بهذه الأسماء يضل الجزائريون يذكروهما ما دامت هذه الجدران قائمة ، فعمد الاستعمار إلى حيلة لينسى سكان معسكر هذه الأسماء ، ينظر مهيريس ، ص: 50 .

[5] ــ سعد الله ، ج : 5 ، ص : 105 .

ويذكر سعد الله " أن هذا المسجد كان قد أمر ببنائه الباي محمد بن عثمان[1] عندما كانت معسكر في مقر حكمه [2]حيث تولى هذا المنصب منذ عام 1778 وبقي فيه قرابة ربع قرن حتى عام 1799م والذي سيتم على يده تحرير مدينة وهران والمرسى الكبير عام 1792م، حيث اهتم بتعمير مدينة معسكر، ومن ضمن منشآته (مسجد سيدي حسن أو مسجد المبايعة أو مسجد عين البيضاء)، ويمكن إيراد هذه الكتابة التاريخية الأثرية المكتوبة بالخط المغربي والتي جاء فيها :

[بسم الله الرحمان الرحيم ــ صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه
الحمد لله
أما بعد أمر بتشييد هذا الجامع المبارك خليفة السلطان السيد محمد باي بن عثمان أ
يده الله أمين
انتهى بحمد الله على يد المعلم أحمد بن محمد بن حج احساين بن صار مشيق
التلمساني رحمه الله في أول يوم ذي القعدة على خمسة وتسعين وماية وألف]

في حين يذكر سعد الله تاريخا آخر وهو سهو منه إذ يقول : " وتشير الكتابات إلى أن بانيه هو أحمد بن صار مشق التلمساني سنة 1175هــ " [3]، بينما يؤكد يحي بوعزيز وكذلك مبروك مهيرس ما جاء في الكتابة الأثرية [4]. ويذكر أن بانيه هو المعلم أحمد بن محمد بن ساري التلمساني، وهو خلاف ما تؤكده الكتابة الأثرية. بني يوم 05 ذو القعدة 1195هــ /

[1] ــ محمد بن عثمان :
[2] ــ سعد الله ، ج : 5 ، ص : 104 .
[3] سعد الله ، ج : 5 ، ص 104 .
[4] يحيى بوعزيز ، ص : 104 ، مبروك مهيرس ، ص : 50 ،

1780م من طرف الباي محمد الكبير حسب الكتابة الأثرية الجصية التي تحيط بالمحراب، والمهندس الذي أشرف على بنائه هو المعلم أحمد بن محمد بن صاري تلمساني.

وهذا ما تبيّنه الكتابة الجصية المزينة على محراب الجامع، تقع الكتابة في ثلاثة أسطر أفقية متوازية، السطر الأول مقسم الى شطرين حصرا في إطارين زخرفت دائرتهما بأشكال نباتية، وبين الإطارين دائرة محلاة بشكل زهرة، وعلى يسار ويمين توجد دائرتان أخريان ترى داخل كل واحدة منهما نجمة ذات ثمانية أفناد، أمّا السطر الثاني فمجزأ الى ثلاثة أقسام: تركيب ينطوي على ابتهال، واسم المؤسس ثمّ دعاء له.وهي على النحو التالي :



صورة محراب مسجد عين البيضا

الكتابة الأولى الأفقية فوق المحراب:

باسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وعلى ءاله وصحبه

الكتابة الثانية الأفقية فوق المحراب:

- **دائرة اليمين:**

الحمد لله

الكتابة الوسطى:

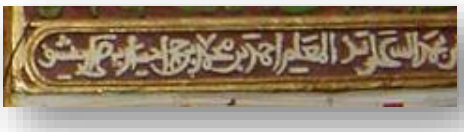
أما بعد أمر بتشييد هذا الجامع المبارك خليفة السلطان السيد محمد باي عثمان

ايده الله أمين



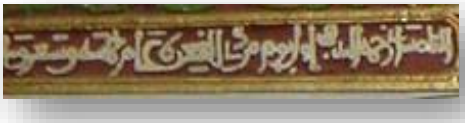
دائرة اليسار:

الكتابة الأفقية يسار المحراب:



انتهى بحمد الله على يد المعلم
أحمد بن محمد بن حج اساين بن صارمشيق

الكتابة الأفقية يمين المحراب:



التلمساني رحمه الله في أول يوم ذي القعدة عام خمسة وتسعين وماية وألف

كما نجد آية الكرسي مكتوبة بنفس الخط كما توضحه الصورة .



لقد اهتم الباي محمد الكبير ببناء هذا المسجد حيث جلب له البنائين من كل مكان، وهو مسجد جميل، وقد أنشئ في ظروف كانت الجزائر في حالة جهاد وحرب مع إسبانيا فتغنى بها الشعراء وقيلت فيها القصائد [1] .

[1] ــ مبروك مهيرس ، ص : 50 ، وقد نقل عن ابن هطال التلمساني من كتابه رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري إلى الجنوب الصحراوي الجزائري ، ص : 91 ، قصيدة السيد الحاج أحمد ابن علال القروي الذي يصف فيها هذا المسجد الجميل منها قوله :

ألق العصاء و فك رحل ركائبي بالمسجد المنشي بأم عسكر

المحكم التشييد في شرفاته فتراه يحسن كالرياض الممطر ...

عجبا له من مسجد في الأرض قد حاكى السماء تطاولا في المفخر ...

بناه الأمير محمد في الغرب قد لا حت آثاره كالصباح المسفر .

وكذلك ما يثبت تاريخ هذا المسجد الكتابة الأثرية الرخامية الموجودة داخل بيت الصلاة على يمين الباب الرئيسي في لوحة طولها 64سم وعرضها 50 سم والتي جاء فيها [1] :

الحمد لله الذي وفق عباده لسلوك المتقين ودلهم لصالح الأعمال التي يتبع بها الإنسان والصلاة والسلام على المبعوث بالمعجزات والآيات البينات صلى الله عليه وعلى آله صلاة وسلاما دائما بدوام الأرض والسماوات أما بعد وأن السيد أتر محمد بولكباشي أجمع جميع الدار الكائنة على ملكية بأم العساكر التي كان اشتراها من صهر الناسك الإمام أمير الوقت مولانا الحاج عثمان باي كما هو ذكر الشراء بيده مختوما بطابعه التحبيس على عقار الذكور والإناث ما شاء الله وامتدت فروعهم على عقبهم عقب عقبهم ومن مات بغير عقب رجع نصيبه إلى الباقين من النسل رجعت الدار المذكورة إلى مكة والمدينة تحبيا لا يبدل ولا يغير سيعلم الله الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون . تاريخ ربيع الأول عام أربعة وستين و مائة وألف شهد بذلك السيد مصطفى بن أبي شلاغم رحمه الله .



صورة الكتابة التذكارية لجامع المبايعة .

وقد بقي هذا المسجد معلما إسلاميا هاما شارك في مسيرة الحياة الثقافية لهذه المدينة والمنطقة وتصدر للتدريس فيه علماء أفاضل ،فقهاء وأدباء ومحدثون وعلى رأسهم العالم المشهور

[1] ــ م .ن ، ص : 51 ــ 52 .

الحافظ: محمد أبو راس ابن أحمد بن ناصر الراشدي الناصري الذي توفي عام 1238هـ 1822 ــ 1823م ودفن بمعسكر [1] .

أما إبان الاحتلال الفرنسي فلا يخفى على أحد أن المقاومة في إقليم الغرب كانت بقيادة الأمير عبد القادر الجزائري وبقي هذا المسجد فخرا كونه احتضن مبايعة زعماء منطقة غريس والحشم الأمير عبد القادر أميرا للجهاد والمقاومة أوائل عام 1833م، ولذلك أصبح يسمى مسجد المبايعة، واستمر في وظيفته عدة سنوات إلى أن تم نقض معاهدة تافنة من طرف الفرنسيين أواخر عام 1839 الذين احتلوا مدينة معسكر في العام الموالي، فتعرض المسجد ــ مسجد المبايعة ــ لمحنة الغلق والإهانة والإذلال قرابة سبعين عاما كاملة"[2] ، فهذا يبين أن مسجد عين البيضاء تعرض على غرار المساجد الأخرى بباقي البلاد الجزائرية للتشويه والطمس فلم يبقوا معالم الإسلام باقية، بل حاولوا أن يبعثوا من جديد ما اندرس من آثار رومانية أو وندالية، ولكن هدموا آثار المرحلة الإسلامية، ولكن يذكر سعد الله "أن الأوروبيين كانوا يعجبون بالجامع ويزورونه كمعلم سياحي، ولكن السلطات الفرنسية لم ترحم أيضا هذا الجامع الجميل والأثري" [3] .

[1] ــ يحي بوعزيز ، ص : 213 .

[2] ــ يحي بوعزيز ، ص : 212 .

[3] ــ سعد الله ، ج : 5 ، ص : 104 .



الصورة : مدخل مسجد المبايعة توضح موضع الكتابة .

وهكذا إذن لم يشفع جمال هذا المسجد أن يبق على الأقل تحفة أثرية بعد أن تعطلت مهمته كمسجد يرتاده المسلمون لعبادة الله وحده لا شريك له، وينهلون من تعاليم شريعة دينهم السمحة " لقد كان من أول أعمال الفرنسيين التخريبية هو أنهم احتجزوا هذا المسجد ووضعوه مخزنا للعتاد العسكري، وبقي على هذه الحالة حتى مطلع القرن العشرين، وبالضبط إلى سنة 1905، وفي رواية أنه أعيد فتحه كمسجد للمسلمين سنة 1910م[1]، ويذكر يحي بوعزيز" أن بعض اليهود استأجره من الفرنسيين واتخذه متجرا لبيع الحبوب وخاصة القمح الصلب واللين والخرطال وهذا لإذلال المسلمين وقد راودت هذا اليهودي فكرة تحويل هذا المسجد إلى بيعة لليهود ولكن الفكرة لم تنجح" [2].

لقد شاء الله أن يعيد هذا المسجد لمهمته سنة 1910 وهو لا يزال على تلك الحال إلى يومنا هذا.

[1] ــ مبروك مهيريس ، ص : 52 .

[2] ــ ينظر : القصة التاريخية كاملة في : يحي بوعزيز ، ص : 213 .

المسجد دراسة وصفية:

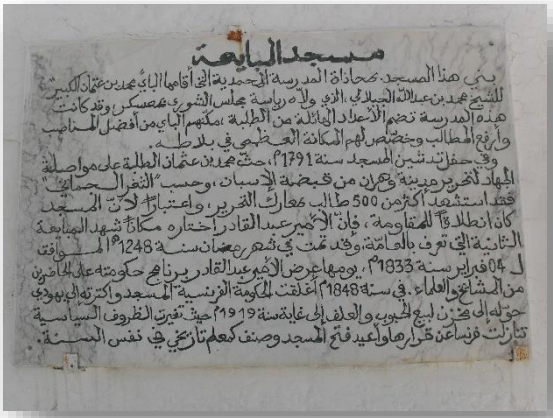
يتخذ بيت الصلاة التخطيط المربع ويتوسطه جزء مركزي تعلوه قبة مركزية، ويحد المربع الذي تقوم عليه هذه القبة مجموعة من العقود الحذوية التي تحملها مجموعة من الأعمدة بنوعين رباعية توجد في الزوايا والمزدوجة، وشغلت منطقة الإنتقال بحنايا ركنية على هيئة أنصاف أقبية متقاطعة، ويتوسط جدار القبلة محراب مضلع، تتقدمه قبة زينت بزخارف جصية قوامها زخرفة التوريق، أمّا المئذنة فتحتل الركن الجنوبي وهي من النّوع المضلع، وغطي وسط كل رواق بقبيبة منخفضة عن المركزية وغطي باقي باثني عشرة قبوا متقاطعا."و نجد أيضا بالمسجد مساحة واسعة نصفها حديقة عبارة عن صحن وهو جنوب بيت الصلاة، أما بقية الصحن فهو بطحاء مبلطة كبيرة، و في أقصى الجهة الجنوبية من الصحن يوجد بيت الوضوء، وابعاد الصحن هي : 44م × 14م، ويخلو الصحن من الأروقة والأقواس[1] .

ذكرت سابقا أن هذا المسجد استعمل كمخزن للأسلحة وللعسكر في العهد الاستعماري كما أنني ذكرت أن الأوروبيين كانوا معجبين بعمارته، وقد وضع خلف هذا المسجد حائط نظرا للصبغة العسكرية التي أخذها عن الفرنسيين، وقد لحق بالمسجد تغيرات كبيرة في الصحن والمدرسة التابعة له بينما بقيت بيت الصلاة والمئذنة على حالهما .

نجد في هذه القاعدة فتحة مستطيلة تهيء المئذنة من الجهة السفلية، وكذلك تساهم في تغيير الهواء بالداخل.

كما ثبتت على جدار القاعدة لوحة تذكارية

[1] ينظر : مبروك مهيريس ، المساجد العثمانية بوهران و معسكر ص : 99 .



صورة : لوحة تذكارية حديثة

-الجامع الكبير بمعسكر:

يقع المسجد الكبير في الجهة الغربية من مسجد المبايعة وعلى بعد مئات الأمتار، وقد ذكر سعد الله " أنه في داخل سور المدينة يوجد مسجدان أحدهما ربما هو مسجد الباي وكانت معسكر في عهد الباي محمد الكبير عاصمة سياسية وعلمية واقتصادية"[1]، وسمي أيضا بجامع السوق[2].

أما من الناحية التاريخية فإن تأسيس هذا المسجد يعود بناؤه كما تذكر بعض المصادر إلى شهر شعبان 1162هـ / 1747م، ومن هذا التاريخ يتبين أن هذا المسجد قديم وذو عمر طويل وقد أسس على أرضية مائلة ومنحدرة من الغرب إلى الشرق، ولذا نجد المحراب مرتفعا أكثر من متر ونصف على أرضية الشارع المجاور له شرقا بينما أرضية القاعة غربا منخفضة عن الشارع المجاور لها غربا بنفس القدر كذلك [3].

[1] ـ سعد الله ، ج : 5 ، ص : 105 .

[2] ـ مهيريس ، ص : 48 .

[3] يحيى بوعزيز ، ص : 204 .

وبالعودة إلى الكتابات الأثرية نجد في بعض اللوحات التذكارية[1]المثبتة داخل بيت الصلاة والتي جاء فيها بخط مغربي واضح :

" الحمد لله لا نهاية لطوله، وصلى الله على سيدنا محمد نبينا عبده ورسوله أما بعد، أمر ببناء هذا المسجد المبارك المحصون المعظم الأرفع القامع لواء الحمد الأسمى ومالك أزمة المجد الأسمى حاج الحرمين الشريفين أمير المؤمنين المجاهدين في سبيل رب العالمين، صاحب الرتبة العالية وتحفة الملوك العثمانية مولانا الحاج عثمان باي بن السيد إبراهيم خلد الله ملكه ملكا عاليا وهو على الأمة واليا ساميا، وكان ذلك في شهر شعبان عام ستين ومائة وألف 1160هـ " .

كما بنى الدار والقبة الملاصقة للجامع نفسه، المعروفة عند الناس بقبة الباي إبراهيم، لكونه مدفون داخلها، و تعرف بقبة الشيخ سيدي عبد الرحمن الجيلالي، وأمر بكتابة اسمه وتاريخ بنائها فكتب ونقش على الحجارة ما يلي[2]:

" بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا و مولانا محمد أما بعد قد أمر ببناء هذه الدار المباركة، الأمير الأجل العدل الشهير الرفيع الحظ المجاهد المرابط المقسط عدله في الجائرين، رمز البايات الغربية وتلمسان عبد الله أمير المؤمنين مولانا الحاج عثمان بن إبراهيم خلد الله ملكه ونصره حسب ما أمر أيده الله بتشييد هذه القبة العظيمة حرمة للشيخ الجليل سلطان الصالحين الشيخ عبد القادر الجيلالي أدركنا الله رضاه قصد بذلك وجه الله العظيم وثوابه الجسيم بتاريخ فاتح المحرم عام سبعة وستين ومائة وألف "

وقد ذكر يحي بوعزيز اختلافا في تاريخ بناء هذا المسجد وأثبتت ما وجد في الكتابة الأثرية[3]، بينما قال الأستاذ مهيريس أن هذا المسجد بني للمرة الأولى سنة 1160هـ من طرف الباي إبراهيم، باي الإيالة الغربية، وأعيد ترميمه وإضافة قبة الشيخ .

[1] ــ ينظر : خيرة بن بلة ، ص : 83 ، مبروك مهيريس ، ص : 48 ، يحي بوعزيز ، ص : 204 .

[2] مهيريس : ص 48 .

[3] ــ ذكر يحي بوعزيز أنه بدىء في تشييده في فاتح محرم من عام 1117هـ 25 أفريل 1705م ، واعتمد اللوحة الرخامية المثبتة في الجدار الخلفي للمسجد على اليسار فوق القبور الثلاثة ، ثم قرر أن هذا التاريخ فيه نوع من الأشكال

وتجدر الملاحظة أن هناك كتابة أثرية حديثة كتبت في سنة 1965 تذكر تاريخ الزيادة في عهد وزير الشؤون الدينية العربي سعدوني[1]، وتبين هذه اللوحة أن زيادة من قبل جماعة المسلمين وتوسعة واضحة للمسجد حدثت بعد الاستقلال[2] .

وتذكر المصادر التاريخية أن الباي أمر ببناء مقبرة لمشاهير معسكر خارج الجامع [3]، وهي الآن مضافة للمسجد وهذا الجامع لم تتسرب إليه يد الاستعمار الفرنسي بالطمس والتخريب، والهدم والتحويل إلى كنيسة مثل بقية المساجد العثمانية وغيرها في التراب الجزائري، وبقي على حاله إلى أن وسع [4]

-جامع حسن باشا بوهران

وضع أساس هذا المسجد في الشمال الشرقي للمدينة القديمة على الضفة اليمنى الشرقية لوادي الرحى الذي يعرف اليوم "بوادي راس العين "في سفح شديد الانحدار جنوب غرب برج الأمحال، أو البرج الأحمر، أو البرج الجديد قبالة حي القصبة على الضفة اليسرى الغربية للوادي، ولا يبعد هذا المسجد كثيرا عن ميناء المدينة البحري [5]وهو يقع بين شارعي بن عمارة وبو نخيل "نهج فيليب سابقا" .

يتبين لنال مما سبق ان هذا المسجد من المعالم التاريخية الباقية الذي لم يتعرض للطمس، وبعد معاينة المسجد، والاطلاع على بعض المؤلفات، لا سيما ما قام به الدكتور يحيى

وبني ذلك يكون الحاج عثمان بن إبراهيم تولى السلطة مرتين وذلك بعد هذا التاريخ بكثير ، المرة الأولى كانت 1733 والثانية 1747.

[1] ــ يحي بوعزيز ، ص : 204 .

[2] ــ ينظر : مهيريس ، ص : 49 .

[3] ــ ابن هطال ، رحلة محمد الكبير ، ص : 27 .

[4]مهيريس ، ص : 50 .

[5] ــ يحي بوعزيز ، المساجد العتيقة في الغرب الجزائري (الجزائر : ANEP ، ط : 1 ، 2002) ص : 67 .

بوعزيز[1]، فإنه يتبين لنا أن هذا المسجد ذو شكل مضلع محيطه الإجمالي 160م[2]، وللمسجد ثلاث أبواب، الباب الرئيسي يؤدي إلى الصحن من الجهة الشمالية عرضه 2م وارتفاعه 5, 2م، هذا الصحن النصف دائري كما يبينه المخطط لاحقا يتقدم بيت الصلاة، وقد غطيت ردهة المدخل بقبيبتين، واحدة على الباب والأخرى على النافورة المبنية بالرخام، وباب يوجد بالجهة الجنوبية لبيت الصلاة، وهو مخصص للنساء أيام الجمعة والأعياد، مقاساته1.52×2.20م، والباب الثالث يوجد في الجهة الشرقية من بيت الصلاة ويؤدي إلى بيت الوضوء[3]، وهو باب يستعمله الإمام ويمر عبره من المقصورة إلى المبنى والمحراب مقاساته1.5م× 2م وقد ذكرت غير هذه الأبواب في بعض المراجع التاريخية[4]. بينما قاعة الصلاة تتربع على مساحة قدرها 25.812 م، محيطها 114م، وطول الضلع5.27م، وتقوم بيت الصلاة على أعمدة يبلغ عددها 24 زوجا ثمانية منها حاملة للقبة المركزية والأخرى حاملة لبوائك الصلاة، وتبدو هذه الأعمدة ضخمة وبها قواعد مختلفة، ويلاحظ فوق قاعة الصلاة العديد من القباب، حيث نجد 13 قبة، 12 قبة متوسطة الشكل وواحدة كبيرة الحجم

[1] يحيى بوعزيز ، ص : 67 ـــ 68

[2] مبروك مهيريس ، المساجد العثمانية بوهران ومعسكر ، ص 57.

[3] ــ ذكر يحيى بوعزيز أن وراء جدار المحراب إلى الشرق استحدثت أماكن للوضوء و الاغتسال ... بينما كانت بيت الوضوء القديمة في أسفل المسجد من الناحية الغربية ، و حولت إلى مخزن لأثاث المسجد . يحيى بوعزيز ، ص : 68 . و نجد الأمر نفسه يذكره الأستاذ مهيريس نقلا عن الجمعية الدينية للمسجد ، حيث بين أن هذا المسجد لم تتغير معالمه كثيرا ، ما عدا الصحن الذي رمم عدة مرات ، و إدخال بعض التعديلات الحقيقية كتغيير المطهرة التي حولت من تحت بيت الصلاة من الجهة الغربية الشمالية ؛بث كان ينزل إليها ب 22 درجة في الزاوية الغربية للصحن . مهيريس ، ص : 57 .

[4] نجد في التصميم القديم لقوستان سندريس أن عدد الأبواب كان خمسة ، اثنان في الجدار الشرقي لبيت الصلاة ، أولها يقابل الأسكوب الرابع ، و يقابل الباب الثاني في الجدار الشرقي ، البابان الباقيان يوجدان في الجدار الشمالي لبيت الصلاة ، و من خلال التصميم السابق يظهر أن الزاوية الغربية الجنوبية كانت مدخلا أو بابا . ينظر : مبروك مهيريس ، المساجد العثمانية بوهران ومعسكر ، ص : 81 نقلا عن : . Sandras , histoire des hopiteaus d'Oron , p : 156 ، لقد وصفت الأستاذة بن بلة هذه الأبواب في رسالتها ــ تراجع ص : 176 ــ 177 .

تتوسط بيت الصلاة وتكاد تخلو من الزخارف، وتنتهي القبة الرئيسية من الخارج بقضيب من الحديد ذو تفافيح وهلال، أما القباب من الداخل فتتدلى منها سلاسل حديدية تنتهي بثريات مختلفة نجد أيضا سدة عالية قائمة على أربعة أعمدة من الرخام الأبيض.

ونذكر أنه على غرار المساجد العثمانية بالجزائر، نجد أيضا في أسفل المسجد مدرسة صغيرة لتعليم القرآن الكريم لها مدخل خارجي مع منزل لسكن المعلم، و يذكر يحيى بوعزيز أنه بجوار هذه المدرسة متجرا صغيرا كان الباي حسن يبيع فيه التبغ الذي سلم المدينة للفرنسيين في جانفي 1831 ثم رحلوه إلى الإسكندرية أين توفي هناك [1] .

وهذا المسجد لا يزال إلى اليوم عامرا رغم عوادي الزمن الذي مر بها إبان الاحتلالين الإسباني و الفرنسي، فقد قام بتوسيعه وإعماره سكان المدينة ، وقد تعلم بهذا المسجد جيل من العلماء والطلبة والفقهاء والمحدثين والأدباء والشيوخ الأجلاء، كما تخرج من هذا المسجد أجيال من المثقفين على رأسهم مجاهد الجزائر الكبير الأمير عبد القادر كما يحتوي المسجد على خزانة للكتب عامرة بالمصاحف القرآنية وكتب الفقه الإسلامي والتاريخ والفتاوى [2].

الكتابات في مسجد الباشا :

[1] يحي بوعزيز ، ص : 68 .

[2] ــ يحي بوعزيز ، ص : 69 .





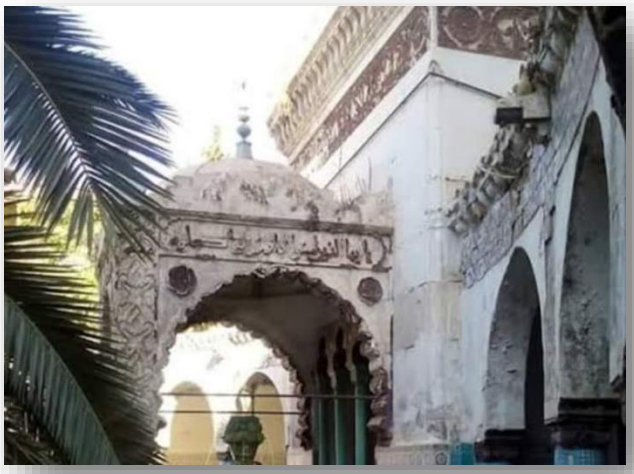
صور الواجهة الخارجية لمسجد الباشا ونافورة الوضوء تبين موضع بعض الكتابات .

- نجد في مدخل المسجد واجهة مزخرفة فيها كتابات كتب عليها بطريقة النقش على الجص بالخط الكوفي المورق ويظهر جزء من الآية الكريمة من سورة الحج **(يأأيها اللذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم)**[1]
- ونجد في صحن المسجد ميضأة مزينة بنافورة في شكل سلة فواكه ويعلوها صفوف من العقود المعمارية والزخرفية المفصصة، وكتب على هذه الميضأة في جزئها العلوي اقتباس من القرآن الكريم :

(يأأيها اللذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة /فاغسلوا وجوهكمو أيديكم إلى المرافق/ وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين)[2] **كما تبينه الصورة في الأسفل**

[1] سورة الحج ، الآية 77

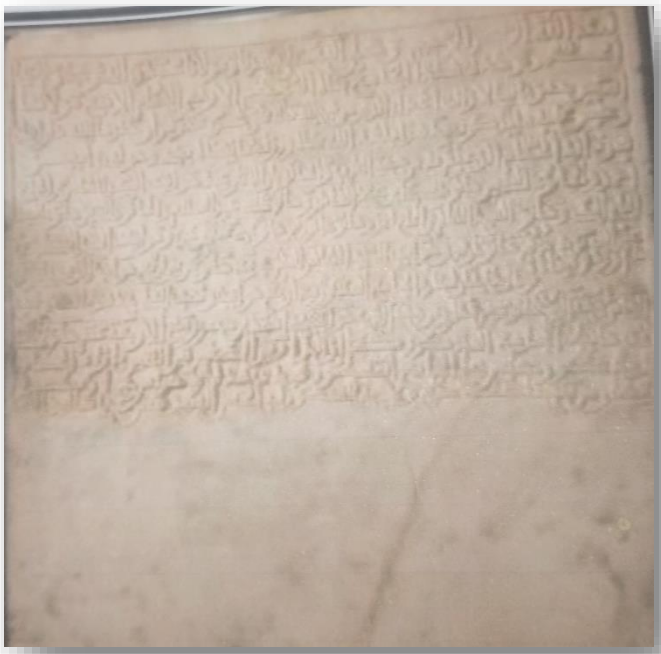
[2] سورة المائدة ، الآية6



- و بالعودة إلى المتحف البلدي بوهران نجد لوحة تذكارية تأسيسية تؤرخ لبناء مسجد الباشا، وقد ذكرها العديد من المؤرخين والأثريين المهتمين بمدينة وهران، وهذه اللوحة تبين أن مؤسس مسجد الباشا هو "بابا حسن "داي الجزائر لأنه أمر ببنائه و تحمل نفقات البناء [1] وذلك بعد فتح وهران الفتح الثاني سنة 1207 ه _ 1792م ، وإذا قرأنا تلك الكتابة التاريخية يتبين لنا أن لهذا المسجد أو قاف كثيرة ، وأن بناءه كان شكرا لله على فتح مدينة وهران، وطرد الإسبان من قبل الداي حسن الذي حكم بين 1791م ـــــ 1798 م وقد جاء في هذه اللوحة :[2]

[1] ــ مبروك مهيريس ، المساجد العثمانية بوهران ومعسكر (الجزائر : د . م .ج ، 2009) ص : 37 ، نقلا عن أحمد بن هطال ، رحلة محمد الكبير ، ص : 28 .

[2] ينظر مهيريس ص : 37 ، خيرة بن بلة ، ص : 87 . رشيد بورويبة الكتابات الأثرية ، ص 221 catalogue Raisonne: des objets archeologiques du muse de la ville d'oron ; p92



صورة الكتابة التأسيسية لجامع الباشا المحفوظة بمتحف أحمد زبانا بوهران

س1 /بسم الله الرحمن الرحيم و صلى الله على سيدنا و مولانا محمد و آله و صحبه و سلم تسليما.

س2/الحمد لله و حده هذا الجامع بناه المعظم الأرفع الهمام الأنفع مولانا .

س3/السيد حسن باشا لازالت أعداء الدين من هيبته تتلاشى بمحروسة وهران خلدها الله دار إيمان .

س4/وحبس عليها ما يذكر بعد هذا بلغه الله مناه ورزقه ما يتمناه بمنه وحوله آمين .

س5/فمن ذلك الحمام الذي بقربه من جهة الغرب والحانوتان اللتان عند حوانيت السيد الطاهر بن الحاج.

س6/أحمد والحانوت التي بين حانوت سي علي بن عبد القادر وحانوت سي عبد السلام والحانوت التي بين حانوت السيد .

س7/الحاج المكي وحانوت السيد الطاهر بن حاج احمد وحانوت آخر بين حانوت سي عثمان بن خدة وحوانيت السيد المصطفى بن

س8/عبد الله بن دحو وحانوتان فوق حوانيت السيد الطاهر المشرفي مع حانوتين بين أربع حوانيت الذمي ياه ولد

س9/داود وحانوتان مقابلتان لمنارة الجامع المذكور مع أربع حوانيت ونصف العلي تحت هذه الستة ونصف

س10/العلي من جهة البحر حانوت ببرقدار ومن جهة الغرب حوانيت سي أحمد بن منصور مع الأربعة عشر حانوتا التي
س11/ تحت حائط الجامع المذكور كما أن الدارين الصغيرتين بزاء الحمام
س12/المذكور حبس على الجامع المسطور قيدت هذه الأحباس في أواسط
س13/رمضان من سنة 1210هـ في ولاية المنصور أبي الحسن السيد حسن باشا أيده الله

وقد وجدت لوحة بالفرنسية في مدخل مسجد الباشا بوهران ماترجمته:" مسجد الباشا شيد بأمر من سيدي حسن باشا سنة 1796م، بناية تاريخية بقرار من الحاكم العام 06 أوت 1952م"

مسجد الباي محمد عثمان الكبير المعروف بمدرسة خنق النطاح في وهران:

مسجد الباي محمد عثمان الكبير موقعا و تاريخا

يقع هذا المسجد في سهل خنق النطاح شرق مدينة وهران القديمة على مسافة 1.5كم، وهو لا يبعد عن المنحدر الذي يشرف على البحر والميناء البحري شمالا، كما يقع بموازاته شارع جبهة البحر الذي تفصله عن عمارات حديثة وشاهقة استحدثها الفرنسيون في عهدهم كمحاولة للقضاء عليه وإزالته [1] ، والواضح أن هذا المسجد قد بني على أرض سهلة منبسطة واسعة، خالية من العمران، في شكل مستطيل وقد كان معزولا عن المدينة القديمة وهران بمسافة طويلة لكونه بني كمقبرة في البداية، لكن الفرنسيين لما توسعوا في عمران المدينة ووصلوا إليه اقتطعوا كثيرا من مساحته في كل الاتجاهات وأحاطوه بعمارات شاهقة ملاصقة له تماما في الشرق ومفصولة عنه بممر صغير في اليسار الشمالي، و بشارعين كبيرين في المؤخرة (الغرب) وعلى اليمين الجنوبي ويبدو أن التخطيط كان يتجه لإزالته تماما [2] .

[1] ــ يحي بوعزيز ، المساجد العتيقة في الغرب الجزائري ، ص : 52 .

[2] ــ المرجع نفسه ، ص : 54 .

اختلفت آراء المؤرخين والأثريين في أصل هذا المسجد، والمرجح أنه مدرسة أنشئت في المكان الذي يسمى بخنق النطاح [1]، وقد أحصته الدكتورة بن بلة ضمن المدارس حيث قالت:"لا يوجد ما يذكر تاريخ تأسيس المدرسة بالضبط سوى أنها كانت موجودة أيام الباي محمد الكبير" [2] ويمكن تلخيص ما جاء في كتب المؤرخين أنه قد تم بناؤه بعد تحرير وهران من الإستعمار الإسباني عام 1792م" والذي لا شك فيه أن هذا المسجد وإن كان في الأصل مقبرة لعائلة الباي محمد بن عثمان الكبير، إلا أنه أسس أيضا ليكون مسجدا بدليل مئذنته التي بنيت له أثناء تأسيسه على الزاوية الجنوبية الشرقية أمام المسجد أو قاعة الصلاة، والمآذن والمنارات لا توضع ولا تؤسس إلا للمساجد التي يراد أن تقام بها الصلوات ويعبد بها المؤ منون، ويعلم بها القرآن الكريم وعلوم الفقه والحديث والشريعة والتوحيد وكل العلوم والآداب العربية الأخرى" [3] " وكانت هذه المدرسة بمثابة الرباط الذي يأوي إليه الطلبة المجاهدون المرابطون ضد الإسبان، وحدث وباء في المدينة بعد أن فتحت الفتح الثاني، فنقل الباي محمد الكبير أسرته إلى هذه المدرسة فأصبحت عبارة عن مسجد خاص بأسره هذا الباي"[4] ويذكر يحي بو عزيز أن الباي محمد عثمان الكبير قد بنى فيلا ليكون للباي وعائلته، وفعلا دفن فيه الباي لما توفي عام 1799م، ولكن الفرنسيين نقلوه اعتمادا على رواية إمامه الحالي إلى مقبرة مول الدومة بحي رأس العين في سفح جبل المايدة الشرقي وذلك بعد الاحتلال الفرنسي لوهران عام 1831م[5] ، ويذكر المؤرخون أن هذه المدرسة ليست بمثابة

[1] ــ مبروك مهيريس ، المساجد العثمانية بوهران ومعسكر ، ص : 41 .

[2] ــ خيرة بن بلة ، ص : 128 .

[3] ــ يحي بوعزيز ، ص : 54

[4] خيرة بن بلة ، ص : 128 نقلا عن : in société de géographie et d'archéologie de la province d'oron , T xlll ,1893 , p : 154 . Marial W : La mosquée de sidi Mohamed Elkbir

[5] ــ يحي بوعزيز ، ص ، 52 .

الرباط إن كان يقيم فيه الطلبة للدراسة ، ومراقبة تحركات الأسبان العسكرية في مدينة وهران وأبراجها. تعتبر هذه المدرسة كقاعدة أمامية إسلامية لتمهيد فتح وهران، التي كانت الشغل الشاغل لكل الجزائر والخلافة العثمانية، خاصة و أن الإسبان كانوا ينطلقون من مدينة وهران إلى الداخل، مثل الحملات التي شنت منها إلى الجزائر ومستغانم وتلمسان سنة 1543م. وبعد الفتح الأخير حدث أن انتقل الوباء لسكان مدينة وهران فارتحل الباي وأسرته من داخل وهران إلى مدرسة خنق النطاح، فأصبحت المدرسة بعد ذلك عبارة عن مسجد خاص للباي وأسرته [1] .

وخلاصة القول أن هذا المسجد كان مدرسة ثم اتخذه الباي محمد الكبير مسكنا ومسجدا خاصا بعائلته.

تدل الكتابة التاريخية المثبتة على جدار المئذنة أن مسجد الباي محمد الكبير بوهران (مسجد المستشفى) قد أنشأه الباي محمد الكبير بن عثمان بعد فتح وهران للمرة الثانية عام 1206 هـ، 1792م .

و قد جاء في هذه الكتابة الموجودة على المئذنة من الناحية الجنوبية :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد فقد أنشأ هذه المنارة الرفيعة المئذنة الرائعة البديعة عبد الله المجاهد في سبيل الله السيد محمد بن عثمان باي الإيالة الغربية وتلمسان وفاتح ثغر وهران كان الله له حيث كان سنة 1207هـ

[1] ــ مبروك مهيريس ، المساجد العثملنية في وهران ومعسكر ، ص : 41 .





صور / الكتابة التاسيسية الموجودة على جدار المئذنة بمسجد الباي محمد الكبير بوهران(مسجد المستشفى)

تعرض هذا المسجد كغيره من مساجد الجزائر غداة الاستعمار إلى التخريب والطمسحيث حولته السلطات الفرنسية إلى مستشفى عسكري منذ اليوم الأول للاحتلال يوم 17 أوت 1831م[1]. وطمست معالمه العمرانية وأحيط بالمئذنة جدار فصلها عن البنايات المجاورة، وبيت الصلاة، كما أحاطوا ببيت الصلاة الغرف والمخازن والعمارات، وهدموا قبته الجميلة التي تتوسط سقف بيت الصلاة ليتم طمس ومحو الطابع المعماري الإسلامي، وخصصت بيت الصلاة مضجعا لمئة مريض من الجنود الفرنسيين [2].

وهكذا لم يبق مايدل على العمارة الإسلامية في هذا المسجد، ولم يبق من الآثار العثمانية سوى المئذنة الجميلة الرشيقة البديعة التي تشق عنان السماء، وهي تشبه المآذن المغربية، وخاصة ندرومة ومآذن تلمسان[3]. أما باقي العمارة الإسلامية فقد طمست نهائيا، ولم تصل

[1] Gustave sandras, histoir des hopitaux doran , 1910 , p : 102 نقلا عن مهيريس ص : 39 .

[2] مهيريس ، ص 39

[3] مهيريس ، ص 39 , Rachid Bourouiba: L Art Rt religieux musulman en algerie, sned, Alger 1973.

سنة 1828م حتى اختفى كل أثر لهذا المسجد، ولم يشاهد المرء من الخارج سوى المئذنة التي تبرز من بين العمارات والبنايات والأسقف المختلفة الإرتفاع.

يمثل جامع الباي محمد الكبير بوهران نموذجا حيا للحفاظ على الطراز المحلي في العهد العثماني .

الكتابات الأثرية بتلمسان في الفترة العثمانية :

كتابة ضريح محمد بن محمد علي بن العربي بن محمد بن حمو بن عبد الله بن منصور:

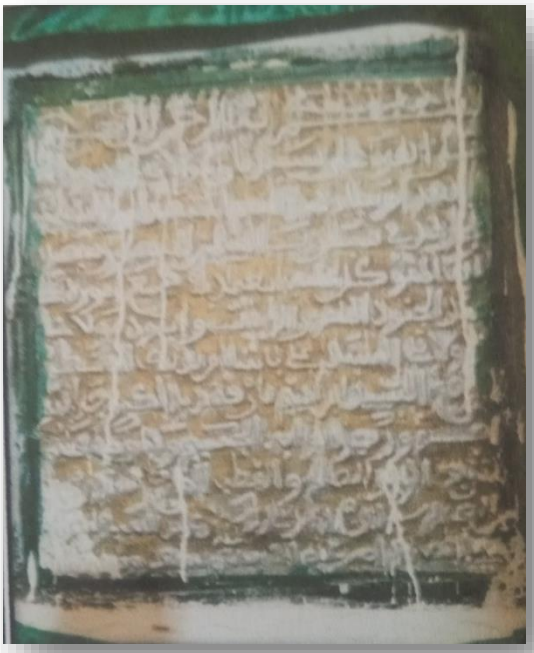
الحقيقة أن تلمسان فقدت بريقها في الفترة العثمانية[1]،فكانت تابعة مرة لمازونة ومرة لمعسكر ومرة لوهران ومرة لدار السلطان مباشرة ،ورغم ذلك كان اهتمام العثمانيين بهذه المدينة لافتا للنظر، فقد جددت فيها العديد من المباني الدينية والمدنية والثقافية، ويمكن أن نمثل للكتابات الأثرية في هذه الفترة بالكتابة التأسيسية لضريح محمد بن محمد علي بن العربي بن محمد بن حمو بن عبد الله بن منصور المتوفي سنة 1174هـ/1761م وقد شيد سنة وفاته في مدينة عين الحوت والتي تقع على بعدد 7كم شمال مدينة تلمسان.

ونجد كتابة تأسيسية لهذا الضريح جاء فيها :

1 بسم الله الرحمان الرحيم
2 صلى الله على سيدنا و مولانا محمد و آله
3 أما بعد أمر ببناء هذا المقام (هذا المقام) السعيد أمير المؤمنين
4 المجاهد في سبيل الله رب العلمين المنصور بفضل
5 الله المتوكل عليه المعتمد في جميع أموره على ربه
6 مجند الجنود المنصور الرايات و البنود مولانا
7 الدولاتلي السيد علي باشا أمر بذلك المعظم
8 الأرفع السيد علي باشا باي قصد بذلك وجه الله
9 العظيم ورجا ثوابه الجسيم و هو مقام

[1]ينظر مبحث المدن من هذا البحث .

10 الشيخ الولي الصالح و القطب الواضح سيدي محمد
11 ابن العالم سيدي محمد بن علي بن عبد الله بن منصور
12 نفعنا الله بهم آمين عام ثمانية و سبعين و ماية و ألف



صورة :تُبين الكتابة التأسيسية للضريح

نقشت هذه الكتابة على لوحة حجرية مسطحة طولها 45سم وعرضها 40سم ثبتت في الجدار الذي على يمين مدخل غرفة دفن محمد بن علي ،نفذت الكتابة في اثني عشرة سطرا داخل إطار مستطيل، موشي بدوائر ،جاءت الحروف بخط نسخي مغربي واضح ،وقد ذكر رشيد بورويبة أن صاحب الضريح هو محمد بن علي عاش في النصف الأول من القرن السابع عشر ،مات حوالي سنة1170هـ/1756 م – 1757 م ،كان رجلا تقيا معظما موقرا ،تقع على يده الخوارق كما يتناقله أغلب سكان المدينة [1].

[1]– محمد رافع ، المنشآت المعمارية لبنايات الجزائر خلال الفترة العثمانية ،ص102 نقلا عن رشيد بورويبة ،الكتابات الأثرية في مساجد الجزائر ،إبراهيم شبوح ش،و،ن،ت، المكتبة الوطنية ،الجزائر 1975م/1399ه، ص 173–174

وما تشير إليه هذه الكتابة التأسيسية في سطورها الاثني عشر فكأنها خطبة حيث بدأت بالبسملة ،ثم الصلاة على النبي محمد ــ صلى الله عليه وسلمــ، ثم كلمة أما بعد، وبعدها أوصاف وألقاب ومدح وذكر أعمال لمشيد الضريح، ثم ذكر اسم الباي وهو السيد علي باشا. وهو ابراهيم باي ،وكان قد ترأس الولاية الغربية من 1177هــ/1763م الى 1188هــ/1775 م ويدعى ابراهيم الملياني اصيل بلدة مليانة كما يدل لقبه عليه،وهو الباي الثالث والعشرون لمدينة معسكر،أدار شؤون ولايته بحكمة وصرامة طيلة اثنتي عشر سنة ،ولعب دورا هاما أثناء الهجوم على مدينة الجزائر من طرف الايرلندي اوريلي الذي قاد أعظم الحملات العسكرية على مدينة الجزائر عام 1175هــ وخسر فيها ،حيث دعاه الداي للحرب ،وقد حشد عشرة آلاف رجل وقصد مدينة الجزائر وهزم الايرلنديين كما عرف هذا الباي بحبه للعلم والعلماء وتعظيمه للصالحين وكان يكثر من مجالستهم والمذاكرة معهم، ومن مآثره المعمارية بنائه لبرج العسكر بمعسكر وكانت وفاته سنة 1185هــ الموافق لــ 1771م ودام حكمه أربعة عشر سنة [1].

وقد ذكر رشيد بورويبة بعض خصائص هذه الكتابة يستحسن نقلها :

لفظ الرحمن في السطر الأول كتب بشكل غير عادي .

ارتفاع وشكل الباء من أما بعد في السطر الثاني أيضا كتب في شكل غير عادي

نزول الدال إلى ما تحت السطر

في السطر الرابع كتب في شكل غير عادي أيضا

الهاء من أموره في السطر الخامس كتبت بشكل غير عادي

لفظ ربه الذي نقش في مكان الإطار

العين من جميع كتبت بشكل خاص

[1]– محمد رافع ، م.ن . رشيد بورويبة ،ص147 .

الهاء من بهم في السطر الثاني عشر والتى بشكل ثمانية مائلة إلى اليسار [1]

تجدر الإشارة إلى أن هذه الكتابة الأثرية قد تعرضت للتلف، وهي كما يشير الدكتور رشيد بورويبة تخلد ذكرى تشييد ضريح عبد الله بن منصور الكائن بعين الحوت .

الكتابات التجديدية في تلمسان :

ذكرت سابقا أن العديد من الآثار السابقة أعيد تجديدها وترميمها في الفترة العثمانية من ذلك ما نجد في قبة أبي مدين شعيب.

نص الكتابة:

1 السطر العمودي الخارجي الأيمن: الحمد لله أمر بتنميق هذه
2 السطر الأفقي الأعلى : الروضة المباركة المشتملة على ضريح
3 السطر العمودي الخارجي الأيسر:الشيخ سيدي أبي مدين أدركنا الله برضاه
4 السطر العمودي الداخلي الأيمن: الأمير عبد الله
5 السطر الأفقي الأسفل :السيد محمد باي أيده الله و نصره و جعل
6 السطر العمودي الداخلي الأيسر:الجنة منزله عام ثمانية و مائتين و ألف
7 الإطار المربع الأعلى يمينا:انظر إلى الدر الأنيق
8 الإطار المربع الأعلى يسارا:تراه في جيد شريف
9 الإطار المربع الأسفل يمينا :نظمه فتى عشيق
10 الإطار المربع الأسفل يسارا : الهاشمي بن صرمشيق 2

[1] – عيو يوسف ،الكتابات الأثرية في منطقة تلمسان من الفتح الإسلامي إلى العهد العثماني ،جامعة تلمسان ،الجزائر، رسالة الماجيستر 1999م 2000،ص 64

[2] – رشيد بورويبة ،ص 213، عبو يوسف م.س ، ص 66

الصرمشيق هي عبارة تركية و اسم نبتة تنمو في المناطق الريفية و تتسلق مع أغصان شائكة ،وهي تشبه شجرة كرمة العنب .

تجدر الإشارة إلى أن آثارا أخرى لا توجد بها كتابات تاريخية أثرية مثل مسجد لآلة رية ويذكر أن إعادة بنائه كانت سنة 1791م /1206 [1].

كما نجد شواهد قبور ونجد أيضا كتابات لشواهد في متحف تلمسان [2]

وبهذا أكون قد أتيت على نماذج كثيرة من الكتابات في مساجدالعهد العثماني وتبقى مساجد أخرى كثيرة بحاجة إلى دراسة، لا سيما المساجد المندثرة، فهي بحاجة إلى إعطاء صور عامة لها، و هذا حفاظا على الذاكرة الجماعية للأمة من جهة وفق المنظور التاريخي والحضاري الحقيقي للجزائريين.

[1] – William et Georges Marcais .Monument arabes de Tlemcen .R.A n 33 ; 6 Année 1862

[2] – انظر عبو يوسف ،م.س ، ص 69 وما بعدها .

الفصل الخامس:

الكتابات الأثرية في العمارة المدنية والعسكرية بالجزائر في الفترة العثمانية

1- الكتابات في العمارة المدنية

2- الكتابات في العمارة العسكرية

1- الكتابات في العمارة المدنية

"إن التاريخ الفكري والثقافي والحضاري لأية أمة، هو المقياس الأساس والأداة الفعالة لوزن وقياس مدى نهضتها ورقيها وتقدمها، ومدى مشاركتها في تشييد الحضارة الإنسانية المحلية والعالمية"[1].

وما أحاول تقديمه في هذا العمل يؤكد أصالة وعراقة حضارة الجزائر، ويبين مشاركة الشعب الجزائري في إثراء الحضارة العربية الإسلامية مشرقا مغربا،ومنها إثراء الحضارة الإنسانية، والمتتبع للبنايات والعمارات المدنية في الجزائر وإن كانت قد تعرضت للهدم والتخريب في زمن الاحتلال الفرنسي، إلا أن ما بقي منها كشاهد يبين مدى اهتمام الجزائري بعمارة الأرض والتفنن في العمارة المدنية، فالجزائر تحتوي على تراث معماري متنوع ينتشر في دورها وقصورها، تحتوي كلها على عناصر معمارية ووحدات عمائرية أصيلة تبرز مهارة الفنان الجزائري الصانع والبناء المزدان بفكر جمالي خلاق متميز عن باقي الصانعين في بلاد المغرب العربي." فقد ضمت الجزائر في فترات متلاحقة من التاريخ الإسلامي كثيرا من الدول أدت دورها الريادي في مجال العمارة والفنون الإسلامية على الوجه الأكمل وقدمت روائع أثرية اتسمت بأنماط مبتكرة، وأساليب مميزة عن أخواتها في دول الإسلام المختلفة، مما يدل على أن هناك من أسهم في تكوين ذلك الإرث الحضاري، وعملوا على ترقيته بمختلف الأساليب، سواء كان ذلك على أيدي الولاة الذين استعملوا نفوذهم السياسي بتقديم الأموال أو استخدام الصناع المهرة والفنانين حتى ولو كان عن طريق

[1] يحي بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، الجزائر، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1995، ص 7.

استقدامهم من بلدان أخرى، والذين ــ حسب ما بدا ــ لم يدخروا أي جهد من أجل تطوير المناحي العمرانية، وترقية الزخارف العمائرية وتنمية مواهب الفنانين الناشئين"[1].

لقد بحث في العمارة المدنية العديد من الأثريين، وقد خصصوا لذلك بحوثهم، كما نجد أن البعض الآخر في بحوثه يشير من قريب أو من بعيد إلى العمارة الدينية، على غرار الأستاذ عبد العزيز لعرج وكذلك الأستاذ محمد الطيب عقاب والأستاذة خيرة بن بلة وغيرهم، وإذا كان البعض قد خصّ مدينة الجزائر بالبحث، فإن الباحثين قد انتشرت بحوثهم لتعم أرجاء الجزائر مشرقا ومغربا، شمالا وجنوبا.فلقد تفنن المعماري الجزائري في تجميل العمارة وعناصر العمارة بزخارف نباتية وهندسية وكتابية، أضفت عليها جمالا ورونقا، تبرز رهافة حسه.

وما يهمني هو الكتابات في العمارة المدنية وكيف جعل الفنان الجزائري من الخط العربي عنصرا جماليا في الأبواب والسقوف والجدران والنافورات وداخل الغرف العامة والخاصة.

1- التوسع العمراني في المدن في الفترة العثمانية:

درجت العادة من قبل الكتاب الأوربيين خاصة ومن سار على دربهم وتشرب أفكارهم ولم ير بعينه إلا ما خطته أيديهم من الجزائريين، خاصة المؤرخين منهم والأثريين الذين لم ينزلوا إلى الميدان ويكتشفوا بأعينهم ويلامسوا بأيديهم الآثار الباقية من الفترة العثمانية ودرجوا على اعتبار الفترة العثمانية فترة انحطاط عام،وخاصة ما يتصل بالحياة المدنية منها.

[1] محمد الطيب عقاب ، لمحات حول العمارة والفنون الإسلامية بالجزائر ، الجزائر ، وزارة الثقافة ، ط1 ، 2015، ص7.

ونجد هذه الأقوال منتشرة عند كل من أخذ عن الكتابات الاستعمارية مشرقا ومغربا، وحتى نبين ذلك يمكن أن نأخذ مثالين عن القاهرة وحلب ثم نعرج على الجزائر، ويمكن أن نستشهد بأقوال اثنين من الباحثين كي ندرك أبعاد تلك المقولة[1].

يقول الباحث م.كلبرجيه:"كانت القاهرة في ظل لعثمانيين تموت موتا بطيئا وخفيا، كانت تنكمش على نفسها وتترك آثار ماضيها المجيد تفنى تدريجيا ....كانت القاهرة تتراجع إلى الوراء ....والسكان الأصليون من العرب يتشتتون ....دبت الفوضى في النظام العمراني وصارت المواصلات الصعبة مرآة للفوضى السياسية والاقتصادية"[2]

أما الباحث جان سوفاجيه فيقول: " بدأت علائم التفكك تظهر ثانية في حلب أيضا في ظل العثمانيين، ولكن من جنوح إلى المبالغة بحيث عجلت تجزئة قلب المدينة إلى أقسام منفصلة... حلب العثمانية غدت أثرا بعد حين...واجهات فخمة تختفي وراءها خرائب"[3]

وبعد أن يذكر ريمون هذين القولين يعرج فيقول:" تتناقض تلك الآراء تناقضا فاضحا مع الحقائق الماثلة للعيان، على الرغم من أن تلك الحقائق موثقة توثيقا دقيقا في كتاب سوفاجيه حول حلب ،فإنه من الغريب أن يتجاهل الباحثون الفترة الطويلة من التطور الذي شهدته المدن العربية الرئيسية بين القرن السادس عشر والقرن التاسع عشر.

وهنا ينبغي التنبيه إلى قضية مهمة وهي أن الأثري ينبغي أن يعود إلى الآثار المبثوثة في العمارة وأنواعها ليتبين الحقائق، على الرغم من الدمار الشامل الذي وقع للحضارة بعد الاحتلال في القرن الماضي لأغلب المدن العربية .

---

[1]–أندريه ريمون ،المدن العربية الكبرى في العصر العثماني، ترجمة لطيف فرج ، دار الفكر للدراسات و النشر و التوزيع ، 1990، ص ص 11–12

[2]– أندريه ريمون ،المدن العربية الكبرى في العصر، المرجع نفسه

[3]– أندريه ريمون ،المدن العربية الكبرى في العصر، المرجع نفسه

وهنا يمكن التوضيح من خلال خرائط التوسع العمراني للمدن في الفترة العثمانية"حيث يظهر النمو العمراني في التوسع خلال نطاق الأسوار بحيث أخذ في كثير من المدن شكل الضواحي الممتدة على جانبي الطرق التجارية الرئيسية.

فبينما مساحة القاهرة المملوكية لم تتعد 450هكتارا، بلغت المساحة الإجمالية للتوسع العمرانيفي أيام صاحب كتاب (وصف مصر) 662 هكتارا، أما دمشق فقد قفزت مساحتها من 212 هكتارا في مطلع القرن السادس عشر الى 313 هكتارا في منتصف القرن التاسع عشر،وكانت حلب تمثل مساحة 238 هكتارا في 1516م ثم غدت 367 هكتارا في مطلع القرن التاسع عش،في ضوء تلك الحقائق بلغت نسبة النموفي الأمثلة الثلاثة مقدار 50٪، أما من ناحية السكان فإن التقديرات الأخيرة لعددهم تنتهج الخط البياني المتصاعد أيضا.

ففي ما يتصلبالقاهرة اقترحت عددا مقداره 150 ألف نسبة لسكان المدينة سنة 1517م،بينما وصلت تقديرات صاحب كتاب (وصف مصر) إلى 263 ألف نسمة في سنة 1800م ،يقدر انطوان عبد النسور عدد سكان دمشق ب 25 ألف نسمة في نهاية القرن السادس عشر. و90 ألف نسمة في نهاية القرن الثامن عشر، ويقدر عدد سكان حلب ب 120 ألف نسمة في سنة 1790م بعد أن كان 60 ألف نسمة في 1500م،وما يؤكد صحة تلك الأدلة ما نعرفه عن البنية التجارية لتلك المدن وخاصة خاناتها "[1]

أوردت هذه الأمثلة حتى نتبين التوسع العمراني والسكاني في هذه المدن ويمكن أن نبين أن الأمر نفسه في الجزائر وفي المدن الجزائرية، في الجزائر المحروسة، وكيف توسع عمرانها وفي المدية والبليدة وقسنطينة وعنابة والقل ومعسكر وتلمسان وغيرها من المدن وحتى في الجنوب، ويذكر صاحب المرآة أنه حين احتلت الجزائر وجدت بها 9 ملايين نسمة والعجيب

[1]– أندريه ريمون ، المرجع السابق، ص ص 13–14

أنها بعد 132 سنة من (الاستعمار) الاستخراب، قدر عدد سكان الجزائريين سنة 1962م ب 9 ملايين نسمة !!! فأين هي العمارة والاستعمار.

أما من الناحية العمرانية فهناك أسباب كثيرة أدت إلى التوسع العمراني "إذ يمكننا تفسير الظواهر الباهرة للارتقاء العمراني في مدن مثل مدينة الجزائر،التي تظهر فيها البصمات العمرانية العثمانية بشكل واضح، أو مدينة تونس التي وصلت إلى أوج توسعاتها في القرن الثامن عشر تجدر الإشارة إلى فترة من الانحطاط العام سبقت الفتح العثماني وكان لابد من أن يتبع تلك الفترة مرحلة من الترميم والإصلاح والانتعاش، وذلك في وقت حلت فيه خلافة منيعة مكان دولة منهكة مثل دول الحفصيين والمماليك والزيانيين. فمدن يصفها المؤرخون بأنها خرابا في القرنين الخامس والسادس عشر (مثل بغداد بعد الغزو المغولي، ودمشق بعد تيمورلنك، والقاهرة)بعد أحداث 1348م ومطلع القرن الخامس عشرن، وتونس بعد الاحتلال الاسباني، والجزائر بعد التحرشات الاسبانية والأوروبية لا نستغرب انتعاشها من جديد بعد أن فقدت مقومات الازدهار طيلة ذلك الوقت. يضاف إلى ذلك أن قيام إمبراطورية (خلافة) مترامية الأطراف على شواطئ البحر الأبيض المتوسط، فمساحتها الكبيرة اوجدت سوقا هائلة، حيث الأفراد والبضائع تنتقل من غير أن يعترضها حاجز، من حدود مراكش حتى حدود إيران ومن سهوب روسيا الجنوبية حتى حدود الحبشة، ولابد أن للمدن الواقعة على جانبي الطرق التجارية وهذه حال معظم المدن العربية الكبيرة من أن تستفيد من الحركة الدائبة في تلك الشرايين الداخلية وقد ظلت الحال كذلك حتى القرن الثامن عشر" [1].

والدارس للمدن العربية في الفترة العثمانية تتبدى له خصائص مشتركة في العمارة نظرا لوحدة الرقعة الجغرافية المتجانسة من الجزائر إلى العراق، وكذلك الترابط الثقافي والاجتماعي والاقتصادي والحضاري والتاريخي. والمتتبع للعمارة في الجزائر بمدنها

[1] ريمون، المدن العربية،المرجع السابق ، ص19

المختلفة يتبين له الخيط الحضاري الرابط بينها وبين المدن الأخرى في الوطن العربي في الفترة العثمانية.

وقد بينت سابقا أن الفترة السابقة للوجود العثماني شكلت منعرجا خطيرا في شمال إفريقيا والجزائر على وجه الخصوص، ذلك أن التوسع الأوروبي جنوب البحر الأبيض المتوسط كان يهدف إلى إلحاق هذه الدول بما حدث في بلاد الأندلس وترحيل كل الجزائريين إلى الجنوب ،وإحلال الديانة المسيحية محل الديانة الإسلامية مثلما حدث في مدن غربية كثيرة بإسبانيا والبرتغال وجنوب فرنسا وغيرها، لكن إرادة الله ثم نباهة الجزائريين وذكائهم وحكمة علمائهم وأعيانهم، دفعت بهذا الشر إلى عدم الوقوع، فاستنجدت بالباب العالي وطلبت الإلحاق بالدولة العثمانية، وانصهرت في جيشها مدافعة عن باقي الدول الأخرى وكانت سدا منيعا في حوض البحر الأبيض المتوسط قبالة الغزو الأوربي، وهكذا كانت الحرية الداخلية في تسيير الشؤون العامة منطلقا للتطور العمراني وتوسع المدن عامة .

ففي الجزائر نجد العديد من المدن عرفت توسعا كبيرا بوجه شعاعي، خاصة مع توسع النشاط الاقتصادي الذي ساهمت فيه الأحياء السكنية المشكلة للمدن، "و يتبدى التمايز بوضوح في خطط المدن حيث يتقابل فيها نوعان مختلفان من شبكات الشوارع، ففي وسط المدينة ،حيث النشاط الاقتصادي ،تكون الشوارع عريضة ،منتظمة ومفتوحة على شبكة ممتدة دون انقطاع حتى حدود المدينة ،أما في الأحياء السكنية فشبكة الشوارع غير منتظمة ولكنها تربط كل الأحياء والدور ببعضها البعض وتصب في خارج المدينة وهذا تبينه القصبات في الجزائر ودلس وتنس وقسنطينة وغيرها، كما يتبين أيضا أن هذه المدن كانت تنمو خارج أسوارها، وبهذا نجد العديد من الفحوص خارج مدينة الجزائر، وهذا يعطي دلالة قاطعة على التوسع العمراني فقد وجدنا العديد من البنايات الجميلة والقصور الهامة خارج مدينة الجزائر، ولا شك أن للعوامل الاقتصادية والاجتماعية دوره في هذا المجال، الأمر الذي أدى

إلى إيجاد أحياء سكنية جديدة بمسميات مختلفة (مثل حومة و حارة ومحلة ودرب وزقاق و....) وتتشابه هذه الإحياء في تركيبتها في الجزائر شرقا وغربا بل وتتشابه مع الأحياء العربية من العراق إلى المغرب.

- مواصفات العمارة المدنية في الجزائر في الفترة العثمانية وأصالتها:

يقوم النسيج العمراني في أي بلد من البلدان وفق التقاليد الحضارية السائدة في ذلك البلد، والذي غالبا ما تكون صادقة إلى أبعد الحدود، كما أنها لا تكون إلا من خلال تفاعلات كثيرة، أهمها العوامل المشتركة في الحياة الاجتماعية والاستجابة للشروط الحضارية التي يسير عليها ذلك المجتمع، وأهم هذه الشروط الحضارية في الجزائر هي الدين الإسلامي الذي يدعو إلى المحافظة على الخصوصية والتزام الحشمة وعدم التطفل على المنازل، وكذلك بنيت مساكن المدينة بشكل ونمط التضام إلى بعضها البعض (مجمع سكني) وكأنها كتلة واحدة، كما يوحي ذلك للرائي من بعيد، أو هي على شكل مدرج حسبما يتخيله القادم من البحر[1].

إن الناظر إلى العمارة المدنية في الجزائر، والكاتب فيها، والمتتبع للآثار المتبقية من البنايات في الفترة العثمانية وهي كثيرة تتضح له جملة من المواصفات التي تتكرر في هذه العمارة" فتمتاز مواصفات المساكن بمختلف أشكالها الفخمة والبسيطة بطابع التربيع والتكعيب شأنها في ذلك شأن المواصفات التي تمتاز بها مساكن العمارة الإسلامية، وتختلف المواصفات والتصميمات من مسكن لآخر تبعا لموقع المسكن والمساحة التي يشغلها وسنلاحظ فيما بعد أن بعضها لا يحتوي على العناصر الكاملة للمسكن كاحتوائه على ثلاثة أجنحة بدلا من أربعة و غيرها رغم ما يبدو من التشابه الكلي في المظهر الخارجي "[2]

[1]_ محمد الطيب عقاب، قصور مدينة الجزائر في أواخر العهد العثماني، الجزائر، دار الحكم، 2000، ص 36.

[2]محمد الطيب عقاب ، لمحات حول العمارة والفنون الإسلامية بالجزائر ، ص188

كما نجد المساكن متضامة يعلو بعضها بعضا "بسبب ارتفاع المساكن العلوية عند مثيلاتها الواقعة أسفلها، فضلا عن إبراز الرواشن عن المباني، مما نتج عنه التصاق المباني فيما بينه، وبالتالي تغطيه الطرقات والممرات التي أصبحت تسمى (سباط)[1] زيادة عن التوائها وضيقها وتشبعها إلى تفريعات، كأنها شرايين قلب وعروقه، ومنها التي تتوقف عند أحد المنازل وهذه تسمى الدروب[2].

ونفس الأمر نجده في مدن أخرى مثل البليدة وعنابة وقسنطينة وجيجل وتلمسان، ووهران ومعسكر ودلس وتنس والقليعة وغيرها من المدن، إذن نجد نمطا عمرانيا ذو روح إسلامية يراعى فيها روح الجوار وجمالية المنظر.

وتزدان هذه الأحياء في المدن الجزائرية في كثير من الأحيان ببنايات فائقة الجمال، بها حدائق وبساتين وهي القصور، كما نجد أيضا في فحوص الجزائر عدة أبنية لا تزال شاهدة على روعة تقنية البناء لدى الجزائري في الفترة العثمانية.

كما أن أصالة المسكن الجزائري واضحة للعيان فالأثري المدقق المقارن يظهر له" أصالة المواصفات الهندسية في العمارة الجزائرية في الفترة العثمانية وما قبلها فلها امتدادها في تاريخ العمارة الشرقية عموما ويبدو ذلك من خلال ما أمدتنا به الاكتشافات الأثرية التي أجريت في بلاد الرافدين بين عامي 1926م/1927م والتي بينت لعلماء الآثار وجود مبان ذات طابقين بسلم داخلي، وغرف حول الصحن وزعت حسب الوظيفة الحياتية لذلك

[1] يرجع الاهتمام ببناء السباط على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وذلك ببناء سقيفة بني ساعدة ، كما انتشر في العمارة بالشام في الفترة الاموية وما بعدها ، ومنها انتقل هذا التقليد إلى الدولة العباسية حيث أنشأوا السباط بقصورهم ، ثم انتقل إلى الأندلس ، حيث كان السباط بقصر قرطبة ، ومنه استمره استخدامه حتى الفترة العثمانية ، حيث وجد واحد وعشرون سباطا بمدينة الجزائر ، ونفس العدد تقريبا في قسنطينة ، وكانت وظيفته ضرورية بالمدينة الإسلامية حيث تربط الأحياء والأزقة ، كما تقوم بدور اجتماعي مهم في التجاور خاصةو أن العائلة الواحدة تسكن جنبا إلى جنب في معظم الأحيان ينظر، مكي حياة، السباطات في العمارة الإسلامية ، جامعة زيان عاشور ،

[2] _ مكي حياة، السباطات في العمارة، المرجع السابق، ص 36.

المجتمع، فهي تحتوي على طابق أرضي مشتمل على المرافق الصحية والمعيشية، وكذلك على غرفة للضيوف، بينما خصص الطابق العلوي لغرف النوم، وقد تأثر مسقط البيت العربي الإسلامي بذلك، "حيث أنه يتلاءم مع الحياة الدينية والاجتماعية السائدة ويلاحظ فيه الانتماء الداخلي"[1].

إن أصالة المسكن الجزائري أمر لا يحتاج إلى كثير جهد، فسواء في الجنوب أو الشمال فهو ذو صلة قوية بالتصميم المشرقي فقد استمر استعمال هذا المسقط في العهد الإسلامي في بلادنا يتجسد ذلك في عمارة كل من مدينة سدراتة، قصور مدينة أشير وقصور قلعة بني حماد، هي مساقط لا تبعد كثيرا عن تصميم مساكن مدينة الجزائر وقصورها إلى أواخر العهد العثماني .

إن عمران المدن الجزائرية في الفترة العثمانية دليل واضح على مدى تحضر الجزائري واهتمامه بالعمران، ويدل أيضا على الرفاهية التي بلغها السكان الجزائريون في هذه المدن، كما أن الأرياف هي الأخرى عرفت عمرانا خاصا بها وعرفت الإستقرار والمكوث بدل الترحال.

لقد ذكر محمد الطيب عقاب في كتابه "قصور الجزائر في أواخر العهد العثماني" مواقع قصور مدينة الجزائر وتصميماتها وأقسامها وطوابقها ومرافقها، وكذلك العناصر المعمارية من نوافذ ودعائم وسقوف وقباب وسلالم وعقود وختم بمواد الزخرفة وعناصرها، وبين بوضوح مدى اهتمام الجزائري في هذه الفترة بالعمران، وإذا كان في بحثه قد ركز على مدينة الجزائر، فلا شك أن المدن الأخرى بعد المعاينة بينت وجود نفس الطابع فيها .

[1] المرجع السابق، ص189.

الزخرفة و الكتابات في العمران في الجزائر:

تبين لنا الآثار الموجودة لحد الآن بالمدن الجزائرية اهتمام السكان الجزائريين بزخرفة منازلهم بصفة عامة والحكام والأغنياء بصفة خاصة، فقصور مدينة الجزائر وقصور قسنطينة ودورها وتلمسان ومعسكر ووهران والمدية ومستغانم ودلس وتنس وغيرها من المدن لا تزال شاهدة على انتشار الزخرفة في العمارة المدنية، "وهذه الزخرفة تبدو في نمطها الفني قريبة الشبه بزخرفة النقش العربية (الأرابيسك) بالرغم من وضوح عناصرها الزخرفية"، كما نجد في الزخرفة عناصر نباتية كثيرة "بحيث نجدها قد أخذت حيزا واسعا من أجزاء القصور، كما أنها قد احتوت على مواد كثيرة، فقد تجلت بها مادة الرخام والخشب والحصى، بالإضافة إلى أن معظم المربعات الخزفية قد زخرفت بها، وأخيرا نجد العناصر النباتية قد رسمت على الجدران بمختلف الألوان الزاهية"[1].

المتتبع للزخارف في العمارة الجزائرية تظهر له أنواعها المختلفة فقد كان اهتمام الجزائري في الفترات الإسلامية السابقة للفترة العثمانية متشبعا بالحضارة، حيث كان اهتمامه بالحياة كونها مطية للآخرة في معتقداته، لاسيما عند التجار وميسوري اليد (الأغنياء) وحتى الطبقة المتوسطة كانت تهتم برفاهية حياتها، وبالمقابل وجد الزهد عند البعض واهتموا بالآخرة فقط، والمتتبع للزخرفة في العمائر الجزائرية يتبين له "أن لوحات بلاطات الزليج المستخدمة في تزيين المباني الجزائرية في الفترة العثمانية تتميز بأساليب زخرفية متنوعة تقوم على أساس الزخارف الرئيسية المعروفة في الفن الإسلامي، مثل الزخارف الكتابية والهندسية والنباتية، فقد كان لتوجيهات الدين الإسلامي تأثيرا كبيرا على ذوق المجتمع الإسلامي وعدم تقبله الأشكال الفنية والزخرفية في جانبها الشكلي، من تصوير ونحت مجسم، فوّجه أقصى اهتماماته إلى المواضيع الزخرفية التي لا حياة فيها، مثل الموضوعات الكتابية والهندسية

[1] _ محمد الطيب عقاب، قصور مدينة الجزائر، ص 36.

والنباتية، وهي الموضوعات التي وجّهت الفن الإسلامي بطابعه الخاص وشخصيته المتميزة عن بقية الفنون الأخرى[1].

لقد أعطى الجزائري هذه المواضيع الزخرفية أهمية بالغة وشجّعه على ذلك الاستقرار في المدن الكبرى ووجود الأغنياء الذين يتباهون في البناء "فبلغت الفنون الزخرفية بسبب ذلك درجة سامية من الجمال الفني تفوق فيها تفوقا منعدم النظير، وتجاوز في إبداعها أيّ حدّ وصلت إليه الفنون التي سبقته أو التي لحقت به، ولعلّ أروع مثال لذلك الابتكار والتفوق والذي يتّضح في الزخارف النباتية التي تعرف باسم الأرابسك أو الرّقش العربي أو التوريق العربي، وهي زخرفة شهدت ميلادها وتطورها الأوّل في سامراء بالعراق في القرن 3هـ/ 9م وواصلت تطورها وانتشارها عبر العصور خارج سامراء في المشرق والمغرب على السواء"[2].

وتبين الآثار المتبقية من العمائر القديمة وجود أنواع من الزخرفة وهي أقسام:

الزخارف النباتية: وهي أحد المواضيع الرئيسية التي لجأ إليها الفنان المسلم تلبية لنداء العقيدة الإسلامية، حيث عرفت النباتات في القرآن الكريم بأنها ميزة الجنة، لذا تفنن الخطاطون والمزخرفون في استعمال المواضيع النباتية في جل أعمالهم الفنية، وكانت عناصر الزخرفة النباتية تتألف عادة من الأوراق والمراوح النخيلية الكاملة وأنصافها والأشكال الوردية والزهرية المختلفة البتلات، والأشجار بأنواعها خاصة النخيل والزيتون والسرو المعروفة في بلاد الرافدين بشجرة الحياة والتي ترمز للحياة الخالدة ولبعث نظرا لدوام خضرتها طوال السنة، وقد عرفت هذه الزخارف عبر مسيرتها الفنية مظاهر التجديد

[1]– عبد العزيز محمود لعرج: الزليج في العمارة الإسلامية بالجزائر، ص 275.

[2]– عبد العزيز محمود لعرج، مرجع سابق، فريد شافعي: "زخارف وطراز سامراء"، مجلة كلية الأداب، جامعة القاهرة، مج 13، ج2، ديسمبر 1951، ص 16.

والتطور حتى وصلت إلى يد الفنان العثماني الذي أحسن توظيفها توظيفا ذكيا، فكون من السيقان والأوراق الملتفة والفروع المتداخلة مواضيع زخرفية تتفق مع المفهوم الإسلامي"[1]. وتعتبر الزخارف النباتية منتشرة في عديد الدول الإسلامية حيث لجأ إليها الفنان المسلم تلبية لأصول ديانته البعيدة عن الوثنية، حيث أحسن رسمها وتنسيقها وتوزيعها والتأليف بينها بطريقة جعلها تبدو جديدة بما اصبغ عليها من عبقريته الفنية وفلسفته ومفهومه للجمال، فبدت شخصيتها قوية واضحة[2].

وقد تطورت الزخارف النباتية تطورا ملحوظا عبر العصور الإسلامية حتى وصلت إلى الفترة العثمانية، فاستعملت استعمالا واسعا، وتداخلت الثقافات فيما بينها وتبادل الفنانون فيما بينهم الأساليب والطرق والصور.

– **الزخرفة الهندسية والرمزية:** اهتم الفنان المسلم بالزخرفة الرمزية والهندسية وأقبل عليها إقبالا كبيرا عبر الفترات الإسلامية، ويرجع السبب في ذلك إلى موقف الفقهاء من تحريم أو كراهية تصوير الكائنات الحية، مما دفع بالفنانين المسلمين نحو استعمال الأشكال الهندسية وتطويرها، إلى أن وصلوا إلى مرتبة لم يسبقهم إليها أحد من قبل، وليس ذلك فحسب بل ابتكروا أشكالا جديدة ومواضيع هندسية متطورة تقوم على أسس وقوانين مدروسة، وعلم وافر في الهندسة نتيجة التقدم العلمي في الرياضيات الذي عرفه العالم الإسلامي"[3]. وقد تفنن الفنان المسلم الجزائري في الفترة العثمانية في استعمال الزخرفة الهندسية والرمزية في العمارة المدنية والعسكرية والدينية بل وحتى في الفنون التطبيقية

[1] شريفة طيان ساحد، الفنون التطبيقية الجزائرية في العهد العثماني ، الجزائر ، دار المعرفة ، ص175

[2] – عبد العزيز محمود لعرج، مرجع سابق، ص 276، محمد عبد العزيز مرزوق، الإسلام والفنون الجميلة، دار الكتاب، القاهرة، 1944، ص 12.

[3] م.ن.ص217 ، نقلا عن كولن أنرست ، الفن الإسلامي ، ترجمة أحمد موسى ،دار صادر بيروت 1966، عبد العزيز مرزوق ، الفن الإسلامي تاريخه وخصائصه مكتبة أسعد ، بغداد 1995 ، ص185.

فصارت تظهر في أشكال فنية رائعة، فظهرت المضلعات المختلفة والدوائر المتداخلة والأشكال النجمية وغيرها من الأشكال الأخرى التي زينت المباني والتحف بمختلف موادها كما دخلت في زخرفة مصاريع الأبواب والسقوف مما يدل على موهبة فنية عظيمة ودليل أيضا على علم متقدم بالهندسة العلمية "[1]

ونجد في العمارة المدنية العديد من الخطوط والمربعات والمثلثات والمعين والدوائر والحبيبات والجامات والأشكال النجمية والظفائر والعقد[2].

– **أما الزخرفة الرمزية** فهي مرتبطة بالأشكال الهندسية، وغالبا ما نجدها مع الكتابات الأثرية مقرونة، " ويعتبر الرمز اللغة الوحيدة التي يفهم منها معتقدات الشعوب السابقة وهي وسيلة تعتبر أكثر عمقا من الكلمات بل هو صورة مستمدة من العالم المادي للتعبير عن مفاهيم وأفكار مجردة، ويمكن التمثيل بالهلال وراحة اليد وكف اليد، وقد ظهر الهلال في المباني الجزائرية فوق الأبواب والسبالات والجدران ويكون مقرونا بكتابات أو زخارف هندسية.

– **الزخرفة الحيوانية والعمائرية:** وجدت الزخارف الحيوانية بقلة نظرا لمكروهية تصوير الأرواح في العقيدة الإسلامية، ولكن رغم ذلك وجدنا بعض الزخارف في العمارة مثل الأسماك والأسود والطيور كما نجد الزخارف العمائرية والمقصود بها صور العمارات والبساتين والأنهار مثلما هو الحال في المسجد النبوي والمسجد الأموي وكذلك قصر الباي بقسنطينة، كما نجدها في بعض القصور في الجزائر.

[1] شريفة طيان ساحد ، ص218 ، نقلا عن صالح أحمد الشامي ، الفن الإسلامي ،دار القلم ، دمشق 1920 ، ص 172 ين

[2] ينظر تفصيلها في شريفة طيان ، ص 215 ــ 225

كانت هذه إطلالة على الزخرفة في العمارة بصفة عامة.

- الزخرفة الكتابية في العمارة المدنية بالجزائر:

ما يهمنا في بحثنا هنا هو الزخرفة الكتابية في العمارة المدنية بالجزائر، حيث لا يختلف اثنان في اهتمام الفنان في العالم الإسلامي بالعناصر الزخرفية في مختلف عصوره التاريخية "فنحن لا نبالغ إذا قلنا أنه لا يكاد يخلو مبنى من المباني منها إلا وازدان بعناصر زخرفية مختلفة ومتشعبة، حتى أنه ليصعب على المرء تفضيل عنصر على آخر"، ونظرا لخصوصية الفنون الإسلامية وابتعادها نوعا ما عن تجسيد الأرواح والمخلوقات الآدمية، فقد عبر الفنان المسلم عن الجمال بأشكال كثيرة منها الزخرفة النباتية التي جعل منها حدائق في قصره وداره، كما اعتمد الزخرفة التجريدية، بينما نجد الزخرفة بالخط العربي أهم ميزة ميزت الفنان المسلم.

فلقد كانت من أهم ابتكارات الفنان المسلم وميزة من مميزات الفنون الإسلامية، فإن الكتابات على الأبنية والتحف المختلفة ليس المقصود بها دائما إثبات صاحب التحفه أو مؤسس البناء وتاريخه أو التبرك ببعض الآيات القرآنية الكريمة أو بعض العبارات المألوفة، بل إن الفنانين المسلمين اتخذوا الكتابة عنصرا حقيقيا من عناصر الزخرفة[1]، فالملاحظ عند المسلمين في عمارتهم اعتماد الجمال والنزوح نحو التجريد، والابتعاد على ما فيه روح، فكانت الحرف العربية منطلقا لإعطاء الحياة في اللوحات التزيينية، فأخذت أشكالا وصورا وإبداعا لا نظير له في اللغات الأخرى، وابدعت كل منطقه جغرافيه ومدرسه فنيه في إعطاء لمسة للخط الذي تكتب به وتصيره تحفه فنيه، فكانت الكوفة والبصرة والقيروان والقاهرة وبجاية وقسنطينه والجزائر وبشار (القندوسي) وتلمسان وفاس وفي بلاد الأندلس وغيرها مراكز لتطور فنون الخط العربي.

[1]– محمد حسين زكي ، فنون الاسلام ، لبنان ، بيروت ، دار الرائد ، 1989 ،ص 39

فقد جعلها هؤلاء من الخط العربي بأنواعه المختلفة من الكوفي إلى النسخي ميدانا من الميادين الرئيسية للزخرفة فأخرجوا من الحروف وأطرافها أشكالا وعناصر زخرفيه، حيث تتجمع الكلمات والعبارات لتشكل منها موضوعات زخرفيه ذات ايقاع فني متناغم، فتبرزها وتؤكدها أحيانا عناصر نباتيه وهندسيه، حيث تلك العناصر وضعت في مستوى خلفي حتى تزيدها حسنا وجمالا وزينوا بها منتجات الفنون والعمارة والتحف[1]

والمتتبع للآثار بالجزائر على الرغم من تشويه أكثرها وهدم العديد منها في الفترة الاستعمارية خاصة ما كان يمت بصلة إلى الحضارة العربية الإسلامية، نجد أن هذه الآثار المتبقية، فيها العديد من الزخارف الكتابية في الكتابات التأسيسية وعلى الجدران وعلى الأبواب وغيرها، ولهذا سأعمل في هذا المبحث على **دراسة بعضها قصد التمثيل فقط**، حيث اهدف الى تبيان اهتمام الجزائري في الفترة العثمانية بالعربية كعنصر جمالي في الخط خاصة.

- القصور الجزائرية في الفترة العثمانيه:

الحديث عن العمارة المدنية يقودنا حتما إلى الحديث عن القصبات والقصور والدور، فقد ساهمت الفترة العثمانية في الجزائر في الحد من المد الصليبي على شمال إفريقيا وقد تمكنت بعد إلحاق الجزائر بالخلافة العثمانية بالسماح لساكنة الجزائر بالتوجه إلى الحياة العادية بدل مجابهه المحتل الأوروبي بشتى دوله ورياته وأطماعه، وهذا الاستقرار السياسي والحماية العسكريةــ التي كانت مشاركة الجزائريين فيها واضحة إن لم تكن هي وقودها أدى إلى التطورالاجتماعي والاقتصادي، فقد اعتنى الجزائريون حكاما ومحكومين في الفترة العثمانية

[1]- فريد الشافعي، العمارة العربية في مصر الإسلامية ، القاهرة : الهيئة العامة المصرية للتأليف والنشر ، 1970 ص، 265

بالفنون والعمارة بما أنجزوه من المنشآت المدنية، حيث قدر عدد المباني السكنية حينها بحوالي 5000 مسكنا، وهي تتشابه كلها من حيث التخطيط العام[1].

والمتتبع للأثار الجزائرية يجد العديد من القصور في شتى المدن الجزائرية لا يزال بعضها شاهدا على اهتمام الجزائريين بالعمارة المدنية في مدن كالقل وسكيكدةوعنابة وقسنطينة ودلس وتنس والقليعة والبليدة وملیانة والمدية ووهران ومعسكر وتلمسان وندرومة وحتى قصور الصحراء كبشار وتندوف وأدرار وبسكرة وباتنة والوادي وغيرها.

ويمكن أن نمثل لهذه القصور في الفترة العثمانية بقصور الجزائر المحروسة "فقد حفظ لنا التاريخ بعض القصور، يعود بعضها إلى أواخر القرن 18 ميلادي منها التي بداخل المدينة وأخرى خارجها عددها أكثر من15 قصرا، ويرجع ذلك إلى الاستقرار السياسي والرخاء الاقتصادي، من أهم تلك القصور: قصر الجنينية ودار عزيزة التي كانت تعرف من قبل بقصر الخزناجي، وقصر الداي بالقصبة، ودار حسن باشا، ودار القبطان رايس، ودار وكيل الحرج، وقصر مصطفى باشا، ودار الصوف، ودار الحمراء، ودار خداوج العمياء وغيرها"[2].

ولكن "هناك قصور ودور أخرى متباعدة فيما بينها تقع خارج الأسوار، أي في الفحص الذي كانت تقدر مساحته الإجمالية أواخر العهد العثماني بحوالي أكثر من 150 كلم مربع وهو بهذه المساحة يمتد إلى ما يزيد على إثني عشر كلم خارج أسوار مدينه الجزائر"[3].

---

[1]–تومي رابحي رفيقة ،Venture de paradis ,Alger au 18 eme Siècle ;Tunis S ,D ;p 7–8
قصور مدينة الجزائر خلال العهد العثماني من ايكوزيوم الى الجزائر ،وزارة الثقافة ،الجزائر 2000

[2]– المرجع السابق ، ص 67

[3]– تومي رابحي رفيقة ، المرجع السابق ،ص 67 نقلا عن سعيدوني ،ورقات جزائرية،لبنان بيروت،2000 ،ص 394

وهذه المساحة المترامية الأطراف خارج دار السلطان تمتد إلى بئر مراد رايس وبئر خادم وسحاولة وبئر توته وباب حسن ودويرة والقليعة وإلى غاية دلس شرقا، والمتيجة جنوبا.

وقد كان الحكام والميسورون والأغنياء يمتلكون تلك القصور وينتقلون إليها مع عائلاتهم، نسائهم وأطفالهم أثناء عطلهم أو في الربيع والصيف ليتمتعوا بالهواء النقي ويقطفون ألذ الفواكه الموجودة بحدائق تلك القصور.

ويمكن أن نعدد بعض القصور الريفية وهي كثيرة مثل دار الرايس حميدو بالأبيار وأخرى قرب مقام الشهيد (دار المحافظة)، ودار يحيى آغا بحيدرة ودار محي الدين ودار عبد اللطيف ودار بابا روشي ودار بوضربة بالقبة ودار مصطفى رايس وجنان المفتي وجنان مصطفى خياط وقصر الباردو وجنان يوسف خوجة وجنان حسندالي ابراهيم وقصر مصطفى باشا الذي يعتبر أجمل تلك القصور وغيرها"[1].

هندسة البناء والمرافق العمرانية في قصور الجزائر:

تختلف الهندسة المعمارية الخارجية والداخلية في قصور الجزائر من مدينة لأخرى فقد تأثرت كثيرا بالعمارة العثمانية في الأماكن التي ارتكز فيها العثمانيون ولكنها بقيت محافظه على خصائص العمارة الجزائرية في عديد المناطق شرقا وغربا شمالا وجنوبا.

فالأثري بقليل من الجهد يمكنه تمييز الأنماط المعمارية في القصور الجزائرية والتي لها صله وثيقة بالعمارة العربية الإسلامية في ملامحها الخارجية وعناصرها الداخلية فهي ذات صله قويه بالتصاميم المشرقية وقد استمر هذا التصميم إبان العهد الإسلامي في بلادنا وتجسد هذا التصميم في عمارك كل من قصور أشير وقصور قلعه بني حماد وهي تصاميم لا

[1]– تومي رابحي رفيقة ، المرجع السابق ،ص 67 نقلا Golvin (L),Palais et demeurs d algera la periode ottomane Alger 2003,p 79

تختلف كثيرا عن تصاميم قصور مدينه الجزائر خلال العهد العثماني، والتوافق الذي بينهما في توزيع الغرف وما إلى ذلك[1].

ولقد تتبع غير واحد من الباحثين الجزائريين ومن بينهم الأوروبيين الذين عزّ عليهم أن يكون بالجزائر مثل تلك التحف العمائرية وانتنسب إلى الجزائريين فراحوا يهدمون العديد منها فيحولون الأخرى إلى سكنات ومراقد للجند مما أذهب جمالها وبريقها، بل وسرقوا درابيزها ورخامها وأثاثها مما جعلنا لا نستطيع التعرف عليها .

إن الدارس لعديد الأطاريح حول هذه المواضيع يتبين له مدى تحضر الجزائريين وقدرتهم على التفنن في العمارة الإسلامية الدينية والمدنية والعسكرية.

والقارئ لكتاب قصور مدينه الجزائر للأستاذ محمد الطيب عقاب غيره يتبين له العناصر المعمارية من واجهات القصور والسقائف التي تأخذ مكانا بارزا في المسكن الجزائري الإسلامي بصفه عامه وفي القصور بصفه خاصة، لأنها تقوم مقام غرف الاستقبال، كما نجد في بعض القصور **الملقف**(البئر الضوئي) وهو عنصر معماري عرف واستعمل كثيرا، ودوره الأصيل تزويد السقيفة بكمية من الضوء، وكذلك تجديد حركه الهواء وصرف الرطوبة من المسكن، كما نجد **الصحون** أو الفناء أو وسط الدار، وهو المجال المركزي والعصب الحيوي في القصور والمساكن وهو يتوسط أجزاء مختلفة من القصر ويأتي الصحن مباشره بعد السقيفة والصحن هو الواسطة بين الغرفة والمرافق الأخرى.

كما نجد **الأروقة** منتشرة في القصور على غرار قصر الباي بقسنطينه، وهي عنصر متصل بالصحن فهي واسطة العقد بين الصحون والغرف وأحيانا بين المرافق الأخرى، وتمتاز بعقودها الحدويه المتجاوزة مدعمة بأعمدة من الرخام الأبيض تحفظ للقصر توازنه.

[1]– محمد الطيب عقاب ،قصور مدينة الجزائر في اواخر العهد العثماني ، الجزائر ،دار الحكمة،2000، ص 52

وعنصر **الصحن والأروقة** عنصر متجذر في الحضارة العربية الإسلامية وفي الجزائر خاصة المعروف اهتمامها بالأصالة والتحفظ، فلا شك أن الفترة العثمانية تمثل مرحله أخيرة للعصور الإسلامية بالنسبة للعالم الإسلامي قاطبة. وهنا يذكر الأستاذ الطيب عقاب أن البنية المزدوجة التي تتمتع بها الجزائر من برودة وحرارة قد ثبتت أو ساعدت على عدم التغيير في عمليه التحول الثقافي العمراني فيها، بل وفي كل الأقطار العربية بالإضافة إلى الانتماء الداخلي للأسرة الجزائرية الإسلامية في المسكن يقتضي المحافظة على هذا العنصر المعماري، إضافة إلى هذا كله فان العنصر الذي يسيس دفة الحكم في البلاد يمثل القوة الدافعة للعالم الإسلامي، مما يساعد دون شك في المحافظة على مقومات الثقافة المحلية المشبعة بالروح الإسلامية.

ويمكن للصحن أن تكون له ادوار أخرى مناخيه، كما أنه يعتبر الموطن المركزي للأسرة، ويرى البعض أن تمسك المسلم بالصحن يعود إلى حرصه على دوام الاتصال بالسماء كما تعود عليه عندما كان يعيش في الصحراء، كما أنه يمنح للمنزل الاتصال بالمحيط الخارجي.

ومن العناصر الهامة في البيت الجزائري في الفترة العثمانية **الغرف** وهي العنصر الأساسي في القصر الجزائري وهي منتشرة في طوابق ولها عده مهام، كما أن **السقوف** في القصورغالبا ما تأتي مزخرفة كما أنه يلاحظ كسوه جدران الغرف والأروقة بالمربعات الزخرفية، وفيها أشكال زخرفيه هندسيه ونباتيه وحتى كتابيه، وتزداد سقوفها بمواضيع المنمنمات والرقش والأطباق والنجمية، نفذت باللون الأصفر المذهب واللون الزبدي واللون الأخضر الفاتح وألوان أخرى مناسبة لألوان الأزهار الطبيعية، كما نجد في القصور أيضا العديد من المرافق كالمطابخ والحمامات والمراحيض والصهاريج والعيون والمخازنوالسطوح والمنازه.

وهذه كلها فيها عناصر معماريه كالأبواب والنوافذ والشمسيات والدعائم والأعمدة والعقود والسلالم والقباب والسقوف وغيرها.

تبين دراسة قصور الجزائر في الفترة العثمانية، أن هذه الديار وأهلها مفعمة بالثراء الحضاري والثقافي والإنسان كما أنها توضح للقارئ والمكتشف مدى الرخاء الذي عرفه الجزائريون في هذه الفترة.

"كما أنها توحي بوجود ثقافة فنيه موحدة سمحت لكل الفئات الفنية بالمشاركة في بناء المساكن بنمط موحد وبأشكال متعددة، وهذا هو المجتمع المتكامل حسب التعبير الخلدوني، غير أنالأهم من كل هذا هو ان عماره القصور لا تتميز عن بقيه عماره المساكن لدى العوام، بل بالعكس تشبهها، وهو نمط موحد ساد الجزائر كلها شرقها وغربها، وهذه الوحدة في أسلوب العمارة تترجم وتجسد الوحدة الفكرية للسكان والتلاحم العضوي فيما بينهم، وهي ظاهره لاحظها حتى الأجانب، ولقد تجلت هذه الوحدةأكثر في استعمال المواد المحلية الأساسية، من إعداد البلاط والآجر والخشب وكذلك صناعه أشكال زخرفية على الأبواب، كأنها أنجزت من طرف فنان واحد فقط ،وكذلك وحدة مقاييس الرخام ووسائل الدعم، ولا شك أن تمثل هذه الوحدة ناتجة من وجود دولاب يسير هذه الصنعة، كما يوضح احترام السكان لهذه المقاييس، وهي لعمري الثقافة الحقة وإن الشعب الذي يحقق مثل هذه الفكرة لجدير بأن يقال عنه شعب مثقف ومتحضر[1].

أمثلة عن الكتابات في القصور بالجزائر:

- **قصر حسن باشا:**

حيث نجد غموضا في تاريخ بناءه، وقد عرف باسم القصر الشتوي، لأن الحاكم العام الفرنسي بعد الاحتلال كان يزاول عمله الإداري فيه أثناء فصل الشتاء، بينما ينتقل في قصر

[1]– عقاب محمد الطيب ، قصور الجزائر، ص 12

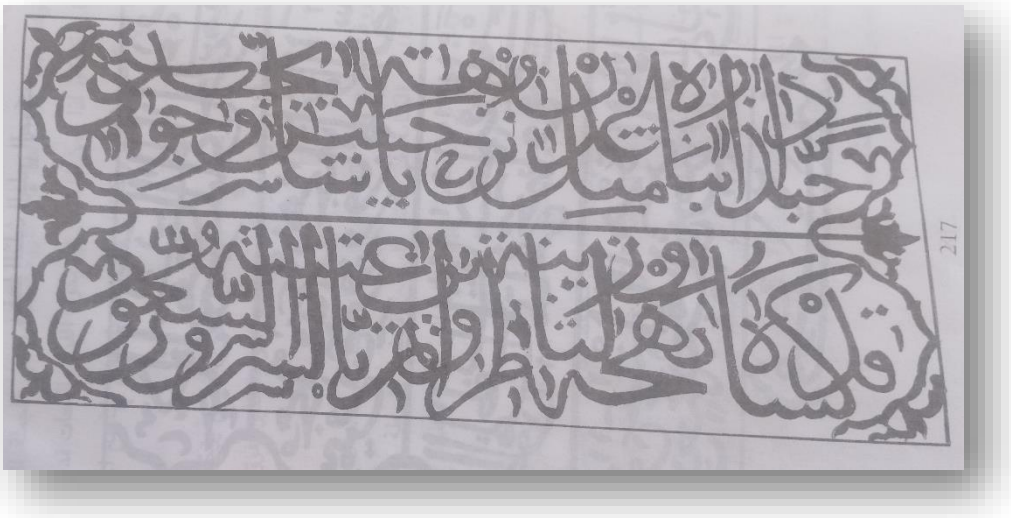
الصيف إلى قصر مصطفى باشا بأعالي المدينة، وقد جعلته الإدارة الفرنسية مقرا للحكام العامين، وكان مقرا لوزارة الأوقاف غداة الاستقلال والتي كان على رأسها أحمد توفيق المدني.

وقصر حسن باشا هو القصر المواجه لقصر عزيزة ويذكر محمد الطيب عقاب في كتابه قصور مدينة الجزائر" أنه يسوده غموض كبير حول بنائه أهو بعد تولي حسن باشا الحكم في سنة 1791 أم قبل ذلك، وإن كانت بعض التحقيقات قد جعلت تاريخ بنائه في السنة المذكورة ...وقد عرف هذا القصر باسم القصر الشتوي، لأن الحاكم العام الفرنسي كان يزاول عمله الإداري فيه أثناء فصل الشتاء، بينما ينتقل في فصل الصيف إلى قصر مصطفى باشا بأعالي المدينة (قرب المتحف الوطني للفنون القديمة والإسلامية)

الكتابات الأثرية بالقصر:

يمكن أن نمثل لاعتماد الخط العربي والكتابة العربية في الزخرفة في العمارة المدنية "ففي قصر حسن باشا نجد فوق إطار الباب المؤدي إلى السقيفة الكبرى لوحة من الرخام الأحمر المشوب بعروق بيضاء كتابة تذكارية بخط الثلث الجلي، بنمط التركيب التداخلي للحروف، حتى بدت القطعة كأنها غابة كثيفة، وقد راعى الخطاط في تنظيم الكلمات قاعدة موحدة تكون مفتاحا لقراءتها، وهذه تبتدئ من أسفل إلى أعلى وهذهصورة الكتابة التذكارية[1]

[1]_ المرجع نفسه، ص 214.



صورة/ الكتابة الأثرية بقصر حسن باشا

ومضمون الكتابة الأثرية:

"حبّذا دار بناه مثل عدن نزهة حسن باشا بجد وجود سنة 1111
قد كساه بهجة وزينة لناظرين وأتم عتبته بالسرور والسعود"

يلاحظ أن نص الكتابة قد احتوى على صفين من الكتابة، ونلاحظ بعض الأخطاء الإملائية، كتذكير اسم الداي، وتنكير كلمة الناظرين، فضلا عن الجمل المقتضبة التي كتبت في سطرين فقط، بينهما خط مستقيم تتصل نهايته زهرة اللوتس الساسانية، ويبلغ طول اللوحة 0.95م وعرضها 0.30م وعلو الأحرف 10سم، والطريقة الفنية التي أنجزت بها الكتابةهي النقش على اللوحة لكنها بالرصاص حتى تبدو الكتابة بارزة للقارئ وواضحة للقراءة[1].

قصر الجنينة :

[1]– عقاب، مرجع سابق، ص 214.

يعتبر قصر الجنينة من أهم القصور في مدينة الجزائر ن وقد اكتسب هذه الأهمية لكونه مقرا للحكم في الفترة العثمانية كما كان مقرا للحكم للفترة التي سبقت العثمانيين وهذا ماذكرته لطيفة بورابة [1]، حيث يقع هذا القصر في القصبة السفلى وبالصبط قري دار عزيزة و دار حسن باشا، وكان يتربع على مساحة معتبرة وقد ذكرت له عدة أوصاف ذكرها هايدو ونقولادي نيقولاي ، فهذا القصر كان يتكون من طابقين ومدخله الكبير يطل على سقيفة ومن الناحية الخارجية على ساحة الشهداء حاليا[2].

الكتابات الأثرية:

يحتفظ المتحف الوطني للآثار على بعض الكتابات التأسيسية لعمليات تجديد تمت في هذا القصر منها باللغة العثمانية و منها باللغة العربية [3]

الكتابة الأولى:

جاءت في لوح رخامي عرضه 34سم وطوله 96سم، يتوسطه شكلان بيضاويان نفذت الكتابة بالحفر البارز فيهما، يحيطهما زخرفة على شكل نحت بارز مفتوح الطرفين على شكل مراوح، وتغلق الجهتان العلوية والسفلية على شكل رسالة حلزونية مثبتة برؤوس مسامير.

[1]لطيفة بورابة ، تهديم الفرنسيين دار الإمارة (دار الجنينة)بمدينة الجزائر ــ دراسة تاريخية أثرية ــمجلة الآثار ، عدد خاص ،جامعة الجزائر 2 ،معهد الآثار ، 2013 ، ص : 193-202 ، حيث ترجمت مقالا لأدريان بربروجر (A.Berbrugger)

[2]حورية شريد ، دار السلطان ن قصر الجنينة ، حوليات المتحف الوطني للآثار ، ع:8 ،1420هـ / 1999م ، ص 47-69

[3]محمد رافع المنشآت المعمارية لدايات الجزائر خلال الفترة العثمانية ، ص:233



صورة للكتابة الأثرية بباب قصر الجنينة ــ المتحف الوطني للآثار II.S.179

حسين باشا المفتدى..... وزير خنكار العمد
يوفق عسكر هذا..... امر موسى المفتد.
تجديد قمع للعدا..... في باب سلطان البلد
فحياته مجددا..... في طالع ينفي الحسد
في طالع ينفي الحسد..... في طالع ينفي الحسد
تاريخه خير هدا..... بقل هو الله أحد
وهو 1042

وترجمة النص :

حسين باشا المثالي..... بموافقة القوات أعطى
أمر لموسة الذي يقلد الأمثلة (الباشا).... بترميم لتوفيق كل التوغلات
أي باب سلطان المدينة..... جدد وجودها..... أن أفضل وجودها هو في الآية
تاريخها خير هدا بقل هو الله أحد(تحت طالع يطرد الحسد)

تعليق على الكتابة :

ما يتبين من هذه الكتابة أنها تأريخية بينت سنة التجديد والمجدد، وتم حساب التاريخ بطريقة حساب الجمل :

بناء على (خير هذا بقل هو الله أحد) 810+10+132+11+66+13 =14042 هـ وتقابلها بالميلادي 1633/1632م وهو نفس التاريخ الذي نقش بالأرقام في اللوح الرخامي. ونلاحظ وجود أكثر الألفاظ باللغة العربية:المفتدى، وزير، العمد، يوفق، عسكر، هذا أمر، تجديد، قمع، العدا، في باب سلطان البلد، فحياته، مجددا ....وهي ميزة في اللغة العثمانية حيث تأثرت كثيرا بها .كما نجد الروح الدينية العالية، واقتباس من القرآن .

الكتابة في مخزن الزرع بدار الجنينة:

كان هذا القصر يحوي العديد من المرافق إضافة إلى الصحن والسقيفة والغرف في الكابق الثاني، كان يوجد مخزن الزرع الخاص بالعساكر و وكذا الخزينة التي تضرب فيها السكة ويحفظ داخلها المال، فنجد كتابة أثرية في متحف الآثار القديمة وهي لوحة من الرخام مربعة الشكل طول الضلع 50سم، وقد نفذت عليها كتابة عربية بأسلوب الحفر الغائر المحشو بالرصاص، ونفذت بخط النسخ المغربي،

جاءت الكتابة في سبعة أسطر، ضم كل سطر في خرطوشمستطيل بسيط، وجاءت اللوحة خالية من الزخارف .



صورة الكتابة في مخزن الزرع بدار الجنينة ــ متحف الآثار القديمة / II.S.181

نص الكتابة :

الحمد لله فاتح الأغلال وباسط الأرزاق
والصلاة على من ركب البراق محمد الراقي السبع الطباق
أقيم بناء المخزن الموفور لحفظ الزرع للعسكر المنصور
في ولاية الأمير أبي الوفامولانا إسماعيل باشا
بإذن الواقف على مصالح البلادو العباد الحاج
علي آغا صانه الملك الجوادعلى يد
ابراهيم بن موسى بتاريخ الحي المغني

الكتابة الأثرية لخزينة دار الجنينة:

وكما ذكرت من الملحقات بهذا القصر دار الخزينة كان يتولى شؤونها الخزناجي الخزينة دار، ويحتفظ المتحف الوطني للآثار بلوحة رخامية طولها 79سم وعرضها 56سم نقشت عليها كتابة عربية بالحفر البارز بخط نسخي مشرقي تجري على سطرين، كل سطر مكتوب في خرطوش مفصص الجانبين، تتخلل الكتابة زخارف نباتية قوامها زهرات صغيرات ومراوح نخيلية، ونجد أيضا على الكتابة زخارف نباتية محورة في موضع متناظر على شكل مراوح نخيلية وحلقات وأزهار يحيط بالخراطيش شريط مزخرف من الأرابيسك يليه إطار هندسي مكون من خطين مترابطين يشكلان معينات ومربعات.



صورة الكتابة الأثرية لخزينة دار الجنينة ، متحف الآثار القديمة II.S.52

مضمون الكتابة :

نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين
يا مفتح البواب افتح لنا خير باب

كتابة تذكارية لتجديد قصر الجنينة :

توجد كتابة رابعة باللغة العثمانية في المتحف الوطني للآثار القديمة، في لوح رخامي طوله 78سم وعرصه 49سموسمكه 4سم، نفذت بطريقة الحفر الغائر المحشو بالرصاص وبخط النسخ، تتكون الكتابة من 04 أسطر كل سكر في شطرين وكل شطر في خرطوش مستطيل و مستدير الجانبين.



صورة الكتابة التذكارية لتجديد القصر، متحف الآثار القديمة ــ II.S.221 :

مضمون الكتابة:

صاحب صدرات علي باشا ممجد..... ايده عون خدا دائم مؤايد
ايدوب همت عالي بذل قدرت..... بوباب دولتي قلدى مجدد
اجلد قجه قياسين عين اعدا..... بحق حامد مولاه محمود احمد
ديسون ناظر اولنارماشاء الله..... زهي دركاه عالي مشيد سنة1227

وترجمتها:

علي باشا الممجد أيده الله المستعين دائما لقد بذل همة عالية وجدد هذا الباب (باب الدولة) وكلما فتح أغلقت عيون الحاسدين، بحق مولاه أحمد، واللذين يرونه يقولون ماشاء الله، هو باب عالي، شيد سنة 1227[1].

ويتبين من الكتابة كثرة الألفاظ العربية والروح الدينية الاسلامية

[1] حورية شريد ، دار السلطان ، مقال ، المرجع السابق .ص 47–69

يذكر أن هذا القصر تم إهماله، وعدم الاعتناء به بعد الاحتلال، نظرا لكونه دار الامارة، ثم نشب فيه حريق، و نهبت آثاره وتحفه ثم تم هدمه [1].

الكتابة التأسيسية لمخزن الزرع بباب عزون:

توجد هذه الكتابة أيضا في متحف الآثار القديمة بالجزائر II.S.189

وقد كتبت على لوح رخامي طوله 72سم وعرضه 62سم وسمكه 04سم ن نفذت الكتابة بطريقة الحفر البارز وبخط الثلث، يعود موضع المخزن إلى بور سعيد حاليا.



الكتابة التأسيسية لمخزن الزرع بباب عزون متحف الآثار القديمة بالجزائر II.S.189.

مضمون الكتابة :

الحمد لله على ما هدينا..... ونشكره على ما أنعم علينا الظاهرة والباطنة من نعمه..... وقسم أرزاقنا من خزائن رحمته أمر ببناء هذا المخزن الموفور بالله..... محمد باشا بن بكر أيده مولانا اجعله الله بكرمه دائما معمورا 1163 بانزال البركة على قوتنا كثيرا سنة ثلاث وستين ومائة وألف..... من هجرة من له العز والشرف

[1] لطيفة بورابة ، تهديم الفرنسيين دار الإمارة ، مرجع سابق ،

نجد في هذه الكتابة العربية الخالصة، بداية بالحمد على الهداية إلى الدين الإسلامي، ثم شمر الله على النعم التي لاتعد ولاتحصى الظاهرة والباطنه وإرجاع هذه النعم إلى الرزاق الذي قسمها من خزائنه

ثم تم ذكر المؤسس والدعاء له،

وركز النص على إنزال البركة على القوت وهي من القيم الدينية الواضحة .

ثم ذكر سنة التأسيس.

- **قصر مصطفى باشا:**

التعريف بقصر مصطفى باشا:

تأسس هذا القصر سنة 1214 حسبما هو مبين في لوحة التأسيس من الرخام المثبتة فوقه، فوق عقدة الباب للسقيفة الكبرى، واستحوذ على هذا القصر الداي أحمد ثم إبراهيم أغا صهر الداي حسين باشا سنة 1828.

وبمجرد احتلال الجزائر سارع أحد الجنرالات للإقامة فيه، ولكن لم يدم فيه طويلا، إذ سرعان ما أخلى ليقيم فيه كبير صيادلة الحملة الفرنسية ابتداء من 1835 ومن بعده منح للكاتب العام للحكومة الفرنسية منذ 1846، وبحلول سنة 1863 حولته السلطات الفرنسية إلى المكتبة الوطنية ونواة المتحف الجزائرية.

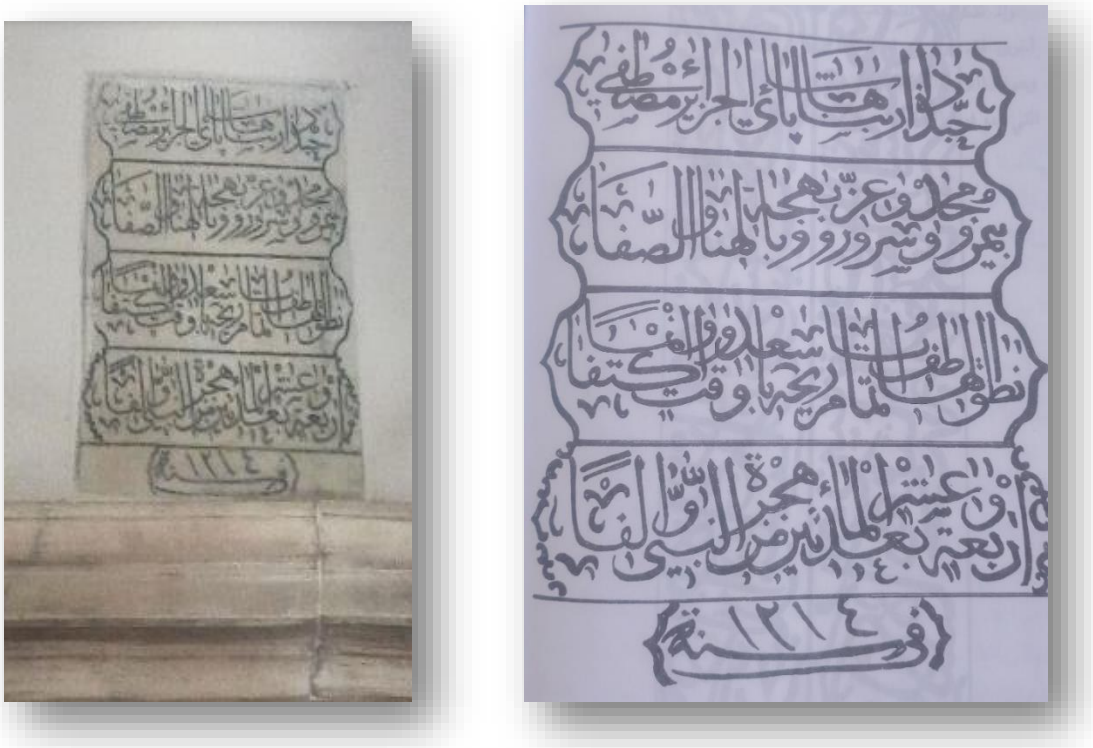
وهو حاليا يضم المتحف الوطني للزخرفة والمنمنمات وفن الخط (القصر مصنف سنة 1992 تراثا عالميا)

تعرض لدراسة قصر مصطفى باشا العديد من الباحثين، وما يهمنا هنا هو الكتابات الموجودة في هذا القصر"ويتضح أن النمط المعماري لهذا القصر يوجد ما يماثله في بعض القصور

بتونس في العصر العثماني، كما توجد أمثلة له في المدن الأثريةالجزائرية، كصدراتة وكذلك بعض المساكن الطولونية بالفسطاط"[1].

- الكتابات الأثرية في قصر مصطفى باشا:

لا تختلف الكتابة التذكارية في قصر مصطفى باشا عن السابقة في قصر حسن باشا، سواء في نمط الخط أو في طريقة تقنية الكتابة والنقش[2]، ولوحة قصر مصطفى باشا سفورها أكثر من لوحة قصر حسن باشا، كما أن لوحة قصر مصطفى باشا بيضاء اللون[3].



صورة/ الكتابة التذكارية لقصر مصطفى باشا نقلا عن عقاب

ونص الكتابة:

[1]_ عقاب، مرجع سابق، ص 95.

[2]_ عقاب، ص 15.

[3]عقاب ص 215

حبذا دار بناها باشائي الجزائر مصطفى
بيمن ومجد وعز وسرور وبهجة بالهنا والصفا (كذا)،
نطق الهاطف (كذا) باتمام تاريخه بأسعد وقت وأنها واكتفا (كذا)،
أربعة وعشر (كذا) بعد الماءتين (كذا) من هجرة النبي وألفا،
في سنة 1214 هـ

ما يلاحظ أيضا في هذه الكتابة هو وجود أخطاء إملائية مثل الهاطف بدل الهاتف، وقد صححها كولان، كما نجد حروفا زائدة مثل الألف والواو، كما نجد زيادة حرفين الهمزة والياء في كلمة الباشائي، و(أنها واكتفا) بدل أنهى واكتفى ،لكن يمكن تخريجبعض الأخطاء في الكلمتين (أنها واكتفا) فهو للتعبير على تاريخ بناء القصر، حيث كتب واضحا بالأرقام الهندية 1214هـ وهو مذكور في جملة "بأسعد وقت وأنها واكتفا)، فالأخطاء هنا يحتمل تعمدها من الكاتب.

ويبلغ علو الحروف الممتدة على اللوح الرخامي 10م ومقاسات اللوحة 0.80م في 0.75م.

- **قصر خديوج(خداوج):**
- **التعريف بالقصر**

يقع هذا القصر (قصر خديوج العمياء) فوق زاوية سيدي أحمد بن عبد الله التي أنشئت في منتصف القرن الخامس عشر للميلاد، غير أن تاريخ بناء القصر لم يعرف بعد.

ويعود القصر إلى السيدة خديوج العمياء ابنة الداي حسن باشا، وقد اتخذت عدّة شخصيات قصر خديوج مقرا لها ابتداء من سنة 1832، كما أقامت الإدراة الفرنسية فيه معرضا فلاحيا سنة 1833 وزاره الملك الفرنسي نابليون الثالث سنة 1865، بعد الاستقلال صار هذا القصر تابعا لوزارة الثقافة وهو اليوم متحفا وطنيا للفنون التقليدية الشعبية.

بعض الكتابات الموجودة في القصر:

ذكر محمد الطيب عقاب في كتابه قصور مدينة الجزائر بعض الكتابات ، تتمثل في بعض الشمسيات التي كتب عليها أسماء أهل الكهف و هذه الأسماء هي :

يمليخا ،مكشلينا ،مثيلينا، مرنوش، دبرنوش، كفشططيوس، قطمير .

وقد كتبت بخط الثلث الجلي ، و أورد كلان اسما جديدا وهو شادنوش [1]

- **قصر عزيزة:**

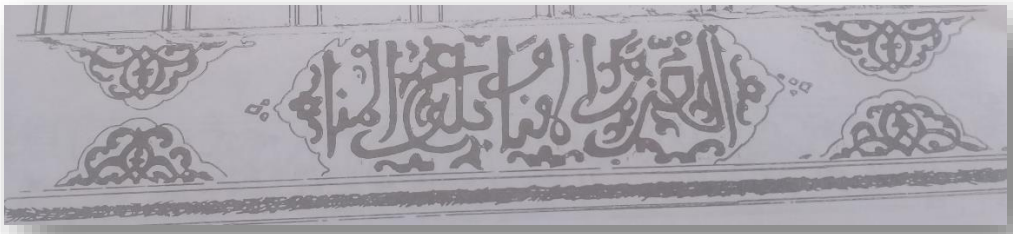
الكتابات بقصر عزيزة :

نجد بهذا القصر بعض الكتابات نذكر منها :

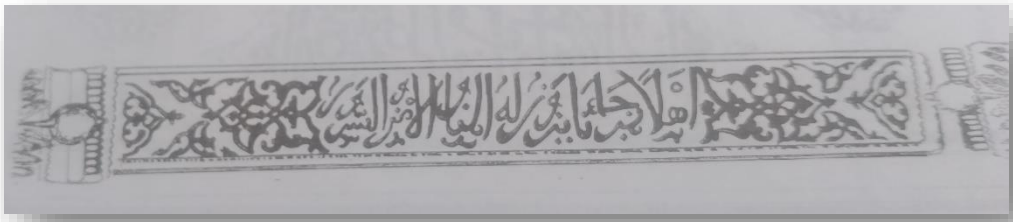


فخرا دار شيدتها خير نازل..... انت بدر بين الأنام منير
في سرور وساميات المنازل..... وهي سعد السعود بين المنازل

[1]محمد الطيب عقاب ، قصور مدينة الجزائرفي أواخر العهد العثماني ، الجزائر ، دار الحكمة ، 1999، ص219.



العز والهنا وبلوغ المنا



أهلا بمن جاءنا يزور..... له المنا و الامن و السرور

كما نجد كتابة أخرى في المجاز الثاني في سلم قصر دار عزيزة هذه الجملة:

نعوذ بالله السميع المجيد من عين يعين

ونجد أيضا كتابة في المجاز الموالي لانعطاف السلم جملة دعائية كتبت فوق رافدة المجاز

العز الدايم والسعد القايم

قصر الباي بقسنطينة:

التعريف بالقصر:هو قصر أحمد باي جوهرة قسنطينة المعمارية[1]، يوثق حياة آخر حكام الشرق الجزائري في العهد العثماني (1518–1830) والذي قاوم الإحتلال الفرنسي للبلاد حيث أمر أحمد باي بن محمد الشريف مجموعة من أمهر المهندسين ببنائه ليكون مقرا لحكمه وكانت هندسته مزيج من الطراز الموريسكي والطراز المحلي المستمد من تصاميم

[1]نقلا عن مديرية السياحة بقسنطينة .الموقع الرسمي .

العمارة الجزائرية.شيد القصر عام 1825، وامتد بناؤه إلى سنة 1835 أي 10 سنوات من البناء

يحتوي القصر على 4 أجنحة هي:

جناح الحرم ،جناح الحريم ،الجناح الشتوي والجناح الإداري: وهو أهم ما في القصر يحتوي على محكمتين، الأولى مدنية يشرف عليها قاضيان يفصلان في القضايا من السبت إلى الخميس، أما المسائل الكبرى فيحكم فيها الباي يوم الجمعة، والمحكمة الثانية عسكرية توجد في الطابق العلوي.

كان القصر ولا يزال شاهدا على رقاء فن العمارة العثماني، تبلغ مساحة القصر 5600 متر مربع، انتقل أحمد باي إلى القصر خريف عام 1835، وقد عاش بالقصر سنتين فقط حيث استولى عليه المستعمر الفرنسي بعد معركة قسنطينة الثانية سنة 1837. ، يحمل القصر حاليا اسم "المتحف الوطني للفنون والتعابير الثقافية التقليدية" وقد صدر قرار تأسيس المتحف في أكتوبر 2010 بعد تأهيله أصبح القصر متحفا ومحلا لعرض المقتنيات التاريخية النادرة.

الكتابات في قصر الباي بقسنطينة:

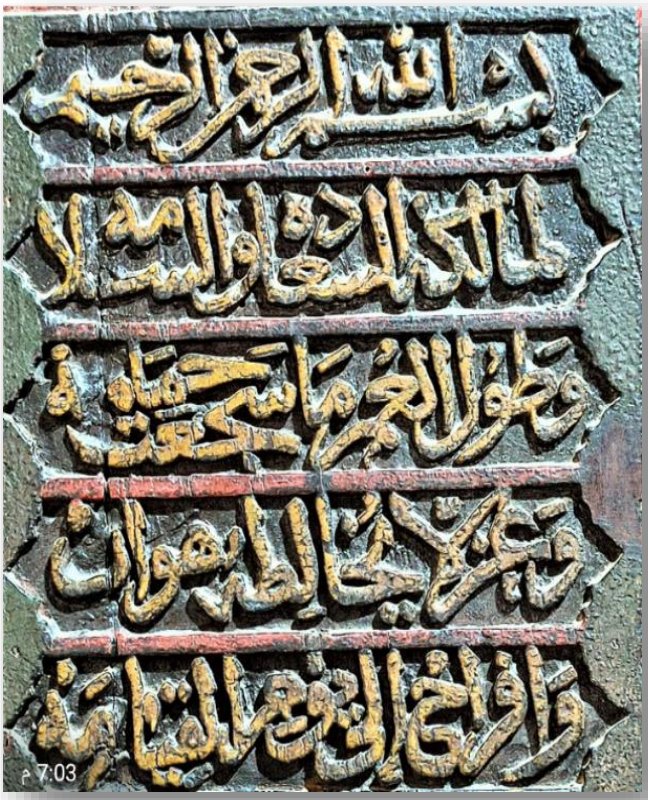
يمكن التمثيل من الجداريات في قصر الباي على النحو الآتي .



فنجد كتابة نصها :

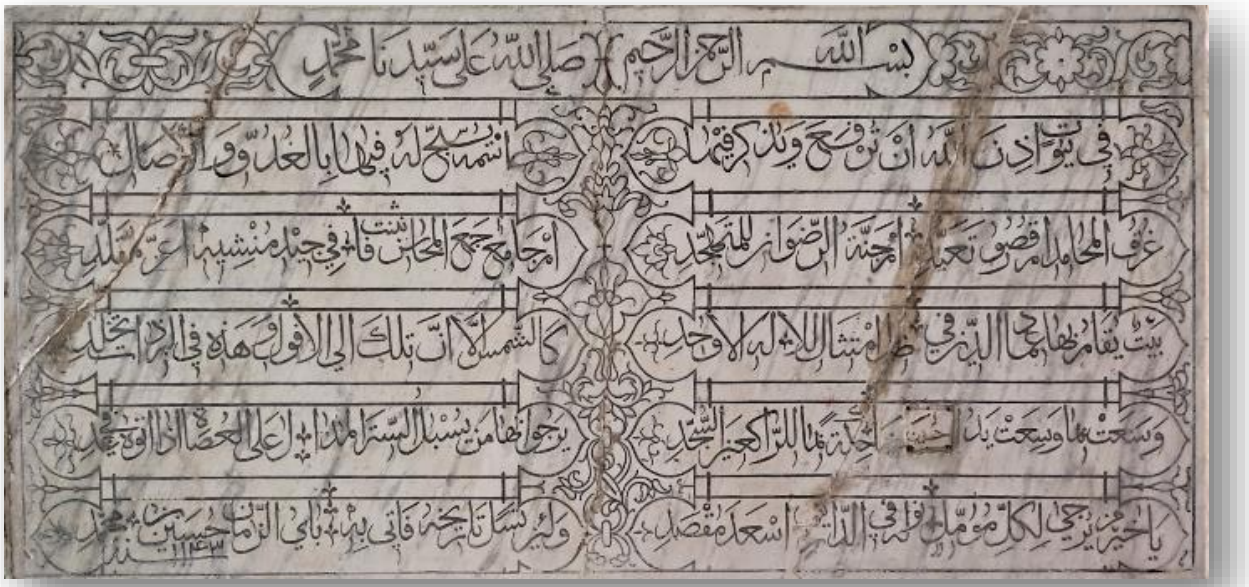
بسم الله الرحمن الرحيم
طلعت بسعد نجمة الإيوان..... ورياضه شدت بعطر البان
وزهى القصر البديع بحسنه..... وتاه بنخوة حافل البنيان
وبدت كخود خرد غرفاته..... زهر الوجوه فاتر الأجفان
موشحة نحورها بقلايد..... مقرطفة بالدر و العقيان
هي الغرفات الغر لاح باؤها..... فضاء سنا جمالها الفتان
لله ما أحلى و أبدع شكلها..... و أبهرها في الصنع و الإتقان
جادت بها كف المعظم قدره..... باي حسين سيد الشجعان
بن حسن باي المقدس روحه..... حباه بعدن واسع الغفران
إن رمت للبنيان تاريخا..... فقل بناه حسين سابق الأقران

وكتابة أخرى نصها



بسم الله الرحمن الرحيم
لمالكه السعادة و السلامة
وطول العمر ما سجعت حمامة
وعز لايخالطه هوان
و أفراح إلى يوم القيامة

كتابة أثرية نقلت من مسجد الباي بقسنطينة (ذكرت سابقا)



النص :

بسم الله الرحمن الرحيم	صلة الله على سيدنا محمد
في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها	اسمه يسبح له فيها بالغدو و الآصال [1]
1.غرف المحامد أم قصور تعبد	أم جنة الرضوان للمتهجد
أم جامع جمع المحاسن فانثنت	في جيد منشيه أعز مقلد
2.بيت يقام بها عماد الدين ف	ي ظل امتثال الإله الأوحد
كالشمس إلا أن تلك إلى الأفو	ل وهذه في البر ذات تخلد
3.وسعت بما وسعت يدا حسين ضا	حكمة بما للراكعين السجد
يرجو بها من يسبل السر المذا	ل على العصاة إذا أتوه في غد
4.ياخير من يرجى لكل مؤمل	نوله في الدارين أسعد مقصد
ولئن تسل تاريخه فاتي به	باي الزمان حسين بن محمد سنة 1142

نجد : البسملة ــ الصلاة على النبي ــ أبيات شعرية : (مدح و إشادة ــ دعاء ــ اسم المنشىء ــ التاريخ)

[1] سورة النور ، الآية 36

نجد أيضا كتابة :

ماشاء الله
لاقوة إلا بالله



صورتي كتابة في الجداريات بقصر الباي

نجد أيضا كتابة أخرى في قصر الباي، على باب خشبي يعرف بباب القهواجي، يخلد هذا النص باب القصر الخشبي نفذت الكتابة بخط الثلث بأسلوب الحفر البارز، تمتد بداخل خمسة خراطيش ، يحيط بها إطار مستطيل، وأما الخراطيش الخمسة فيبلغ مقاسات كل واحد منها 16.5سم طولا، و3.5 عرضا في حين بلغ ارتفاع الصواعد الطويلة 2سم وعرضها 5مم و الصواعد المنخفضة 1سم[1]

[1]عبد الحق معزوز ، لخضر درياس ، جامع الكتابات الأثرية العربية بالجزائر ، الجزائر ، مطبعة سومر ، 2000 ، ج 1 ، ص 174

النص :

بسم الله الرحمن الرحيم
لمالكه السعادة و السلام
وطول العمر ما سجعت حمامه
وعز لا يخالطه هوان
وأفراح إلى يوم القيامة



صورة كتابة في قصر الباي، على باب خشبي يعرف بباب القهواجي(نقلا عن معزوز)

كما نجد في الكتابات على الجداريات في قصر الباي، نجد أسماء مدن "حيث مثلت مناظر المدن والعمائر والمناظر الطبيعية من أهم وأجمل المواضيع التي نجدها تزين جدران قصر أحمد باي، حيث نجدها على الجدران المطلة على حديقة النخيل والبرتقال وفناء الجناح الشتوي، نجد مناظر مختلفة لمدن من قلاع وحصون وأبراج منفردة ومساجد بها مآذن رشيقة وقلمية وقباب متعددة،وعمائر تتعدد طوابقها ونجد مناظر طبيعية تمثل الريف وبساتينه أو الراضي الاعية التي تحيط بالمدن والعمائر بالاضافة إلى التلال الصغيرة، وقد تضمنت وصاحبت معظم الرسومات كتابات منفذة بخط نسخي عبارة عن أسماء لتلك المدن وبعض معالمها الشهيرة، الجزائر وقسنطينة وتونس وطرابلس والاسكندرية والقاهرة وجدة ومكة

المكرمة والقدس، وقد تعرضت هذه الكتابات للتلف مثلما حدث للرسومات وهي بحاجة إلى ترميم .[1]



صور من جداريات قصر الباي

[1] زهيرة حدوش ، الزخارف الجصية بقصر أحمد باي بمدينة قسنطينة ،دراسات في آثار الوطن العربي ، ص 474

عبارة البسملة كتبت بخط الطغراء، توجد على إطار باب بالطابق الأرضي جناح حديقة البرتقال، نفذت باللون الأسود على أرضية صفراء.(الصورتان)





كتابة لأسدين متقابلين تختلف الكتابة من أسد لآخر لم استطع قراءتها .(الصورتان)





الكتابة الأثرية في بيت بن جلول:

تعتبر مدينة قسنطينة من المدن الهامة في الجزاير في الفترة العثمانية، وإذا كنت قد مثلت بقصر الباي، فإن قصورا أخرى وبيوتا كانت منتشرة في كامل المدينة وخارجها، يكفي أن تنظر في سجل أوقاف صالح باي ليتبين لك ذلك .

ويمكن أن نمثل بكتابة تذكارية محفوظة بمتحف سيرتا بقسنطينة[1]، والتي تعود إلى بيت بن جلول، وهي عبارة عن ساكف خشبي من مدينة قسنطينة، وهو جزء من الباب الخشبي لهذه الدار والمعروض معه في متحف سيرتا بقسنطينة، ويعود تاريخها إلى 946هـ/1539م هي خالية من الاعجام والشكل

[1]عبد الحق عزوز ، لخضر درياس ، جامع الكتابات الأثرية ، ج/1 ، ص 154.

نص الكتابة :

هذه الدار أضاءت بهجة..... وتجلت فرحة للناظرين كتب السعد على أبوابها..... ادخلوها بسلام آمنين

ونجد كتابة أخرى بمتحف سيرتا لإحدى دور قسنطينة العتيقة جاءت في ساكف خشبي طوله 1.67 وعرضه 26سم، بخط الثلث في أربعة أسكر، أما عناصرها فهي: البسملة، الصلاة على النبي، الإشادة بالبيت، الحمدلة، اسم المجدد، الإشادة به، تاريخ التجديد، الصلاة على النبي.[1]

نص الكتابة :

1.بسم الله الرحمن الرحيم و صلى الله على سيدنا محمد و على آله وصحبه وسلم تسليما دايما كثيرا 2.هذه الدار تبهرجت و أضاءت فتجلت نزهة للناظرين كتب السعد على أبوابها فادخلوها يسلام آمنين 3.الحمد لله جددت هذه الدار المباركة على يد المعظم الأرفع الأمجد مولانا أبو العباس أحمد بن السيد المعظم الأ 4.جل السيد الحاج عباس ين علي بن جلول و ذلك بتاريخ أوائل شهر الله شعبان من سنة 1142من هجرته صلى الله عليه وسلم تسليما

وتبين الكتابات من الناحية اللغوية ما قاله الأستاذ عزوز كون كل الكتابات في الشرق الجزائري كانت باللغة العربية سواء المدنية أو الدينية بما فيها شواهد القبور أو العسكرية، وقد تنوعت بين كتابات تذكارية أو تسجيلية أو آيات وأحاديث أو أبيات شعرية .

[1] الم عبد الحق عزوز ، لخضر درياس ، جامع الكتابات ،مرجع اسابق، .ص 156

- **الكتابات الأثرية في العيون:**

- **العيون والأسبلة في الفترة العثمانية**

إن حديثنا عن القصور والديار المنتشرة في الجزائر ومدنها وقراها يدفعنا للحديث عن مستلزمات الحياة، وهي كثيرة ولكن يمكن الاقتصار على مثال واحد وهو الماء قال تعالى: "وجعلنا من الماء كل شيء حي"[1]، وهنا يمكن التمثيل للشبكة المائية في الفترة العثمانية بالعيون والأسبلة.

وقد كان تنظيم الأسبلة والعيون على عاتق الدولة والاعتناء عن طريق الاوقاف، وكانت مؤسسات خاصة تقوم بذلك، حيث يذكر دوفولكس:"أن تنظيم المياه وتوزيعها وتشييد القنوات والأسبلة وصيانتها كان من بين اختصاصات الدولة، وكان على الأفراد الاهتمام بإيصال المياه إلى مرافقهم، وذلك بإنشاء الحبوس التي تخصص إيراداتها لصيانة الأسبلة وقنوات المياه، وهي إحدى وسائل الحصول على حصّة من المياه وهي تقديم (حبس) الذي يخصص إيراداته لصيانة الأسبلة والقنوات"[2]، وقد تحدثت سابقا عن أهمية الوقف في الحفاظ على الحياة الاجتماعية والثقافية وحتى العسكري، "حيث شكّلت مداخيل الأملاك الموقوفة المصدر المالي الوحيد للإنفاق على المؤسسات الاجتماعية والثقافية، إذ لم تخصص السلطة ميزانية معينة لذلك"[3].

[1] سورة لأنبياء ، الآية 30.

[2] نعيمة رزوق: الشبكة المائية بالقصبة العليا لمدينة الجزائر خلال العهد العثماني– قصر الداي نموذجا، دار كوكب العلوم، الجزائر، 2016، ص 170، نقلا عن اندري ريمون، المدن العربية الكبرى، ص 122–123.

[3] عائشة غطاس: الحرف والحرفيون لمدينة الجزائر من 1700– 1830، مرجع سابق، نعيمة رزوق، مرجع سابق، ص 170.

وتؤكد عدّة دراسات على اهتمام الجزائريين بالشبكة المائية في الفترة العثمانية خاصة ما تعلّق بوقف العيون والآبار، فنجد الناس يتنافسون على وقف عين للماء لابن السبيل وللمارة وللساكنة أيضا.

ويحتمل أن يكون استعمال كلمة سبيل بهذا المعنى أوْحت به عبارة سبيل الله التي جرى المسلمون على إطلاقها على أي فعل يقصد به وجه الله، لقد تميزت المدن الإسلامية وشوارعها باحتوائها على أسبلة أو عيون كما جيء في المراجع، فهي مؤسسات ذات أهمية تعكس وجه الحضارة للمدن الإسلامية، وذات صبغة اجتماعية بحتة، والشيء الملاحظ أن هذه المنشآت قد اتخذت طابعا خيريا هدفها من ذلك التقرب إلى الله عزوجل، وذلك بتوفير الماء للمسافرين وعابري السبيل وجموع الناس سواء داخل المدن أوخارجها، وقد روي عن رسول الله "ص": "ليس صدقة أعظم أجرا من سقي الماء"[1].

وقد انتشرت العيون والأسبلة في المدن الإسلامية عامة من منطلق ديني اجتماعي بحت، فقد عرف هذا النوع من المنشآت المعمارية انتشارا واسعا في العديد من المدن الإسلامية وشوارعها مغربها ومشرقها، والامثلة عديدة نأخذ على سبيل المثال شوارع القاهرة والفسطاط، وانتشرت بكثرة عند العثمانيين لمساهمتها القوية بطريقة غير مباشرة في إظهار نوع من الجمال على هذه المدن، لذلك اعتبرت من العناصر الأساسية التي تشاهد في شوارع المدينة الإسلامية، كما تعدّ من أهم الخدمات التي يقوم بها منشؤوها لينالوا بها رضى الله[2].

وما يلاحظ أن معظم الأسبلة تبنى في واجهات المساجد والمدارس ببلاد الأناضول، وما تزال هذه المنشآت باقية إلى يومنا هذا، وقد زوّدت هذه الأسبلة والعيون بقنوات لجلب الماء

[1] نعيمة رزوق، مرجع سابق، ص 133، على بن بلة: دراسة نماذج من أسبلة فحص مدينة الجزائر خلال العهد العثماني، رسالة ماجيستير، جامعة الجزائر، ص 40.

[2]– زروق نعيمة، مرجع سابق، ص 133، نقلا عن موسوعة الحضارة الإسلامية، المؤسسات الاجتماعية في الحضارة الإسلامية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، دار الفارسي للنشر والتوزيع، ط 1، 1995، ص 444-445.

الجاري، كما انها بني عليها بنايات جميلة وزخرفت واجهاتها بالبلاطات الزخرفية ونقشت عليها كتابات أثرية ودينية.

وقد عمّمت هذه المباني في المدن التي كانت تحت السلطة العثمانية، فقد تنافس الخلفاء والحكام في بناء الأسبلة، على غرار مدينة الجزائر وقسنطينة وعنابة ووهران والبليدة وغيرها، فقد عرفت هذه المدن هي الأخرى هذا النوع من المنشآت المائية، وقد لجأ البناء الجزائري إلى إنشاءها طمعا في الثواب والأجر وسدّا لحاجياته وحاجيات الساكنة إلى الماء، فكانت تحفا فنية جلبت أنظار الغربيين بقيت قائمة إلى غاية الاحتلال الفرنسي، حيث يقول الإسباني هايدو: " أنّ احمد أعراب باشا أمر بهدم حي كامل خارج بابا عزون، ثم أقام بنفس المكان حصنا بجانبه حنفية "عين" تمد الماء بلا انقطاع، وكذلك بباب الوادي فإنه شيّد عينا أخرى تلقت مياه ينابيع عديدة كانت تنحدر من الكديات المجاورة ،ومياهها عذبة وباردة ونقية،.. ويذكر بيار دان أن عدد الأسبلة تتعدى المائة سبيل وأكثرها في مدينة الجزائر وذلك سنة 1044ه-1634م، وقد تضاعف بناء العيون في النصف الثاني من القرن الرابع عشر وبداية القرن الخامس عشر (18-19م)، بل زاد اهتمام الدايات والباشوات بهذا المجال"[1].

وما يلاحظ أن مدينة الجزائر حسب الأثريين وحسب دراسات العديد من الجزائريين يتبين "أن أسبلة مدينة الجزائر والتي كانت تسمى أيضا بالعيون خلال العهد العثماني، حيث وصل عددها إلى حوالي 148 سبيلا"[2].

وما يميز هذه العيون أنها عامة، إذ لا يمكن لأحد احتكارها، فالكل يملك نفس الحقوق فيها، ثم تمتاز بالكثرة والجمال، حيث أظهر البناؤون عناية ومهارة وذوقا رفيعا في إنجازها، فهي

[1] زروق نعيمة، نفس المرجع، ص 134، نقلا عن Pierre Dan, Histoire de Barbarie, T 1, p 100 , Ren Lespes, p 176-177.

[2] على بن بلة، مرجع سابق، ص 22-23.

عادة في مشكاة حائطية يعلوها عقد وسط مربعات خزفية ذات الألوان مما يجلب إليها الأنظار وينال الإعجاب[1].

لقد كانت للعيون في الجزائر أهمية كبيرة بل أن مدنا بكاملها سميت على اسم العين مثل عين الكبيرة، عين الطويلة– عين صالح – عين أم الناس.....

وقد شدّت انتباه الرحالة الذين زاروا الجزائر فذكروها وذكروا أهميتها، وحتى بعد الاحتلال الفرنسي عام 1830 في السنوات الأولى اندهش المحتلون من هذه العيون وانتشارها وجمالها، من بينهم الجنرال الفرنسي برتزان (Berthezéne) الذي وصفها بقوله " على كافة الطرق بفحص الجزائر هناك العديد من عيون الماء المخصصة للشرب، أغلبها مزين بأعمدة من الرخام الأبيض، وهي من الجمال والذوق ما يجعلها جميلة"[2].

وما يجعل هذه العيون منتشرة وجميلة ومصانة وكثيرة كونها كانت محل عناية ورعاية واهتمام من الحكام الذين أحدثوا لمراقبتها وصيانتها لضمان حسن سيرها واستعمالها جهازا إداريا مختصا يترأسه قائد أو خوجة العيون، "فللأشراف على قنواة المياه وما يتصل بها أحدثت مصلحة خاصة يتصدرها موظفا يدعى قائد العيون، وآخر يدعى ناظر الماء، وأوقفت لصالحهما أوقافا كثيرة ومتعددة أسهمت بشكل كبير في تسييرها والمحافظة عليها، ووضع موظف يترأس الجهاز الإداري المكلف بالمراقبة المضمونة لأوقاف عيون الماء يدعى الناظر على أوقاف العيون، وقد تولى في عهد الداي علي باشا هذا المنصب الحاج اسماعيل على خوجة بن خليل، حسب أرشيف وثائق المكتبة الوطنية، وتستغل الدولة هذه الأوقاف لصيانة العيون والحفاظ عليها، فتنظيم المياه وتشييد القنوات والأسبلة وصيانتها كان من صلاحيات

[1] زروق نعيمة، مرجع سابق، ص 134، مولاي بلخميسي، مرجع سابق، ص 78.

[2] ناصر الدين سعيدوني، الشبكة المائية، مرجع سابق، ص 68.

الدولة، وكان على الأفراد الاهتمام بهذه المسألة، وذلك بإنشاء الحبوس والتي تخصص إراداتها لصيانة الأسبلة وقنوات المياه[1].

ويمكن ان نمثل للعيون في الفترة العثمانية ونركز على الكتابات الاثرية، وما يلاحظ في الأمثلة التي اخترتها أنها في غالبيتها في فترة واحدة، وقام بها الداي علي باشا أو من جاء بعده، ونجد الكتابة العثمانية بارزة ولكن بروح إسلامية ظاهرة وبخط عربي واضح.

1- عين الحامة:

تقع سبيل (عين) الحامة قبالة حديقة التجارب التي تقع على بعد 5.5 كم شرق العاصمة، تتزود بالمياه من المنبع الرئيسي بالحامة، ويعود بناؤها إلى أحد الصناع الاندلسيين المهاجرين إلى الجزائر، وهو "الاوسطا موسى" سنة 1622، وقد تعرضت للتخريب بفعل كوارث وعوامل طبيعية إلى أن قام الداي علي باشا بترميمها سنة 1173م/ 1759م فأصبح الماء في المتناول بعد أن كانت النسوة والصبيان يذهبون لملء قواريرهم من ماء الحامة خاصة في شهر رمضان ثم جدّدت من طرف الداي محمد عثمان باشا في 07 شوال من عام 1203هـ/ 1788م حفاظا على مياهها من التسرب[2].

- **الكتابة الأثرية:**

تبين اللوحة التأسيسية لهذه العين والمصنوعة من مادة الرخام مقاسها 50 سم× 37سم أن الفترة التي جددت فيها هي فترة عثمانية وذلك في عهد على باشا نقسيس المعروف باسم بوصبع سنة 1173هـ، وهذا التاريخ يوافقه بالميلادي 1759م-1760م.

[1] صليحة جبار: الجزائر في عهد الداي علي باشا، مذكرة ماجيستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر -2-، 2011/2010، ص

[2] محمد رافع: المنشآت المعمارية لدايات الجزائر، مرجع سابق، ص 116، زروق نعيمة، الشبكة المائية، مرجع سابق، ص 137.

ومضمون الكتابة التي جاءت في خمسة أسطر وهي بالخط والحروف العربية والكلمات العثمانية والتي نفذت بأسلوب الحفر الغائر المملوء بالرصاص نصها:

كمال قدر تيكه بس نهايت بوق سكا يا هو
كه بر قازد كجه بيكالِر ظهور ايتدى بر كدير صو
جرى ابيتدى كرمكله هنيأ أهل إيمانه
قولو كادجي إحسانك إيجور كوثر نيازي بو
صاحب الخيراتي خير إيله ايده نك عاقبي خير أوله سنة 1173هـ

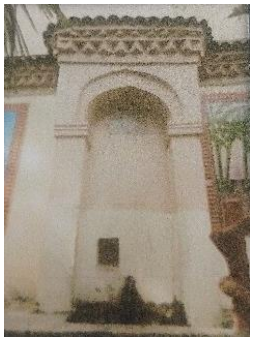
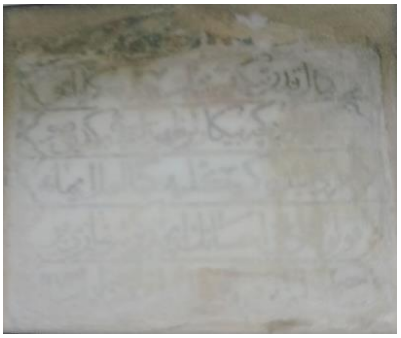
وترجمته بالعربية:

...يا إلهي لا يوجد أي نهاية لكمال قدرتك، من شدة حفر الأرض ظهرت ينابيع في مكان المتحمس بإحسانك صاحب الخيرات بالخير(....) ولكن العاقبة خيرا سنة 1173هـ[1].
الماء العكر، تجري بفضل كرمك، هنيئا يا أهل الإيمان السقي من ماء الكوثر الخام

ويتبين من مضمون الكتابة بوضوح العديد من ألفاظ المعجم العربي، فألفاظ كثيرة عربية (كمال، قدر، نهايت، طهور، الندى، هنيئا، أهل، إيمانه، إحسانك....) فنسبة كبيرة من الألفاظ أصلها وجذورها وحتى معانيها عربية، وهذا ما يؤكد ما قلته في الجانب النظري من كون اللغة العثمانية متأثرة بالمعجم العربي.

والملاحظ عند قراءة ترجمة اللوحة يتبين مدى اهتمام الحكام بالشبكة المائية وإنشاء سبل المياه، خاصة هذه العين التي أوصلت إلى غاية القصبة.

[1] الكتابة والترجمة من محمد رافع، مرجع سابق، ص 118.

صور /سبيل (عين) الحامة

2 –عين الثكنة القديمة (الفوقانية):

تقع هذه العين بداخل دار الإنكشارية القديمة، وهي ثكنة بنيت حسب على خلاصي سنة 1627[1]، وهناك من يقول أن هذه العين بنيت بعدما بنى على باشا المسجد الذي يحمل اسمه سنة 1750 وهذا ما ذكره دوفولكس[2].

– الكتابة الأثرية:

نجد لوحا تأسيسيا في حالة حفظ جيدة، المحفوظ بمتحف الاثار القديمة بالجزائر تحت رقم جرد 190. S. 11، مادة اللوح من الرخام ونقشت الكتابة بطريقة الحفر البارز، وقد جاء مغايرا للوحات التأسيسية المعهودة المستطيلة أو المربعة، فشكله نصف دائري كما تبينه الصورة، وقد جاءت الكتابة بخط عربي نسخي مشرقي، تجري في ثلاثة أسطر حصر كل سطر داخل خرطوش مستطيل ومفصص الجانبين، تاركا فراغا مزينا بزخارف نباتية عبارة عن زهرة مفصصة ومراوح نخيلية وأنصافها، كما أن السطر الثاني والثالث قسّم الخرطوش إلى قسمين.

[1] على خلاصي: التنظيمات الدفاعية، مرجع سابق، ص 161.

[2] يسرى شوقي: العيون العامة بمدينة الجزائر وفحصها في العهد العثماني، مذكرة ماجيستير، معهد الأثار، الجزائر 2، 2012، ص 76.

مضمون الكتابة:

جاء قدر العين من على باشا ربنا اجعل له سعيه مشكور..... واشرب من مائها واقرأ التاريخ يطيب حياتا شراب طهور..... سنة اربعة وسبعين ومائة وألف

هذه الكتابة جاءت باللغة العربية وقد بينت منشئ هذه العين وهو على باشا ثم الدعاء له وبأن يكون سعيه مشكورا، تمّ تنبيه من يشرب منها بأن يقرا تاريخ إنشائها وهو مذكور في السطر الثالث وذلك بعد جملة "إقرأ التاريخ"، وهي الجملة "يطيب حياتا شراب طهور"، ويتبين من حساب الجمل[1].

فهي وفق الطريقة المشرقية وتحسب كما يلي:

1-يطيب (ي= 10/ ط =9/ ي= 10 / ب=2)، المجموع = 31.

2-حياتا (ح=8/ ي = 10/ 1=1/ ت = 400/ 1= 1) المجموع = 420.

3- شراب (ش= 300/ ر= 200/ 1= 1/ ت= 400 / 1=1) المجموع = 503.

4- طهور: (ط= 9/ ه = 5/ و = 6/ ر= 200) المجموع = 220.

5- يطيب + حياتا+ شراب+ طهور= 31+ 420+ 503+ 220= 1174.

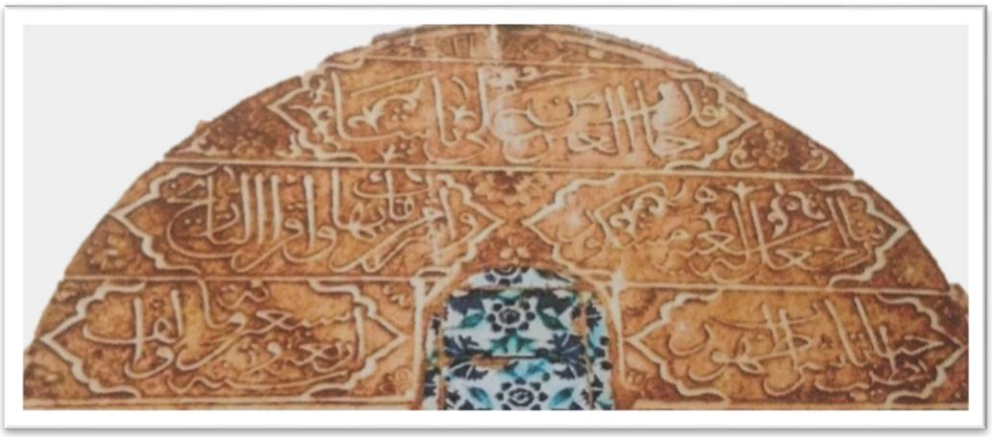
ثم جاء التاكيد من الجملة الأخيرة وهي سنة أربعة وسبعين ومائة وألف وهي توافق بالميلادي سنة 1760م- 1761م.

ويمكن أن نذكر بعض الملاحظات اللغوية:

[1] التاريخ بحساب الجمل هو عبارة عن الإتيان بكلام موزون أو منثور، إذا جمعت الاعداد التي تقابل حروفه بموجب هذه الطريقة نحصل على السنة والشهر الذي اعتبرت فيه هذه الحادثة أو أنجز فيها العمل، وهي تأتي على طريقتين مشرقية ومغربية، وهي منتشرة في عديد المخطوطات والقصائد والأعمال.

الجملة الأولى فعلية وجاء فيها جاء قدر العين، أي قدّر الله عملها وإنشاءها من على باشا، ويؤكد ذلك الجملة التي بعدها وهو الدعاء، والبدء ب "ربّنا" وهي كلمة تتردد في كثير من الآيات، وكلمة مشكور سقط منها الألف.

وكلمة مائها كتبت بالهمزة ووضعت نقطتان تحت الياء للتخفيف على طريقة المغاربة.



صورة / كتابة تأسيسية عين الثكنة القديمة (الفوقانية) بمتحف الأثار القديمة S.190. ا١.

3.عين القيسارية:

بناها الداي على بوصبع المعروف "بنقسيس"، وبنيت للسوق المغطاة التي كانت تباع فيها الأقمشة والكتب، وقد دمّر الحي بعد الاحتلال الفرنسي بعد ثلاث سنوات وهو المكان المعروف الآن بساحة الشهداء، ويذكر هذا حمدان بن عثمان خوجة في المرآة، حيث أمر الجنرال الفرنسي "كلوزيل" الذي جاء خلفا لـــ دي بورمون بتهديم الحوانيت التي كانت تدعا القيسارية (السوق المغطى)، وهذا خلال السنوات الأولى لاحتلال الجزائر بحجة توسيع الشوارع[1].

-الكتابة الأثرية:

[1] حمدان بن عثمان خوجة: المرآة، تقديم وتعريب وتحقيق: محمد العربي الزبيري، الجزائر، 2007، ص 277.

تبين الصورة الكتابة الأثرية المحفوظة بمتحف الأثار القديمة لعين القيسارية، وهي في لوح أبيض من مادة الرخام محفوظة في حالة جيدة، وتحمل رقم جرد 11.S.212 جاء اللوح في شكل مربع مقاسه 27 سم للضلع الواحد وسمكه 2 سم.

جاءت الكتابة باللغة العثمانية وبخط عربي نقش على الرخام بالحفر الغائر المحشو بالرصاص في ثلاثة أسطر، جاء كل سطر في خرطوش مفصص الجانبين، ونجد فراغات في جوانب الخراطيش ملئت بزخارف نباتية عبارة عن أزهار محوّرة ويحيط بكامل الكتابة إطار غائر وآخر سميك.

-مضمون الكتابة:

على باشا نشان إيجون بو عينه قتى زياد اتدى ابنى روانه سنة ستة وسبعون ومائة وألف

وهذه الكتابة جاءت باللغة العثمانية وترجمتها حسب كولان.

من أجل إظهار هذه العين قام على باشا بزيادة غزارة مياه مجراها سنة ستة وسبعون وماية وألف[1].

وتظهر الكتابة الترميم والتجديد وليس التأسيس.

[1] محمد رافع، مرجع سابق، ص 124، Colin (G), op. cit, p 121-122.



صورة / كتابة تجديدية لعين القيسارية محفوظة بالمتحف الآثار القديمة و الفنون الاسلامية بالجزائر، 11.S.211

4 . عين زاوية القشاش:

-**موقع العين:** هذه العين من العيون التي اندثرت وهدمت، وقد ذكرها كولان ضمن منشآت شارع القناصل (Rue des Consuls)[1]، وهي تقع في زاوية القشاش أو جامع القشاش الكائن غرب الجامع الكبير.

الكتابة الأثرية ومضمونها:

حسب الصورة أدناه والتي يحتفظ بها متحف الأثار القديمة والفنون الإسلامية بالجزائر، والتي تعبّر عن الكتابة التأسيسية لعين زاوية القشاش، فهي عبارة عن لوح رخامي مستطيل الشكل طوله 45 سم وعرضه 29 سم وسمكه 5.6 سم.

ضمن هذا اللوح الرخامي نقشا بخط عربي جميل وهو خط التحقيق بأسلوب الحفر البارز، تتألف الكتابة من أربعة خراطيش بارزة ومفصصة الجانبين ومدببة النهايات، ونجد في الفراغات بين الفصوص زهرة اللاّلة ثلاثية البتلات ويحيط بهذه الكتابة إطار سميك على الجهتين اليمنى واليسرى.

[1] Colin (G) : Corpus des Inscription Arabes et Turques de L'Algerie, Paris, 1901, p 122.

وقد جاءت الكتابة باللغة العثمانية نصها:

عون حقّيلة اقيدن بو أبي
يوله قطرة سينة يوز بيك ثوابي لر
دوشو بدر تاريخية عقاد رضا
اجلون كندو يه حنيتك بابي لر.

وترجمتها:

طوبى لمن جعلماء هذه العين يجري، إنه يجد في كل قطرة
منها مائة ألف حسنة، تاريخها يوافق: أجرة الراضي لتفتح له باب الجنة[1].

أي أن تاريخ تأسيسها بحساب الجمل هو مضمن في جملة "عقاد رضا" ووفق الطريقةالمشرقية فهي:

عقاد: ع = 70/ ق= 100/ ا= 1/ د=4/ المجموع= 175.

رضا: ر= 200/ ض = 800/ ا=1/ المجموع= 1001.

والمجموع هو تاريخ البناء وهو 1176هـ الموافق ل 1763م.

وما يلاحظ حول هذه الكتابة أن الخط جميل والحروف بارزة ومضبوطة ووجود عدّة كلمات بالعربية مثل قطرة- ثوابي- تاريخ- رضا- جنتك.

[1] نقلا عن محمد رافع، مرجع سابق، ص 127، Colin, op.cit, p 112.



صورة / كتابة تأسيسية عين زاوية القشاش محفوظة بمتحف الاثار القديمة S.212. ا ا

5 . العين الزرقاء:

تقع هذه العين حاليا خلف قاعة حرشة حسان، وهي توجد في فحص الجزائر بأول ماي خارج بابا عزون بمرتفعات مصطفى باشا، وقد أنشأها على باشا سنة 1179هـ - (1765-1766م) حسب الكتابة التأسيسية، وحسب ما توضحه الصورة فإن العين تبرز من الجدار ب 45 سم يعلوها إفريز بارز من الأجر المنكسر والمتواتر، ويوجد مصطبة مخصصة للجلوس عند يمين وشمال العين، كما نجد قوسا قائما على دعامتين كبيرتين من الحجر طول كل واحدة منهما 1 م و83 سم وعرضها 39.5 سم والمسافة الفاصلة بين الدعامتين هي 1م و39 سم، أما العقد النصف دائري فيضم الكتابة التأسيسية.

الكتابة التأسيسية ومضمونها:

مثلما توضحه الصورة: فإن الكتابة التأسيسية جاءت بخط عربي واضح وبلغة عثمانية منقوشة بالحفر الغائر المملوء بالرصاص على لوحة من الرخام مقاساتها 48 سم/ 48 سم، وكل سطر جاء في إطار عبارة عن خرطوش مفصص، وتفصل هذه الخراطيش فراغات ملئت بزخارف نباتية وعدد الخراطيش 05.

ونص الكتابة [1]هو:

قلوب آثار علي باشا بوحياتي مقامنده
ايدوب شفقت كردي جناح علينامه مهما ننده
ايدوب كرم ويردي رغبت خيراتله احساننده
يولوب رفعت دائما أوسون حفظ امامنده
كلوب تاريخي هم بيك يوز يتمشى طقوز سنة سنده

وترجمة هذه الكتابة إلى العربية:

ترك على باشا آثار الوجود في هذا المقام
في احسانه حمل بكرم رغباته لأعمال الخيرات
لتعرف على العظمة باستمرار ويبقى تحت الرعاية الإلهية
تاريخها تسعة وسبعون ومائة وألف[2].

وما يلاحظ على هذه الكتابة أيضا كونها باللغة العثمانية، وهي ترجع إلى نفس الحقبة كما أسلفت، وتظهر جليا بعض الألفاظ العربية (كرم، دائما، رغبت خيراته، إحسانه مقامه قلوب، آثار، رفعت....)، فمعظم القاموس المستعمل عربي، وهي ميزة في الاستعمال العثماني وتأثره الكبير باللغة العربية.

كما تبرز الروح الدينية وتخليد الأعمال الخيرية والختم بالدعاء للداي على باشا.

[1]محمد رافع: المنشآت المعمارية لدايات الجزائر، مرجع سابق، ص 131

[2] محمد رافع: المنشآت المعمارية لدايات الجزائر، مرجع سابق، ص 131، يسرى شوقي: العيون العامة بمدينة الجزائر وفحصها في العهد العثماني، مرجع سابق، ص 63، Colin (G) Corpus, op. cit, p 127.



صورة/ كتابة تأسيسية العين الزرقاء

6-عين البحرية(عين باب الجزيرة) أو عين بابا علي:

عين البحرية أو عين على بابا كما يسميها البعض نسبة إلى منشئها الداي علي باشا والتي تقع داخل قيادة القوات البحرية العسكرية تحت دار وكيل الحرج بالجهة المقابلة لحوض المرسى، وقد ذكر علي خلاصي أن هذه العين قديمة جدا وأن الداي على باشا أعادتجديدها وهو ما نجده عند المؤرخ ابن حوقل 977 هـ، وكذلك البكري سنة 1094م بأن لمدينة الجزائر عيونا على البحر وأن للمرسى عينا عذبة يلجأ إليها السكان وأهل السفن[1].

الكتابة الأثرية: نجد في هذا العين لوحا تذكاريا في حالة متقدمة من التدهور والتلف بفعل العوامل الطبيعية مثل الرطوبة والأمطار والحرارة المنبعثة من الشمس، فهذه العوامل وغيرها لا سيما ملوحة مياه البحر أدّت جميعها إلى محو الكتابة الأثرية، حيث لم يعد يظهر منها أي زخرفة أو حروف، وهذا اللوح التذكاري جاء في شكل مربع تقريبا، حيث يبلغ أحد

[1] على خلاص، التنظيمات والمنشآت العسكرية، مرجع سابق، ص 136.

أضلاعه 57 سم والآخر 58 سم وارتفاع الحروف 06 سم، وقد جاءت الكتابة حسب ما تبقى منها بخط من النوع النسخي الشرقي، وجاءت في خمسة اسطر

مضمون الكتابة:

نظر أبدوب على باشا كما ليلة بوفنالي1179 فكر أبدوب مالنده نجاتيله هم بنائي أفندوب بوحيوة ويرى عيوني هم صفائي رجا ايدر دروننده خلوصله ثنائي خذا راضي اولسون بي عدّ أولسون فردوس اعلى ئي.....[1].

وترجمة النص:

بعد أن نظر على باشا بتأمل إلى هذه الدنيا الفانية، فكر في ربح سلامته باستخدام ثرواته، فقام بتشييد بناية وبإجراء هذه العين التي تعطي الحياة والطهارة، في نفس الوقت، وكانيرجو من قبله أن ينال جزاء صادقا، رحمة الله وأسكنه أعلى درجات الجنة بدون حساب1178هـ[2]، يقابلها بالميلادي 1764-1765

يتضح جليا النزعة الدينية في هذا النص وأن الواقف استعمل ثروته لتشييد العين التي تعطي الحياة والطهارة وتختتم بالدعاء.

7.عين مجهولة:

نجد في المتحف الوطني للأثار هذه الكتابة الأثرية والتي تدل على أنها لعين مجهولة المكانن والتي أسسها الداي على باشا، ويرى "ألبرت دوفو" أنها كانت توجد في شارع

[1] محمد رافع، مرجع سابق، ص 136، بيري شوقي، مرجع سابق، ص 136.

[2] محمد رافع، مرجع سابق، ص 132، .Colin (G),op cit, p 125

البحرية، وهذه الكتابة في حالة حفظ جيدة، وقد جاءت في أربعة أسطر وفي أربعة خراطيش بخط نسخي مشرقي بأسلوب الحفر الغائر المحشو بالرصاص.

نظر ايدوب علي باشا كما ليلة يوفناي
فكر ايدوب مالنده نجاتيلة هم بقاي
رحا ايدر دروننذن خلو صلة ثناي 1178
خداراضي اوله يوله فردوس اعلاني

وترجمة النص بالعربية:

على باشا لما رأى هذا العالم معرضا للهلاك
فكر في سلامه باستعمال
ثرواته في عمل دائم 1178
يرجو من اعماق قلبه مدحا خالصا

ويلاحظ أن مضمون هذه الكتابة هو نفسه في الكتابة السابقة لعين البحرية.



صورة / كتابة تأسيسية لعين مجهولة (محفوظة في متحف الآثار القديمة بالجزائر) تحت رقم جرد 226. S. ا ا .

8.عين بير مراد رايس : ذكرت سابقا أن الإدارة العثمانية قررت الاهتمام بالعيون والأسبلة، ومدّ قنوات للمياه بل وذهبت أبعد من ذلك حينما وضعت إطارا إداريا سيطر على أوقاف العيون، واهتمت ببناء العيون خارج المدينة على غرار عين الحامة وعين بئر مراد رايس وبئر خادم وتيقصراين وغيرها. وتبين الصور المرفقة التي تقع في بلدية بير مراد رايس، والتي قمت بزيارتها وهي قريبة من موقف الحافلات التابعة للبلدية، والعين ملحقة بمبنى مكتبة البلدية التي كانت من قبل مسجدا يعود إلى سنة 1137هـ 1724م، والذي بناه الداي عبدي باشا، أما تسمية بئر مراد رايس فيعود إلى البئر التي أنشأها القائد البحري أو الرّايس مراد، وهو الذي بدأ حياته أسيرا لدى الأتراك ثم أسلم وخالط المسلمين وتدرّج في المناصب البحرية حتى وصل إلي رتبة رايس، كان له عديد البواخر وكَان في مهمة حماية السفن في البحر الأبيض المتوسط، بنى عدة آبار منها البئر التي سميت باسمه.

حبذا خير جزيل كيم توفيق أيدوب بارى خدا
والى دار الجهاد بوجشمة ئي ايتدى بنا
اشته بو عين الحياتدر تشنه دل سك اتى كدا
دورلدي سبو ايج صويي حسن باشايه ايله دعا
سنة 1208[1].

وترجمة النص إلى العربية:

حبذا من خير جبريل إذ وفق اللّه الباري والى دار الجهاد، فقد بنى
هذه العين هكذا بهذه الكيفية، فهي عين الحياة للعطشى،
فليكنالدعاء لحسنباشا فقد جعل هذه العين للعطشى
سنة 1208[2].

[1] محمد رافع، مرجع سابق، ص 245، Colin, op. cit, p 159.

[2] محمد رافع، مرجع سابق، ص 246، شوقي يسرى، مرجع سابق، ص 65.

ما تبينه الصورة أن العين تقع في جدار المسجد، وأنها خارجة منه، مما يبين ما ذكرته سابق أن فحوص الجزائر كانت بها عيون، وهذا يبين رغبة الحكام في تنمية المناطق المجاورة للمدينة، ووضع هذه العيون يساعد المسافرين والقادمين إلى الجزائر من مختلف الجهات لإقامة الصلاة في المساجد، ولكي يرتاحو في المقاهي المجاورة، ولكي تشرب دوابهم، حيث تبين الصور الأرشيفية في عين بئر مراد رايس أنها فيها حوض تستقي منه الدّواب، وخلف العين مباشرة نجد مسجد حوّل إلى مكتبة عمومية حاليا.



صور/كتابة تأسيسية عين بير مراد رايس

9.عين الربط

تقع عين الربط في ساحة أول ماي حاليا، ويذكر أن عدّة عيون كانت موجودة هناك وكانت تستعمل من قبل القادمين من الناحية الشرقية إلى القصبة، حيث يستريحون فيه وتشرب دوابهم ثم يواصلون السير إلى المدينة، وهذه العين من العيون المنتشرة ولكننا نجد بمتحف الاثار القديمة لوحة تأسيسية تؤرخ لها، حسب ما توضحه الصورة في الأسفل.

ونص الكتابة باللغة العثمانية:

الصلا جشمه يوسار داي عطاش كل وسكّر إيج
صدر شفقتدن فاننجه دورمه شير مادن ايج
صاحب الخير حسن باشايه ايله دعائي كوثر إيج
دور كيم بو عين الحيات استر وضو ايت استر ايج
سنة11208.

جاءت هذه الكتابة في لوحة مستطيلة طولها 77 سم وعرضها 75 سم، وسمكها 04 سم، وقد نفذت الكتابة بأسلوب الحفر الغائر المحشو بالرصاص، وجاءت الكتابة في أربعة خراطيش مستطيلة مفصصة الجانبين والفراغات خالية من الزخرفة وتنتهي الجمل كلّها بكلمة إيج بمعنى أشرب.

وترجمة الكتابة السابقة بالعربية:

أنت الذي تعاني ظمأ لا يروى، ندعوك إلى العين الموجودة في هذا المكان واشرب
هذا السائل الحلو مثل السكر، حتى تروى من عين الرحمة، لا تتوقف اشرب
لبن هذه الموجه، وادع لصاحب الخير حسن باشا واشرب
من ماء الكوثر، من عين الحياة هذهابق لتتوضأ أو تشرب
سنة 1208.

[1] محمد رافع، مرجع سابق، ص 250، شوقي يسرى، مرجع سابق، ص 82.



صورة / الكتابة التأسيسية لعين الربط محفوظة بمتحف الآثار القديمة .

10.عين بئر خادم:

وهي تقع في الطريق المؤدي إلى المسجد الكبير ببئر خادم، هي ملاصقة لجداره الشرقي بمحاذاة الساحة العامة لا تزال ظاهرة إلى اليوم، وهي تقع في فحص الجزائر، وتضم حوضا لسقي الحيوانات، وهي مبنية بالرخام تقوم على عمودين رخاميين حلزونيين فوقهما تاجان، ويعلوهما عقد نِصف دائري، وأغلق بمفتاح العقد الذي نجد فيه هلالا بارزا، ويعلو العقد إفريز يزينه قرميد اخضر اللون وعليه قبّة دائرية تحيط بها سبع شرافات زخرفية.

الكتابة الأثرية:

تبين الصورة أدناه الكتابة الأثرية في عين بئر خادم، وهي تتوسط عقد العين، وهي عبارة عن لوح رخامي أبيض طوله 85 سم وعرضه 55 سم وكتب عليها بخط الثلث الجلي، بأسلوب الحفر الغائر المملوء بالرصاص، جاءت الكتابة في خمسة أبيات شعرية،صدر البيت

وعجزه ، جاء كل شطر في خرطوش مفصص الجانبين وختم بخرطوش صغير أسفل الكتابة ذكرت فيه سنة التأسيس.

نص الكتابة:

أصف دهر حسن باشا كيم	كور ممش مثلني اصلا دوران
صاحب جود وسخا عدل وعطا	فخر ايدرذاتيله جملة جهان
ايتدي بوعيني عدمدن ايجاد	كه ايجه صوينى انس وهم جان
ايده خيراتني اللّه مقبول	اجريني ويرد يقيم ورضوان
بيك ايكيوزده وهم اون ايكيده	فليدى بوجشمة زبايي روان
سنة 1213ه[1].	

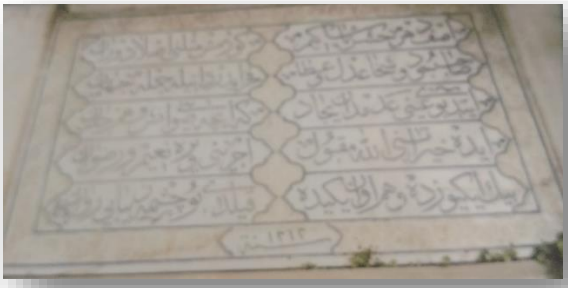
ترجمة النص:

اصف يا دهر حسن باشا	الذي لم ير الزمان مثله أصلا
صاحب الجود والسخاء	تفتخر بذاته كل الدنيا
اوجد هذه العين من العدم	بحيث يشرب ماءها الإنس والجان
فليقبل الله حيراته	وليجزه أجرها النعيم والرضوان
ففي ألف ومائتين واثني عشر	قام ببناء عين الماء العذبة هذه
سنة 1212هـ[2]	

وما يلاحظ أيضا على هذه الكتابة كذلك الروح الدينية والقاموس العربي الواضح.

[1] محمد رافع، مرجع سابق، ص 254-275، Colin (G) , op.cit, p 175

[2] محمد رافع، مرجع سابق، ص 254، شوقي يسرى، مرجع سابق، ص 67.

صورة/الكتابة الأثرية لعين بير خادم

11.عين تيقصراين:

تقع العين في المنطقة المعروفة ببن بئر خادم ودرارية، وهي من فحوص الجزائر، حيث نجد العديد من البنايات العثمانية القديمة فيها، ومن اسمها يدل على أنها عبارة عن قصر مبني، والمار بالقرىالمجاورة مثل السبالة والعاشور والقادوس ووادي الرمان وغيرها يتبين له تلك الجنان المترامية الأطراف والتي نجد فيها المباني الملتفة حولها الأشجار المثمرة.

وفي الغالب نجد هذه العيون منتشرة في هذه المناطق، ويكفي أن السبّالة سميت عليها المدينة ككل الآن، وهي بالمعنى الأصلي السبيل أي العين التي هي لابن السبيل أو العين التي وضعت في سبيل اللّه كما أسلفت ذكره.

أنشأ الداي حسين هذه العين في 1797م / 1212هـ وهذا بناء على الكتابة التاريخية الموجودة في العين، حيث وكما تبين الصورة أن العين تقوم على دعامتين حجريتين تشبه عين بئر خادم، وعين بئر مراد رايس، وكل دعامة تتكون من ثلاث قطع حجرية تحملها قاعدتان حجريتان ويعلوهما تاجان بسيطان، فوقهما عقد نصف دائري مطول، وقد نقش على مفتاح العقد هلال، في داخل الإطار وضع لوح رخامي يمتد من الحوض إلى العقد، بينما نجد الكتابة التأسيسية محصورة داخل العقد، ونجد فوق العقد إفريز يزين الواجهة.

-الكتابة الأثرية:

جاءت الكتابة الأثرية في لوحة رخامية مستطيلة الشكل طولها 44 سم وعرضها 50 سم، وقد نفذت الكتابة بأسلوب الحفر الغائر المملوء بالرصاص وباللغة العثمانية وبخط الثلث، وجاءت الكتابة في أربعة أسطر، جاء كل سطر في خرطوش مفصص الجانبين،وحول الإطار الرخامي بلاطات خزفية مربعة الشكل طولها 10سم ذات ألوان صفراء وزرقاء وخضراء،رسمت عليها أزهار القرنفل وهي أيضا موجودة خلف الدعامتين وفي القاعدة، مثلما تبينه الصورة.

نص الكتابة:

اقيدوب بوجشمة ساري لطف ايدوب يدي سبيل صاحب الخير حسن باشا أول معدن جود وسخا وادئ عطا شدة كزمة كوردوكنة اول دليل سنة 1212. إيج قا نتجه عين حيا تدن قلدرال ايله دعا

وترجمتها باللغة العربية:

بعد أن جعل هذا الينبوع يجري، تلطف صاحب الخير حسن باشا معدن الجود والسخاء بالأمر بسبيل لا تظل في وادي العطشأن هذا دليل للذي رآه. اشرب حتى تروى من عين الحياة ارفع يديك وادع سنة 1212[1].

[1] شوقي يسرى، مرجع سابق، ص 69.





صورة / الكتابة الأثرية لعين تيقصراين

الخلاصة :

من خلال تتبعنا للأمثلة التي قدمتها حول العيون في الجزائر ، يتبين أنها كثيرة جدا في العاصمة وخارجها ، وهذا يبين اهتمام الجزائريين في الفترة العثمانية بتوفير المياه ، خاصة في فترة حكم الداي علي باشا، حيث كان اهتمامه بتوفير المياه لمدينة الجزائر كبيرا جدا، وهذا نظرا للزلزال الذي وقع في بداية حكمه، فلهذا وضع ناظرا للأوقاف يهتم بالعيون والآبارو الصهاريج وقنوات جلب المياه العذبة من أعالي العاصمة ،فانتشرت العيون والأسبلة في المساجد والثكنات والمدارس وعلى حافة الطرقات ومداخل المدن وغيرها من المرافق العامة.

ومن خلال العبارات التي درسناها في الكتابات تتضح لنا الروح الدينية الإسلامية، وتعلق المؤسسين والمجددين بالدار الآخرة ورجائهم في عفو الله ورحمته، وهو الدافع الأساسي في الأعمال الخيرية، ولترك أوقاف ثابتة من أموالهم الخاصة، فنجد عبارات تتكرر مثل:

"طوبى لمن جعل هذا المال يجري"،

" ولتكن العاقبة خيرا"،

" شيد على سبيل الهبة والإحسان"،

"ادع لصاحبه بالخير"،

"فليقبل الله أعماله وليجزه أجرها النعيم والإحسان"،

"ربنا اجعل سعيه مشكورا"،

"ارفع يديك وادع"،

"قصد بذلك وجه ربه"

هذه العبارات تبين بوضوح الحياة الدينية لدى هؤلاء الحكام في تلك الفترة، والعبارات ذاتها نجدها في عقود التحبيس والأوقاف، وفي مخطوطات الأرشيف.

نلاحظ أيضا في الكتابات باللغة العثمانية أنها كلها تتضمن معجما عربيا واضحا حيث تستعمل العديد من الكلمات العربية أو ذات الجذور العربية ، وهذا يبين تأثير اللغة العربية في اللغة العثمانية المستعملة .

2-الكتابات الأثرية في العمارة العسكرية

"الحديث عن العمارة العسكرية يقودنا حتما للحديث عن مختلف الخصائص الفنية للعمارة الدينية والعمارة المدنية والمرافق العمومية ذات الخدمات المشتركة، فالثكنة نموذج للقلعة والقصر والمدرسة وللفندقة،تحتوي على مرافق القصر وخصائص المسجد والمقهى والنادي والحمامات العمومية والمخازن؛ بل وتحتوي أيضا على مقابر خاصة لشهداء الواجب إضافة إلى المرافق الخاصة بالجيش والتي لا تختلف عن المرافق العمومية"[1]

فغالبية المدن الكبرى الإسلامية في الجزائر محصنة، ولكن الملاحظ أن"آثار تحصينات الفترة الإسلامية في العصور الوسطى قد أزيلت مع تجمعاتها السكنية من مدن وقصور"[2].وهذا يبين مدى شراسة الاحتلال الفرنسي الذي ركز على الآثار الرومانية وأبقاها كما هي:"تحصينات المدن الجزائرية في العهد الروماني معروفة في معظمها"[3]، بينما لم تهتم بالآثار في العصور الإسلامية والتي عرفت مدنا كثيرة بداية بفترة الولاة ثم الدول المستقلة:رستمية وأغلبية وفاطمية وحمادية ومرابطية وموحدية وزيانية، فالمؤرخون يذكرون هذا في كتبهم – مثل الإدريسي وابن حوقل والبكري – عن الطرق التي كانت تخرج من المدن الجزائرية ، فيذكرون عددا هاما من المدن والقلاع والحصون على الطرق التي كانت معروفة منذ العصر القديم.

وليس مجال بحثنا الحديث عما قبل فترة الخلافة العثمانية وإنما نركز على هذه الأخيرة لارتباطها بالبحث، فقد شجعت الدولة العثمانية الجهاد البحري منذ القرن الرابع عشر وعرف

---

[1]-علي خلاصي، القلاع و الحصون في الجزائر، المنشآت العسكرية الجزائرية في العصر الحديث، الجزائر، مطبعة الديوان، 2008،

[2]-شوقي يسري ،نفس المرجع السابق، ص 11

[3]-نفسه، ص 11.

تطورا من بداية القرن 16 إلى منتصف القرن 19، وقد اهتم به المؤرخون الغربيون، فوضعوا كتبا لا تحصى ودراسات ومقالات لا تعد، بحيث أطنبوا فيها حد الشطط وبالمقابل نجد عدم اهتمام المؤرخين المسلمين عموما والجزائريين على وجه الخصوص، والباحث في المكتبات الغربية في الموضوع يتبين له كثرة الأطاريح التي وضعها الباحثون الغربيون والمملوءة بالأخبار المشوهة و الروايات المكذوبة ،الغرض منها تشويه الجهاد البحري عند العرب والمسلمين خاصة في هذه الفترة التي حافظت على بلاد المغرب الإسلامي وحوض البحر الأبيض المتوسط، كما ساهمت في إنقاذ مهاجري الأندلس الذين لقوا الويلات من قبل المسيحيين الذين وسموا الجهاد البحري بالقرصنة في حين نجد كتبهم التاريخية تبين بأن القرصنة الحقيقية هي التي كان يقوم بها النصارى والتي انحصرت في النهب و السلب والتخريب و الأسر والقتل. بحيث يؤكد مولاي بلحميسي أن جل الكتاب الغربيين اعترفوا بالأضرار البالغة التي لحقت بالمسلمين من طرف النصارى من القرن الثاني عشر للميلاد إلى القرن السادس عشر الميلادي واستشهد في ذلك بما ذكره دوماس لاتري LatrieDemas في مقدمة كتابه "علاقات إفريقية الشمالية وتجارتها مع الدول المسيحية في العصور الوسطى"[1].

[1]–بلحميسي مولاي ، الجزائر و الغزو البحري في القرن السادس عشر ، مجلة تاريخ و حضارة المغرب ، عدد :4 ، 1968، نقلا عن بوعزة بوضرساية ، من الجهاد البحري في كتابات المؤرخ الجزائري الدكتور مولاي بلحميسي ، مجلة الدراسات التاريخية العسكرية ، المركز الوطني للدراسات و البحث في التاريخ العسكري الجزائري، ع : 3 ،جانفي 2010 ، ص: 78.

إن فترة حكم العثمانيين بالجزائر هي فترة حاسمة في الحفاظ على إيالة الجزائر [1]من الغزو الأوروبي[2] الذي عمل كل ما بوسعه من أجل تحطيمها واستعمارها وتحقق له ذلك سنة 1830 بعد ضعف الحكم العثماني في الجزائر.

يمكن أن نستفيد كثيرا من المصادر المحفوظة خاصة الموجودة في سجلات البايلك ووثائق خط همايون الموضوع في المركز الوطني للأرشيف بالجزائر العاصمة، فسجلات البايلك تحتوي معلومات هامة حول الملاك الموقوفة على ثكنات مدينة الجزائر، ومقدار ما كانت تدره من أموال تصرف على الاعتناء بهذه الثكنات والجنود المقيمين بها، أما وثائق خط همايون فهي عبارة عن مراسلات وعرائض تكمن أهميتها في احتوائها على معلومات حول العلاقات العسكرية والسياسية بين إيالة الجزائر والباب العالي ومعظمها تعود إلى أواخر العهد العثماني.

وكذلك هناك في المكتبة الوطنية مجموعة من المخطوطات يمكن الاطلاع عليها تعطي معلومات جد هامة حول الحياة العسكرية لإيالة الجزائر خاصة أواخر الحكم العثماني، وهي تتمثل في مراسلات بين حكام الإيالة والوكلاء المكلفين بالتجنيد من مدن الدولة العثمانية وخاصة مدينة أزمير حيث كانت الجزائر تملك خانا مخصصا لهذا الغرض،كما تطلعنا على الصعوبات التي أصبح يلاقيها هؤلاء الوكلاء في جمع المتطوعين سواء بسبب رفض الباب العالي نتيجة توتر العلاقة بين الطرفين، أو بسبب الإصلاحات التي بادر بها السلاطين في

[1]–الإيالة : نظام إداري أطلقه الباب على الولايات و الأقاليم التي كانت تحت السلطة العثمانية ، منها إيالة الجزائر و إيالة تونس و إيالة طرابلس. ينظر : محمد فريد بك المحامي : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، تحقيق إحسان حقي ، بيروت ، دار النفائس ، 1988، ص : 6، ينظر الفصل الأول من هذه الرسالة .

[2] أحمد توفيق المدني ، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر و إسبانيا 1492–1792 ، الجزائر ، دار البصائر،ط 1 ، 2007.

العهود المتأخرة ،وهناك مصادر كثيرة أخرى تمكننا من دراسة السياسة العسكرية في الفترة العثمانية [1] .

استطاع عروج وخير الدين بعد أن استنجد بهما سكان مدينة الجزائر عام 1516م صد الهجومات الصليبية الاسبانية على سواحل الجزائر، فتم بناء قوة عسكرية مكونة من السكان المحليين، وقد تمكنت خلال هذه الفترة من صد الخطر الاسباني وإخماد التمردات المحلية، وبعد استشهاد عروج في عام 1558م، وإعلان خليفته خير الدين تبعيته للباب العالي، دعمه السلطان سليم الأول بقوات مكونة من ألفين من خيرة الجنود الانكشارية، ثم اتبعهم بأربعة آلاف متطوع فشكل هؤلاء النواة الأولى لظهور الجيش الانكشاري للجزائر إذ منذ ذلك العهد اعتمدت الإيالة على تجنيد المتطوعين من مختلف أرجاء الإمبراطورية العثمانية، ويمكن متابعة العديد من المؤلفات الخاصة بالجوانب العسكرية في الفترة العثمانية، ولكن ما يهمنا في هذا البحث هو تتبع الكتابات الأثرية في العمارة العثمانية وما يتصل بها.

العمارة العسكرية في الجزائر في الفترة العثمانية:

تشكل الإنجازات الحربية العمرانية خلال الفترة العثمانية بالجزائر فصلا خاصا من تاريخ فن الحرب في العصر الحديث، خاصة وأن هذه الفترة هي فترة المواجهة المباشرة بين حضارتين حضارة شرقية وحضارة غربية، كان محور الالتقاء دائما بينهما هو الساحل الجنوبي والشمالي للبحر الأبيض المتوسط، وللتحصينات العمرانية العسكرية أهمية ودور اجتماعي وتراثي وحضاري، حيث شيدت الاستحكامات العسكرية من أجل البقاء والمحافظة

[1]– بوشناقي محمد ،الجيش الانكشاري خلال العهد العثماني في الجزائر ، 1700 –1830 م ،الجزائر،دار كوكب العلوم ،2016،ص 9–10.

على سلامة السكان، ولحفظ نتائج الأعمال الحضارية وصونها و كذا حماية الإقليم والتمتع بالاستقرار والأمن وحماية الموانئ من الهجمات التي تعددت أسبابها[1].

لقد شيدت في عديد المدن الجزائرية قصورا وقصبات وحصون و فنادق وثكنات وغيرها من العمائر العسكرية التي ساهمت في الحفاظ على الدولة الجزائرية في الفترة العثمانية، وقد ساهمت الهجرات الأندلسية في الصناعة العسكرية " فقد كانت للأندلسيين إسهامات كثيرة في العمارة العسكرية لكثير من المدن الجزائرية، فقد جددوا مناء بجاية ووسعوه على عهد الحكم الحفصي ، كما بنوا الكثير من الأسوار والقلاع والأبراج التي حمت المدينة من الاعتداءات المتكررة عليها كما جددوا وبنوا مدنا كثيرة مثل القليعة والبليدة وشرشال وتنس و دلس وجيجل والقالة والجزائر...[2]

إن الأثري الذي يبحث في تحصين المدن الجزائرية في الفترة العثمانية يتبين له مدى الاهتمام بالجانب العسكري الدفاعي في الجزائر في الفترة العثمانية يجد القصبة والتي بنيت عادة في قلب المدينة، ولهذا عرفت بنواة المدينة، كما نجد القصور ونجد الرباط والقلعة والحصن والبرج وبرج المراقبة[3] وهذه العمائر موجودة في الجزائر في دار السلطان وفي بايلك التيطري وبايلك الشرق وبايلك الغرب، وقد حمل الكثير منها جمالا وزخرفة ووجدت العديد من الكتابات التاريخية عليها .

الكتابات في العمارة العسكرية

بعد متابعتي للبحث في هذه العمارة تبين لي من خلال الوثائق التاريخية والزيارات الميدانية أن العمارة العسكرية في الغالب و ضعت للدفاع والحفاظ على الجزائر، ولكن وجدت العديد

[1]–علي خلاصي ، القلاع و الحصون، مرجع سابق ص 09

[2]–ميمن داود، الهجرة الأندلسية ودورها في بناء القوة العسكرية للجزائر ما بين 1492 –1610،مجلة الدراسات التاريخية العسكرية،ع 03 ، جانفي 2020 ، ص 68.

[3]–علي خلاصي، القلاع والحصون، مرجع سابق، ص 13، فقد فصل في هذه التسميات .

من الكتابات التاريخية تبين مدى اهتمام الحاكم بالخط العربي والدين الإسلامي، حيث يتبين من تحليل مضمون الكتابات الأثرية أن الوازع الديني أساس في الحياة العسكرية لدى الجنود في هذه الفترة، خاصة البحرية منها، فقد كانت فكرة الجهاد حية وراسخة في قلوب المسلمين لاسيما بعد احتلال شواطئ الغرب من طرف البرتغاليين والإسبان وبعد سقوط الأندلس عام 1492، حيث عوض الصليب الهلال على أبراج غرناطة وتحت طائلة الأذى والذل التحق عدد كبير من المسلمين بالمغرب العربي، وندب الشعراء الكارثة وأفتى العلماء والفقهاء بأخذ الثأر، وحث الخطباء على قتال النصارى بجميع الوسائل وهو ما رسخ وجذر فكرة الجهاد البحري أكثر فأكثر لدى سكان المغرب العربي[1]

هذا الوازع الديني ظهر جليا في الكتابات التاريخية الأثرية

نماذج الكتابات في العمارة العسكرية بالجزائر:

نجد العديد من الأطاريح والمقالات عن الجزائر وعمارتها في الفترة العثمانية وخاصة الكتابات العربية منها، نركز في هذا العنصر على الكتابات مباشرة ونعطي جملة من الأمثلة من مدنها الكبيرة.

تحصينات مدينة الجزائر :ذكرت سابقا أن هذه المدينة مرت بحقبات تاريخية عديدة، تطور عمرانها عبرها، وعرفت تحصينات كبيرة في الفترة العثمانية.

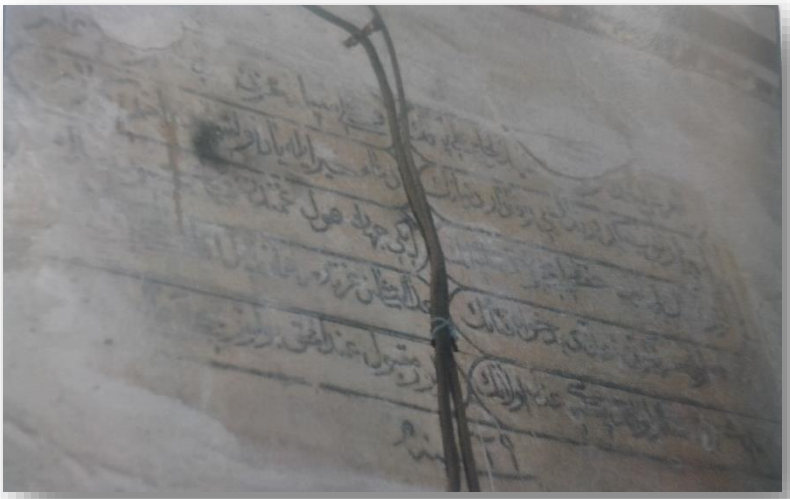
[1]–ملاي بلحميسي، الغزو البحري في القرن السادس عشر ص 45.نقلا عن بوعزة بوضرساية ، م . س ، ص : 78.



صورة / تحصينات الميناء سنة 1770 عن Torborn

الميناء سد خير الدين (رصيف)

نجد بميناء الجزائر عدة كتابات منها ما هو موجود على مدخل المرسى وبهذا المكان نصب لوح من الرخام كتبت عليه كتابة بخط نسخي شرقي يبلغ عرض الرخامة 1.13م وعلوها 0.53 م كتبت بتقنية النقش والحشو بالرصاص كما تبين الصورة أدناه.



صورة الكتابة ويظهر فيها محو واضح .

و قد جاء فيها :

بأمر عالي خدا وندي السيد حاج علي باشنك	همت عالية مخزن أو لدى تمام
آمين أو لرب كدر ندن بي وفا دار دينانك	دعاء خير إيله يا دارسون آخر كلام
لو أزمات باب الجهادك حفظي إيجونقصدي	إيكي جيهان هول غمدن نجات بولسون مدم
همشية أولهسرنكونأعدانبدخواهفنانك	عدالت شان غر تدرهمان قبل الكاسعي اهتمام
نعيم بهشت أيله شاد أولور أنديشة سي عدل أولائك	أولور مقبول عند الحق بولور ينجة عالي
مقام سنة 1229	

و **ترجمت** هذه الأبيات اعتمادا على ترجمة" كولان" من الفرنسية إلى العربية و قد أشرف على تصحيح المعنى السيد فكري طونا:

بأمر عالي من السيد الحاج علي باشا	و بهمته العالية تم بناء المخازن السبع
حفظه الله من كدر هذه الدنيا	و ختام ما نطلب له دعاء الخير
لكون هدفه توفير لوازم باب الجهاد	نجاه الله من أهوال الدارين و هزم أعداءه
و أسقطهم دائما في المحن و إن مشاريعهم المكروهة ستمنى بالفشل	

و بالمثل ضحى بأقواله و مجهوداته لجمع كنوز العدالة
هذا الذي شغله العدالة سيرضيه الله بمنحه الجنة
حقه الله بالفردوس و قبل دعواتنا هذه و منه المقام العالي1229[1]
الموافق لـــ 1813- 1814

تبين هذه الكتابة استعمال اللغة العثمانية وهي ظاهرة موجودة في بعض المنشآت العسكرية في حين نجد في نفس المنشآت كتابات باللغة العربية كما سيتبين لاحقا وتظهر الروح الإسلامية و الدينية بارزة في هذه الأبيات و الدعاء لصاحبها بالخير والدعاء على أعدائه.

حيث تبين هذه الكتابة أن هذا الرصيف تعرض لتغييرات وتحصينات عديدة منها بناء حاجز ضد الرياح في عهد الباي الحاج علي باشا 1815-1809

وتبين هذه الكتابة استعمال اللغة العثمانية في الكتابات الأثرية العسكرية، كما تحمل الروح الدينية و الافتخار والوصف للأعمال التي يقومون بها من أجل الدفاع عن الملة والدولة، وقد ذكر الباحثون في العمارة العسكرية عدة نماذج منهم د. خلاصي.

الأبراج:

عرفت الجزائر كما أسلفت هجومات عسكرية أدت إلى احتلال العديد من السواحل الجزائرية، الأمر الذي أدى بالجزائريين للاستعانة بالخلافة العثمانية، حيث لبة الأخوين عروج وخير الدين النداء وكونوا جيشا قويا لصد العدوان الأوروبي، وأعادوا بناء عدة مدن منها المحروسة التي زيدت فيها الاستحكامات العسكرية تبعا لأهميتها ولزيادة عدد السكان وتطور العمران، وبعد استشهاد عروج و استيلاء الاسبان على مدينة وهران وبعض المدن الساحلية الجزائرية والتهديدات المتكررة من القوى الصليبية على السواحل الجزائرية قام خير الدين بتحصين الجزائر ضد الغارات الاسبانية والأوروبية عامة فأنشئت الأبراج و زيد من مضاعفة سمك

[1]-علي خلاصي، القلاع و الحصون، ص 22

الأسوار حول العديد من المدن ووضع العديد من الأبواب لمضاعفة المراقبة، وتمتين القوى الدفاعية فتطور عمران الجزائر نحو الدفاع والتحصين ورد العدوان وأطلق على مدينة الجزائر دار الجهاد في الفترة العثمانية وكذلك المحروسة، الأمر الذي أدى إلى بناء الأبراج بكثرة، وتم تمديد مساحتها نحو المرتفعات، لا لشيء إلا بسبب القرصنة المسيحية التي كانت منتشرة في البحر الأبيض المتوسط، ولهذا نجد الحكام في الفترة العثمانية يقومون بتحصينات من ناحية البحر بشدة على عكس جهاتها البرية التي أهملت لأنها كانت في مأمن من العدو[1] ويذكر علي خلاصي أن الجزائريين استفادوا من الحملات الأوروبية في إبراز نقاط الضعف في معرفة الأماكن الاستراتيجية لضواحي المدينة فشيدوا بها بروجا وطبانات وأسوار ومتاريس مزودة بمدافع، ولهذا صمدت تجاه العديد من الحملات بما فيها الحملة الفرنسية 1830 والتي دخلت من سيدي فرج واسطاوالي، بعد دراسات قدمها جواسيسهم.

وللعلم فإن تحصينات مدينة الجزائر لم تشيد في وقت واحد، ولا في قرن واحد إذ أن كل حاكم كان يحاول أن يضفي على المدينة وميناءها ومحيطها طابعا مميزا ويضيف بصمة في الإنشاءات العمرانية بصفة عامة، وأهم التحصينات المشيدة داخل الميناء هي القلعة (برج المنارة) وبرج راس عمار، وبرج رأس عمار الجديد والبرج الجديد وبرج مابين وبرج السردين وبرج القومان وبرج راس المول [2]

تعريف البرج:

[1] عبد القادر حليمي ، مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل 1830، الجزائر ، دار الفكر الإسلامي ، ط: 1 ، 1972، ص221.

[2] علي خلاصي ، القلاع و الحصون في الجزائر ــ المنشآت العسكرية الجزائرية في العصر الحديث ، الجزائر ، وزارة الثقافة ، 2008 ، ط:1، ص ، 28

جمعه أبراج وبروج وأبرجة، وهو بناء مرتفع ينتمي إلى المصطلح المعماري العسكري، ويشكل عنصرا دفاعيا ملحقا بسور مدينة أوقصر أوأية عمارة عظيمةأو يعلو مداخلها أو جانبيأبوابها واخذ عدةأشكال كالشكل الاسطواني أو النصف الدائري،أو الشكل المضلع أو الهرمي[1].يتكون البرج من عدةأقسام وهي:البرابخ والمنابل والشروفات، التي تتوزع في أماكن مدروسة على الجدران ،والمقاذف المفتوحة على مستوى أرض الممرات الداخلية ومخازن المؤن وصهاريج الماء، أو البئر ومستودعات السلاح وأدوات الحرب والدفاع[2]، فالبرج بناء معماري يتميز بارتفاعه الأكبر من عرضه، ويكون البرج عادة أكبر من البنايات المحيطة به، وقد تكون منفرده أو متصلة بالجدران والبنايات، وأقميت لأغراض دفاعية أو للمراقبة أو لأرشاد السفن وغيرها.[3]وقد عرفت مدينة الجزائر خاصة والعديد من المدن الساحلية هذه التحصينات وسأمثل فقط بأمثلة وأركز على الكتابات.

أمثلة عن الأبراج التي بها كتابات:

برج السردين: يقع برج السردين في ميناء الجزائر (المحروسة)بين برج ما بين وبرج القومان، وقد اخذ تسميته من السمكتين اللتان كانتا تعلوان مدخله الرئيسي وحسب الكتابة التأسيسية لبرج السردين فان تاريخ تأسيسه كان سنه 1077 هـ الموافق لسنتي(1667 – 1666 م).[4]

[1]– غالب عبد ارحيم ، موسوعة العمارة الإسلامية ، عربي فرنسي إنجليزي ، لبنان ، بيروت ، جرس برس ، ط:1 ، 1988ص، 79

[2]– عبد ارحيم غالب ،المرجع نفسه ،ص، 79

[3]محمد رافع ، المنشآت المعمارية لدايات الجزائر خلال الفترة العثمانية من (1161–1748) إلى (1213–1798) دراسة أثرية ، رسالة دكتوراه ، جامعة الجزائر 2 ، 2020 ، ص 176.

[4]علي خلاصي ، القلاع و الحصون في الجزائر ــ المنشآت العسكرية الجزائرية في العصر الحديث ، ص ، 33/32 ، محمد رافع ، المنشآت المعمارية ، ص : 176 وقد أشار إلى ما نبه عليه الباحث محفوظ بوطبة إلى مسألة منشيء هذا البرج .

الكتابة:

نقشت هذه الكتابة على لوحتين رخاميتين متلاصقتين واحدة ارتفاعها 98 سم وعرضها 97 سم وتحتوي على ثمانية سطور قسمت إلى16 سطرا كل سطر مؤطر داخل مستطيل مفصص الجوانب وزعت به نص باللغتينالعربيةوالعثمانية، بخط الثلث بأسلوب الحفر البارز، وقد تواضعت بين كل سطر وأخر زخرفة نباتية عبارة عن ورقتان متعاكستان، كما أحيطت هذه اللوحة عناصر ملتوية تتخللها زهرة اللالة المحورة .على جانبي هذه اللوحة نجد نقيشتين متماثلتين بأسلوب تناظري لمسجدين ترتفع منهما مئذنتين تتوسطها ثلاث قباب ترتفع فوق كل منها تفاحتين بهلال، يتوسط هذه القباب شجرة السرو فوق كل منها طائر يقابل الطائر الأخر، كما تعلو الكتابتين لوحة من الرخام مستطيلة الشكل عرضها 90 سم وارتفاعها 30سم تواضعت بداخلها سمكتين متقابلتين يحيط بها إطار من التشبيكات النباتيةالملتوية، كما كانت تعلو هذه اللوحة حسب إحدى الصور القديمة، لوحةأخرى نقشت فيها مركبان شراعيان يتوسطهما في الأعلىأسد واقف يمسك بقدميه كرة، كما يعلوه ثلاث كرات وهو لم يعد موجود في يومنا هذا، تتواجد هذه الكتابة حاليا في أعلى مدخل دار البارود المجاورة لبرج الفنارالذي يعود للفترة الفرنسية.[1]

[1] جميلة جلال ، معالم بأميرالية الجزائر من العهد العثماني (دراسة أثرية تحليلية فنية ، رسالة دكتوراه ، جامعة الجزائر2 ، ص:95



الكتابة الأثرية في برج السردين

مضمون الكتابات:

النص الأول:[1]

ايا سلطان محمد خان فازي صدرعدلكده جزاير قصرينه ضم اولدىبرطوبخانة عظما
انك يناسنه زيادى اولان باشاي احمدر عسكر منصور اتدى جهد افدام ابتداء سعادتله تمام اولدى ديدي جرفي أكاتاريخ رمة صائبي اورزهى طوبخانة زيبا على يد الفقير ابراهيم بن موسى عام سبع وسبعين و ألف 1077

النص الثاني

طوبخانة بنى فهر العدو ايجون تجديد ايدن غازي محمد باشا من عثمان دردو الافال و الكمال عدونك اوكنده اولمشردسد اسكندركىفوى بناء جزاسنة فيامتده موفور ويره اكا باري خدا

[1] جميلة جلال ، معالم بأميرالية الجزائر من العهد العثماني ص 96 نقلا عن ، Colin (G) p.60 ; Devoulx(A) p.52 خلاصي ص 33.

بعون الله تمام اولوب اولدى اكاتاريخ
ايدر كافر أهلاك شهاب كى ناريله
عام تسعين و ماية وألف
تجديده 1190

وبعد ترجمة النصين [1] يتبين الروح الدينية في الكتابتين

ترجمة النص الأول:

بعدالتك أيها السلطان محمد خان الغازي
أضيفت مدفعيه قويه إلىحصينات الجزائر وأكمل بنائها احمد باشا بجهود
عسكره المنصور والمقدام سيكون ليومه تاريخ
ارم قذائفصائبةأيها البرج الجميل تمت على يد الفقير إبراهيم بن موسى
عام 1077 هـ الموافق لسنتي(1667 -1666م)

ترجمة النص الثاني:

أماالكتابةالثانية فقد خلد بها تاريخ تجديد البرج من طرف محمد بن عثمان باشا
من قام بتجديد هذا البرج لقهر العدو
هو الفاتح الناصر محمد بن عثمان الرجل السعيد الشجاع
سيكون أمام العدو بناء صلدا مثل سد لإسكندر
جزاه الله الخالق أحسن جزاء يوم القيامة
عندما انتهى من بنائه بعون الله
أعطوه تاريخا يهلك بناره الكفار مثل احتراق الشهب
عام تسعين و مائة و ألف
لتجديده 1776-1777 م

من الناحية اللغوية:

[1] علي خلاصي ، القلاع و الحصون ، ص 33، جميلة بوجلال ، ص : 96.

النصان بلغة عثمانية، تتخلها العديد من اللألفاظ العربية مثل الكمال عدوك، بعون الله، تمام عسكر، سلطان، قصر منصور وهذه ميزة في اللغة العثمانية حيث تقترض كثيرا من المعجم العربي.

كما نلاحظ الافتخار وحب التميز حيث نجد أن الكتابة تبين أن هذا البرج يشبه سد الاسكندر المقدوني وهو السد الذي بناه الاسكندر ذو القرنين على نهر قزوين لسد هجمات ياجوج وماجوج [1] ، وقد وردت القصة في القرآن الكريم مع ذي القرنين في سورة الكهف.

كما بينت الكتابتان مؤسس هذا البرج وهو أحمد باشا وكانت ولايته سنة 1065هـ 1655م وأبرز حادثة كانت في حكمه القصيرة هي حملة بريطانيا على مدينة الجزائر ورميها بالقنابل، فاخترقت بعض المراكب الراسية، ولم يكن في المدينة من رؤساء البحر يومئذ أحد، إذ كان كلهم بالجهاد البحري، ولم تطل أيام هذا الباشا فعزل من سنته وخلفه البكباشي عبد الله باشا[2] أما مجدده فهو محمد عثمان باشا الملقب ببوصباع وكان ذلك سنة 1179-1766، كان معروفا بعدله عارف بالقوانين ملتزما بأحكام الشريعة المطهرة، كما كان محبا للجهاد ووقعت العديد من الحروب في عهده انتصر في جميعها، وكان فيها من أبرز الشخصيات الحاكمة في الجزائر في الفترة العثمانية.[3]

البرج الجديد:

يقع في الجهة الشماليةالجنوبية لبرج الفنار، حيث أنه بعد الحملة الدانماركية على مدينة الجزائر سنة 1770و في عهد محمد بن عثمان باشا شيد البررج الجديد لتدعيم نيران الميناء

[1] م.ن.

[2] جميلة بوجلال ص ، 98 ، ، الجيلالي عبد الرحمن ، تاريخ الجزائر العام ، الجزائر ، د.م.ج ، 1994، ص 138

[3] جميلة بوجلال ص ، 98 ، المدني أحمد توفيق ، محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766-1779، الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1986 ، ص 79

وهذا في سنة 1773-1774 /1187هـ حسب الكتابةالتأسيسية، وكان به 21 فتحة موزعة على طابقين بها مدافع [1]

وقد خلد تاريخ تأسيس هذا البرج بلوحه من الرخام طوله 77 سم وعرضه 85سم، كان يعلو مدخله الرئيسي، كتبت بخط نسخي شرقي، وزعت على سته أسطر كل سكر منقسم إلى شطرين، يحيط بهما خرطوش يبرز عن اللوح بنفس بروز الحروف.

الكتابة الأثرية [2]:

بحمد من لا يجري في ملكه إلا ما شاء وقدر
تكميل أو لدى بناء برج محمد باشا كما امرودبر
دامبالبر ذكره ما دار في برجه الشمس والقمر
أساسيأو لدى مرصوص بناسي مجصص وحبر دور مستقر
رمى دولت نفى عام ايجون قودي اثر
سعى مشكور فعلى مبرور اوله رحمة حق مظهر
أوله شفيعي سيد البشر يوم المحشر،
شرابي أوله رحيق مختوم أبي ماء كوثر
نصيري ظهري قل هو الله اكبر
عدوى بي دين خاك زمين أولهمدموم ومقهور
جوبر جوده سي فوندي بال يمز طوبلر
قال الله حافظ تاريخ البرج المفخر سنه 1187

واعتمادا على ترجمة كولان وترجمة دوفو فقد ترجمت الكتابة كما يلي :

يحمد من لا يجري في ملكه إلا ما شاء وقدر
تمت أشغال بناء برج محمد باشا كما أمر ودبر
دام البر ذكره ما دار في برجه الشمس والقمر
أسسه مرصوصة وبناؤه مجصص ومبرور ومستقر

[1] خلاصي ، ص 30

[2] جميلة بوجلال ص ، 110-111 ، خلاصي ، ص : 31

يا فرحتاه بقائدته العامة ظهر مثل الأثر
سعيه مشكور وفعله مبرور وجوازه رحمة الحق المظهر
وليكن شفيعه سيد البشر يوم الحشر
وليكن شرابه رحيق مختوم بماء الكوثر
ناصره وظاهره قل هو الله اكبر
اسقط عدوه في الوحل مقهورا ومدمرا
بفضل وجوده نصبت مدافع لا تتغذى بالعسل
قل الله حافظ تاريخ البرج المفخر سنه 1773-1774 م

مضمون الكتابة من الناحية اللغوية:

يتبين بوضوح سواء من خلال الترجمة أو النص الأصلي مدة الاقتراض الكبير من المعجم العربي، إذ أن هناك جملا ككاملة باللغة العربية، (بحمد من لا يجري في ملكه إلا ماشاء وقدر) وهو دليل على الايمان بالقدر و التوكل على الله و الروح الدينية التي تضبط الأعمال في تلك الفترة .

برج القومان (الحبال):

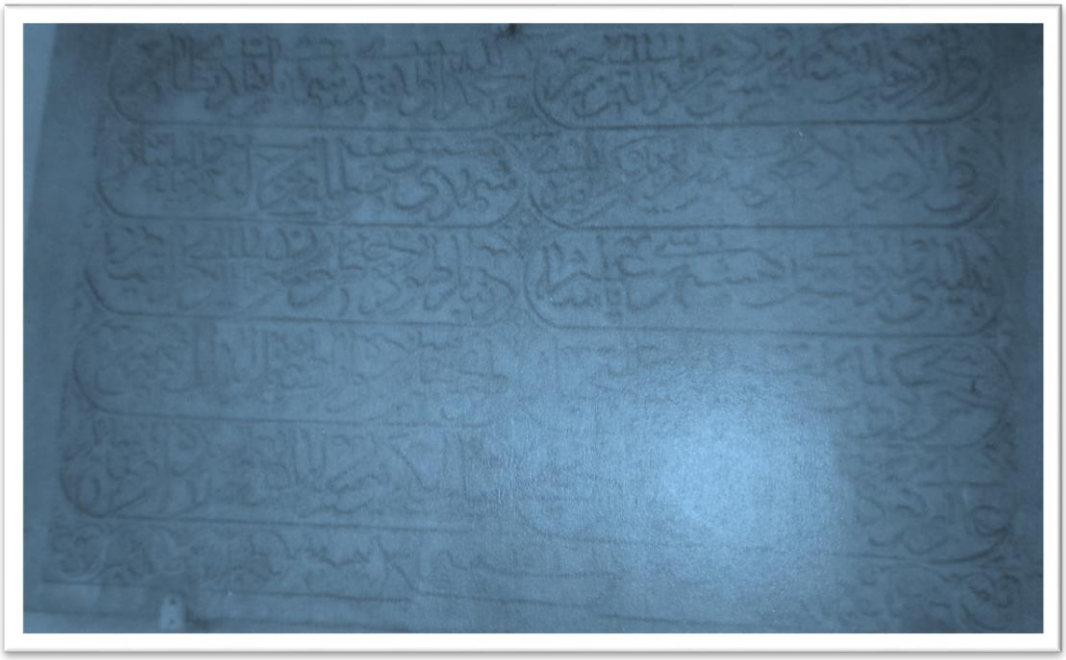
يقع بين برج السردين وبرج رأس المول وقد اخذ هذه التسميةمن الكلمة التركية والتي تعني الحبال لان طابقه الأرضي كان يستغل لحفظ الحبال المخصصةوالمستعملة للمراكب. وحسب الكتابةالتأسيسية فان تاريخ بناء برج القومان يعود لسنة(1231 هـ الموافق لـ 1814-1815 م). ويعود تأسيسه لعمر باشا [1]وكان يشرف عليه لأهميته باش طبجي، وبه ثلاثين مدفعا موزعة على طابقين [2]

[1]ينظر ترجمته في الجيلالي عبد الرحمن ، تاريخ الجزائر العام ، ص 318 حيث ذكر أنه من مدينة ميتلان و هي نفس مدينة خير الدين و اخوته ، و انه يتمتع بعقل راجح و كان نبيل الشخصية و معروف عليه ضبط النفس .، انتشرت الأوبأة في وقته فكانت عراقيل في التسيير ،

[2]خلاصي ، ص : 33 ، ذكر هذا الرج غير واحد من المؤرخين .

الكتابة التاريخية :

تتواجد هذه الكتابة في متحف الآثارالقديمة[1]، وقد نقشت على لوحه رخامية مستطيلة الشكل ارتفاعها 74 سم وعرضها 1.22م، نفذ النص الكتابي في خمس سطور باللغة العثمانية بخط الثلث وبأسلوب الحفر البارز، وقسم كل سطر الى شطرين مؤطرين بمستطيل دائري الجوانب، يتخلل هذه الكتابة بين السطور توريقات مفصصة،وبأسفلالكتابة نجد شريط من فروع نباتية يتوسطها تاريخ تأسيس البرج.



صورة :الكتابة التأسيسية لبرج القومان في متحف الآثار القديمة

نص الكتابة :

وردیه بك كهنه أولمش ديوولدى التزام
حمدا لله اولدى بتدى شمديا بولدى نظام
في الاصل دوطوب ايله برواردیا وكم ارابتدى
شمدى شيش طوب ايله بربج اولدى بويله و السلام

[1]جميلة بوجلال ص: 117 ، علي خلاصي ، ص 33 (النص و الترجمة)

بانيسى اولدى فاتحك همشهرسى عمر باشا
دنيالر طوردتجه طورسن تا الى يوم القيام
طويجيلر سزده وأرل طوبلره ايدل اهتمام
خوشجه كوزلك لب بوليما ندرر ساعجيلر
بيك ايكى يوزسال اوتوزبرنده أولمش درتمام
علوى نوبتك لدى ايسه دى سنده تاريخنى
سنة 1231 هـ

ترجمه النص:

نتيجة لقدم المنظرة فقد تهدمت بشدة
في الوقت الذي أصبحتضرورية
لقد أعيدت وانتهى العمل بها وتلقت الآن تنظيما
لم تكن مسلحة في السابق إلا بمدفعين
والان تم تحويلها إلى برج مسلح بمدافع
طويلة وهذا ما كان يرجى وجوده
إن بانيه عمر باشا الذي ينتمي
للبلد الذي فتحها أدام الله بقائه إلى اليوم القيامة
ايها المدفعيين من تطوع منكم للعمل
في خدمة المدافع فهم ابعد نظر من المكلفين بحماية
شواطئ الميناء لقد تم العمل بها في سنه ألف ومائتين
و إحدى وثلاثين وعمد اقتراب وقت اللهب1231هـ

مضمون الكتابة من الناحية اللغوية والثقافية:

من خلال النص العثماني نكتشف نفس الميزة التي ذكرتها سابقا وهي الـتاثر بالمعجم العربي، فكثير من الألفاظ عربية، وبالنظر إلى النص المترجم يتبين أيضا الروح الاسلامية التي كانت تضبط الحياة العسكرية والثقافية في الجزائر في الفترة العثمانية، كما نلاحظ في

الترجمة سرد تاريخي للحالة التي كان عليها البرج وكيف اعيد بناؤه وتعزيز مدفعيته، كما نجد تنويها بالمدفعيين، وذكر سنة التأسيس .

برج ما بين:

يقع بين برج الجديد وبرج السردين، تعود تسميته نسبة للموضع الذي يشغله فهو يتوسط كل من برج السردين والبرج الجديد وحسب الكتابة التأسيسية فان البرج قد بني سنه (1239هـ/1823-1824م).كان هذا البرج نظرا لموقعه مخصصا للتشريفات وتقديم التحية التقليدية للسفن الحربية التي تزور الميناء، كما كانت العادة أيضا أن تطلق طلقة عند حلول موعد الإفطار من كل يوم من أيام رمضان وضباح عيد الفطر وعيد الأضحى وكانت هذه الطلقة تصدر عن برج القومان (أو الجمرك)، وكان هذا البرج يحتوي على ثلاثة طوابق من المدفعية توفر ثمانية عشر فتحة للرمي أربع منها بالناحية الشمالية وثلاثة عشر منها في الجهة الشرقية وبالجهة الجنوبية والغربية.[1]

الكتابات الأثرية:

حسب علي خلاصي وجميلة جلال، ونقلا عن كولان ودوفلكسو ولاكوست، فإن هناك كتابات أثرية تعلو المداخل [2].

الكتابة رقم 1:

توجد هذه الكتابة داخل قبو يرجح أنه استخدم كحمام في الفترة العثمانية، حيث تتموضع عند التقاء قوسي مدخلي رواقي القبو، وهي عبارة عن لوحة رخامية مستطيلة الشكل ارتفاعها 1م وعرضها 1.25م، نفذ النص الكتابي باللغةالعثمانية بخط الثلث وأسلوب الحفر الغائر

[1] علي خلاصي ، ص : 32

[2] علي خلاصي ، ص : 32 ، جميلة جلال ، ص 123 وما بعدها ،

المملوء بالرصاص، ووزع النص في ثمانية سطور قسمت إلىشطرين مؤطر داخل مستطيل دائري الجوانب باستثناء السطر الأول الخالي من أيإطار، والسطر الأخير الذي نجد ثلاث اشطر حيث أطر أيضا تاريخ تأسيس الحمام.نجد عند التقاء كل مستطيلين زخرفة نباتية تناوبت بين زهرة بستة بتلات وزهرتي اللالة محورتين ومتقابلتين.



صورة الكتابة التأسيسية في برج ما بين

النص:

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم وبه العون
ابتداء في سبيل الله جهاد ايجون بنا قوردي واسط ده السيد هيبتي
مابين ديوار ويردى بارك الله بنانه نيتي كيد اعدادي يسر حق
منصور ايده سنجاغين كافردن انتقام دردى نظرى اسلامه قوت
خدادن استريز نصرت ضعيفه ايله مرحمت جهاده قصد ايدوب
دوردى بانيسى زينتا يا رب كمتره ايلهمغفرت الله ولى التوفيق
احسن تاريخنه كبردى اللهم يا خير الناصرين انصرنا على القوم الكافرين وينصرك
الله نصرا عزيزا في سنة 1239ه ماشاء الله كان.

ترجمه النص

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم وبه العون
ابتداء أسس هذا البناء من اجل الجهاد في سبيل الله
حيث تتجلى هيبته ما بين السد في صوره
ونطلب من الله تيسير نصره لواء الحق
ورد كيد الكافرين الذين يمكرون بالإسلام
وبذلك لان المقصود من الجهاد هو نصره الضعيف ورحمته
يا رب زين عبدك ضعيف بالمغفرة والله ولي التوفيق
دخل في أحسن تاريخه اللهم يا خير الناصرين
انصرنا على القوم الكافرين وينصرك
الله نصرا عزيزا في ه1239 ما شاء الله كان.

الكتابةالثانية:

تتواجد الكتابةالثانية في المتحف العمومي الوطني البحري والتي نقشت على لوحةمن الرخام مستطيلة الشكل ارتفاعها 1.06م وعرضها 1.25م نفد النص باللغةالعربيةوالعثمانية بخط الثلث بأسلوب الحفر الغائر المملوء بالرصاص وزع النص في ستة سطور مقسمة إلى شطرين حصر كل شطر داخل مستطيل دائر الجوانب كما يحيط بالكتابةالمركزية شريط كتابي



صورة / الكتابة التأسيسية في برج ما بين

النص:

جاء في حاشيةاللوحةالتأسيسية:

ما شاء الله باغيتخوش اولدي برج ما بين

يا رحيم يا رحمن أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم وبالله التوفيق وهو نعم الرفيق.

بسم الله الرحمن الرحيم وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم وينصرك الله نصرا عزيزا في سنه 1239

أما في مثن اللوحة فقد جاء فيها:

بر مبارك كوندا قوردىبانيسىبنيادني

حمد اوله كوستردى مولا إتمام ابى دنى

جنكى أنك اتما مين كوش ايلدى حسين باشا

فراحنة سويلدى بورج مابين ادنى

لطني إحسان أيليوب جون أول كرم كابي وزير
بار زياده فلدى أهل إسلامك ايمدادنى
سرهفت ازدر مثالي هريكا إنش سيجار
بال ياميز طويلرله معمور ايلدى سيوراني
استر سلام أولدى اما عدوى بي دينلربك
أرتوور سنلوند ناله وفريا دنى
قبل كرم يارب أرته شأنى حسين باشنك
عن قريب السون عدودن ضربله مرا دني[1]

بالنسبة للكتابة الأولى من الشطر الأول ترجمة النص كالتالي:

ما شاء الله اخذ برج ما بين هيئه جميلة
أما القسم الثاني من الكتابة فقط ترجمه كولان كما يلي:
في يوم مبارك وضع بانبي حجر الأساس بحمد الله الذي أتم عمله الخالد
نهاية العمل به كان بجدية أفرحت الداي حسين في موضع تشديد برج ما بين تدني
الوزير منجم الوجود زاد بكرمه إمدادات آهل السلام
والبرج الذي يشبه الوحش ذي السبعة رؤوس يوزع نيرانه في كل الجهات
وزع الباشا المدافع التي تتغدى بالعسل انه يقدم التحية لكنه على أعدائه غي شفيق
يارب ارفع من شأن حسين باشا ياكريم واجعله ينال من أعدائه ىبالقوة كل ما يبغي مراده .

برج راس المول :

يقع هذا البرج في الجهة الغربية للرصيف ويلي مباشرة برج القومان، ويسمى ببرج الحاج علي، وهو اسم آخر داي أعاد ترميمه، وحسب الكتابة فإن البرج تم بناؤه على يد محمد اعراب ابن محمد بن المعلم علي و انتهت الأشغال به سنة 1707م.

1 _




صور : برج راس المول المدخل الرئيسي

كتابات برج راس المول[1]**:** هناك ثلاثة كتابات في هذا البرج وهي عربية كلها :

الكتابة الأولى: جاءت بخط نسخي مغربي كتبت على لوح من الرخام يبلغ عرضه 0.50م وارتفاعه0.40 م بأسلوب الحفرالغائر ثم الحشو بالرصاص:

الحمد لله قد تم بناء هذا الحصن على يد المعلم الأجل
محمد المعلم عراب ابن المعلم علي غفر الله ذنوبه وستر عيبه
في شهر ربيع الثاني عام 1115 (03-1704)[2]

جاءت الكتابة في سبعة سطور ونقشت في جامتين مفصصة الجوانب وتنتهي بزهرة اللالة، ويشغل إطار اللوحة ثماني وريدات خماسية البتلات

جاءت الكتابة بطريقة غير متقنة بخط النسخ المغربي

[1] بناه عرب أحمد سنة 1703، ينظر علي خلاصي ،ص 34

[2] المرجع نفسه ، ص 34



أما الكتابة الثانية: فكتبت بنفس الخط النسخ المغربي ونفس الطريقة على لوح يبلغ ارتفاعه 0.30 م وعرضه 0.35 م [1]وقد جاء فيها:

الحمد لله قد تم بناءهذا الحصن المبني على يد المعلم الأجل
المعلم محمد أعراب ابن محمد بن المعلم علي غفر الله ذنوبه و ستر عيوبه بمنه
في شهر ربيع الثاني في عام 1120(07-1708)



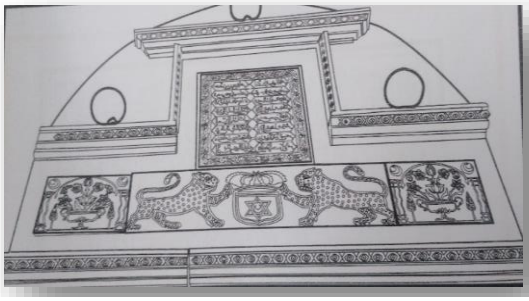
المرجع السابق

أما الكتابة الثالثة: جاءت بخط مغربي على مدخل البرج واستعملت في الكتابة نفس الطريقة السابقة على لوح يبلغ مربع ضلعه 0.60م

جاءت هذه الكتابة في أعلى المدخل وكتبت بطريقة غير متقنة بخط النسخ، في ثمانية سطور، قسمت إلى ستة عشر جامة وأطرت هذه الكتابة بشريط من الزخارف النباتية قوامها تفريعات لأوراق زهرة اللاله المحورة وزهور بخمس بتلات

حصن بديع قاهر	أعداء ربي الناصر
ترمي جوانبه لضى	في جوف من هو خاسر
قد تم بمنه بناءه	و سعد نجمه ظاهر
في دولة المولى الذي	لازال فعله يشكر
السيد الباشا علي	ابن حسين القاهر
في شهر شعبان الذي	لازال فضله ينشر
من عام أربعة و عشرين	و زد كي تبصر
ألف و بعدها المائة	فانصر الهي الامر
بسنة 1124هـ الموافق لسنة(1712-1713م)	





وعلى قائمي الباب نجد كتابة جيدة جاء فيها:

لا إله إلا الله الملك الحق المبين محمد رسول الله



الاستحكامات العسكرية (الأبواب):

ما يلفت نظرنا في دراسة المدن في الفترة العثمانية كونها محصنة تحصينا منيعا، ونجد بهذه المدن أبوابا، فمثلا مدينه الجزائر كما ذكرت سابقا عند حديثي عنها أنها تحتوي على عدد

من الأبواب نذكر منها :باب عزون، باب جديد، باب دزيرة، باب الواد وباب الديوانة، ويمكن التمثيل بكتابة موجودة على باب الدزيره أو باب البحرية.

باب الدزيره أو باب البحرية.

يذكرHaedo أن هذه الباب تقع على بعد مائتي قدم من باب البحر(الجمرك) بالقرب من الطبانة حيث يشكل من امتداد الأرض نحو البحر باتجاه الجزر[1].

وسميت بباب دزيرة لأنها كانت تؤدي إلى الجزر القديمة الأربعة، ويعود تاريخ تأسيسها حسب الكتابة التأسيسية إلى سنة 1039 هـ الموافق ل 1630 م

الكتابة الأثرية:

توجد الكتابة التأسيسية لباب دزيرة في متحف الآثار القديمة وهي عبارة عن لوحة مستطيله الشكل ارتفاعها 60 سم وعرضها 50 سم نقش النص الكتابي باللغةالعربية بخط مغربي بأسلوب الحفر البارز في ستة سطور في ستة سطور مقسمة إلى اثني عشر شطر، كل شطرين مؤطرين داخل مستطيل[2].

[1]Haedo(F .D), Topographie,p 421.

[2]– جميلة جلال ، معالم باميراليه الجزائر من العهد العثماني دراسة اثرية تحليلية فنية صفحه 85



صورة الكتابة

نصها الكامل:

بحمده هذا باب جديد سعيدجهازهافيه	لها نعم المجد من الإله الحميد
(في ايام السلطان) مراد صان علاه المجيد فقلت أهلا يا باب لا فارقتك	
مفتوحا فأنت باب جود ونصر جديد	حذاك ولقربك ديار فيها جنود
في يوم عيد سرور تهزم أسود نصرلهم فتح قريب وفضل وجود	
ثمة المعلم موسى الأندلسي الفريد	فالله يجزيه جميع مجامع الرشد
وذلك في دولت مولانا حسن باشا	أيده الله عام سنه 1039

وتبين الكتابة اسم المؤسس وهو حسين باشا وقد حكم (الموافق 1086هـ- 1044هـ/ 1627م-1633م) وعرف عليه انه قبض زمام الحكم بيد من حديد أثار عداوة مع الكثيرين، تميز بسوء ظنه وقسوته، كما قمع بشدة كل المحاولات التي بذلت في سبيل الانتفاض عليه، غزا تونس، حيث دحر الجيش التونسي قرب الكاف في سنة1628م، وبعدها اتفق الجانبان على إعادة ترسيم الحدود، كما قام بتوقيع معاهده تجارية بين فرنسا والجزائر بالإضافة إلى

إرجاع المدفعين البرونزيين من فرنسا، بعد مدة ثار الجند التركي ضد الباشا لتفرده في تسيير شؤون البلاد دون استشارة الديوان، فوضع الباشا في السجن سنه 1633م[1].

الكتابة من الناحية اللسانية:

جاءت الكتابة في قالب منظوم،

غلبة الألفاظ الدينية : بحمده، الاله الحميد ،نصر لهم ، فتح قريب، أيده الله

هناك عامية واضحة

أخطاء املائية : دولت

والخلاصة أن هذا النص واضح ولغته في العموم سليمة وبعاطفة دينية إسلامية واضحة .

الحصون:

توجد في الجزائر العديد من الحصون والقلاع ذكرها العديد من الرحالة وكذلك لا يزال البعض منها إلى اليوم، ففي مدينة الجزائر نجد تحصينات داعمة أحصاها الجيش الفرنسي بثلاث وعشرين برجا أطلق عليها اسم البطاريات، وهي تتبع أسوار المدينة وهي تتوج وتدعم خاصرات الأسوار المكشوفةأو الإمدادات الطويلة بغرض منع المهاجمين من من الاقتراب من أسس الأبواب أو الأسوار، وقد وصف هايدو هذه الحصون بدقة،[2] وقد عرفت الدول الجزائرية قبل الفترة العثمانية هذا النوع من البنايات العسكرية. وفي الفترة العثمانية ازدادت أهميتها، "إذ تعد الحصون ومن أهم المنشآت العثمانية الكبرى في مدينة الجزائر، بناها العثمانيون في الفترة الممتدة بين 1516و1830لرد العدوان الأوروبي المسيحي (اسبانيا وفرنساوانكلتراوهولندا)عنها إلى جانب الأسوار والخنادق، ومن الحصون الأولى

[1]– جميله جلال صفحه 86 نقلا عن عبد الرحمن الجيلالي واحمد توفيق المدني محمد بن عثمان باشا في الجزائر 1760 -1781، صفحه 35.

[2]علي خلاصي ، القلاع و الحصون ، ص 54

التي أدت دورا دفاعيا بارزا في تاريخ الجزائر: حصن موﻻي حسن الذاه حسن بن خير الدين باربروس سنة 1544م، وحصن القصبة الجديدة ، الذي بناه خصر باشا سنة 1591م، وحصن باب الوادي الذي بني سنة 1569م وغيرها [1]يمكن أن نمثل بما يأتي:

بناء مجهول يرجح أنه حصن(1197 هـ الموافق 1782 - 1783م)

توجد كتابة تأسيسية بأرشيف المتحف الوطني العمومي للآثار القديمة والفنون الإسلامية بالجزائر تحت رقم جرد194 .11.S وهي لوحه رخامية في حالة حفظ جيده،مقاساتها مربعة طول ضلعها 50 سم وسمكها 4.5 سم وقد ذكر في سجلات الجرد أنها تعود لحصن عسكري[2].

[1]لطيفة بورابة ،الحصون الأولى بمدينة الجزائر العثمانية ،مجلة دراسات تراثية ، ع/5 ، ج/2 ، عدد خاص، 2014، جامعة الجزائر 2، مخبر البناء الحصاري للمغرب الأوسط .ص:.280-301 وقد أشارت إلى بعض الكتابات التأسيسية .

[2]- نقلا عن محمدرافع المنشات المعمارية لدايات الجزائر خلال الفترة العثمانية من 1161 إلى 1213 هجري الموافق 1748 حتى 1798 م دراسة أثريه جامعه الجزائر 2 دكتورة 2019/ 2020

Marye, le muse des antiquités,9 ,

Devoulux (A) .Epigraphie indigere du muse archéologique d Alger ins n° 19-28-30



صورة الكتابة التأسيسية لحصن مجهول يرجح أنه لمحمد عثمان باشا محفوظ بمتحف الآثار القديمةII.S.194

وبعد قراءه الكتابة نجد أن اللوحة نقش عليها بالحفر البارز بخط عربي وبخط النسخ المغربي، مشكلة من تسعةأسطر على شكل أبيات شعرية نصها الكامل:

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد واله وصحبه وسلم

كمل من الله ملك من بناه و زاد في علوه و من فناه

من ماله وهو أمير المؤمنين نقمةأرباب الصليب الكافرين

المالك الواثق الرب العلي العادل الاسمى الرضيأبو علي

ابو المكارم الحسين الأسعد الأعدل الأسمى السرير الأصعد

تقبل الله تعالى عمله وكان مكرما لربه نزله

وكان حافظا له وناصر ومجزلا جزاه في الآخرة

سنه سبعه بعد تسعين ماية من بعد الألف زتس تشل سنة

من هجره المختار أحمد الإمام عليه أفضلالصلاة والسلام

جاءت هذه الكتابة في تسعةأسطر على شكل أبيات شعرية يفصل بين أعجاز أبياتها وصدورها إطار سميك، أما البسملة فحصرت في خرطوش مستطيل على يمين اللوح،بينما نجد على يسار البسملة وفي إطار مستطيل عبارة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، نلاحظ أيضا أن اللوحة محاطة بإطار رفيع غائر،وإطار آخر جاء على شكل زخرفة نباتية، عبارة عن أغصان ملتوية.

يلاحظ أيضا خلو الحروف من الزخارف

تعود هذه اللوحة إلى الفترة العثمانية 1197هـ، ما يعادل 1782م أو 1783م، وهذا بالنظر إلى الطريقة التي أرخت بها وهي طريقه حساب الجمل على الطريقة المشرقية

فعبارة "زتس تشل" في السطر ما قبل الأخيرهي سنة التاريخ

زتس=(ز= 7)(ت = 400) (س=60) المجموع 467

تشل = (ت=400) (ش=300) (ل =30) المجموع 730

وبجمع القيمتين نجد 467 + 730 = 1197 وهي السنة المذكورة بالحروف أيضا

تحليل الكتابة الأثرية:

إن القارئ لهذه الكتابة الأثرية يمكن أن يستنتج أنها بناية عسكرية جاء في السطر الثاني عبارة نقمة أرباب الصليب الكافرين وهي عبارة تدل على أن هذا البناء عسكريا وهي عبارة نجد لها ما يشبهها في كتابات المنشآت العسكرية، حيث عادة ما تكون عبارات بالاشادة بالمنشآت العسكرية للانتقام من الأعداء وإغاظتهم والتنكيل بهم، مثل كتابه برج باب البحر التي نقرأ عليها ما ترجمته ليبقى هذا المبنى منتصرا ومنيعا الذي هو قوة للمسلمين يسعد به وجه الأرض وليدم في الإسلام وينتصر على أعدائه[1].

[1]– أرشيف المتحف الوطني للآثار القديمه مجموعه المنقوشات الإسلاميه بطاقة رقم (223 .S . 11) نقلا عن محمد رافع ، المنشآت المعمارية لدايات الجزائر، المرجع السابق ، ص 182.

كما نقرأ في البيتين الرابع والخامس اسم مؤسس هذا البناء وهو أبو علي الحسين.

أما من الناحية اللغوية:فنلاحظ أن الكتابة جاءت في قالب شعري

ابتدأت بالسملة و الصلاة على النبي(ص) ثم 08 أبيات بلغة راقية خالية من الأخطاء، وهذه الكتابة تبين مدى الاهتمام باللغة العربية في البنايات العسكرية، ومايلفت الانتباه، أن مثل هذه الكتابات الجميلة المعبرة ذات الصلة باللغة العربية والدين الاسلامي غالبا ما يقال عنها أنها لحصن مجهول، وأن من انتزعها لم يجرؤ على إثبات مكانها، فالوحة موجودة بأرشيف المتحف الوطني العمومي للأثار القديمة والفنون الإسلامية بالجزائر، وجاء في سجلات الجرد التي دونها كل من باربرجر وماري وكولان وجورج مارسي على أساس أنهالحصن عسكري مجهول.

الثكنات:

الكتابات في ثكنة باب عزون:

يذكر علي خلاصي العديد من الثكنات، نركز على بعضها بغرص التمثيل، فثكنة باب عزون تقع في نهاية شارع باب عزون من جهة باب الواد ، وهي من أقدم الثكنات وأقدمها على الاطلاق فهي صمام الأمان بالنسبة للجهة الشمالية الغربية من المدينة ،وقد كان بهذه الثكنة 28 غرفة تضم 1661 رجلا موزعون على 63 أوجاقا، ومايلاحظ أن جميع الثكنات كانت تحمي أبواب المدينة إذ نجد 05 منها تحمي باب عزون[1] .

والكتابات التي تخلد الأعمال والإضافات التي كان الضباط يثبتونه فنجد كتابة باللغة العربية جاءت على لوح يبلغ ارتفاعه 0.17م وعرضه 0.94م وقد جاء فيه :

يامفتح الأبواب	افتح لنا خير الأبواب
لا اله الا الله	محمد رسول الله

[1]علي خلاصي ، ص: 42

صاحب الخيرات حسين خزينة دار جزائر سنة 1172هـ

وذكر كولان ودوفو كتابات أخرة مثل الموجودة بالمتحف الوطني للآثار، على لوح رخامي جاء فيها

جدد بناء هذا البيت الجميل	بعون الله الملك الجليل
خزينة دار إبراهيم بن إسماعيل	جزى الله له خيرا في يوم الجزيل
سنة ثلاثة ومائة و ألف (الموافق 1770-1769)	

ثكنة صالح باشا:

يعتقد أن خير الدين هو الذي بناها وهي أقدم الثكنات وتحمل اسم " الخراطين"نجد على أحد الأبواب كتابة عربية على لوح من الرخام يبلغ ارتفاعه 0.23م، كتبت بخط نسخي شرقي، بطريقة الحفر والحشو بالرصاص جاء فيها:

تم هذا البناء بعون الخلاق	غفر الله لمن بنى المذنب الغراق
هو المحمد بن الحسن الخزنجي	لعلي باشا وسعه الله الرزاق
تاريخها خمسة و عشرون ومائة وألف	في شهر رجب كملها بحسن أخلاق
سنة 1125 هـ توافق سنة 1713م[1]	

نجد كتابة ثانية بنفس الخط و بنفس الطريقة جاءت الكتابة على لوحة رخامية طولها 0.47م وعرضها 0.35م جاء فيها :

لا اله الا الله	محمد رسول الله
صاحب مالك	عبد الله سنه
1161هـ 1748-1749م	

الثكنة القديمة (اسكي) و الثكنة الجديدة (ايكي)[2]:

[1] علي خلاصي ، ص 43 ، كولان : ص : 89

[2] علي خلاصي ، ص 44-45

تقع بنهج قنيف، كانت إحداهما تسمى بالعليا والأخرى تسمى بالسلفى أو الفوقانية والتحتانية، نجد بعض الكتابات باللغة العثمانية والعربية حيث يذكر علي خلاصي أنه نصب على باب الثكنة التحتانية لوح من الرخام ارتفاعه 0.52م وعرضه 0.45م مكتوب بالعربية بخط نسخي شرقي رديء، ووزعت الكتابة على سطور:

تم بناء دار من حسن الديار

باليمن واليسار	للعسكر الأحرار
أيام تبليغ المراد	دولة مولانا مراد
في زمان الباشا حسين	لا زالا مبسوط اليدين
على يد موسى اليسرى	الأندلسي الحميري
عام ثلاثين وألف	وسعة بحسن وصف
من هجرة المختار	صلى عليه البار
مادامت الجزائر	تعمرها العساكر
1037هـ توافق (1627-1628م)	

ومع هذا اللوح نشر شعار في شكل هلال يحتوي على كتابة (على استدارة الهلال) جاء فيها: **الحمد لله الحمد لله**

الكتابات في المباني العسكرية بالغرب الجزائري:

يذكر أ. خلاصي[1] العديد من التحصينات العسكرية في الشرق والغرب ،ومنها في الناحية الغربية نجد برج سيدي فرج ،برج الترك بمستغانم، برج المحال، برج معسكر، برج كارت وهو يبعد عن مدينة وهران ب13 مرحلة، قلعة المشور بتلمسان، كما ذكر عدة تحصينات وثكنات وأبراج بوهران.

[1] القلاع و الحصون في الجزائر: المنشآت العسكرية الجزائرية في العصر الحديث ، م، سابق

يمكن أن نمثل لبعض الكتابات الأثرية في الناحية الغربية.

برج مدينة شرشال:

يذكر أحمد توفيق المدني أن بعد ربط مدينة شرشال بالجزائر سنة 1516 م قام عروج إلى شرشال فحررها ورجع الى مدينة الجزائر بعد تحصينها وأقام بها قلعة ذات شأن ثم غزاها اندريا دوريا سنة 1531م بعشرين سفينة عليها ما يزيد عن 1500 من أحسن المهاجمين، ففر سكان شرشال وبقيت القلعة تقاوم في انتظار وصول المدد من الجزائر والداخل لكن استراتجية دوريا فشلت لانشغال الجيش بأعمال النهب والسلب مما سمحت للمدافعين من استغلال الفرصة واسترجاع المبادرة وتنظيم هجوم كاسح قضى فيه المدافعون على ما يزيد عن 1400 جندي، وعندما وصل خير الدين على راس الأسطول وجد دوريا قد غادر المدينة مهزوما[1]

الكتابة التاريخية:

حسب علي خلاصي فإن هذا البرج بني سنة 1517م من طرف قائد محمود بن فارس بأمر من عروج، وقد هدم هذا البرج سنة 1860م، وقد خلد تاريخ إنشائه بلوح من الرخام وهو دائري الشكل يوجد الآن بقصر الداي، وقد جاء فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم ، صلى الله على سيدنا محمد وآله
هذا برج شرشال أنشأه القائد محمود فارس التركي
في خلافة الأمير القائم بأمر الله المجاهد في سبيل الله
أروج بن يعقوب بتاريخ أربع وعشرين و تسع مائة

وقد كتب على هذا اللوح بخط نسخي مغربي جميل بطريقة الحفر والحشو بالرصاص وتبين هذه الكتابة ممن الناحية اللغوية.

[1]– احمد توفيق المدني ،حرب ثلاث مئة سنة بين الجزائرو اسبانيا ،ص222 ، علي خلاصي القلاع و الحصون في الجزائر ص 190 .

نجد أبراجا أخرى في الناحية الغربية، وهي برج خارج المدينة مثل البرج الجديد وقد خلد تاريخ بناءه بلوح من الرخام باللغة التركية وخط نسخي وشرقي ارتفاع الحروف 0,37 م وعرض اللوح 0,65 م وعلو ارتفاعه 0,37م وكتب بطريقة الحفر ثم الحشو بالرصاص وقد جاء فيها:

كوهر كان حروث هم وزير برسخا
أمر ايدوب برج أنشأايلدي نيك بخت
قيل تحشى مصطفى باشا يجون ايله دي
مولا أتميمه سمند ولتن بن زين ورخت 1217هـ
واعتمادا على ترجمة كولان فعربها على خلاصي كما يلي :
جوهره منجم الإنسانية الوزير السخي
قد أمر بتشييد هذا البرج المخطوط
تأمل واجعل الدعاء لفائدة مصطفى باشا
مولانا لا تحرم فرس دولته من السرج واللجام
سنة 1217هـ الموافق ل1803/1802 م

نجد عدة كتابات مماثلة مثل برج باب الواد، وبرج مرسى الذباب وغيرها.

الكتابات في المباني العسكرية في الشرق الجزائري:

جد خارج مدينة الجزائر من الناحية الشرقية أيضا عدة تحصينات عسكرية وثكنات وبروج، بل نجد مدنا محصنة بأسوار على غرار بجاية وقسنطينة وعنابة وغيرها وسنمثل بأمثلة للكتابات الأثرية في هذا الإطار.

برج الكيفان:

بني برج الكيفان فوق صخرة تكون رأسا يفصل بين خليجين صغيرين ويقدم موقعا يحمي قلب الخليج من كل حملة أو تنظيم لمراكب الحملات التي استهدفت المدينة، وقد شيد البرج على عهد محمد باشا سنة 1135هـ الموافق لسنة 1722م/1723 م، ويقع برج الكيفان

بين برجين، برج وادي الحميز وبرج الحراش، ويذكر على خلاصي أن تاريخ بناء هذا البرج قد خلد بلوح رخامي مثبت على الباب الذي يتبع الجدار الجنوبي عرضه 0,69 م وارتفاعه 0,64 م وقد كتب بخط نسخي داخل إطار وقد جاء فيها:

الحمد لله وحده والصلوات على رسوله قد بني هذا الحصن في دولة محمد باشا يسر الله مراده وبلغه كلما يشاء سنة 1135هـ [1]

يتبين من هذه الكتابة من ناحية التاريخية أن هذا البرج قد بناه محمد باشا سنة 1135هـ

من الناحية اللغوية:

نلاحظ ابتداء الكتابة بالحمد للّة ثم الصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم كما نجد الدعاء لمن بناه بتيسير المراد وتبليغه كل ما يشاء.

كتابة أثرية فوق باب الحصن العثماني بعنابة:

يذكر عبد الحق معزوز ولخصر درياس هذه الكتابة، وهي عبارة عن لوحة رخامية طولها 1.30سم وعرضها س45سم، نقش عليها بخط مغربي، بالرسم القرآني، بأسلوب النقش البارز مكون من 08 أسكر، وجاءت في الصيغ: عبارات دينية، البسملة، الصلاة على النبي، آيات قرآنية ، اسم المنشىء، الدعاء له، اسم مساعد المنشىء .

مضمون الكتابة:

الباقياة الصالحاة الباقية الصالحاة الباقية الصالحاة [2] بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وسلم

[1]– علي خلاصي، ص 92 ،نقلا عن Colin p 97.

[2]الكهف ، الآية 46

غفر الله تعالى لسيدنا ومولانا الباشة المعظم أبي محمد صالح بنمانوماس(؟)
الجزائر كان وليا وناصرومعين إليه أنفق ماله على بناء هذا الحصن المنـــ
يعو المطل على باب بونة الغرا امنه الله تعالى ممتثلا لقوله تعالى "و الذين
ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا و لا أذى لهم
أجرهم عند ربهم و لاخوف عليهم و لا هم يحزنون " [1]وكان النايب له الدنيا
العبد الفقير عمر بن محمد كان الله له وليا وناصرا إلى أجر الله ....الله
وسبيله وتسع ماله فرضا الله ورسوله فإننا علمنا ببركاته بارك الله فيه

يذكر الأستاذ معزوز أن هذه الكتابة لا تحمل تاريخا ولكن يحتمل أن الاسم الموجود في اللوحة هو صالح رايس الذي حكم الجزائر بين 1565/1552م .

من الناحية اللغوية :

نلاحظ أن الخط المستعمل خط النسخ القرآني، ولكن هناك أخطاء إملائية ونحوية في النص.

[1]البقرة ، الآية 262

الكتابات الأثرية في الأسلحة والرايات وعدة المجاهد:

إن حياة المجاهد الجزائري في الفترة العثمانية كانت حياة مفعمة بالإيمان والإخلاص نظرا لما عاشته السواحل الجزائرية من هجومات من الجيوش الأوروبية والحديث عن 03 قرون في سطور هو إجحاف في حق هذه الفترة وعليه سنمثل فقط لهذه الفترة ببعض الأمثلة لنأخذ لمحة عن بروز اللغة العربية في الأسلحة والرايات وعدّة المجاهد.

1.درع فارس:



صورة /درع من مدينة وهران (12/13 هـ/18-19م) محفوظ بالمتحف الوطني زبانة (AR.01)

وصف التحفة :يحتاج المجاهد إلى الدروع وهي مستعملة لغاية الفترة العثمانية، رغم تطور الأسلحة واستعمال البارود، إلا أن العديد من المقاتلين كانوا يستعملون الدرع والسيف في المعارك.

والدرع التي في الصورة ذات شكل دائري منتفخ، قطره 45 سم مصنوع من النحاس الأحمر، ونجد زخارف كتابية حول الحافة والمركز مزخرف بزخارف نباتية.

مضمون الكتابة: تعذر علينا قراءة مضمون الكتابة بالرغم من وضوح الحروف.



2. خنجر حرب(1):

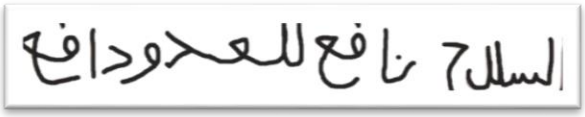


صورة /خنجر مصنوع من الحديد والعاج، من مدينة وهران (ق13هـ/19م) محفوظة بالمتحف الوطني زبانة بوهران (AR.337)

وصف الخنجر:

هذا الخنجر الموجود في المتحف الوطني بوهران مصنوع من الحديد والعاج، يتكون من نصل مقوس قليلا عند النهاية والمدببة، ونجد مقبضه يحتوي ما يعرف بالشاربين والسنبلة والقائم.

مضمون الكتابة:



نجد بعد تفريغ الكتابة عبارة

"السلاح نافع للعدو دافع"

عبارة عن حكمة نفذت بخط كوفي مغربي بسيط، بأسلوب الحز، حكمة حول السلاح، فتوافق المضمون مع وظيفة القطعة.

3. خنجر حرب (2):



صورة / خنجر مصنوع من الحديد والعاج، من مدينة وهران 13هـ/19م محفوظة بمتحف زبانة بوهران(AR.338)

نفس الشكل للخنجر السابقة طوله 28 سم وعرضه 87 سم، مصنوع من الحديد والعاج، يتكون من نصل مقوس قليلا عند النهاية المدببة، وهو ذو حدّ قاطع واحد يحمل من جهته كتابة ومقبض بنفس شكل مقبض الخنجر السابق.

مضمون الكتابة:

"السلاح نافع للعدو دافع"

نفس العبارة الموجودة في القطعة السابقة وبنفس الخط والأسلوب.



4.البارودية (حاملة البارود)(1)

مع التطور الصناعي صارت المعارك تدار بالبارود، ويحمل البارود والذي يستعمل في البنادق في حاملات خاصة بها، ويمكن أن نمثل بمثالين:



صورة بارودية

تبين الصورة بارودية طولها 19 سم وعرضها 04 سم قطر، فوهتها 5 سم مصنوعة من الخشب والنحاس، وهي على شكل قلب منتفخ الجانبين، ونجد في نهايتها فتحة على شكل عنق يحمل حلقتين من الجانبين، وهذا لمسك الغطاء مع بدن البارودية بواسطة خيط، ويتبين أن هذه البارودية أيضا كانت مكسوّة بقطع من النحاس بقي شاهد عليها البعض منه، كما أن هناك ثقوب تدل على أنها كانت مطعمة بأحجار كريمة، ومزخرفة على بدنها بزخارف هندسية ونباتية، فالهندسة عبارة عن مثلثات، مربعات وخطوط والنباتية جاءت بالنقش العربي.

الكتابة الاثرية:

نجد أيضا الزخارف الكتابية معظمهامطموسة وغير واضحة.

لكن نجد لفظة

محمّد، سنة، و صاحب

وقد جاءت الكتابة بخط الثلث وبأسلوب الحفر البارز

وما يهمني هو استعمال اللغة العربية في هذه الأسلحة.

البارودية (2):

ونفس الأمر نجده مع المثال الثاني للبارودية (حاملة البارود):




صور/ بارودية من الخشب والنحاس من مدينة الجزائر الجزائر (13/12هـ ـ19/18م)
المتحف العمومي للآثار القديمة 90 .II.B.

ويمكن وصفها على انها بارودية طولها 19 سم وعرضها 04 سم وقطر فوهتها 5 سم، بينما القطعة السابقة محفوظة بالمتحف العمومي للأثار القديمة، وهي في حالة حفظ متوسطة مصنوعة من الخشب والنحاس، وجاءت على شكل قلب منتفخ منته بفوهة عبارة عن عنق يحتوي على حلقتين لسّد الغطاء بواسطة خيط لربطه مع البدن.

مضمون **الكتابة:** جاءت الكتابة على نفس منوال القطعة السابقة، الكتابات هي الأخرى غير واضحة وهي بحروف عربية خالصة، يمكن أن تبّين انها تدل على سنة الصنع أو صاحب القطعة.

الخوذات :

يستعمل الفارس منذ القديم الخودة، ويمكن أن نمثل بالصورة في الأسفل وما يهمني هو ترصيعها بالجواهر وبالكتابات العربية المستمدة من القرآن، حيث كتبت عليها الآية القرآنية **"بسم الله الرحمن الرحيم، إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر**[1]" ومثلها كان منتشرا في البحرية الجزائرية .

[1] الاية 1–2 من سورة الفتح



صورة /خوذة عثمانية من القرن السادس عشر في متحف الأسلحة بالكريملن في موسكو من الأنترنت

الرّايات:

نجد في الحروب البرية أو البحرية خاصة العديد من الرّايات التي تعلّق فوق السفن أو التي يحملها القادة ومن معهم أثناء الحرب، وقد عرفت الرايات منذ القدم، وعرفت الفترة العثمانية بالجزائر عديد الحروب لا سيما في البحر الأبيض المتوسط، وتبين الوثائق التاريخية والمخطوطات وعديد الصور وبعض مما بقي في المتاحف أمثلة عن الرّايات التي كانت تحمل، ويتبين لنا ما كان يكتب عليها من كتابات بالعربية وما يخط فيها من رموز تَمُت بصلة وثيقة إلى شعائر الإسلام، على غرار النجمة والهلال وراحة اليد والسيف وغيرها من الرموز والأشكال الهندسية.

وقد منح الباب العالي حكام الجزائر الشعار المعروف بذيول الخيول الثلاثة الذي اتخذه سلاطين آل عثمان الوائل شعارا لهم، وهو علم مؤلف من سبع سبيبات حمراءخضراء وبيضاء وحمراء بيضاء ثم خضراء، وكان يرفع على صواري السفن الحربية وعندما احتد الصراع في القرن السادس عشر نشط خير الدين لنجدة مسلمي الأندلس والدفاع في الساحل

الغربي للمتوسط واتخذ علما أخضرايتخلله سيف ذي الفقار وهو مشهور[1]والسنجاق الذي أرسله السلطان العثماني سليم خان إلى خير الدين من الباب العالي هو دليل إلحاق الجزائر بالخلافة العثمانية.وكان مكتوبا عليه في شريط في أعلاه كلمة التوحيد: لا اله إلا الله محمد رسول الله.ونجد في أطرافه الأربعة أهلة مغلقة كتب في كل واحد منها أسماء الخلفاء الراشدين: أبي بكر وعمر وعثمان وعلي. هذا في الوجه وفي ظهر العلم نجد الآية الكريمة: "نصر من الله وفتح قريب" وعبارة:"بشر المؤمنين يا محمد"وكلها كتبت بالخط العثماني البسيط.[2]

ولقد بقي العلم الجزائري خفاقا طيلة ثلاثة قرون في البحر الأبيض المتوسط، وقد تعددت التعديلات فيه من أشكال ورسومات وكتابات وألوان كما فعل رياس البحر في نهاية القرن(10هـ 16م) حيث رفعوا راية الجزائر مؤلفةمن راية خضراء مرصعة بالنجوم[3]،" ويحتفظ قصر الدوقات بمدينة البندقية براية استولت عليها أساطيل هذه المدينة في معركة يرجح أنها كانت لدولة الجزائر، وهي راية من الحرير الأحمر، مزينةبالأصفر، طولها 9.7م وعرضها 2.20م وهي على شكل مثلث وفي وسطها مستطيل يحتوي على عبارة التشهد: لا إله إلا الله محمد رسول الله . تما يوجد عند رأس المثلث سيف ذي الفقار تغطيه آية النصر: (يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم)[4]، ويحيط بالمستطيل زخرف نباتي ملتف كالأغصان وأزهار الخزامي بأسلوب التزيين العثماني[5] .

---

[1]عائشة حنفي ،البنود و الأعلام البحرية بالجزائر في العهد العثماني ،مجلة دراسات تراثية ، ع : خاص05 ج:2 ، 2014 ، مخبر البناء الحصاري للمغرب الأوسط ، جامعة الجزائر 2 ، ص :330/202

[2]نفسه

[3]شاوش حباسي ،أصول العلم الوطني الجزائري المعاصر، مجلة الدراسات التاريخية ، العدد353، المملكة العربية ، 2005،ص 103

[4]سورة محمد ، الآية : 7

[5]عائشة حنفي، البنود والأعلام البحرية بالجزائر في العهد العثماني ،نفس المرجع السابق.

ويمكن أن نمثل بهذه الراية:

تبين الصورة أدناه راية كبيرة طولها 140 سم وعرضها 130 سم، مصنوعة من القماش الشفاف أبيض اللون، تحتوي الجهة اليمنى على مخيط خصص لدخول المقبض لكي يتمكن الفارس من حملها، وتعرف هذه بالسنجاق، وهذه الراية موجودة بالمتحف الوطني للأثار القديمة بالجزائر تحت رقم (220 B، T، 11)، ونجد في هذه الراية أشكالا وكتابات:

فمن الأشكال نجد دوائر صغيرة من الصوف على ثلاث حواف، ونجد وسط الراية مربعين متداخلين شكلانجمة ثمانية وهي من الرموز الأساسية في الإسلام.

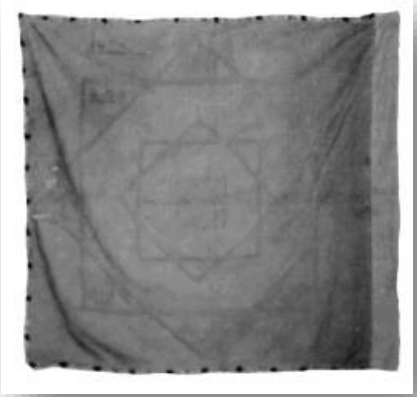
الكتابة الأثرية:نجد ألفاظا عربية دينية إسلامية

فنجد الشهادتين:

لا إله إلاّ الله محمد رسول الله
عليه سلام الله
الحمد لله وحده
بركة محمّد

وهذه الشعارات كلّها تبين توجّه المجاهد والذي لا يبتغي غير أجر اللّه، وأنه مدافع عن لا إله محمد رسول، وأنه متبّع في ذلك سُنّة رسول اللّه، ويمشي على بركة محمد صلى الله عليه وسلّم، وهو شاكر حامد للّه وحده على النعم التي هو عليها.

نفذت هذه الكتابة بالخط الكوفي، بأسلوب التطريز، بخيوط حريرية باللون الأزرق، جاء حرف الألف في كلمة الحمد بالهمزة، إضافة إلى عدم وجود النقاط على حرفي الزاي والجيم.



صورة / راية من القماش والصوف، من مدينة الجزائر 13هـ/19م

المتحف الوطني للاثار القديمة (II.TB.220)

الفصل السادس:

نماذج من الكتابات في الآثار المنقولة في الجزائر إبان الفترة العثمانية

1- الكتابات في الآثار المنقولة

2- اللغة العربية في الكتابات الأثرية في الأواني في الفترة العثمانية

3- الكتابات الأثرية في تحف النسيج و الزرابي

4- الكتابات الاثرية في التحف الجلدية

5- الكتابات الأثرية في التحف الخشبية

6- اللغة العربية في الكتابات الأثرية في السكة الجزائرية في الفترة العثمانية

7- الكتابات الأثرية في الأختام

1-الكتابات في الآثار المنقولة :

بعد الحديث عن الكتابات الأثرية في العمارة الدينية والمدنية والعسكرية نتحدث أيضا عن الكتابات في المنقولات، وهي كثيرة جدا، حيث نجدها منتشرة في المتاحف وكذلك عند الخواص في منازلهم، يحتفظون بها كإرث ثقافي لهم. وقد ازدهرت الحرف بالجزائر في الفترة العثمانية وبرز حرفيون جزائريون كثر، ولاتزال أسماؤهم على التحف المنقولة تثبت ذلك، كما انتشرت الورشات والمصانع في المدن الجزائرية بسواعد الجزائريين، وساهمت في التطور الاقتصادي والاجتماعي للساكنة.[1]

لقد كتب العديد من الباحثين في هذا الموضوع [2]،وقد أسهموا في تبيان كفاءة الجزائريين وحسهم الفني و الثقافي الأصيل الذي تبينه التحف المنقولة، وفي هذا البحث أبين مدى تشبث الجزائري بدينه وبلغته وثقافته حتى في التعبير على يومياته.

2 – اللغة العربية في الكتابات الأثرية في الأواني في الفترة العثمانية:

عرف الجزائريون في الفترة العثمانية استقرارا نسبيا اجتماعيا واقتصاديا وثقافيا وعلى فترات، طيلة 03 قرون من الزمن، وعليه كانت البيوت تستخدم غرفا مخصصة لغايات مختلفة ، غرف الاستقبال وغرف الطبخ، وغرف النوم، والحمامات ولواحقها، والبساتين وآلات زرعها..

[1]ينظر عائشة غطاس الحرف و الحرفيون لمدينة الجزائر ،مقاربة اجتماعية ،اقتصادية 1700-1830 م،ANEP ،الجزائر ، 2008

[2] - على غرار د. شريفة طيان، ود. سمير بوطيش، ود. نبيلة آيت سعيد، وغيرهم،

وغالبا ما يكون الضيوف عند الجزائري، وهذا نظرا للطبيعة القبلية التي اتصف بها المجتمع، وكثرة الولائم والسهرات الرمضانية والأعياد والموالد وغيرها، فتكون الجلسات العائلية الموسعة، من منطلق "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه"[1]

وتقدم المشروبات والشاي والقهوة والفطور وغيرها للضيوف، نساء ورجالا، وتتباهى العائلات الجزائرية في ذلك.

ويمكن أن نمثل بأمثلة للأواني المستعملة مع التركيز على الكتابات.

أ- الصواني:الصينية (السني): وهي قطعة نحاسية في الغالب، من الأواني المنتشرة في بيوت الجزائريين، تستعملللتقديم الأكل أو للزينة، تكون دائرية الحجم في الغالب، ووجدنا بعضها مستطيلا في بعض المتاحف، توضع في الغالب فوق أرجل معدنية أوخشبية، تؤدي دور المائدة، وقد تكون للزينة، وتسمى أيضا السنيوة وهي تصغير لكلمة السني وتستعمل لتقديم القهوة و الشاي والحلويات[2]ونمثل ببعض الامثلة لها.

الصينية رقم 1:صينية تستعمل في المنزل قطرها 145 سم وعمقها 02 سم، وهي في حالة حفظ حسنة تستعمل عادة للأكل وهي مصنوعة من النحاس الأحمر وتدعى إلى اليوم ب "السني" أو السيني، وهذه القطعة بها زخارف نباتية وهندسية على عادة الأواني النحاسية، ونجد بها أيضا زخارف كتابية مثلما توضحه الصورة.

[1]رواه البخاري ومسلم .عن أبي هريرة .

[2] – انتشرت لهجة التصغير في العديد من المناطق التي سكنها النازحون الأندلسيون في البليدة وتنس ودلس والجزائر وجيجل وغيرها فنجد كلمات مثل: وريدة، مغيرفة،تبيسي، طفيلة ، دويرة، بليدة، كويس، شريبة .فيصغرون كل الكلمات، ولا تزال هذه التأدية الكلامية مستعملة إلى اليوم في فحوص الجزائر العاصمة، ينظر شريفة طيان، ص 95 بتصرف



صورة /صينية من النحاس الأحمر من مدينة الجزائر،متحف الباردو (DX .02).

مضمون الكتابات:

نجد في المركز كتابة نفذت بأسلوب الحز والطرق وبخط الثلث وهي عبارة عن:

"ما شاء الله".

كما نجد كتابة في حافة القطعة عبارة عن تعبير عن مالك الصينية، نفذ بأسلوب الحز والطرق (نقيشة) بخط الثلث، وتبرز هذه الكتابة صاحب الصينية.

" صاحبه الحاج احمد عثمان في 25 محرم سنة 1200"ما يوافق سنة 1786.

ما تبينه هذه الكتابة هو ما انتشر في الفترة العثمانية وجود هذه الكتابات التي تركز على الملكية، وكذلك الاهتمام بالتقويم الهجري كما نجد عبارة "ما شاء الله" التي تدعو إلى البركة ولوجود الحديث الذي يقول "إذا رأيت شيئا أعجبك فقل ما شاء الله"، وهو تطبيق للآية الكريمة، "ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله "[1] وقوله تعالى: "ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله"[2] وهذا يبين الروح الإسلامية البارزة في القطعة.

[1]–سورةالكهف، الاية ،24/23

[2]–سورة الكهف،الاية 39

أما من الناحية اللغوية فالعبارة الأولى"ماشاء الله "هي عبارة استحسان وتعجب، تقال عند رؤية الشيء الحسن، و"ما "هنا شرطية، ليست نافية، والتقدير ماشاء الله كان، وقيل: هي موصولة بمعنى الذي، إما مبتدأ لخبر محذوف، أي الذي شاءه الله كائن، وإما خبر لمبتدأ محذوف: أي الأمر هو الذي شاءه الله.

الصينية رقم (02):القطعة النحاسية عبارة عن صينية من الحجم الكبير تشبه القطعة السابقة، قطرها 133 سم وعمقها 2 سم، مصنوعة من مادة النحاس الأحمر، وهي ذات حافة مفصصة وبارزة إلى الخلف وقاعدتها مسطحة ومستوية، وقد زيّنت الصينية بزخارف نباتية وهندسية.

كما تبينه الصورة :



صورة /صينية من النحاس الأحمر تعود للفترة العثمانية من مدينة الجزائر.

كما نجد كتابات واضحة وهي عبارة عن توقيع وأجزاء من أبيات شعرية أو حكم.

1-التوقيع:

نجد بالقرب من الحافة على شكل ثلاثة أختام بخط الثلث عبارة: ***محمود مصطفى نحاس.***

2-الحكم والأبيات:

نجد إطارات فوقية من الحافة كتبت فيها العبارات التالية:

الخيل والليل يعرفني

والرمح والبيداء والقرطاس
الجمال جمال الخلق
العدل أساس الملك
أفضل المهن إغاثة الملهوف
الدنيا أساس جعل الطاعة

يتبين من خلال قراءة هذه العبارات انها للتذكير والتأمل وللعمل، فالعبارة الأولى هي شطر بيت للمتنبي[1].

وهو القائل:

الخيل والليل والبيداء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلم

- العبارة الثانية وهي أيضا من ألفاظ من نفس البيت الشعري.

- العبارة الثالثة حكمة، فالأخلاق هي التي تبرز جمال الإنسان.

وكذلك بقية الحكم.

ما يلاحظ أن الجمل كلها جمل إسمية عبارة عن مبتدأ وخبر.

وجملة "الجمال جمال الخلق"

مبتدأ خبر

يتبين من الأمثلة أن اللغة العربية منتشرة في الكتابة الأثرية بكثرة، وكذلك الثقافة الواسعة لدى الساكنة.

الصينية رقم (03): أمامنا صينية عمقها 2 سم وقطرها 92.5 سم من مادة النحاس الأصغر المطلي بالقصدير، وهي في حالة حفظ حسنة فيها العديد من الزخارف المتنوعة هندسية ونباتية وحتى عمائرية.

[1] أحمد بن حسين بن احمد المعروف بأبي طيب المتنبي (303- 354هـ) (915- 965م)، وهو أحد كبار الشعراء العرب، له الأمثال السائرة والحكم السالفة المعاني، عرف بالفخر والمدح، خلف ديوانا من الشعر لا يزال يدرس إلى اليوم، انظر، .





صور /صينية من النحاس الأصفر مطلية بالقصدير، تعود للقرن 13هـ/19م، من مدينة الجزائر، المتحف العمومي الوطني للفنون والتقاليد الشعبية بالجزائر.

ونجد بالتحفة أيضا كتابات زخرفية تدل دلالة واضحة على إكرام الضيف والنخوة العربية. نفذت العبارات بخط الثلث بأسلوب الحز والطرق على طريقة الصفارين في ذلك الوقت، ولا تزال هذه الطريقة إلى اليوم عند بعض الحرفيين في العاصمة وقسنطينة وتلمسان وتنس وغيرها.

فعبارة:

"فاشرب هنيئا ولا تخف من عواقب يذهب عنكم الظمأ والجوع والكسل".

جاءت كلمة عواقب نكرة لتعم كل العواقب.

ومعنى كلمة ظمأ في معجم المعاني العطش

والعبارة ككل لطمأنة الضيف أو عابر السبيل، فهو في دار أمان، وبقراءتها وهو يأكل تطمئن نفسه وينسى الجوع والظمأ والكسل فتطمئن نفسه.

وكذلك العبارة الثانية، فهي عبارة لطمأنة الضيف وهو ما حثّ عليه الإسلام، "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليكرم ضيفه".

إن هذه الآثار تدل دلالة قاطعة على الروح الدينية التي كانت سائدة في الثقافة الجزائرية في الفترة العثمانية، وكذلك الحياة الاجتماعية المعروفة بالتكافل والترابط ونشر المحبة بين الجميع، ولم تكن عبارة عن شكل فقط بل حياة مفعمة بالروح الدينية في شكلها العملي التطبيقي، فعي تظهر في أبسط مناحي الحياة .

وإلا ما سبب انتشار هذه الصينيات (السيني)، فما من بيت إلا نجد فيه غرفا للاستقبال وتكون بعيدة عن البيت العائلي، تستقبل الضيوف وعابري السبيل، وقد بقي آباؤنا وأجدادنا متمسكين بها إلى اليوم .

مضمون الكتابة:

في المركز:

" فاشرب هنيئا ولا تخف من عواقب يذهب عنكم الظمأ والجوع والكسل"

في الشريط:

"إذا الضيف ضاق به المكان ألا يادار لا يحملك حزن ولا يغدر بصاحبك الزمان فنعمى الدار تأوي كل ضيفها".

هناك بعض الأخطاء الاملائية :نعم لا تكتب بالألف المقصورة

وهناك عبارات بالدارجة الجزائرية مما يبين أن الدارجة الجزائرية إلى وقت قريب كانت قريبة من اللغة الفصيحة، والمعجم كله عربي، وما يلاحظ اليوم هو الاقتراض من القاموس الفرنسي خاصة، حيث تستعمل العديد من الألفاظ الفرنسية في الاستعمال الدارج الجزائري.

الصينية رقم (04): صينية من الحجم الصغير قطرها 63 سم وعمقها 2 سم، حافتها قليلة الارتفاع تستعمل عادة لتقديم القهوة والشاي أو الحليب، وكذلك تستعمل للضيف الواحد للفطور، كما توضع للزينة فوق الخزائن أو الرفوف الخشبية أو النوافذ.

نجد بهذه القطعة العديد من الزخارف النباتية والهندسية، ونجد أيضا كتابات نفذت بخط الثلث وبأسلوب الحز والتطريق وتنتهي الحروف بالزخارف، كما نجد تطعيما بالفضة في هذه الصينية.

الكتابات: يفهم منها أنها عبارة عن حكم وكلمة "ما شاء الله" المنتشرة كثيرا في البلدان الإسلامية.

في المركز:

"ما شاء الله"

نفذت بخط الثلث، بأسلوب النقش والتطريق والتكفيت بالفضة، ينتهي حرف الميم بحلية زخرفية مظفرة.

أما الكتابة **في البدن:** نجد:

النجات في – الصدق – والهلاك – في الكذب.

أربعة عبارات كل واحدة مؤطرة بشريط، نفذت بأسلوب النقش والتطريق والتكفيت بالفضة، وهي عبارة عن حكمة تعبر عن فائدة الصدق والتحذير من الكذب، وقد جاءت العبارة في أربعة إطارات، وجاءت كلمة النجاة بتاء مفتوحة وهذا خطأ إملائي.

أما في حافة الصينية فنجد أيضا حكمة كتبت بخط الثلث وبطريقة الحز والتطريق، ونجد الفراغات مملوءة بالزخارف النباتية والهندسية.

ومضمون الكتابة في الحافة:

الصبر مفتاح الفرج– من صبر ظفر– الأدب خير المال– من طلب وجد،

نفذت بأسلوب النقش والتطريق والتكفيت بالفضة، وهي عبارة عن حكم كذلك ، وهذا ما يزيد في إبراز دورها التزييني أثناء وضعها على الحائط.



صينية من النحاس الأصفر، تعود للقرن 13 هـ/19م، من مدينة الجزائر، المتحف العمومي الوطني للفنون والتقاليد الشعبية بالجزائر (08-185-05).

الصينية رقم 05:



صورة /صينية من النحاس الأصفر، تعود للقرن 13 هـ/19م، من مدينة الجزائر، المتحف العمومي الوطني الباردو (01. 2008. D).

هذه الصينية التي بين أيدينا مصنوعة من النحاس الأصفر، تتكون من حافة مفصصة مقدارها 03 سم ومتجهة نحو الخلف، قطرها 68 سم، نجد بهذه الصينية العديد من الزخارف الهندسية والنباتية وحتى الرمزية مثل الهلال.

كما نجد كتابات في عبارات وآيات.

مضمون الكتابة:

في المركز عبارة:

نفذت بخط النسخ، بأسلوب الحز، "الله أكبر" وملئت الفراغات بزخارف هندسية ونباتية.

وهذه العبارة تتكرر في حياة المسلم، بداية من أعظم عبادة وهي الصلاة، فنجدها في الأذان ونجدها تتكرر في كل حركة في الصلاة بداية من تكبيرة الأحرام، ونقولها بعد الصلاة 33 مرة، وقبل النوم 33 مرة، وفي حالات كثيرة في عيد الأضحى وعند الذبيحة وغيرها من المواطن.

ومن الناحية اللغوية: فعبارة "الله أكبر"جملة اسمية، الله: لفظ الجلالة مبتدأ مرفوع بالابتداء وعلامة رفعه الضمة، أكبر: خبر المبتدأ مرفوع وعلامة رفعه الضمة .

نجد أيضا كتابة مضمونها البسملة:

"بسم الله الرحمن الرحيم"

نفذت بخط الثلث، بأسلوب الحز وملئت الفراغات بزخارف نباتية.وعبارة "بسم الله الرحمن الرحيم" كتبت فيها الكتب وأفردت بالتصانيف، ويكفي أنها تبتدأ بها كل سور القرآن ماعدا سورة التوبة، وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم: "أن كل أمر ذي بال لم يبتدأ ببسم الله فهو أقطع"

الشريط الكتابي الرئيسي:

"ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون[1]،

نفذت بالخط الكوفي بأسلوب الحز.

يبدو من خلال المضمون أن وظيفة التحفة تزيينية، إذ غالبا ما لا تمتهن الآيات القرآنية.

[1] الآية 169، سورة آل عمران.

الصينية رقم 06: صينية قطرها 72 سم وعمقها 4 سم من النحاس الأصفر، قاعدتها مصطحة، مزخرفة بطبق نجمي، تحيط به زخارف نباتية وهندسية ونباتية.



صينية من النحاس الأصفر، تعود للقرن 13هـ/19م، المتحف العمومي الوطني أحمد زبانة وهران، (M– 20).

"لا غالب إلا الله العلي العظيم"

الزخارف الكتابية:نجد في هذه الصينية أو ما يعرف ب "السني" كتابة زخرفية نفذت بخط الثلث، وبأسلوب الحز والتطريق.

والعبارة هي "لا غالب إلا الله العلي العظيم"، وقد تكررت أربع مرات، وهذه العبارة كانت منتشرة في عهد المرابطين والموحدين، ولكن زاد انتشارها في الأندلس وملئت بها القصور والمحاريب وجدران البيوت والعمارة بشكل عام، وهو ما يتضح لزائر الحمراء بجلاء وأنت واقف أمام جدرانه تقرأ ما هو مكتوب، تنفجر بداخلك قوة غريبة ممزوجة بالفرح والروحانية والعزة وهي عبارة "لا غالب إلا الله".

فكان المسلم يؤمن بوحدانية الله في الربوبية فيشعر المسلم أن الله معه في أي وقت وفي أي مكان، وأنه هو وحده من يستند إليه فهو القوي الغالب، وقد صارت هذه العبارة شعارا للمسلمين بل كتبت في الأعلام الموحدية وكانت في أعلام ورايات بني الأحمر، وقد وردت

هذه العبارة في القرآن الكريم في قوله تعالى:"والله غالب على أمره، ولكن أكثر الناس لا يعلمون"[1].

والغالب اسم من أسماء الله الحسنى ومن معانيه القاهر والمنتصر والمتفوق ومن أقوال العرب قديما:"من غالب الأيام غلب"، وهنا يتبين ما قلته سابقا حول التأثير الثقافي للهجرة الأندلسية إلى الجزائر، فقد استعملت هذه الشعارات في المباني الجزائرية، ونجد هذه العبارة في محارب المساجد والمنابر وفي التحف المنقولة، وهناك من يرجع هذه العبارة إلى الأغالبة قبل الموحدين، لكن انتشارها واضح لدى الأندلسيين وفي الجزائر وفي الفترة العثمانية.

الصينية رقم 07:هذه الصينية هي الأخرى من الحجم المتوسط، حيث يبلغ عمقها 3 سم وقطرها 72 سم، حافتها مفصصة ومتجهة إلى الخلف ونجد بها عدّة زخارف نباتية وعمائرية، كما نجد بها زخارف كتابية يمكن تفصيلها فيما يأتي، بينما المساحة الخارجية ملساء.



صور/صينية من النحاس الأحمر، تعود للقرن 13هـ/19م، من مدينة الجزائر،

مضمون الكتابة:

الكتابة عبارة عن سورة الإخلاص غير مكتملة:

[1] سورة يوسف، الآية 21.

"قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد"

نفذت بالخط الكوفي، بأسلوب النقش والحز.

يبين مضمون الكتابة الزخرفية المنفذة على الصينية، وكذا وجود مقبض من الخلف أن وظيفة التحفة هي وظيفة تزيينية محضة، وليس لها دور وظيفي كتقديم القهوة أوالشاي أو غيرها، لأنه لا يعتقد امتهان القرآن.

وهذه الآيات الثلاث هي الآيات الموجودة في سورة الإخلاص، وسميت بهذا الاسم ، قيل لأنها خالصة في وصف الله تعالى، وأنها حاملة للتوحيد الخالص، بهذه السورة تثبت وحدانية الله، وهي تعدل ثلث القرآن، وتقرأ دبر كل صلاة، وفي قوله "الصمد" أي الذي لا يقصد في الحوائج غيره، والآية تبطل قول من قال أن لله ولد أو والد.

أطباق الكسكس:

طبق الكسكسي أو الطعام طبق جزائري أصيل بدليل وجود العديد من المخازن للحبوب من قمح وشعير ورحي، قبل الإسلام ،ونجده أيضا بعد ذلك خاصة مع الوجود الإسلامي أين صارت الفلاحة والزراعة موردا للجزائريين في حياتهم، وقد صنف طبق الكسكس منذ 2020 كتراث غير مادي لكل دول المغرب العربي، ويرجح أن يكون قد ظهر في الجزائر قبل غيرها لأنه يقدم بطرق عديدة ومختلفة من الشرق إلى الغرب إلى الوسط وإلى الجنوب، وهذا يدل دلالة قاطعة على أنه طبق أساسي في حياة الجزائريين منذ القدم.

تحتفظ المتاحف والعديد من العائلات بأواني وتحف كثيرة.

وفي الفترة العثمانية بالجزائر تطورت الحياة الاقتصادية والاجتماعية، وكثرت الاحتفالات بالزواج والختان وتكون هناك الولائم بكثرة خاصة في فحوص الجزائر، وكذلك في المدن المشهورة، أو حتى حينما يأتي الضيوف فإن طبق الكسكسي هو الطبق المشهور بالجزائر،

فيقدم على عدّة أشكال أفضله طبق بالمرق الأحمر واللحم والخضروات، وكذلك المسفوف أو السّفة بالجلبانة أو الفول أو الزبيب والعسل وغيره

وتستعمل العشيوات الكسكسي، وقد بقيت موجودة عندنا في المنزل منذ سنوات، وتستعمل عادة في الأعراس، فنجده في العديد من المتاحف ولدى بائعي الأواني النحاسية وعند الحرفيين في قصبات الجزائر، وقد نقلت في أشكالها وزخرفتها تاريخ حقبة معينة خاصة الفترة العثمانية، وهذا يبين بوضوح انتشار هذا النوع من الأطباق لدى الجزائريين. وفي السبعينات والثمانينات من القرن الماضي، لا نجد بيتا إلا وفيه هذا النوع من الأواني إضافة إلى السيني أو السني الكبير والمتوسط والصغير، بل كان يأخذ مع العروسة إلى البيت الزوجية في(جهازها) .

التحفة عبارة عن طبق من الكسكس(يعرف بطبسي أو تبسي عشاوات، قطره 44 سم وعمقه 35 سم، مصنوع من النحاس الأحمر والأصفر ومطلي بالقصدير، وهو في حالة حفظ حسنة مزخرف زخرفة هندسية ونباتية نفذت بأسلوب الطرق والحز.



صورة/طبق كسكسي من النحاس الأحمر والأصفر من مدينة الجزائر مجموعة خاصة[1]

الكتابة الاثرية:

[1] سمير بوطيش ، رسالة دكتوراه .

نجد في هذا الصحن كتابة عربية عبارة عن إمضاء، ويبرز صاحب الطبق ولقبه ووظيفته وكذلك التاريخ، جاء فيها:

"صاحبه عثمان خزناجي 1225."

الطبق رقم 02: هذا الطبق هو الآخر يدعى بطبسي عشاوات من الحجم الكبير، عمقه 21 سم وقطره 44 سم، مصنوع من النحاس الأحمر ومطلي بالقصدير، نجد فيه بعض الزخارف الهندسية، عبارة عن معينات نفذت بأسلوب الطرق كما نجد كتابة.



صورة/طبق كسكسي من النحاس الأحمر مطلي بطبقة من القصدير، من مدينة الجزائر، محفوظ بالمتحف العمومي الوطني للفنون والتقاليد الشعبية بالجزائر (97-49-05).

مضمون الكتابة:

صاحبه السيد الحاج عمر سنة 1169 .أي ما يوافق بالميلادي 1755

الكتابة عبارة عن إمضاء على هيئة طغراء نفذت بخط الثلث وبأسلوب الحزّ والتنقيط جاء في الكتابة: صاحبه السيد الحاج عمر سنة 1169 .أي ما يوافق بالميلادي 1755.

الطبق رقم 03:طبق كسكسي من الحجم الكبير، عمقه 15 سم وقطره 30.5 سم، من النحاس الاحمر يستعمل لحمل الطعام، ونجد زخرفة كتابية عبارة عن إمضاء.



صورة/طبق كسكسي من النحاس الأحمر، محفوظ بالمتحف العمومي الوطني للأثار القديمة (II.MI . 465).

مضمون الكتابة:

"صاحبه الحاجي محمد خوجة سنة 1098".

كتابة نفذت على شكل طغراء، نفذت بخط الثلث،بأسلوب الحز والتنقيط، حيث يظهر جليا كذلك أن منفذ الكتابة كان يرفع أداته الحادة بين كل طرقة وأخرى، ولم يكتب بخط متواصل، تبرز الكتابة اسم صاحب الطبق ولقبه وتاريخ الكتابة بالتقويم الهجري وبالأرقام الهندية 1098، الموافق لـــ 1687 ميلادي، مع ذكر كلمة سنة.

الطبق رقم 04:عبارة عن تبسي عشاوات مصنوع من النحاس الأحمر، يتكون من طبق وغطاء، عمقه 22 سم والقطر 45 سم، يوجد به زخارف هندسية عبارة عن معينات ويوجد شريط نباتي أعلى الغطاء وكذلك كتابة أثرية.



صورة/طبق كسكسي من النحاس الأحمر، من مدينة الجزائر محفوظ بالمتحف العمومي للأثار القديمة (II.MI.458).

مضمون الكتابة:

"صاحب باشا ستانكويلي علي جاوش سنة 1147".

العبارة مكررة مرتان، واحدة على البدن والأخرى على الغطاء، تبرز اسم صاحب الطبق وألقابه، نجد تاريخ الكتابة بالتأريخ الهجري وبالأرقام الهندية 1147، الموافق لـــ 1734 ميلادي مع ذكر كلمة سنة، هذه الكتابة ليست واضحة على التحفة، نفذت بخط قريب من الثلث وبأسلوب الحز والتطريق.

غطاء طبق الكسكسي (1):عمق الغطاء 17.5 سم وقطره 24.5، مصنوع من النحاس الأصفر وينتهي بمقبض ماسك ينتهي بحلية على شكل هلال.



صورة/غطاء طبق لتقديم الأكل من النحاس الأصفر، من مدينة الجزائر محفوظ بالمتحف العمومي الوطني للأثار القديمة (II.MI.1318).

مضمون الكتابة:

"حبس متع الشيخ سيد عبد الرحمن سنة 1240".

كتابة وقفية منفذة بخط الثلث وبعض الحروف المغربية، بأسلوب الحز، واستعملت فيها اللغة الدارجة كذلك، ما يدل على أن الواقف من السكان المحليين، كما يؤكد على ذلك لفظة حبس، وهي كلمة تستعمل عند الجزائريين وجمعها أحباس (أوقاف)، أما لفظ متع، فهو الآخر يستعمله الجزائريون المحليون في دارجتهم، يقصد به: وقفت هذه القطعة لصالح ضريح سيدي عبد الرحمن الثعالبي، كذلك يبين ما كان السكان المحليون يكنونه لهذه الشخصية وذلك الضريح، إضافة إلى وجود سنة الحبس أو الوقف بالتقويم الهجري وبالأرقام الهندية:1240، الموافق لـــ 1824 ميلادي.واستعمال السكان المحليين أو الحضر للتقويم الهجري وبالأرقام الهندية، هي ميزة منتشرة منذ دخول الإسلام إلى الجزائر.

غطاء طبق الكسكس (02):عمقه 14.5 وقطره 21.5، يستعمل لتقديم الأكل وهو خال من الزخارف ونجد به كتابة وقفية.



صورة/غطاء طبق لتقديم الأكل من النحاس الأصفر، من مدينة الجزائر محفوظ بالمتحف العمومي الوطني للأثار القديمة (II.MI.1317).

مضمون الكتابة:

"حبوس على سيدي عبد الرحمان الثعالبي".

كتابة وقفية، نفذت بخط الثلث وبعض الحروف المغربية، ابتدأت بلفظ حبوس، وهو الآخر مصطلح محلي، يدل على أن صاحب الوقف من السكان المحليين أو الحضر، عكس عبارة وقف التي استعملها العثمانيون، كما أن الموقوف عليه هو ضريح سيدي عبد الرحمن الثعالبي، وهذه الشخصية لها المكانة والاحترام الذي يكنه له السكان المحليون، جعل منه ذلك أحد الوجهات الرئيسية لأوقاف التحف عند السكان.

القدر:من الأواني المستعملة في الطبخ القدر، وهي كثيرة جدا، وهي أنواع: البرمة والطنجرة والقازان ولفظ القدر مشتق من قدر القدر يقدرها بكسر الدال وضمها أي طبخها، ويقال مرق مقدر أي مطبوخ [1] وهي موجودة في كل بيت جزائري، و نمثل بمثال واحد:

[1] ينظر ابن منظور ، لسان العرب



صورة/قدر من النحاس الأحمر من مدينة الجزائر (12-13هـ/18-19م)، المتحف العمومي الوطني للفنون والتقاليد الشعبية (II-195-05).

قدر ذو حجم متوسط، عمقه 22.5 سم وقطره 25.5 سم، مصنوع من النحاس الأحمر المطلي بالقصدير، يتكون من بدن أسطواني وقاعدة مسطحة ومقبضين من الجانبين وحافة مستعرضة لتثبيت الغطاء، وينتهي الغطاء بمقبض. ونجد بها طتابة .

مضمون الكتابة:

"صاحب وكيل حرج حاج عثمان أغا 1243".

إمضاء نفذ بخط الثلث والنسخ، وبأسلوب الحز، يبرز اسم صاحب القدر وألقابه وربما وظيفته، وسنة الكتابة بالتقويم الهجري، وبالأرقام الهندية: 1243، الموافق لـ 1828 ميلادي.

مهراس:

نجد هذه الآنية أيضا عند عامة الجزائريين إلى وقت قريب ، يستعمل للهرس والدق ، وهو على أشكال أسطواني أو مخروطي في الغالب ، تكون قاعدته مستديرة وأصغر من حافته ، ويضنع من النحاس أو البرونز .، ويأتي معه المدق . ونمثل بمثال واحد :



صورة/مهراس من النحاس الأصفر من مدينة الجزائر (12-13هـ/18-19م)، المتحف العمومي الوطني للفنون والتقاليد الشعبية بالمدية.

تبين الصورة أن المهراس الموجود معنا مصنوع من النحاس الأصفر، يتكون من قسمين: البدن الذي يرتكز على قاعدة مسطحة، والمدقة التي تحتوي على ثلاث حلقات أو انتفاخات واحدة في المقدمة والثانية في الوسط والأخرى في نهاية المدقة، ونجد فيها بعض الزخارف النباتية وكتابة.

مضمون الكتابة:

"الصبر جميل".

عبارة عن حكمة، نفذت بخط الثلث، بأسلوب الحز والتكفيت بالفضة، ويتضح أن المضمون جاء متوافقا مع وظيفة المهراس، حيث يجب الصبر عند العمل به ولذلك جيء بحكمة عن الصبر، فعند قراءة المضمون ما على العامل إلا أن يرتاح لعمله ويعمل بصبر وإتقان دون أن يتسرّع.وفي المثل " العمل لمليح إطول".

وورد الصبر الجميل في القرآن الكريم في قوله تعالى: فاصبر صبرا جميلا"[1]وقوله على لسان يعقوب:" فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون"[2]، وقد وصف الصبر بالجمال، أي صبر لا جزع فيه ولا شكوى.

رحاء القهوة و العقاقير (الرحيوة):

انتشرت الرحاء في الجزائر انتشارا واسعا، لا سيما مع انتشار التجارة البحرية، حيث كان استيراد البن منتشرا، وكذلك بعض العقاقير، حيث كانت العديد من العقاقير تزرع في الجزائر،وتستعمل في الطبخ وفي العلاج وتصنع الرحاء غالبا من الخشب أو النحاس، وتتكون من عدة أجزاء منها الجزء العلوي التي توضع فيه حبات القهوة الموجهة للطحن، وقضيب ينتهي بمقبض في الغالب عبارة عن كرة تلائم راحة اليد، وفي الأسفل نجد مخزن (رف)تنزل فيه القهوة المطحونة .وسنمثل بهذا المثال:

الرحى في الصورة في حالة حفظ جيدة، وهي من الحجم الصغير عمقها 10 سم وقطرها 07 سم، مصنوعة من النحاس الأصفر، قاعدتها مسطحة ثم يأتي انتفاخ مباشر للقاعدة وتتكون من الخزان وأجزاء متتالية، جزء يستقبل حبوب القهوة وجزء مخصص

للرحي وأداة هرس وقضيب وحلقة لغلق فتحة الرحى هذه القطعة في حالة حفظ جيدة، وهي تعرف بالرحيوة.

الزخارف الموجودة متعددة نباتية وهندسية ونجد زخرفة كتابية.

[1]المعارج ، الآية 5.

[2]يوسف، الآية 83.



صورة/رحى القهوة والعقاقير من النحاس الأصفر، من مدينة الجزائر المتحف الوطني البارود (D.2011.12)

مضمون الزخرفة الكتابة:

تعذر علينا قراءة مضمونها، لكن تظهر حروف العين، الغاء، الدال، الألف واللام، الميم، النون، الراء، وقد نفذت بخط بالثلث، بأسلوب الحز، ويبدو أن هذه الكتابة، هي كتابة ذات غرض زخرفي فقط، ويمكن تصنيفها ضمن الكتابات المبهمة، غير المقروءة.

الأباريق (البقراج):

مفردها إبريق وهي ذات وظائف متعددة ، تستعمل لتقديم القهوة والشاي كما تستعمل للغسل في الوضوء، او لغسل اليدين بعد الأكل، يصنع في الغالب من النحاس، يتكون من بدن وعنق وصنبور ومقبض وغطاء وزر ماسك[1].

نجد في العديد من المتاحف هذا النوع من الأواني وهو الإبريق، وكان منتشرا جدا في الفترة العثمانية وما قبلها، ويستعمل في عدّة أعمال للقهوة و الشاي ولا تنفك بيت من بيوت الجزائريين أن يخلو منه، ثم صار يقدم بنوعين في وقت واحد صغير وكبير واحد للقهوة

[1] شريفة طيان ، م.س، ص99.

وواحد للشاي، ثم صار يوضع في أحدهما القهوة و الثاني الحليب مع دخول الاستعمار الفرنسي.

والقطعة في الصورة في حالة حفظ حسنة وهي من الحجم الكبير عنقها 36 سم وقطرها 18 سم، مصنوع من النحاس الأحمر يتكون من قاعدة وبدن وغطاء ومقبض وصنبور، نجد بالإبريق زخارف نباتية وهندسية بسيطة، كما نجد كتابات داخل إطارات.



صورة/ إبريق من النحاس الأحمر، من مدينة الجزائر محفوظ بالمتحف الوطني للأثار القديمة(II.MI.44).

مضمون الكتابة:

- عمل الواثق برب الناس،
- محسن بن عبد النبي النحاس
- حرر ذلك تسع في شهر الحج المبارك،
- في سنة ألف وماية وخمسين.

الكتابة عبارة عن إمضاء الصانع، نفذت بخط قريب من الثلث، بأسلوب الحز والنيللو داخل أربع إطارات، يحمل اسمه وألقابه وحتى مهنته (النحاس)، إضافة إلى تاريخ الصنع بالتقويم الهجري، لكن هذه المرة بالحروف حيث ورد اليوم والشهر والسنة التي صنع فيها الإبريق كلها بالحروف، مع ذكر كلمة شهر وسنة، ويقصد بها تحرير الكتابة عند الانتهاء من العمل، وما يدل على أن اسم الشخص الذي ورد في الكتابة هو الصانع كلمة **عمل**، أما الكتابة بحد ذاتها فجاءت بخط تطبيقي بسيط لم يراع فيها صاحبها التوزيع الجيد للمساحة.

ومن مضمون الكتابة يتبين من الناحية الثقافية واللغوية أن الكلمات كلّها توحي بالروح الإسلامية، وكذلك اسم ولقب الصائغ ونسبه وصناعته.

وكلمة عمل كما أسلفت تبين بأن الإبريق من صنع الذي نقشه واسمه الواثق برب الناس محسن بن عبد النبي النحاس، ونلاحظ السجع في هذه العبارة وتوالي تساوي عدد الكلمات في العبارتين، مما يعطي جرسا موسيقيا لفظيا تأنس له الأذن.

كما أن استعمال التاريخ الهجري يوضح بجلاء مدى اهتمام الجزائريين بالتقويم الهجري وحسابهم في حياتهم به، وأنهم كانوا يعيشون حياة منظمة ودقيقة ولم تكن حياة فوضى مثلما حدث بعد الاستعمار الفرنسي، حيث صار الشعب الجزائري الذي هو أصل الأرض من الأهالي الذين لا يتعلمون ولا يقرأون ولا يستمتعون بحياتهم.

ويمكن الإشارة إلى أن باحثين كثر بحثوا في الأباريق وأنها موجودة بكثرة في المتاحف، كما نجدها عند الخواص وفي محلات الإيتيكيت ونجدها أيضا في محلات الحرفيين يزينون بها محلاتهم ويدللون على أن حرفتهم قديمة جدا، والأباريق منتشرة في الشمال كما في الجنوب نظرا لانتشار شرب الشاي والقهوة عند الجزائريين منذ عهد بعيد، وتطور في العهد العثماني.

الفناجين أو الكؤوس:

ما يقابل الأباريق الفناجين والكؤوس، وكانت هي الأخرى مستعملة بكثرة، ونجدها منتشرة في المتاحف أيضا، وقد اختلفت صناعتها ومادتها من فخار وسيراميك ونحاس، وحتى من الفضة والذهب.

الكوب رقم1 :القطعة التي في الصورة هي كأس من الحجم المتوسط، عمقه 6.5 سم وقطره 06 سم من مادة النحاس الأحمر، يتكون من قاعدة وبدن يزيد انفراجا كلّما اتجهنا إلى الأعلى نحو المشرب، ونجد به عدّة زخارف هندسية ونباتية وكذلك كتابات.



صورة/كأس من النحاس الأحمر،(13هـ-19م) محفوظ بالمتحف العمومي أحمد زبانة بوهران (M.II).

مضمون الكتابة:

يتعذر قراءة مضمونها، بالرغم من وضوح بعض الحروف، لكن لم نتمكن من تركيب الحروف والخروج بكلمات، والتي يبدو أنها استعملت لغرض زخرفي فقط، وهي ضمن الخطوط الزخرفية التطبيقية، أو الكتابات المبهمة.

الكوب رقم 2 :كوب عمقه 8.5 سم وقطره 14.2 سم، مصنوع من النحاس الأحمر، يزيد بدنه اتساعا كلّما اتجهنا إلى الأعلى، ونجد به قاعدة دائرية كما نجد به زخارف هندسية بسيطة وكتابة أثرية.



صورة/ كوب من النحاس الأحمر، من مدينة الجزائر بمتحف الأثار القديمة (II.MI.494)

مضمون الكتابة:

عبارة جاء فيها



"صاحب أبيش سنة 1191".

إمضاء يبرز اسم صاحب الكوب، وتاريخ الكتابة، نفذت بخط الثلث وقريبة من النسخ وبأسلوب الحز، مع تاريخ الكتابة بالتقويم الهجري وبالأرقام الهندية: 1191، الموافق لـــ 1777 ميلادي.

السكريات (المسمنات أو الزبديات):

ويصاحب الفناجين والأباريق غالبا مع الصينية السكريات وتسمى أيضا المسمنات أو الزبديات،تتكون من بدن وغطاء تكون مصنوعة من النحاس، وفي بعض المناطق من الخزف، وتوضع فيه الزبدة أيضا و العسل والمربى الذي يصنع من الفواكه. ونمثل لها

بأربعة قطع لنبين مدى انتشار هذه الأواني في الفترة العثمانية، وإلا فهي كثيرة في المتاحف ولدى الخواص يحتفظون بها للزينة.

وهذه القطعة التي في الصورة ذات حجم متوسط، عمقها 16 سم وقطرها 15.5 سم، مصنوعة من النحاس الأحمر، تتكون من قاعدة وبدن وغطاء، تنتهي بمقبض صغير كمثري الشكل.

نجد في سطح السكرية زخارف هندسية، عبارة عن صفوف من المعينات منفذة بأسلوب الطرق، ونجد في الأعلى كتابة زخرفية أيضا.



صورة/مسمنة أو سكرية أو زبدية من النحاس الأحمر، من مدينة الجزائر (12هـ–18م) محفوظة بالمتحف العمومي الوطني للأثار القديمة (II.MI.61).

مضمون الكتابة:



"عبد طاهر 1120"

عبارة عن إمضاء صاحب السكرية أو المسمنة وتاريخ الكتابة بالتقويم الهجري وبالأرقام الهندية: 1200هـ، الموافق لـ1708 م، نفذت بخط النسخ والثلث، بأسلوب الطرق والحز.

القطعة رقم 02: سكرية أو زيدية، هذه القطعة هي الأخرى في المتحف العمومي الوطني للأثار القديمة.

وهي كبيرة نوعا، حيث يبلغ عمقها 21.5 سم وقطرها 18سم، وهي من النحاس الأحمر تتكون من قاعدة وبدن وغطاء وينتهي بماسك ،ونجد بعض الزخارف الهندسية والنباتية البسيطة، نفذت بأسلوب الطرق كما نجد كتابة بسيطة بالقرب من الحافة.



صورة /مسمنة أو سكرية من النحاس الأحمر، من مدينة الجزائر (II.MI.063)

مضمون الكتابة:

الكتابة عبارة عن إمضاء يبين اسم صاحب السكرية ولقبه وجاء في العبارة:



"صاحب الحاجي مصطفا أغا".

نفذت بخط الثلث وبأسلوب الحز، مع وجود خطأ بسيط في الكتابة في كلمة **مصطفى** التي كتبت بالألف عوض الألف المقصورة كما هو واضح.

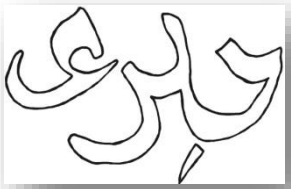
السكرية رقم 03: هذه السكرية مصنوعة من النحاس الأحمر والمرجان، تتكون من قاعدة وبدن وغطاء ينتهي بزر ماسك على هيئة جمل. نجد في سطح السكرية زخارف نباتية وهندسية على شكل دوائر، كما نجد كتابة غير مفهومة.



صورة/سكرية من النحاس الأحمر والمرجان، من مدينة الجزائر بالمتحف العمومي الوطني الباردو(D.04.07).

مضمون الكتابة:

كتابة محصورة داخل إطار مكررة ثلاث مرات، تعذر علينا قراءة مضمونها، نفذت بخط الثلث وبأسلوب الطرق، بالرغم من ظهور حروف:



ح ل ر ى

إلا أننا لم نتمكن من قراءتها في كلمة، وهنا يمكن القول أن دور هذه الكتابات زخرفي، ويمكن تصنيفها ضمن الكتابات المبهمة.

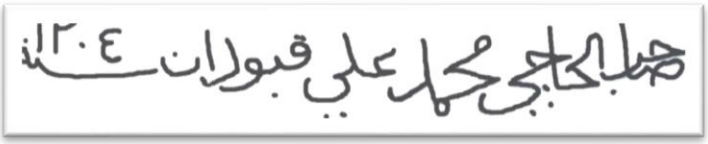
السكرية رقم 04:

حجمها متوسط عمقها 20 سم وقطرها 15 سم مصنوعة من النحاس الأحمر، متكونة من قاعدة وبدن وغطاء ينتهي بماسك كمثري، نجد بها بعض الزخارف ونجد كتابة عليها.



صورة/سكرية أومسمنة أو زبدية من النحاس الأحمر مطلي بالقصدير، من مدينة الجزائر.

مضمون الكتابة:



"صاحب الحاجي محمد على قبودان سنة 1204".

والكتابة عبارة عن إمضاء يبرز اسم صاحب المسمنة وألقابه، نفذت بخط الثلث، بأسلوب الحز، كما تحوي على تاريخ الكتابة بالتقويم الهجري وبالأرقام الهندية: 1204هـ الموافق لـ 1790 ميلادي.

الدلاء والجرار والطاسات والسطلات (أواني الغسيل) :

مع التطور والاستقرار الاجتماعي احتاج الساكنة إلى العديد من الأواني، خاصة ما تعلق بالنظافة، ولا شك أن الاسلام دين الطهارة، فيحتاج الجزائري المسلم لملأ الماء وللغسل في الحمامات المنزلية أو العامة إلى هذه الأواني، وهي منتشرة بكثرة قبل الفترة العثمانية.

الدلو:جمعه دلاء، جاء في الشعر عند حسان بن ثابت رضي الله عنه

لساني صارم لا عيب فيه وبحري لاتكدره الدلاء.

والدلو إناء كبير مخروطي الشكل أو أسطواني يصنع من المعادن منها النحاس، به مقبض مثبت على الحافة بواسطة خطاطيف من الجانبين، يجلب به الماء من الآبار ومن العيون وله دور تخزين الماء مثل الجرار أيضا .كما تستعمله النساء في الحمام .

تبين الصورة في الأسفل دلو حمام عمقة 23 سم وقطره 24 سم، مصنوع من النحاس الأحمر مطلي بالقصدير، يتكون من قاعدة مسطحة وبدن أسطواني يضيق كلّما اتجهنا إلى حافته في الأعلى ويخلو من الزخارف إلا كتابة أثرية

.



صورة/دلو حمام من النحاس الأحمر مطلي بالقصدير من مدينة قسنطينة محفوظ بالمتحف الوطني للأثار بسطيف (DIN.05)

مضمون الكتابة:

"وقف في سبيل الله زمرلي محمد سنة 1205"

كتابة وقفية نفذت بخط الثلث والنسخ، بأسلوب الحز، تبرز اسم صاحب الدلو ولقبه بالرغم من عدم وجود كلمة صاحب أو أية عبارة تدل على ذلك، وأن هذا الدلو وقف في سبيل الله، ولا نعلم بالتحديد لصالح من وقف، عكس ما كان متداولا في مدينة الجزائر، كان أعضاء الجيش يوقفون تحفهم لصالح الأعضاء الجدد الملتحقين بالجيش، والسكان المحليين (الحضر) أغلب تحفهم كان توقف لفائدة ضريح سيدي عبد الرحمن، أو المساجد والزوايا، هذا بالاضافة إلى ورود سنة الوقف بالتقويم الهجري وبالأرقام الهندية:1205، الموافق لـــ 1791 ميلادي.

إناء رقم 2 :

في الصورة في الأسفل إناء صغير عمقه 5.7 سم وقطره 08 سم، مصنوع من النحاس الأصفر والفضة، قاعدته مسطحة وبدنه يضيق كلما اتجهنا نحو الحافة.

نجد على سطح الإناء عدّة زخارف نباتية وهندسية، ونجد أيضا كتابة.



صورة/إناء صغير من النحاس الأصفر والفضة من مدينة الجزائر محفوظ بالمتحف الوطني العمومي للفنون والتقاليد الشعبية بالجزائر (05.163.07).

- مضمون الكتابة:

"من جد وجد" - "من صبر ظفر"

عبارة عن حكمتين، نفذت بخط الثلث، بأسلوب الحز والتكفيت بالفضة، وهي عبارات شاع استعمالها على التحف في العهد العثماني، جاءت الكتابة داخل جامات على أرضية من الدوائر الصغيرة، وقد قام الصانع هنا بتوضيح الكتابة بخطوط محزوزة ثم كتب موضوعه النهائي محصورا داخل تلك الحزوز.

حوض الغسل وتجميع الماء:

ذكرت سابقا أن الابريق قد يستعمل للغسل وللوضوء وتكون معه قطعة أخرى هي الحوض أو الصحن لتجميع الماء، والضورة في الأسفل تبين ذلك.

تبين الصورة حوض لتجميع الماء في الوضوء، عمقه 12 سم وقطره 35 سم، مصنوع من النحاس الأصفر والفضة، نجد فيه زخارف نباتية وكتابة أثرية.



صورة/حوض الغسل وتجميع الماء (جزء لميضأة) من النحاس الأصفر والفضة، من مدينة الجزائر.

مضمون الكتابة:

عز الدنيا بالمال – وعز الآخرة بالأعمال

هي عبارة عن حكمة وعبرة، نفذت بخط الثلث، بأسلوب الطرق والتكفيت والحز وجاءت داخل أربعة جامات، وردت هذه الصيغ من الأدعية على تحف أخرى، أضفت على الحوض جمالا.

وهو مثل جزائري يضرب أيضا في عديد المناسبات.

-المزهريات:

يبين انتشار المزهريات الرفاهية الموجودة في البيوت الجزائرية وفي القصور، وانتشر هذا لأكثر من 03 قرون، وهذا يبين الترف الاقتصادي والاجتماعي، والرقي الثقافي للجزائريين في بيوتهم.

تبين الصورة مزهرية ذات حجم متوسط عمقها 48 سم وقطرها 11 سم، مصنوعة من النحاس الأحمر المطلي بالقصدير.

ما يهمني هو الكتابة الموجودة وهي أسماء للخلفاء الراشدين.



صورة/مزهرية من النحاس الأحمر، من مدينة الجزائر.

– مضمون الكتابة:

علي – عمر – عثمان – أبو بكر

كتابة نفذت بخط الثلث، بأسلوبالحز، تمثل أسماء الخلفاء الراشدين وسط زخارف نباتية، ما يدل على أن المزهرية تلعب دورا تزيينيا، وتدل على الترف الاجتماعي والروح الإسلامية والمذهب السني.

نجد أيضا في المتاحف وسائل الإنارة من مشكاوات وشمعدانات وفوانيس وبها العديد من الكتابات خاصة المصنوعة من الزجاج والخزف ، كما نجد أيضا أدوات الكيل والتي كانت تجلب من مكة والمدينة ويصنع على منوالها في الجزائر وتستعمل خاصة في الزكاة وفي البيع والشراء .مثل المد و الصاع .

تحف النسيج والزرابي:

انتشرت في الجزائر العديد من المصانع ومراكز الحرف الخاصة بصناعاتالنسيح، بل إن العائلات الجزائرية اشتهرت في كل ربوع الجزائر بصناعة الزرابي وأنواع المطرزات والصناعات النسيجية من ستائر وأغطية، وسراويل وبرانيس وشاشيات وقشابيات وغيرها،"

وقد أكد المعمرون انبهارهم لما وجدوه من زرابي وألبسة، حيث يذكر ج. اسكر أنه في م1830 عثر جنودنا داخل الشقق المهجورة من أصحابها زرابي وقطعا حريرية وألبسة مطرزة غاية في الروعة أما روزي فكان هو الآخر شاهد على السنوات الأولى للاحتلال الفرنسي للجزائر، حيث تكلم بإعجاب عما رأى داخل المنازل والمساجد العاصمية من الزرابي التي كانت تغطي الأرضيات، وأشار كذلك إلى بعض الورشات لنسج الزرابي"[1]، ولكن متاحفنا اليوم وعلى الرغم من الدمار الذي لحق الجزائر طيلة 132 سنة من الاستدمار، إلا أنها لازالت تحوي العديد من التحف التي تبين مدة التطور الحضاري للجزائريين قبل الاحتلال.

السجاد :انتشرت صناعة السجاد في كل المدن الجزائرية، وظهرت عدة مراكز للحرفيين، واشتهرت هذه الصناعة عند النساء الجزائريات، ونظرا لكون الجزائري مسلم فإنه يستعمل السجاد للصلاة في البيت والمساجد والزوايا وقد حظيت السجاجيد بعناية خاصة لدة الجزائري فهو يحتفظ بها في مكان خاص في بيته وينقلها معه في حله وترحاله، وتفنن الصناع في زخرفتها بمختلف الزخارف الهندسيوو النباتية والكتابية، وما يهمني هوالزخارف الكتابية .



صورة/سجاد من الصوف، من مدينة الجزائر

[1] سمير بوطيش ، الخطوط و الكتابات الأثرية على الفنون التطبيقية بالجزائر في العهد العثماني ، دكتوراه ، 2019 ، جامعة الجزائر2، ص 122 م.س.

مضمون الكتابة:

سيد محمد – بن عبد الوحد – في رجب – في سنة 1317

نفذت الكتابة بالخط الكوفي المغربي، بأسلوب النسج بخيوط متعددة الألوان على خلفية حمراء، جاءت كل الكلمات، حواف حروفها بلون ووسطها بلون مغاير.المضمون هو عبارة عن اسم ولقب صاحب السجاد، أو الصانع، إن لم يكن صنعها لنفسه، بشكل عمودي مع الزربية.

الجزء الثاني من الكتابة، يمثل تاريخ الصنع بالتقويم الهجري بالشهر والسنة: رجب 1317، بالأرقام الهندية، كما يظهر على الكتابة نوع من عدم التناسق، وبعض الأخطاء البسيطة، على غرار كلمة الوحد، إضافة إلى عدم وضع نقاط الحروف مثل الباء والجيم والنون والفاء والياء.

الزربية:

انتشرت الزربيات في الجزائر قبل الفترة العثمانية نظرا لوجود الصوف والصناعة النسيجية، ومع مجيء العثمانيين ووجود الاستقرار ازدهرت الزرابي في المدن والقرى عبر كامل التراب الوطني.وتعتبر الزربية الجزائرية من الضروريات لتكامل البيت الجزائري، وقد امتهنتها المرأة الجزائرية لقرون،

الزربية التي بين أيدينا (الصورة اسفله)عبارة عن زربية ذات حجم كبير طولها 350سم وعرضها 220سم، مصنوعة من الصوف مستعمل في الغالب للزينة نظرا لوجود عبارات دينية عليها، الزربية مزخرفة بزخارف عمائرية عبارة عن مسجد بمئذنتين وقبة وتتوسطها زخرفة كتابية.



صورة/سجاد من الصوف، من مدينة الجزائر بالمتحف الوطني للفنون والتقاليد الشعبية.

مضمون الكتابة:

"اللهم رب هذه الدعوت التاممة والصلة القئمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته آمين الذي وعدته آمين".

الكتابة عبارة عن دعاء الانتهاء من الآذان، نفذ بخط كوفي مغربي بسيط (ربما هو الخط الأنسب لمثل هذا النوع من الصناعة)، بأسلوب النسج بخيوط ذات ألوان مختلفة عن الأرضية، يظهر على الكتابة نوع من عدم التوزيع الجيد للكلمات على المساحة، فجاء البعض بحجم كبير والآخر بحجم صغير، كما نرى عدم جودة الخط، ربما بسبب صعوبة تنفيذ الكتابات على السجاد، إضافة إلى تكرار الذي وعدته آمين، ربما لملء الفراغ، نجد بعض الأخطاء في بعض الكلمات: الدعوت، التاممة، الصلة، القائمة.

التحف الجلدية:

تنوعت مجالات الصناعات الجلدية لدى الجزائريين حيث نجدها في الحقائب والأحذية ووالسروج والأحزمة والأغمدة والآلات الموسيقية وتجليد الكتب وحافظات الأوراق والنقود والصدريات والجبيرة وحاملات الخراطيش وأغمدة السيوف والمسدسات وكل هذه المنتجات كانت في أغلبها محلية مما يبين الاستقرار الاقتصادي والاجتماعي، وكانت هذه الصناعات وظيفية بالدرجة الأولى ولكننا نجد فيها العديد من الزخارف والتي توضح الذوق الرفيع عند صانعيها ومستخدميها .

نجد الكتابات منتشرة كذلك في التحف الجلدية، وقد انتشرت بكثرة في الفترة العثمانية خاصة الحقائب والألبسة الجلدية وحاملات الأوراق، وكذلك المصاحف وهي كثيرة، ولكن نكتفي بالتمثيل فقط بـــ:

حقيبة جلدية (1):في الصورة حقيبة طولها 38 سم وعرضها 31 سم، مصنوعة من الجلد والقطيفة والخيوط الحريرية ولها مقبض في الأعلى، بها زخارف نباتية وهندسية بأسلوب الضغط والطراز ونجد بها كتابة زخرفية.



صورة/حقيبة صغيرة من الجلد والقطيفة والخيوط الحريرية، من مدينة المسيلة المتحف الوطني للأثار القديمة (Il. CR. 21).

-مضمون الكتابة:

من الخارج:

المسيلة

من الداخل:

الشريف بن البلب

كتابة نفذت بالخط المغربي، بأسلوب الطرز بخيوط حريرية صفراء على خلفية برتقالية داخل إطار تتخلل الكتابة الأولى بعض العناصرالزخرفية النباتية والرمزية، تبرز الكتابة الأولى مدينة الصنع، المسيلة، وهي أحد أهم مراكز الصناعة الجلدية ابتداء من أواخر الفترة العثمانية، أما الكتابة الثانية، فتبرز اسم الصانع ولقبه، وهو الشريف بن البلب.

الحقيبة الجلدية (02):

حقيبة جلدية طول ضلعها 03 سم، صنعت من الجلد والقطيفة والخيوط الفضية والمرجان، وتحمل بواسطة خيط مثبت بحلقتين معدنيتين، نجد عدّة زخارف نباتية وكتابية.



صورة/حقيبة صغيرة من الجلد، من مدينة الجزائر موجودة بالمتحف العمومي الوطني للأثار القديمة (II.CR.121).

مضمون الكتابة:

- من الخلف:

بسم الله ما شاء

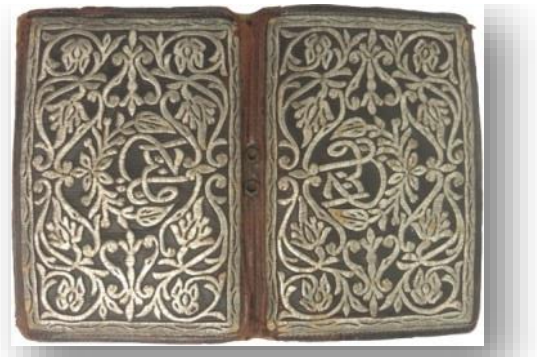
- على مستوى الضلع العلوي:

ما شاء الله

كتابات نفذت بالخط المغربي، بأسلوب التطريز بخيوط فضية، العبارة الأولى جاءت على خلفية حمراء تتخللها بعض العناصر الزخرفية النباتية، أما الثانية فجاءت بخيوط ذهبية على أرضية من نفس اللون داخل جامة.

نلاحظ أن العبارات دينية، فالعبارة الأولى هي "البسملة" وغالبا ما تكون لحفظ الأوراق، والثانية عبارة "ماشاء الله " مكررة، والعبارتان تستعملان في الحياة اليومية للمسلم، ونجد مثل هذه الحقائب بكثرة في المتاحف، ولكن نكتفي بالتمثيل هنا في هذا البحث فقط، كما يستحسن ضبط هذه الأعمال في مذكرات الماستر وبالصور والتحليل أكثر وتحفظ بطريقة رقمية حتى لا تندثر.

حاملة نقود جلدية رقم (01):



صورة/حاملة أوراق أو النقود من الجلد والخيوط الفضية، من مدينة المدية المتحف الوطني زبانة.cui25

القطعة في الصورة في حالة حفظ جيدة مستطيلة الشكل طولها 15 سم وعرضها 11 سم، مصنوعة من الجلد المكسو بالقطيفة، ونجد زخارف بالفضة تفتح إلى واجهتينن كل وجه عبارة عن جيب، القطعة مزخرفة بزخارف نباتية، كما نجد زخرفة كتابية.

-مضمون الكتابة:

مضمون الزخرفة الكتابية هي عبارة

يا فتاح

مكررة مرتين، نفذت بالخط المغربي، بأسلوب التطريز بالخيوط الفضية على أرضية بنّية داكنة وسط عناصر زخرفية نباتية.

ومن الناحية اللغوية الجملة عبارة عن نداء .

يا: حرف نداء

فتاح صيغة مبالغة لاسم الفاعل فاتح .من الفعل فتح .

حاملة نقود جلدية (02):

القطعة الفنية عبارة عن حاملة نقود طولها 16 سم وعرضها 11 سم، مصنوعة من الجلد مكونة من جيبين، وهي في حالة حفظ حسنة، نجد بها عدّة زخارف نباتية ونجد أيضا زخرفة كتابية.



صورة/حاملة أوراق من الجلد والخيوط الذهبية، من مدينة الجزائر، المتحف العمومي الوطني للفنون والتقاليد الشعبية بالجزائر.

مضمون الكتابة:

"نصر من الله وفتح قريب".

نفذت الكتابة بخط الثلث المغربي، ونجدها مطرزة بالخيوط الذهبية على أرضية برتقالية داكنة، تنتهي بعض الحروف بفروع نباتية للزخرفة ولملء الفراغ، احتلت الكتابة مركز

السطح داخل جامة، وهذه العبارة منتشرة كثيرا في التحف الفنية، وهي عبارة عن آية قرآنية "وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشّر المؤمنين"[1]

التحف الخشبية:

صناعة الخشب هي الأخرى معروفة في الجزائر، وزادت تطورا مع العجرات الأندلسية، ومع الاستراد لعديد التحف، فساهم الحرفي الجزائري في الحفاظ على الفنون المحلية وطورها بما لاحظه من فنون وافدة، وساهم الاستقرار في تطور الحرف كما كان لتنظيم الحرف والصناعات في الجزائر في الفترة العثمانية دورا كبيرا في التطور الصناعي، حيث كانت الحرف منظمة والحرفيون منخرطون في نقابات حسب التخصص، وكانت كل حرفة تخضع لرئيس يلقب بالأمين يرجع إليه وقد ذكرت عائشة غطاس في كتابها الحرف والحرفيون تفصيلا لذلك .وسأمثل بأمثلة بسيطة في هذا البحث .

التحفة رقم (01):

رفّ جداري ارتفاعه 20 سم وعرضه 100 سم، في الرفّ زخارف نباتية وزخرفة كتابية.



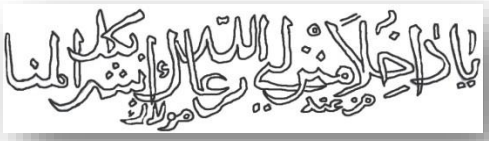
صورة/رف جداري من الخشب من مدينة الجزائر بالمتحف العمومي الوطني بالباردو (BM.X.37).

مضمون الكتابة:

"يا داخلا منزلي رعاك الله بكل شر المنى من عند مولاك"

[1] سورة الصف الآية 13.

عبارة عن حكمة ودعاء للضيف، منفذة بخط الثلث، بأسلوب الدهن والصبغ، حيث تم تحديد حواف الحروف أولا، ثم ملئت المساحات الداخلية لها باللون الأصفر،داخل جامة، جاءت الكتابة الأولى بحجم عادي، أما عبارة"*من عند مولاك*" فقد جاءت بحجم صغير في السطر الثاني بالأسفل.



-التحفة الخشبية رقم (02): عبارة عن رفّ خشبي ارتفاعه 21 سم وعرضه 86 سم مصنوع من الخشب، نجد به زخارف هندسية وأسماك كما نجد كتابة.



صورة/رف جداري من الخشب محفوظ بمتحف الباردو

مضمون الكتابة:

"العز والهنا وبلوغ المنا"

الكتابة عبارة عن دعاء وحكم، نفذت بخط الثلث، بأسلوب الدهن بنفس الطريقة في التحفة السابقة، الجملتان مخطوطتان بحرف الواو، وهي دعاء للضيف أو من البيت بالعز والهنا وبلوغ المنا.

3- اللغة العربية في السكة الجزائرية في الفترة العثمانية:

لقد عرفت الجزائر في الفترة العثمانية عصرا من التطور والحفاظ على الكينونة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، وإذا كان الغرب في القرنين الرابع عشر والخامس عشر ركز هجوماته على الشمال الإفريقي، فإن الخلافة العثمانية بامتداداتها الجغرافية كانت سدا منيعا لاحتلال المغرب العربي الإسلامي، فكان للوجود العثماني بالجزائر أثره البالغ في التصدي للعدوان الأوروبي.

"إن قوة أي دولة تكمن أساسا في صحة مؤسساتها الاقتصادية التي تعطي لها نوعا من الاستقرار والأمن، وهذا حال الجزائر التي عمل أصحابها خلال ثلاثة قرون على ازدهار الدولة ورخائها عن طريق إنشاء مؤسسات مالية تمولها مصادر متنوعة: كالتجارة بمختلف فروعها والصناعة والزراعة التي كانت القوة المحركة لهذه المؤسسات والإتاوات التي تدفعها الدول الأجنبية، وكذا الغنائم البحرية زيادة على المساعدات التي كانت تقدمها الدولة العثمانية"[1].

- السكة وضرب النقود في الجزائر في الفترة العثمانية:

إذا كانت السكة إحدى شارات الخلافة الهامة، فإن خير الدين كان حريصا دائما على ضمان على الحق للسلطان العثماني، وهو ما يؤكده صاحب كتاب "غزوات عروج وخير الدين" حين يقول على لسان خير الدين مخاطبا أهل مدينة الجزائر " وقد ظهر لي من الرأي أن نعتمد في حماية هذه المدينة على الله سبحانه وتعالى ونصل يدنا بطاعة السلطان الأعظم

[1] يمينة درياس، السكة في العهد العثماني، الجزائر، دار الحضارة، ط1، 2007، ص 15.

مولانا السلطان سليم[1]، نصره الله فيمدنا بالمال والرجال وجميع ما نحتاج إليه من آلات الجهاد ولا يكون ذلك إلا بعرف الخطبة إليه وضرب السكة باسمه"[2].

وهذا النص يبين بداية ضرب السكة الجزائرية في الفترة العثمانية، فالنصوص التاريخية لم تشر بالتحديد إلى ضرب النقود، غير أن السكة المحفوظة في المتاحف تؤكد أن سك النقود وقع في سنة 1519م/ 926هـ على غرار القطع المحفوظة حاليا بالمتحف الوطني للأثار بالجزائر، كما تبين النصوص التاريخية أيضا بعض مراكز الضرب مثل الجزائر وتلمسان[3].

لقد بينت الدكتورة يمينة درياس في بحثها "السكة الجزائرية في العهد العثماني" مراحل ظهور السكة، موظفوا دار السكة والمواد الخام وتصفيتها وقوالب الضرب، وتحدثت عن السكة الجزائرية في عصر البايلربايات ثم الباشوات والأغوات ثم عهد الدايات، وخلصت إلى مميزات السكة الجزائرية، وهو بحث مميز للغاية.

– مميزات الكتابة في النقود الجزائرية في الفترة العثمانية:

الشكل:تنوعت المسكوكات الجزائرية في العصر العثماني فجمعت بين الشكل الدائري الذي تميزت به طراز المسكوكات الإسلامية حتى نهاية العصر المرابطي، والشكل المربع الذي تميزت به الدراهم الموحدية ثم الجمع بين الشكلين,

أهم ميزة لاحظتها هي استعمال الخط العربي في جل النقود المعتمدة بالجزائر، وهذا يبين بوضوح أهمية اللغة العربية في الفترة العثمانية بالجزائر، "فإذا كانت الزخارف النباتية والهندسية وضعت لملأ الفراغات وإضفاء طابع جمالي على القطعة، فإن الزخارف الكتابية

[1] سليم الأول: تولى الحكم من سنة 1512م/918هـ إلى 1521م/ 928هـ كان إداريا قديرا ومقاتلا جريئا وشديد البطش والدهاء، اتسعت الخلافة في عهده مشرقا ومغربا.

[2] يمينة درياس، السكة الجزائرية، ص 106.

[3] المرجع نفسه، ص 107.

كانت بمثابة بطاقة تعريف للقطعة نظرا لما تحتوي عليه من نصوص مختلفة تتطرق للجوانب السياسية والاقتصادية والإعلامية والفنية"[1].

- مضمون الكتابات في النقود الجزائرية:[2].

عدّدت الأستاذة يمينة درياس أهم مضامين النقود الجزائرية في الفترة العثمانية من ذلك:

1-الألقاب:

حيث يلاحظ على النقود الجزائرية في الفترة العثمانية تعدد الألقاب وكثرتها، إذ تصل في بعض الأحيان إلى خمسة ألقاب في قطعة واحدة وأهم هذه الألقاب هي: مالك البرين والبحرين والشام والعراقين وصاحب النصر والعدل وسامان السلطان وضارب النضر صاحب العز والنصر في البر والبحر والمتوكل على الله وأمير المؤمنين وسلطان خان والسلطان ابن السلطان وسلطان البحرين خاقاي البحرين وأمير المسلمين.

2-الأدعية:

كثرت الادعية في النقود وهي عبارات قصيرة وبسيطة منصوص مثل: خلّد الله الملك وعزّ نصره، وأيده.

3-مكان الضرب:

يعتبر ذكر مكان الضرب وتاريخه في النقود الجزائرية التي تعود إلى العهد العثماني واضحة للعيان، إذ نجد ذكر المكان في النقود مثل تلمسان، الجزائر.

4-أنواع الخطوط المستعملة:

[1] يمينة درياس، مرجع سابق، ص 313.

[2] يمينة درياس، مرجع سابق، ص 313.

ذكرت يمينة درياس أنواع الخطوط المستعملة في الكتابة على النقود الجزائرية في الفترة العثمانية، وقد لاحظت أن الخط المغربي منتشر بكثرة وهو دليل على محلية النقود، حيث يعتبر تطورا للفترة السابقة الزيانية والموحدية، كما نجد خط الثلث وقد ظهر على النقود المضروبة بمدينة الجزائر.

– نقود ترصع بها الشاشية للمرأة الجزائرية:

الباحث في لباس المرأة الجزائرية في الفترة العثمانية، يجد اختلافا وتباينا من فترة إلى أخرى حيث نجدها دائما ساترة لرأسها، فنجد القبعة (العراقية)بتشديد الراء، مصممة من الكتان ومطرزة بالحرير بألوان مختلفة، موضوع عليها ضفيرة مزينة بأهداب ذهبية تسمى "عصابة " او "قفالي" أو تضع مايسمى ب " شمبير" وهو ضفيرة من القماش الحريري وتسدل على الكتفين وقد يصل إلى الحزام، وهناك " عصيصبة " و"الزريرف " وهناك " الصرمة " المكونة من عدة صفائح ذهبية وهي للمتزوجات، بينما تضع العازبات على رؤوسهن شاشية مثلما توضحه الصورة في الأسفل وتثبت عليها المحرمة أو الوشاح ومثبتة تحت الذقن بواسطة خيط رفيع تسمى" القنيبة "وغالبا ما تزينها **قطع نقدية ذهبية** بشكل مستدير يمثل المستوى الاجتماعي لعائلة الفتاة وغناها [1]. وأوردت هذا في هذا المبحث كما تبينه الصورة القطع النقدية المكتوب عليها بالعربية وهذا دليل واضح على انتشار هذه النقود بكثرة .

[1] من إيكوسيم إلى الجزائر ، المتحف الوطني للآثار القديمة ، منشورات وزارة الثقافة 2007، ص :82 ،



شاشية مرصعة بالأحجار الكريمة والنقود الذهبية المكتوب عليها بالعربية والطغراء ــ المتحف الوطني للآثار القديمة ــ

نقلا عن :من إيكوسيم إلى الجزائر، منشورات وزارة الثقافة 2007، ص :82

– أمثلة للكتابات على النقود الجزائرية في الفترة العثمانية:

نقدم أمثلة عما هو منتشر في المتاحف عن النقود الجزائرية في الفترة العثمانية.

المثال رقم 1:



سلطاني ذهب الوزن 3غ1239هـ /1823م من مدينة الجزائر

الوجه :

سلطان البرين –وخاقان البحرين – السلطان ابن – السلطان .

الظهر :

السلطان – محمود خان – عز نصره ضرب 1239 – في جزائر.

المثال رقم 2 :



سلطاني ذهب الوزن 3غ من مدينة الجزائر

الوجه:

ضارب النصر –وصاحب العز والنصر – في البر والبحر.

الظهر:

سلطان محمد – بن احمد خان –نصره وعزه ــ ضرب في؟102.

المثال رقم 3 :



ريال من فضة ق 2.8 سم ووزنه 8غ من مدينة الجزائر

الوجه:

سلطان الرينــ وخاقان البحرين ــ السلطان محمودــ خان عز نصره

الظهر :

ضرب في ــ جزايرء ت1244

المثال رقم 4 :





ريال من فضة من مدينة الجزائر

الوجه:

سلطان – مصطفى خان –عز نصره .

الظهر :

ضرب في – جزاير –1178





نقود من قصر الباي بقسنطينة

الوجه :

سلطان ــ محمود

الظهر :

صرب في ــ قسنطينة ــ 1247

يوجد في قصر الباي بقسنطينة و الذي سبق الحديث عنه في العمارة المدنية نقود تعود إلى الفترة العثمانية، ونلاحظ الكتابة بالعربية، وضرب في قسنطينة، وهذا يدل دلالة واضحة على انتشار دار السكة ليس في المحروسة فحسب بل حتى بايلك الشرق وبايلك الغرب و بايلك التيطري.

4-الكتابات الأثرية في الأختام:

الختم هو قطعة فنية ينحتها النحات، يعبّر عن اسم ولقب صاحبه، ويشكل تكوينا رمزيا للمهنة أو المكانة مثل أختام الملوك والسلاطين والخلفاء، ففي الفترة العثمانية نجد العديد من الأختام للدايات والبايات، وهي موجودة مع الوثائق والمعاهدات والأوقاف، وقد كان هذا موجودا منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلّم، فقد كان له خاتم يختم به المراسلات.

كما أننا نجد بعض الأختام الخاصة بأصحاب الصنعة.

والختم الذي بين أيدينا موجود بقصر الباي بقسنطينة، وهو على شكل دائري به زخارف نباتية وفي سطحه كتابة زخرفية.

مضمون الكتابة: تعبر الكتابة عن ختم الحاج أحمد باي، وهو باي قسنطينة، وهو آخر باياتها، وقد حارب الاستعمار الفرنسي بعد دخوله الجزائر، ودافع عن قسنطينة وما حولها، كما نجد تاريخا كتب في هذا الختم .



ختم موجود بقصر الباي بقسنطينة

الأختام الموجودة في المعاهدات والمراسلات وعقود الوقف :

يحفظ لنا الأرشيف العديد من الوثائق الرسمية الجزائرية في الفترة العثمانية، يكفي القول أن هذه المعاهدات كانت توقع باسم حاكم الجزائر وليس باسم الخلافة، وهذا يدل دلالة واضحة على استقلالية القرار السياسي للدولة الجزائرية ككيان مستقل قبل الاستعمار الفرنس [1] ، وقد أورد الاستاذ علي تابليت في كتابه معاهدات الجزائر مع بلدان أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية، صورا أصلية للعديد من المعاهدات التي أبرمت طيلة قرون من الزمن بين حكام مملكة الجزائر أو الدولة الجزائرية مع الدول الأوروبية، " وكانت هذه المعاهدات تتضمن السلم و التجارة، علاقات الصداقة والتجارة المتبادلة، شراء وبيع، نقل السلع، الضرائب الجمركية، السلع المهربة والممنوعة ، البارود والعتاد البحري، حرية الملاحة، جوازات السفر التجارية، خرق المعاهدات وما ينجم عنها، غرق السفن وتقديم يد العون، الحياد،

[1] –نجد في أدبيات الثورة الجزائرية الحديث عن استرجاع السيادة الوطنية و ليس الاستقلال .ينظر علي تابليت ، معاهدات الجزائر مع بلدان أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية ، الجزائر ، 2013 طبعة وزارة المجاهدين .

غنائم للبيع، تزويد السفن بما تحتاجه بسعر السوق، تحرير الأسرى المسيحيين، أملاك الموتى، حرية التجارة، الديون، امتيازات القناصل، حرية ممارسة العبادة، "[1]، والباحث في الأرشيف يتبين له وجود العديد من الأختام المستعملة في المعاهدات والاتفاقيات وحتى في العقود ذات الأهمية البالغة خاصة الأوقاف مثلما نجد في سجل صالح باي للأوقاف [2] حيث نجد " طابع من له الحكم الشرعي " وهو القاضي الحنفي في الوقت بعد الحمدلة مباشرة، ويشهد على صحة العقد شاهدي العدل من المحكمة الشرعية بتوقيعيهما بالاسم الواضح أو بالطرة (الطغراء)وهو التوقيع المميز لكل واحد منهما"[3]. ويؤكد علي تابليت أن الدولة الجزائرية وحكومتها تتوافق مع مع مفهوم الدولة الحالي وأنها كانت دولة مستقلة ولم تكن تربكها بتركيا سوى صلة معنوية أي خليفة المسلمين عل أحد دلائل هذا الاستقلال يكمن في أن علاقات داي الجزائر الدبلوماسية كانت تقوم باسم الدولة الجزائرية فقط وليس باسم الخلافة العثمانية" ويذطر أيضا"أن الدولة الجزائرية لم تكن فقط معترفا بها كدولة من طرف القوى العظمى .بل كانت أيضا تمارس فوق الدول الأخرى حقا يعلو على كل حقوق الآخرين في مراقبة الملاحة في البحر الأبيض المتوسط، ثم إن حق إبرام المعاهدات والتحالفات وإعلان الحرب والجنوح إلى السلم وهو حق يمثل خاصية من خاصيات السيادةــ كانت تمارسه الجزائر حيث أبرمت معاهدات مع العديد من البلدان منها فرنسا وهولندا وبريطانيا واسبانيا والبرتغال والدنمارك والسويد والنويج و الولايات المتحدة الامريكية [4] ويمكن أن نورد صورا لبعض المعاهدات مع دول أوروبا وأمريكا ليتبين لنا الامضاءات على شكل الطغراء وكذلك نماذج الأختام الجزائرية

[1]–علي تابليت ،معاهدات الجزائر مع بلدان أوروبا و الولايات المتحدة الأمريكية ،وزارة المجاهدين ، دار تالة ، 2013

[2]– فاطمة الزهراء قشي، سجل صالح باي للأوقاف1185–1207/1771–1792، الجزائر ، دار بهاء الدين 2009

[3] –المرجع نفسه ص : 15

[4]علي تابليت ، معاهدات الجزائر ، ج1 ، ص 16

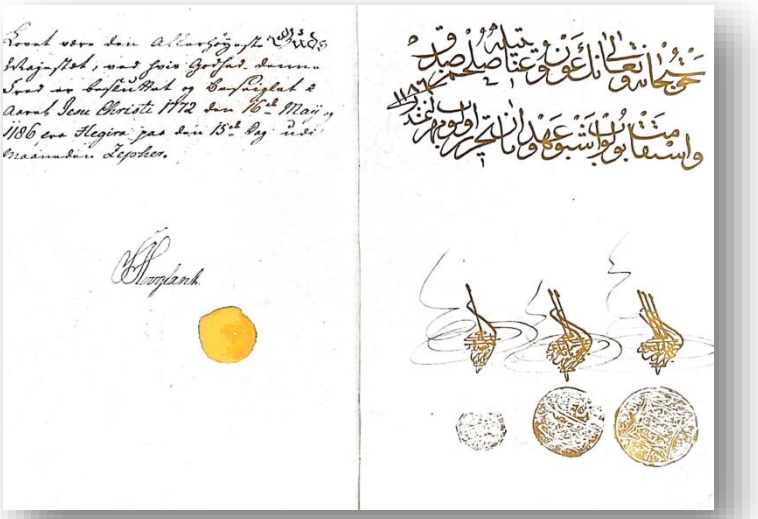
المستعملة .



معاهدة سلم وصداقة بين حسن باشا ،داي الجزائر وجورج واشنطن رئيس الولايات المتحدة الامركية 5 ديسمبر 1795م نقلا عن علي تابليت ،معاهدات الجزائر مع بلدان اوربا والولايات المتحدة الامركية 1619-1830، ج2 ،تالة للنشر، الجزائر 2013م، ص 129

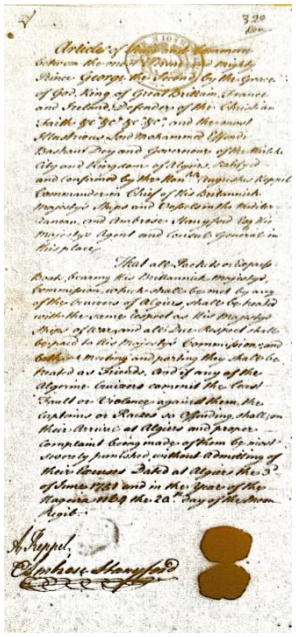


معاهدة السلم و التجارة بين عبدي باشا ،اغا الجزائر و فريدريك الاول ملك السويد 16افريل 1729 عن علي تابليت، المرجع السابق ، ص 29

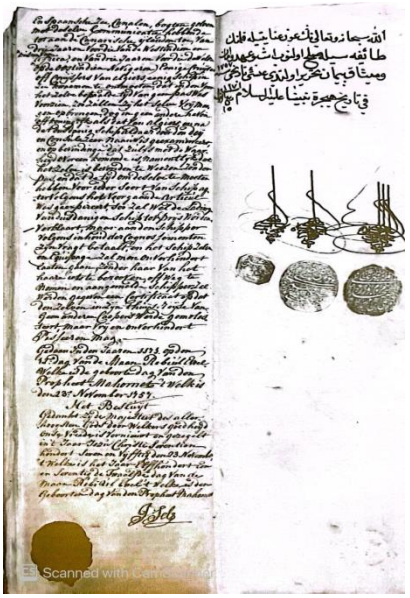


معاهدة السلم والتجارة مجددة مبرمة بين الجزائر والدنمارك في 16ماي 1772م نقلا عن علي تابليت،نفس المرجع السابق ،ص 103





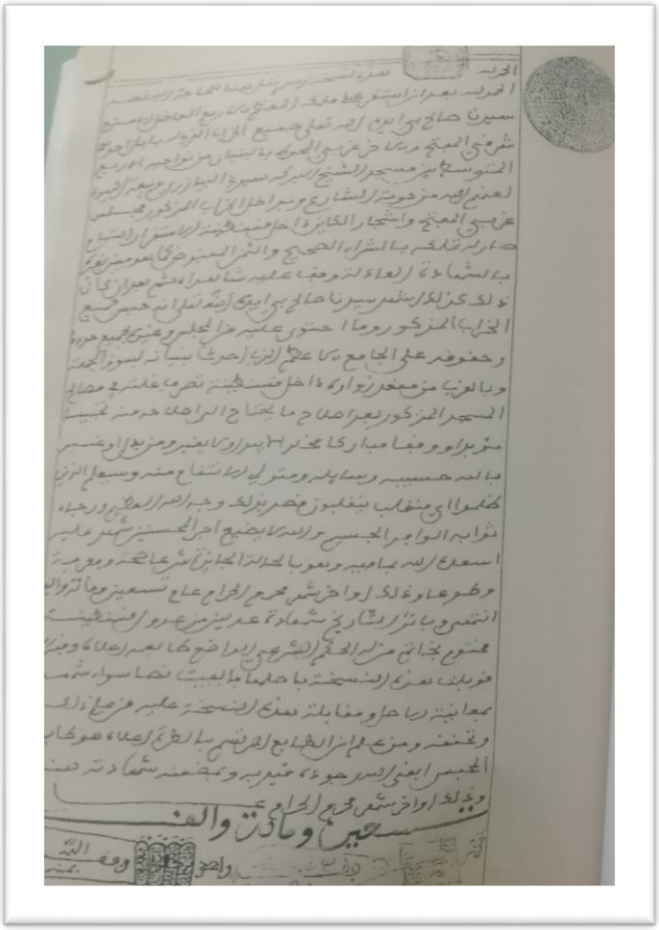
معاهدة سلم وتجارة بين الجزائر وبريطانيا 10 اوت 1795م، علي تابليت ،نفس المرجع السابق، ص 210





معاهدات الجزائر مع هولندا نقلا عن علي تابليت،نف سالمرجع السابق ،ص ص 274-277

كما أن عقود الوقف الموجودة مخطوطة في مراكز الأرشيف بها العديد من الأختام وتبين استعمال العربية في كتابتها كما أسلفت مع سجل أحمد باي بقسنطينة .والصورة في الأسفل تبين نموذجا لذلك، وفيه يظهر الختم والطغراء . وكل العقود في السجل على هذا النحو[1].



عقد وقف صالح باي نقلا عن فاطمة الزهراء قشي

[1]فاطمة الزهراء قشي ، ص 4 من المخطوط .

الطغراء:

أشرت سابقا إلى وجود توقيع خاص بالحكام والوجهاء بجانب الختم الرسمي في المعاهدات والاتفاقيات و العقود والرسائل ، و نظرا لانتشارها في الجزائر في الفترة العثمانية يستحسن توضيحها في هذه الرسالة لاسيما وأنها ذات صلة وثيقة بالخط العربي وجمالياته .

فالطغراء نوع من أنواع الخط المرسوم بطريقه الحروف بطريقه الحروف الملتفة بعضها ببعض، تدخل فيها الأسماءوالألقاب،ولفظة الطغراء ليست عربيه ،أصلها الترهة او الطرةأي الوجه غير المكتوب من العملات المسكوكة، والطغرائي هو الذي كتب الطرة وهو صاحب اللامية المشهورة باسمه، وكان شاعرا وخطاطا[1]، ويقال أن الطغراء كلمة تركية يقابلها بالفارسية لفظة نيشان وفي العربية توقيع[2]، وهي ذلك الشكل التجريدي الذي اعتبر قمة جمالية الخط العربي الذي كان يستعمله السلاطين العثمانيون في توقيعاتهم، وقد ورد في الموسوعةالإسلامية كلمه (طوغ) او (طغ) ومعناها بالتركية شعر الخيل،أما عند التتار فتعني الشعرة من شعر ذيل الحصان وتطلق،أيضا على خصلة الشعر التي كانت تشبك في دبوس مرصع وترشق في عمامة الخاقان وتدل على المكانةالرفيعة، وهناك من يقول أن الطغراء تحريف لكلمة(طغرل) بمعنى صقر أو طائر أسطوري، والطغراء هي جناحه[3] وقيل في أصل الكلمةأيضاأن الطغراء كلمةتاتارية يقصد بها السلطان أو الحاكمأو لقبه "قد تكون الطغراء كتوقيع سلطاني مكتوبة على الوثائق نظرا للطوغ كشعار سلطاني مرفوع على العمائم"[4]أما نشأة الطغراء فلها قصة طريفة تفسر نشأتها وهي عندما زاد التوتر بين السلطان

---

[1]– عادل الألوسي ،الخط العربي نشأته و تطوره ، ص 59

[2]– عبد العزيز مرزوق، الفنون الزخرفية الاسلامية في العصر العثماني ،مصر، الهيئة المصرية للكتاب 1974،ص 180

[3]– يمينة درياس ،السكة الجزائرية في العهد العثماني ، ص 323

[4] – المرجع نفسه

المغولي تيمورلينك والسلطان العثماني الحاكم بايزيد ابن مراد الأول أرسل الأول كتابا للسلطان العثماني يهدده فيه ويتوعده، وكان توقيع تيمورلنك فيها. اتخذ العثمانيون بصمة تيمورلينك وصوروها واتخذت لكتابة الطغراءات، التي تطورت مع مرور الزمن حتى رست على شكلها الأخير[1].

انتشرت الطغراء في الفترة العثمانية وصارت نموذجا فنيا وسياسيا فهي أهم وأبرز علامة سياسيةإسلامية من حيث مرسومها الخطيأولا، ومن حيث دلالتها الحاملة لزمن السلطة والتشريع، كما أنها مظهر من مظاهر الحكم الإسلامي في فترة ما، استخدمت لأول مرة كتوقيع في المعاهدات والمراسلات الخارجية وكان الخطاطون يبتكرونها للسلاطين كي تعكس جوانب الفخامة، وكي لا تقلد بسهولة، فأبدع الفنانون أشكالاكثيرة منها ، وتبدو لأول وهلة وكأنها نفس الطغراء مكررة، حيث لا يتغير المظهر الخارجي إلا قليلا ،بينما تتغير النصوص والأسماء من طغراء لأخرى[2] و كان السلاطين على امتداد الفترةالعثمانية يعهدان لعمل طغراءاتهم إلى واحد من أبرع الفنانين وأمهرهم و يسمى الطغرائي، وأصبح لكل سلطان طغراء خاصة به، بل كان لعدد من السلاطين أكثر من طغراء واحدة، ومع مرور الوقت اكتسبت هذه العلامة تنوعا وثراء كبيرين في الشكل والتكوين [3]

وصور الطغراء متنوعة منها ما يحمل اسما فقط ومنها ما يحمل مقطعا كأن تكون

أية قرآنية قصيرة أوالبسملة أو رسوم طير أو حيوانا خرافيا وقد جرت على كتابة الطغراء تطورات كثيرة وتحليات [4] وأقدم ثغره في الدولةالعثمانية تعود إلى عهد اورخان غازي 1324- 1360هـ الموافق لي 1906 -1941م وظلت تكتب للسلاطين من بعده إلى غاية

---

[1] م.ن

[2]- سمير بوطيش ، الخطوط ،الكتابات الاثرية ،ص 215

[3]- نفسه

[4] عادل الاوسي ،الخط العربي نشأته و تطوره ،ص 59

1341 هـ/ 1922م حيث كان لكل سلطان طغراء خاصة به يوقع بها على الفرمانات والرسائل والبراءات والأوامر السلطانية كما كانت ترسم على بوابات القصور ودور الحكومة واستعملت في النقود والسجلات والأحكام والسفن الحربية والمدافع وغيرها[1].

وتكتب الطغراء بأنواعمختلفة من الخطوط منها الثلث والنستعليق والديواني وانتشرت في الفترات الأخيرة في العصر العثماني[2].

وللطغراءأهمية فنية وتاريخية وثقافية فهي تساعدنا في التعرف على الفترة التاريخية للوثائق والمعاهدات والمراسلات خاصة إذا كانت تلك الوثائق تحمل طغراء السلطان أو الصدر الأعظم أو الوزير، بالتالي يصبح من السهل وضعها في فترتها الزمنيةالصحيحة وعليه مثل هذه الوثائق وتحليلها وقراءتها ضرورية للمؤرخ والأثري المختص في الفترةالعثمانية.[3]

شكل الطغراء وأقسامها : تطورت الطغراء واتخذت أشكالاجديدة مع مرور الزمن فظهرت بعبارات مختلفة ونماذج متنوعة وهي تتكون من أربعةأجزاء رئيسية[4].

السراة : وهي كرسي الطغراء أو الجزء السفلي منها الذي ينطلق منه النص الأصلي وله شكل الاجاصة، وكانت في المراحل الأولىتأخذ شكل الاستطالة بينما أخذتتضيق من الأعلى في عهد السلطان سليم الثاني، لتقترب من الشكل المثلث ثم استدارت لتستقر على شكلها الحالي.

بيضه الطغراء: وتطلق على القوسين الناتجين عن كتابة حرف النون في كلمتي (خان) و(ابن) ويعرف القوس الخارجي بالبيضةالخارجية والقوس الداخلي بالبيضةالداخلية، وتقع بيضة الطغراء في الجهةاليسرى ولها استدارة رائعة تتناسب مع السراة في اتزانها.

---

[1]– يمينة درياس ، السكة الجزائرية ، ص 324

[2]– عادل اللوسي ،الخط العربي نشأته و تطوره ،ص59

[3]درياس ،ص328

[4]– درياس ،ص328 ، سمير بوطيش ، ص 215

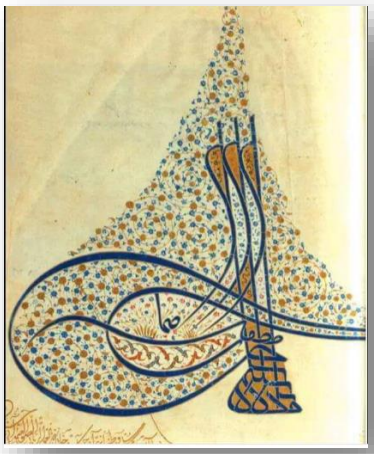
الطوغأو الطغ: يطلق على الخطوط الناتجة من مد حروف الألف واللام والطاء والظاء في أعلى الطغراء والتي منها اشتق الاسم، وفي بعض الأحيان نجد أن الطوغات لا تمثل أي حرف وإنما هي عبارة عن خطوط مكمله لشكل الطغراء

الدايمة: وهي دعاء للسلطان بأن يكون مظفرا ويتكون تركيبها من كلمه (مظفر) مضاف إليه اسم السلطان

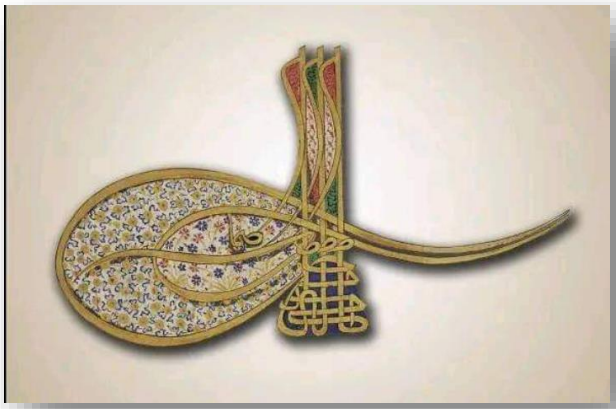
القول: ويطلق على ذرع الطغراء الأيمن الذي يمتد بشكل خطين متوازيين من انحناء خفيف المخلص:وعلى الجانب الأيمن منها أضيف لقب السلطان لملء ذلك الفراغ بالكلمات كالغازي والرشاد والعدل وكان في البداية يشغل الفراغ بزخرفة بيانية.

الزلفة: هي خط قوسي خفيف أشبه ما يكون بالعلم الخافق في الهواء يتدلى من الطوغ

ويمكن أن نمثل بأمثلة عن الطغراء لسلاطين الدولة العثمانية من موقع الدولة العثمانية من البداية إلى النهاية .



طغراء السلطان محمد الثالث



طغراء السلطان مراد الثالث



طغراء السلطان سليم الثالث



طغراء السلطان عثمان الثاني

عملة ذهبية تعود إلى فترة السلطان عثمان الثالث 1178هـ/1755م وضرت في الأستانة وفيها تظهر الطغراء نقلا عن موقع "الدولة العثمانية من البداية إلى النهاية ".





والمتتبع للمعاهدات الجزائرية والرسائل وبعض التحف المعدنية والخشبية يتبين له انتشار الطغراء فيها وقد مثلنا لها في المعاهدات والعقود سابقا ، كما وجدنا نماذج لها في التحف المنقولة والنقود وغيرها .

وهكذا يتبين أن الخط العربي انتقل من الجانب الوظيفي إلى الجانب الفني ، وصار الإمضاء والتوقيع له شأنه في الفترة العثمانية، وهذا يبين بوضوح الامكانيات الجزائرية الموروثة والتي امتزجت مع الثقافات الوافدة وشكلت نموذجا محليا يعبر عن الكينونة الثقافية الجزائرية منذ وقت بعيد وهذا رد على من قال يوما أن ميلاد الجزائر كان مع الاستقال أو مع الامير عبد القادر، فتلك التواريخ هي إعادة بعث فقط لجزائر تمتد جذورها في التاريخ.

الخـــــــاتمة

إن دراسة الكتابات الأثرية موضوع هام وصعب في نفس الوقت فهو يعبر عن الحياة الثقافية في الجزائر في الفترة العثمانية، لقد حافظت الجزائر على كيانها بعد زوال الاستعمار الروماني والبيزنطي والوندالي على يد الفاتحين، حملة رسالةالإسلام في منتصف القرن السابع الميلادي وأعادت لها حريتها، فقد عرفت المنطقة ظهور عدة إمارات إسلامية مستقلة ساهمت في الحضارة الإسلامية مساهمة فعالة.

وبعد سقوط الدولة الموحدية كانت هناك ثلاث دول في بلاد المغرب وكانت الأوضاع بها يشوبها التناحر السياسي، وفي نفس الوقت كان التهديد الصليبي الغربي لهذه البلاد على أشده فقد اختلت أحوال الدولة الزيانية بالمغرب الأوسط ودب إليها الضعف وآلت إلى السقوط، وهدد المد الصليبي الاسباني والبرتغالي سواحل المغرب العربي بالاحتلال نظرا لضعف الدول الثلاث :الزيانية والمرينية والحفصية ، التي بدلا من أن تتوحد مثل ما كان الحال عليه في زمن الدولة الموحدية استمرت في حروب بينها أنهكت قوتها وصارت خطرا على أمن المغرب العربي كله.

وهكذا، في هذه الظروف تم إلحاق الجزائر بالخلافة العثمانية بطلب من أعيان الجزائر وسكانها، وكان لظهور الأتراك بالجزائر دورا فعالا في إنقاذ هذا البلد من احتلال اسباني واقع لا محالة. ومرت الجزائر بمراحل حكم واضحة المعالم إلى غاية 1830م حيث حكمت الجزائر من 1519م وتمكنت من الحفاظ على كيانها وعلى جيرانها وعلى المهاجرين من الأندلس. وبفضل هذه الفترة بقيت للجزائر والمغرب العربي كينونته العربية الإسلامية، وتم التصدي للحروب الأوروبية الموجهه للجزائر خاصة، والتصدي للأطماع الاستعمارية.

لم تحظ هذه الحقبة 1519- 1830م بالعناية الكافية من دراسة الجزائريين، فمعظم الدراسات كانت بأقلام الأوروبيين خاصةالفرنسية، وهي لا تعطي لنا صورة صادقة وشاملة على حقيقة تاريخ الجزائر آنذاك، والباحث اليوم أمامه العديد من الآثار التي يجب عليه

استنطاقها والوصول إلى حقائق تاريخية بعيدة عن الأنانية واللاموضوعيه التي اتسمت بها الدراسات الاستعمارية. إن العودة إلى الآثار الموجودة في الجزائر يعد أكثر من ضرورة وإن المسؤولية الملقاة على عاتق الأثري اليوم هي مسؤولية علمية بالدرجة الأولى ومسؤولية حضارية بالدرجة الثانية، فكثير من الباحثين في حقول معرفية أخرى يعتمدون على ما يتوصل إليه بعض الأثريين في المدرسة الاستعمارية وينقلونها على أساس أنها مسلمات بدون مناقشة ونقد، وهذا يدفعنا إلى إعادة النظر في العديد من المفاهيم المكتوبة في التاريخ وعلم الاجتماع وغيرها، والاعتماد على ما توصلت إليه المدرسة الجزائرية من نتائج البحث في علم الآثار.

تبين الدراسة مدى تركيز المدرسة الفرنسية على محو كل الفضائل الموجودة في الجزائر في الفترة العثمانية، وما قبلها ، لكن بالعودة إلى الآثارالموجودة في الجزائر والتي ضاع منها الكثير في الفترة الاستعمارية بقصد وبغير قصد، يتبين لنا مدى قدرة الجزائريين على الإبداع.

- بينت الدراسة أثر ظهور الخلافة العثمانية على البلاد الإسلامية والعربية خاصة مع التحرشات الأوروبية على السواحل الإفريقية في الشمال الافريقي وبالخصوص الجزائر
- بينت الدراسة أوضاع الجزائر سياسيا وثقافيا قبل الوجود العثماني وما تعرضت له من تهديدات خارجية كادت تعصف بكيانها ويحل بها ماحل ببلاد الأندلس.
- توصلت الدراسة إلى أهميه التقسيمات الإدارية ومراحل حكم العثمانيين بالجزائر وانعكاساتها على الحياة الثقافية والاجتماعية و الاقتصاديةو السياسية.
- لقد توصلت الدراسةإلى تحديد مفاهيم واضحةخاصة ما يتعلق بالأوضاع الثقافية للجزائر في الفترة العثمانية وكيف أن الثقافة العربية كانت هي السائدة في الكتابات في هذه الفترة، على الرغم من أن اللغة العثمانية كانت تستعمل في بعض المراسلات والمعاهدات والاتفاقيات وفي السياسةالخارجية.

- تحدثت الرسالة عن واقع اللغةالعربية في الجزائر في الفترةالعثمانية.كما عرجت على المنتوج الثقافي وواقعه باللغة العربية .
- توصلت هذه الدراسةإلى أن الدارس لتاريخ العثمانيين يتبين له صلتهم بالإسلام وباللغة العربية، فعلى الرغم من اعتزازهم بقوميتهم وتاريخهم وهويتهم إلا أن اللغة العربية بالنسبة إليهم تمثل مكونا هوياتيا وفكريا ولهذا نجد أن اللغةالعربية في الفترة العثمانية لغة دين ومعتقد، ولهذا درج الحكام في الولايات التابعة للخلافة على الحفاظ عليها واستعمالها في الحياة الثقافية والاجتماعية.
- من خلال دراسة الكتابات الأثرية باللغةالعثمانية تبين تأثر هذه الأخيرة بشكل كبير باللغة العربية من حيث الأداء الصوتي (الإملائي) والمعجم والتراكيب، حيث نلاحظ اقتراض كبير من اللغةالعربية.
- اهتم الخلفاء العثمانيون باللغة العربية اهتماما كبيرا وامتد هذا الاهتمام إلى الولايات التابعة لها، فعلى الرغم من الطابع العسكري الذي اتسمت به هذه الخلافة كونها نشأت في ظل صراعات دينية توسعية من قبل الغرب الصليبي خاصة بالأندلس وبلاد الشام وكذلك التحرشات على شمال إفريقيا إلا أنها أبقت الأمر للساكنة فيما يخص الحياة الثقافية والاجتماعية واكتفت بالدفاع عن السواحل والدفاع عن الثغور والحفاظ على الكينونة العربية الإسلامية.
- بينت الدراسة انتشار الأوقاف في الجزائر في الفترة العثمانية ومساهمتها في المجالين الاجتماعي والثقافي خاصة في التعليم.
- توصلت الدراسة إلى كشف اللثام عن العديد من المدن الكبرى في الجزائر وتطورها اقتصاديا واجتماعيا و ثقافيا وحضاريا ،على غرار الجزائر وهران ،قسنطينة، معسكر تلمسان، سكيكدة...

- بينت الدراسة أنه على الرغم من أن الهجرة الأندلسية كانت مأساة حقيقية على الأندلسيين والجزائريين من الجانبين الاقتصادي والاجتماعي، إلاأن هذه الهجرة شكلت دعما ثقافيا لا سيما بعد فتح الجزائريين المجال لإخوانهم في الاندماج في الحياة الاقتصادية وغيرها.
- توصلت الدراسةإلى تحديد أهم الهيئات الثقافية التي ساهمت في تطور الحياةالثقافية وانتشار اللغةالعربية في الجزائر في الفترة العثمانية على غرار المساجد والزوايا والكتاتيب والمدارس والمكتبات والهيئات العلمية والدينية.
- توصلت الدراسةإلى تبيان تطور الخط العربي في الحضارةالإسلامية ومسيرته الفنية ــ توصلت الدراسة إلى تبيان تطور الخط العربي في فترة الخلافة العثمانية ومسيرته الفنية واهتمام العثمانيين بالخط.
- توصلت الدراسة إلى تطور الكتابات في الجزائر في الفترة العثمانية وأن هذه الفترة ساهمت مساهمة كبيرة في كتابة المخطوطات وفتح العديد من المكتبات لاسيما في الجنوب.

– توصلت الدراسة إلى رصد العديد من الكتابات الأثرية في العمارةالدينيةخاصة بالمساجد والأضرحة وتم تحليلها.

– بينت الدراسة أن هذه الكتابات الدينيةمتنوعة من تسجيليةو وقرآنية وشعرية وحكم وأمثال وحملت في مضمونها العديد من الصيغ.

- بينت الدراسة أن اللغة العربية هي اللغة المنتشرة بكثرة بكل المباني الدينية في الشرق والغرب والجنوب وحتى في دار السلطان والتيطري.
- بينت الدراسة أيضا اهتمام الحكام بالأوقاف في العمارة الدينية.
- بينت الدراسةأن العديد من الكتابات الموجودة في المتاحف ساهمت في توضيح ما تعرضت له العمارة الدينية في الفترةالاستعمارية فهي شاهد على العمارة الدينية المندثرة.

- لم تتعرض الدراسة لشواهد القبور واكتفت بالاضارة إليها ، على الرغم من أنها تحمل العديد من الكتابات ولكن نظرا لكثرتها تركت دراستها لأبحاث أخرى.
- بينت الدراسة اهتمام الجزائريين بالعمارة المدنية في قصبات الجزائر وكذلك فحوصها حتى في الجنوب الجزائري حيث بينت الدراسة العديد من القصور التي تحوي العديد من الكتابات.
- في إطار العمارة المدنية مثلت الدراسة بوجود العديد من العيون واهتمام الجزائريين بالماء ورصد الأوقاف لها وما يلاحظ أن بعض العيون تم ترميمها في فترة متقاربة مما جعل الكتابات بأسلوب متقارب وباللغة العثمانية تغلب عليها الروح الدينية والألفاظ العربية والخط العربي.
- بينت الدراسة اهتمام الجزائريين في الفترة العثمانية بالجانب العسكري من بناء الأبراج والثكنات وقد ظهرت العديد من الكتابات على هذه المنشآت العسكرية.
- أعطت الدراسة أمثلة حية عن الكتابات في عدة المجاهد مثل الدروع والخناجر والسيوف والباروديات و الرايات وغيرها.
- بينت الدراسة انتشار الكتابات العربية في التحف المنقولة النحاسية والخشبية والجلدية والنسيجية وأعطت أمثله على كل منها.
- أعطت الدراسة نماذج للسكة الجزائر في الفترة العثمانية وأنها ضربت في عدة أماكن مثل قسنطينة تلمسان الجزائر وغيرها وأن العربية هي السائدة فيها.

هذه جملة من النتائج المحورية المختصرة التي توصلت إليها الدراسة مبثوثة في فصولها ومباحثها، حيث أكدت الدراسة على أن الكتابات الأثرية مهمة جدا من الناحيةالأثرية والتاريخية ومن الناحية اللغوية، وأن دراستها مهمة لاستغلال نتائجها في العلوم المجاورة للآثار .وبناء على هذه النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة .. يمكن أن نخلص إلى جملة

من التوصيات أراها ضرورية بعد إنهاء هذا العمل المتواضع والذي يحتاج إلى توسع أكثر لاسيما من النواحي الثقافية والدينية واللغوية والأدبية.أذكر منها :

- إعادة دراسة المواضيع الأثرية والتاريخية من منظور موضوعي جزائري بحث والانطلاق من اللقى الأثرية ومواطن الآثارو الحفريات، ثم بعد الوصول إلى النتائج يمكن المقارنة مع ما توصلت إليه المدرسةالغربية للاستئناس فقط، حيث نجد أن الباحث الذي انطلق من مقالات وأبحاث غربية يخلص إلى نتائج سطحية، لكن الباحث المتميز هو الباحث (الأثري)الجاد الذي ينطلق مما انطلق منه الباحث الذي قبله، ثم يواصل الدراسة بعد تأكيد النتائج.
- تحديد مواضيع بعناوين للدراسة في مرحله الدكتوراه تتعلق بالكتابات الأثرية وإتمام ما تم التوصل إليه من الباحثين السابقين على غرار الأستاذ درياس ومعزوز وغيرهما .
- الاهتمام بالجانب الأدبي في الكتابات المصنفة وإعادة دراستها.
- افراد الكتابات الشعرية بدراسة منفردة من حيث الشكل والمضمون .
- الاهتمام بفنون الخط العربي في الجزائر وإحداث مقرر (مقياس)للدراسة من الناحيتين النظرية والتطبيقية في الليسانس في العديد من التخصصات.
- رصد وتحقيق المخطوطات الجزائرية في الفترة العثمانية ودراسة الخطوط فيها.
- الاهتمام بالكتابات في العمارة المدنية والدينية و العسكرية و إعادة تصنيفها و فتح المجال في المتاحف أمام الباحثين الجادين في الماستر من أجل ترتيبها وتحليلها وطبع المنتوج العلمي ووضعه بين أيدي الباحثين .
- إفراد الكتابات في شواهد القبور بدراسة مستقلة لا سيما من الناحية التارخية والأدبية واللغوية.

- مواصلة المجهودات التي قام بها العديد من الباحثين الجزائريين على غرار عبد الحق معزوز و لخصر درياس ، وجمع الكتابات في مؤلف جامع و بالصور الملونة لتمكين الباحثين من دراستها وتحليل مضمونها .
- اطلاع المعماري الجزائري على خصوصيات العمارة الجزائرية لتطويرها .
- دراسة الزليج الجزائري و البلاطات الخزفية و صناعة ما يماثلها في المصانع الحديثة باعتبارها تراثا ماديا .
- فتح جسور علمية مع التخصصات الأخرى مثل التاريخ و علم الاجتماع الثقافي والإعلام و اللسانيات و الأدب و السينما وتكنولوجيا الاعلام من أجل الاستفادة من نتائج البحوث الأثرية .

وفي الأخير لا يسعني إلا القول أن هذا العمل المتواضع أخذ مني جهدا ووقتا كبيرين، وعرف انقطاعات متتالية ، لكنني استفدت كثيرا و أنا أجوب المتاحف والأماكن الحضارية التي تزخر بها بلادنا، مما مكنني من الإيمان القاطع بمكانة الآثار في إثبات المساهمة الحضارية للجزائريين عبر العصور.

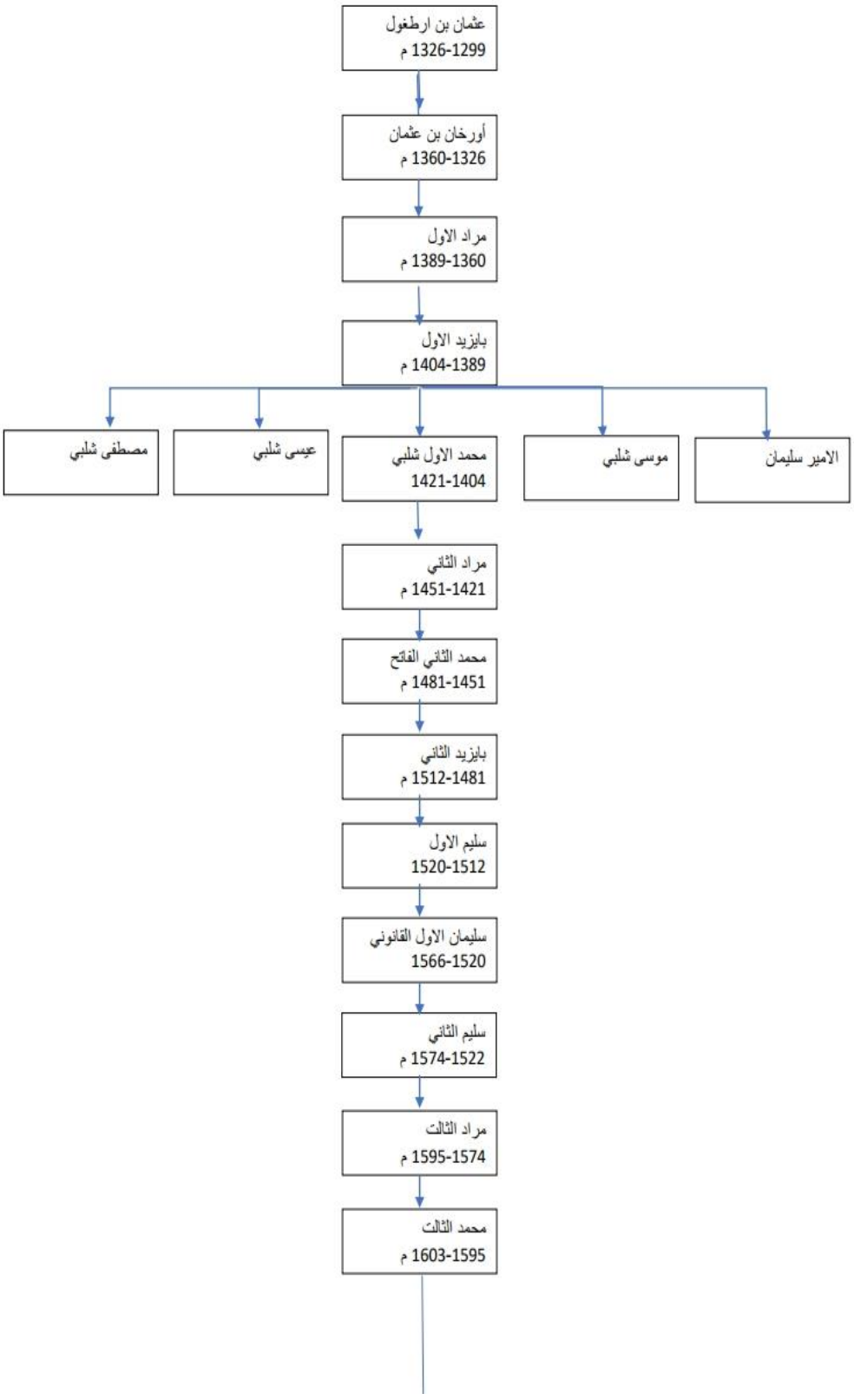
كما أتقدم بخالص الشكر للأستاذة المشرفة خيرة بن بلة والتي استفدت منها كثيرا وهي التي كانت لنا مفتاحا من خلال بداياتها في الكتابة في الكتابات و في العمارة الدينية، ولا شك أن أصعب شيء هو البداية، أما من يأتي بعد ذلك فهو نسج على منوال .

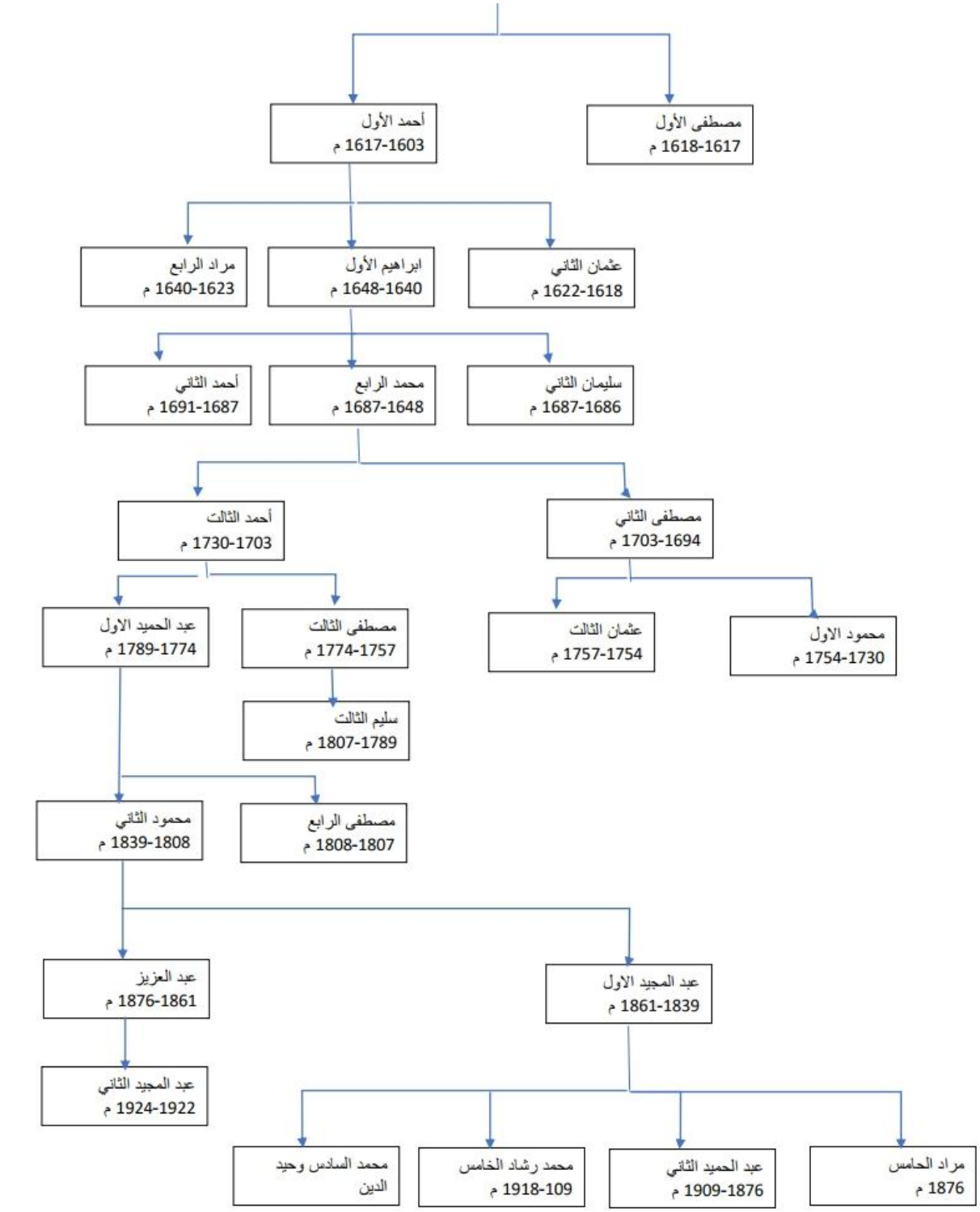
ولا يفوتني أن أشكر اللجنة المناقشة وأستسمحهم عما بدر مني من أخطاء .

وفي الأخير إنه مهما كان من عمل و اجتهاد فهو عمل إنساني فأنا انتظر كل تقويم وتصويب يرفع من قيمة هذا البحث، ولعل من يأتي بعدنا يزيد عليه ابحاثا أخرى تساهم في ثراء المكتبة الجزائرية .

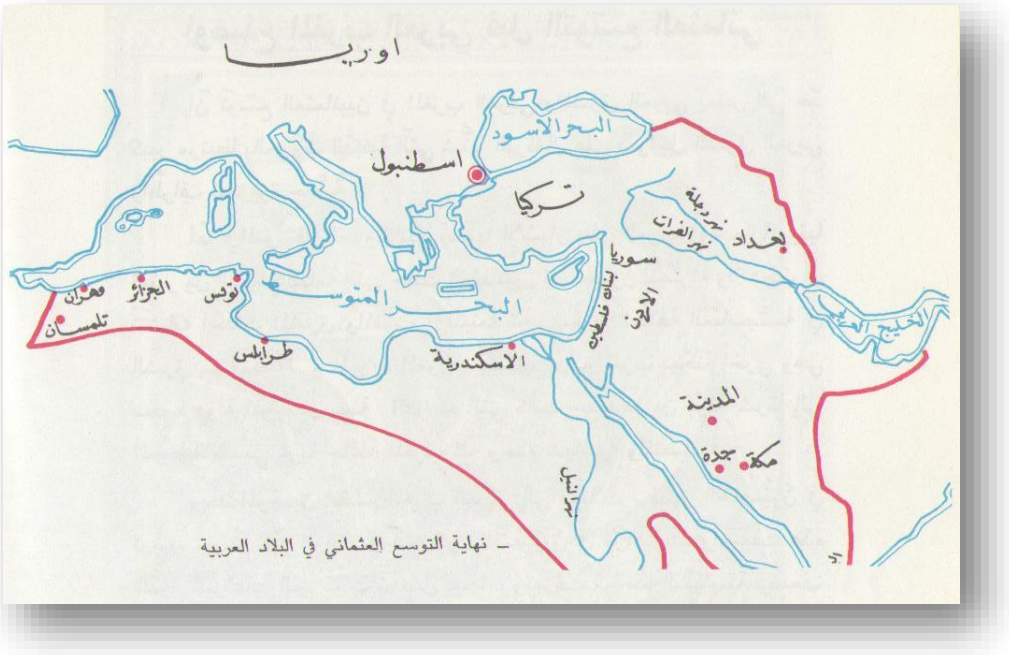
الملحق الاول:

رسم بياني للحكام العثمانيين بالترتيب من انجاز الباحث معتمدا على،كولن صالح،السلاطين العثمانيين، دار النيل للطباعة والنشر، القاهرة 2014




مصطفى الأول
1618-1617 م
أحمد الأول
1617-1603 م
عثمان الثاني
1622-1618 م
ابراهيم الأول
1648-1640 م
مراد الرابع
1640-1623 م
سليمان الثاني
1687-1686 م
محمد الرابع
1687-1648 م
أحمد الثاني
1691-1687 م
مصطفى الثاني
1703-1694 م
أحمد الثالث
1730-1703 م
محمود الاول
1754-1730 م
عثمان الثالث
1757-1754 م
مصطفى الثالث
1774-1757 م
عبد الحميد الاول
1789-1774 م
سليم الثالث
1807-1789 م
مصطفى الرابع
1808-1807 م
محمود الثاني
1839-1808 م
عبد المجيد الاول
1861-1839 م
عبد العزيز
1876-1861 م
مراد الخامس
1876 م
عبد الحميد الثاني
1909-1876 م
محمد رشاد الخامس
1918-109 م
محمد السادس وحيد الدين
عبد المجيد الثاني
1924-1922 م

الملحق الثاني



خريطة: التوسع العثماني في البلاد العربية، نيقولاي ايفانوف ،الفتح العثماني للاقطار الغربية 1516م–1574م،ترجمة يوسف عطا الله ،سلسلة تاريخ المشرق الغربي ،دار النشر الفرابي ،بيروث، 1988 م،ص 301

الملحق رقم ثلاثة (3)



خريطة /تبين التقسيم الإداري للمغرب الإسلامي بعد سقوط الدولـــة الموحديـــة عن،عبد الرحمان محمد الجلالي،تاريخ الجزائرالعام ،ج2،ط2 ،مطبعة الحياة ،الجزائر 1965،ص 94

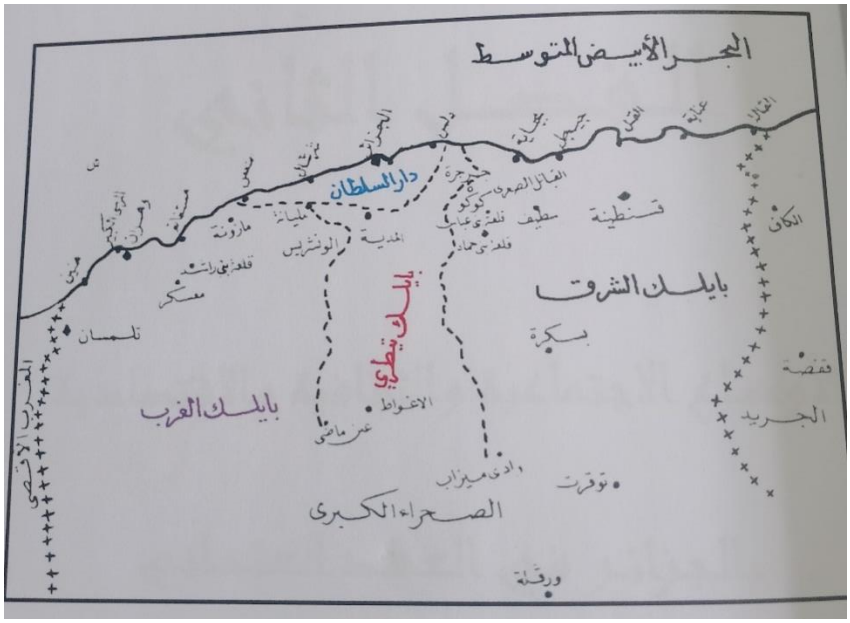
الملحق رقم اربعة (4)



رسالة آهالي الجزائر للسلطان سليم الأول سنة 925هـ/1519م

رسالة اهالي الجزائر للسلطان سليم الاول ،انظر ، عبد الجليل التميمي،اول رسالة من اهالي مدينة الجزائر الى السلطان سليم الاول 1915م،المجلة التارخية المغاربية ،العدد 5،مؤسسة عبد الجليل التميمي للبحث العلمي و المعلومات زغوان تونس ،1976،ص 120

الملحق رقم خمسة (5)



خريطة التقسيمات الإدارية للجزائر في الفترة العثمانية نقلا عن سمير بوطيش ص45

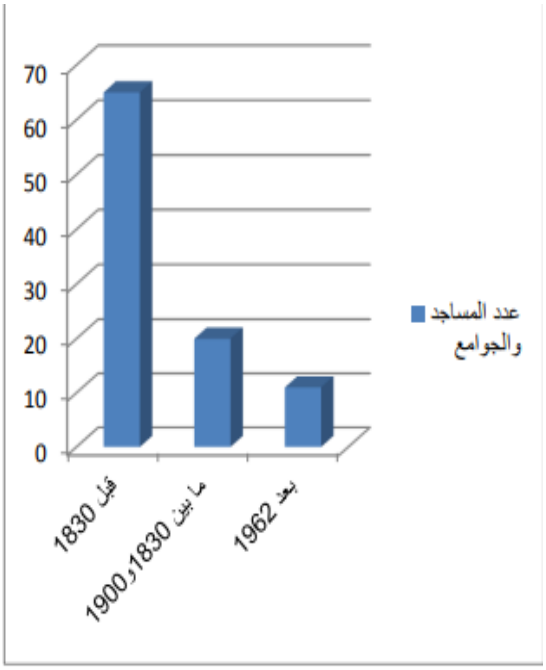
الملحق رقم ستة (6)

1- رمضان باي	935هـ - 1528م	18-علي باي بن حمودة	1120هـ - 1708م
2- جعفر باي	975هـ - 1567م	19- حسني الشاوش	1121هـ - 1709م
3- محمد بن فرحات باي	975هـ - 1588م	20- عبد الرحمان	1122هـ-1710م
4- حسن باي	997هـ - 1608م	21-حسين دنجلزي باي	1122هـ-1710م
5- مراد باي	1000هـ - 1622م	22- علي بن صالح	1122هـ-1710م
6- صخيري	1047هـ - 1637م	23- عليان حسين بوخيمة	1125هـ-1713م
7- فرحات باي	1057هـ -1648م	24- حسين باي بوحنك	1149هـ-1746م
8-محمد باي بن فرحات	1063هـ -1652م	25- حسين بن زرق عينو	1167هـ - 1753م
9- رجم باي	1077هـ - 1667م	26- احمد باي القلي	1170هـ - 1756م
10- خير الدين باي	1083هـ - 1673م	27- صالح باي بن مصطفى	1185هـ - 1771م
11- دالي باي	1087هـ - 1676م	28- إبراهيم باي بوصبع	1207هـ - 1792م
12- عمار بن عبد الرحمان	1090هـ -1679م	29- صالح باي ثاني	لا توجد معلومات عنه
13- شعبان باي	1099هـ - 1687م	30- حسين بن حسين بوحنك	1207هـ - 1792م
14- علي خوجه باي	1104هـ - 1692م	31- مصطفى باي الوزناجي	1209هـ - 1794م
15- أحمد باي بن فرحات	1112هـ - 1700م	32- الحاج مصطفى انكليس	1212هـ - 1797م
16- إبراهيم باي	1114هـ - 1702م	33- عثمان باي	1218هـ - 1803م
17- حمودة باي	1119هـ - 1707م	34- عبد الله باي	1219هـ - 1804
35- حسين بن صالح باي	1222هـ - 1806م	42- أحمد باي مملوك	1233هـ - 1817م

36- علي باي بن يوسف	1223هـ - 1808م	43- محمد باي الميلي	1233هـ - 1817م
37- أحمد شاو ش القبائلي	1223هـ - 1808م	44- إبراهيم باي الغربي	1234هـ-1818م
38- أحمد طوبال	1223هـ - 1808م	45- أحمد باي المملوك الثاني	1235هـ-1819م
39- محمد باي نعمان	1226هـ - 1811م	46- إبراهيم باي القرتلي	1237هـ-1821م
40- محمد شاكر	1229هـ -1813م	47- محمد باي ماناماني	1125هـ-1713م
41-قارة مصطفى باي	1233هـ -1817م	48- الحاج أحمد باي	1241هـ-1824م

جدول يبين رزنامة تعاقب حكم بايات قسنطينة منذ إسناد البايلك حتى دخول الاستعمار الفرنسي نقلا عن رسالة الماجيستير للطالب طاهري عبد الحليم. إشراف : أ.د. عبد العزيز لعرج8 200 -2009 جامعة الجزائر.

الملحق رقم 7 :



سعيد بوزرينة ،محمد موشموش، المساجد أثناء الاحتلال الفرنسي لمدينة الجزائر بين الهدم والطمس والتحويل، مجلة الانسان والمجال، المجلد 7،العدد1،جوان 2021م، ص118

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر باللغة العربية

1. ابن الخطيب لسان الدين،الإحاطة في أخبار غرناطة، تح محمد عبد الله عنان، القاهرة ،مكتبة الخانجي ،ط:2، 1973م.
2. ابن المفتي حسين بن رجب شاوش، تقييدات ابن المفتي في تاريخ باشاوات الجزائر وعلمائها، تح ، فارس كعوان، الجزائر، بيت الحكمة، ط : 1، 2009
3. ابن حوقل أبو القاسم التنصيبي، كتاب صورة الأرض، ج 1، منشورات دار مكتبة الحياة بيروت، 1938 م.
4. ابن خلدون عبد الرحمن، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أخبار العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ج5
5. ابن منظور أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري، لسان العرب، ج11، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1955.
6. أبي رأس الناصر محمد بن أحمد،عجائب الأسفار ولطائف الأحباب،تقديم و تحقيق محمد غالم ،منشورات CRASC .
7. الإدريسي الشريف، وصف إفريقيا الشمالية والصحراوية مأخوذ من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ،صححه .هنري بيرس، الجزائر ،1957
8. الأصفهاني أبي الفرج ،الأغاني في الأدب ،دار مكتبة الهلال ، 2000
9. البكري أبو عبيد ، المسالك والممالك، ج :2 ، تحقيق. أدريان فان ليوفن وأندري فيري، الدار العربية للكتاب، بيروت 1992،
10. البكري عبيد الله، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، باريس، طبعة دي سلان 1965م

11. بن خلكان أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر ، وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان ، مصر ، مكتبة النهضة المصرية ، 1949 ج4
12. بن ميمون محمد الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تحقيق،محمد بن عبد الكريم، الجزائر، ش.و.ن، ط1، 1972.
13. الثعالبي أبو منصور عبد الملك بن محمد، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، مصر، مطبعة القاهرة، 1908،
14. حمدان بن عثمان خوجة، المرآة، تقديم وتعريب وتحقيق، محمد العربي الزبيري،ط2 ،شركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982 .
15. دو بارادي فونتير،الجزائر خلال القرن الثامن عشر، ترجمة لخضر بوطبة، دار كوكب العلوم، الجزائر 2021م.
16. الزهار الشريف، مذكرات الحاج الشريف الزهار، تح،أحمد توفيق المدني، الجزائر،1974
17. الزياني أبو القاسم، الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور برا وبحرا، تح : عبد الكريم الفيلالي، الرباط ، المغرب، دار المعرفة للنشر والتوزيع، 1991
18. سبنسر وليام،الجزائر في عهد رياس البحر،تعريب وتقديم،عبد القادر زبادية، دار القصبة للنشر،الجزائر 2006
19. لسان الدين ابن الخطيب، تاريخ اسبانيا أو كتاب أعمال الأعلام، تحقيق وتعليق،ليفي بروفنسال، بيروت، 1956.
20. مجهول،كتاب غزوات عروج وخير الدين عبد القادر مطبعة الثعالبية،الجزائر 1934.
21. محمد باشا ابن الأمير عبد القادر، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر وأخبار الأمير عبد القادر، تحقيق: محمد السيد عثمان، دار الكتاب العلمية، بيروت 1971.

22. مذكرات خير الدين بربروس،ترجمة محمد دراج،شركة الأصالة للنشر ،الجزائر 2010

23. المقدسي شمس الدين أبو عبد الله محمد، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط 2، لندن، 1906

24. الوزان الشريف حسن،وصف إفريقيا، ترجمة عن الفرنسية: محمد دحي ومحمد الأخضر، ج1، ط2، بيروت 1983.

قائمة المصادر باللغة الفرنسية:

1. Arseven Celale Esad, Les arts décoratifs turcs, éd milli egitime, Istanbul, 1939
2. BOYER Pierre Des Bachas Triennaux a la révolution d'Ali KHODJA day 1517 _ 1817, PUF1970.
3. Cambuzat Paul louis, l'évolution des cités du tell en ifrikya , du VII au XI siécle,T1,éd OPU, Alger
4. Chevalier Corinne Les trente premiere années de l'état d'Alger; 1510 1541, éd OPU, 1986.
5. Colin Gabriel : Corpus des Inscription Arabes et Turques de L'Algérie, éd Erneste le roux Paris, 1901.
6. Collectif, L'Algérie landscape africain, promenades pittoresques et cornique algériennes, L'Algérie promenades pittoresques Libraire Editeur louis Janet, Paris, 1840

7. Commandant Demaeght, catalogue Raisonné: des objets archéologiques du musée de la ville d'Oron ,2éme édition, éd fouque, 1932
8. Dan Pierre, Histoire de Barbarie et des corsaires, T 1,2 ème édition, éd pierre rocolet imp. et libre ordin du Roy au palais, Paris 1649
9. Deveaux Albert les édifices religieux de l'ancien Alger a l'époque ottomane–la médina et la maison traditionnelle; I N A S, Alger 2003
10. Devoulux Albert .Epigraphie indigène, musée archéologique d'Alger, suivie d'un musée mural à Alger, éd A.jourdan, Alger 1874
11. Devouly Albert, Les édifices religieux de l'ancien, éd typographie bastides, Alger, 1870.
12. Duvernois Clément,L'Algérie pittoresque, Description, Mœurs, coutumes, commerce, J. Rouvier, Libraire, Editeur, Paris, 1863
13. Farine Charles, Deux pirates au XVI em siècle, Histoire de Barberousse éd Léopold Flameng Paris ducroq libraire 1869.
14. Grammont Henri Delmas, Histoire d'Alger sous la domination turque (1515–1830), éd Ernest Leroux, paris 1887
15. Gustave Léon joseph sandras, histoire des hôpitaux d'Oran, éd p Perrier, oran 1910

16. Labad jean baptiste de l'ordre des frères pécheurs, Mémoires du Chevalier D'Arvieus, envoyé extraordinaire du Roy a la pote consul d'Alep, d'Algérie, de tripoli et d'autre, T 5, éd Charles jean baptise Paris, M. D C C . XXXV
17. Marial W : La mosquée de sidi Mohamed Elkbir in société de géographie et d'archéologie de la province d'Oron , T XIII
18. Mercier Ernest, histoire de Constantine, 1840-1908, éd marle et Biron, 1908, p193
19. Nettement Alfred, Histoire de la conquête D'Alger, écrit sur des documents inédits et Authentiques éd librairie jaques lecoffre, Paris 1867.
20. Turin. Yvonne, Affrontements Culturels dans L'Algérie colonial, écoles médecines, religion ,1830-1880, éd entreprise nationale du livre, Alger 1983 .
21. Vayssttes Eugene, Histoire de Constantine sous la domination turque de 1517 à 1837 Constantine, éd bouchère paris 2002
22. Venture de paradis, Alger au XVIII siècle, éd e. Fagnan, Alger 1898.

المراجع باللغة الفرنسية:

1. .Marcais William et Marcais Georges. Les Monuments arabes de Tlemcen .R.A n 33 ; 6 Année 1862

2. Bernard pagand, La médina de Constantine Algérie, de la ville traditionnel au centre de l'agglomération, contemporaine, éd centre inter universitaire d'étude méditerranéenne, Poitier, 1989
3. Berque Jacques; L'intérieur du Maghreb 15-16 siècle, Editions Gallimard, Paris, 1978
4. Bourouiba Rachid, art religieux musulman en Algérie, S N E D'Alger 1973.
5. El-korso Mohamed, Deeplaza Mikel, Orant et l'ouest algérien au 18éme siècle, d'après le rapport Arambur note et documents n3, éd BNF, Paris 1978.
6. Golvin Lucien, Palais et demeures d'Algérie la période ottomane ed edisud 1988.
7. Louis Cardaillac, L'Espagne des rois catholiques, Le prince don Juan Symbole de l'apogée D'un règne, 1474_1500 Edition Autrement _ collection Mémoires, Paris 2000
8. Marçais Georges, l'architecture musulmane d'occident .Tunisie, Alger, Maroc, Espagne Sicile, Paris in journal des savants, 1956, 19-34.
9. Missoum (S) Alger a l''époque Ottomane la médina et la maison traditionnelle, éd INAS, Alger 2003. p
10. Rachid Bourouiba: L Art et religious muscleman en Algeria, sned, Alger, 1973.

المجلات باللغة الفرنسية

1. Albert Devoulx, notes historiques sur les mosquées et autres édifices religieux d'Alger *Revue Africaine* ; N7 .1883.P 176 188
2. Aumerd Joseph François, La propriété urbaine à Alger, in *revue africaine,* n 41, année 1897, pp 321-330.
3. Berbrugger Adrien, Epoque de l'établissement de turcs à Constantine, in *revue africaine* 1986.
4. Emerit Marcel, L'état intellectuel et moral en L'Algérie en 1830, *Revue d'histoire moderne et contemporaine* n 1 année 1954,pp
5. Yver Georges Mémoire de si Hamdane ben othman khodja,, IN *Revue Africaine*, volume 57 ,année 1913,éd jourdane,pp249.

المراجع باللغة العربية:

1. ابن هطال التلمساني، رحلة محمد الكبير، باي الغرب الجزائري إلى الجنوب الصحراوي الجزائري ،تحقيق محمد بن عبد الكريم،عالم الكتب،القاهرة،1969 .
2. ــ السيد سابق، **فقه السنة**، القاهرة، مكتبة التراث، ج3.
3. أصلان آبا أوقطاي،فنون الترك وعمائرهم ترجمة أحمد محمد عيسى،مركز الأبحاث التاريخ و الفنون و الثقافة الإسلامية،استانبول 1987 .
4. الأعرج عبد العزيز محمود، الزليج في العمارة الإسلامية بالجزائر في العصر التركي،ط 1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1995.
5. الألوسي عادل،.الخط العربي نشأنه وتطوره، ط1، القاهرة، مكتبة الدار العربية للكتاب، 2008 .
6. أنرست كولن، الفن الإسلامي، ترجمة أحمد موسى، دار صادر بيروت 1966،

7. الباشا حسن، موسوعة العمارة والآثار والفنون الإسلامية الجزء الأول بيروت 1999
8. بحري:أحمد، الجزائر في عهد الدايات، دراسة للحياة الاجتماعية إبان الحقبة العثمانية، الجزء2، الجزائر، دار الكفاية، 2013
9. البستاني بطرس ،محيط المحيط قاموس مطول للغة العربية ،مكتبة لبنان.
10. بعارسة صباح، العلماء والمنضومة في الجزائر خلال العهد العثماني، دار كوكب العلوم للنشر والطباعة والتوزيع،الجزائر 2022 .
11. بلال مريم ،جهود العثمانيين في تنظيم و إدارة الحج ،شركة الأصالة ،الجزائر،2018
.بلحميسي موللاي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، الشركة . الوطنية.لنشر والتوزيع، الجزائر1981.
12. بن العنتري محمد الصالح ، فريدة منيسة في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها أو تاريخ قسنطينة مراجعة بوعزيز يحي، د.م.ج، الجزائر، بن عكنون 1991
13. بن حموش مصطفى، المدينة والسلطة في الإسلام، ط1، دبي، 1999.
14. بن حموش مصطفى، فقه العمران الإسلامي من خلال الأرشيف العثماني الجزائري956-1246هـ /1549-1830م من واقع الأوامر السلطانية وعقود المحاكم الشرعية، دبي 2000
15. بن حموش مصطفى، مساجد مدينة الجزائر وزواياها وأضرحتها في العهد العثماني من خلال مخطوط ديفولكس والوثائق العثمانية، الجزائر، دار الأمة، ط:1 2007
16. بن رمضان الحاج محمد شاوش، باقة السوسان بالتعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان، ج1 الجزائر، دوان.المطبوعات.الجامعية، الجزائر 2011 .
17. بن سعيد محمد شريفي، اللوحات الخطية في الفن الإسلامي المركبة بخط الثلث الجلي دراسة فنية في تاريخ الخط العربي، شركة بن باديس للكتاب، الجزائر،2011.
18. بن يعقوب أحمد، وبن واضح يعقوبي، وصف افريقيا الشمالية من كتاب البلدان، ط2، لندن، 1892.

19. بورويبة رشيد، الكتابات الأثرية في المساجد الجزائرية، ترجمة،إبراهيم شبوح، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979.
20. بوشناقي محمد،الجيش الانكشاري خلال العهد العثماني في الجزائر، 1700 – 1830م،الجزائر،دار كوكب العلوم،2016
21. البوعبدلي المهدي،تاريخ المدن،جمع عبد الرحمن دويب،عالم المعرفة للنشر والتوزيع،الجزائر، المحمدية،2003.
22. بوعزيز يحي ،السياسة الاستعمارية من خلال مطبوعات حزب الشعب ،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر 1995م .
23. بوعزيز يحي، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، الجزائر، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1995.
24. بوعزيز يحي، المساجد العتيقة في الغرب الجزائري ANEP ، ط1، الجزائر 2002.
25. بوعزيز يحي،علاقات الجزائر الخارجية مع دول و ممالك أوروبا 1500–1830 م،ويليه المراسلات الجزائرية الاسبانية في ارشيف التاريخ الوطني لمدريد ،ط خاصة ،دار البصائر،الجزائر 2009 .
26. بوعزيز يحي،مدينة وهران عبر التاريخ ،ط خاصة دار البصائر ،الجزائر 2009م.
27. بوعزيز يحيى، الموجز في تاريخ الجزائر، ج1، دار الطباعة للنشر، الجزائر1955.
28. بويدر عبد الرحمان، معالجة مشكلات الخط عند التلميذ المبتدئ، الجزائر، دار الأنيس.
29. تابليت علي، معاهدات الجزائر مع بلدان أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية، طبعة وزارة المجاهدين، الجزائر، 2013.
30. تركي رابح، التعليم القومي والشخصية الوطنية الجزائر، ش و ن ت ، 1975
31. تميمي عبد الجليل، الحياة الاقتصادية الولايات العربية ومصادر وثائقها في العهد العثماني، ج1و2 منشورات مركز الدراسات والبحوث عن الولايات العربية في العهد العثماني، زغوان، 1936.

32. توفيق عبد الجواد، تاريخ العمارة والفنون الإسلامية، ج3، المطبعة الحديثة، القاهرة، 1972،

33. جوليان شارل أندي ، تاريخ إفريقيا الشمالية، ج1، تعريب: محمد مزالي والبشير بن سلامة، بيروت، 1989.

34. الجوهري إسماعيل بن حماد أبو نصر، تاج اللغة وصحاح العربية، دار الحديث

35. الجيلالي عبد الرحمان ، تاريخ الجزائر العام،ج3، بيروت، دار الثقافة، 1980

36. الجيلالي عبد الرحمن، تاريخ المدن الثلاث ،الجزائر،المدية، مليانة،الجزائر، مطبعة صاري بدر الدين وأبنائه،الجزائر 1972م.

37. حاجيات عبد الحميد ، تاريخ الجزائر السياسي في العهد الموحدي، ضمن مجموعة الجزائر في التاريخ،ج3،الجزائر 1984

38. حداد محمد حمزة إسماعيل، القباب في العمارة المصرية الإسلامية، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1993.

39. حدوش زهيرة ، الزخارف الجصية بقصر أحمد باي بمدينة قسنطينة ،دراسات في آثار الوطن العربي.

40. حرب محمد ، العثمانيون في التاريخ والحضارة، دار القلم، دمشق1989.

41. حسين محمد زكي، فنون الإسلام، لبنان، بيروت، دار الرائد، 1989.

42. حليمي عبد القادر، مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل 1830، دار الفكر الإسلامي، ط1، الجزائر 1972،

43. الحموري ياقوت،معجم البلدان ،ط2،دار صادر،بيروت1995.

44. الحموي ياقوت، معجم البلدان، ج :4 ، ط2 بيروت دار صادر، 1995

45. خلاصي علي، القلاع والحصون في الجزائر،المنشآت العسكرية الجزائرية في العصر الحديث ، مطبعة دالمان، الجزائر، 2008.

46. خيراني ليلى ، المرأة في مجتمع مدينة الجزائر خلال العهد العثماني 1818م-1830م،دار كوكب العلوم للنشر ،الجزائر 2017 .

47. درياس يمينة، السكة الجزائرية في العهد العثماني، ط1، دار الحضارة، الجزائر2007

48. رزق محمد عاصم،معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، القاهرة، مكتبة مدبولي، 2000م.

49. رزق محمد عاصم، الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين 17/16، ط 3، الدار البيضاء 1993

50. رزوق نعيمة، الشبكة المائية بالقصبة العليا لمدينة الجزائر خلال العهد العثماني ،قصر الداي نموذجا، دار كوكب العلوم، الجزائر، 2016.

51. الركيبي عبد الله ، الشعر الديني الجزائري الحديث ،ط1،م و ن ت،1981 م.

52. الركيبي عبد الله، المغرب ذكر بلاد افرقية والمغرب، طبعة ديسلان، باريس 1965م.

53. رمالي فضل عمار، مدخل إلى فن الخط العربي، ط 3، دار الأبحاث للترجمة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.

54. الريحاوي عبد القادر، العمارة في الحضارة الإسلامية ، مركز النشر العلمي، ط1، جدة 1990.

55. ريسلر(جا ك س) الحضارة العربية، ترجمة غنيم عبود، مصر، الدار المصرية للتأليف والنشر، د. ت

56. ريمون أندريه ،المدن العربية الكبرى في العصر العثماني، ترجمة لطيف فرج ، دار الفكر للدراسات و النشر والتوزيع ، 1990.

57. سالم عبد العزيز، المغرب الكبير في العصر الإسلامي، لبنان، بيروت، دار النهضة العربية، ج2 ، 1981 .

58. سالم عبد العزيز، المغرب الكبير في العصر الإسلامي، دار النهضة العربية، بيروت، ج2، 1981.

59. سجل صالح باي للأوقاف 1185 – 1207 هـ 1771ـ 1792 م تقديم وتحقيق أ . د . فاطمة الزهراء قشي ،تقديم أ . د . عبد الجليل التميمي ، الجزائر : قسنطينة ، دار بهاء الدين للنشر و التوزيع ، 2009

60. سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي،ج1، 1500–1830، بيروت، لبنان، دار الغرب الإسلامي

61. سعد الله ابو القاسم ،**المفتي الجزائري ابن العنابي رائد التجديد الإسلامي (1775–1850)**،الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1977

62. سعدي عثمان، الجزائر في التاريخ ،ط1، دار الأمة، الجزائر 2011.

63. سعيدوني ناصر الدين ،دراسات أندلسية ،مظاهر التأثير الأيبيري والوجود الأندلسي بالجزائر ،ط 1،دار الغرب الإسلامي ،لبنان،بيروت،2003 م.

64. سعيدوني ناصر الدين، النظام المالي للجزائر في أواخر العهد العثماني، ط2، الجزائر، 1985.

65. سعيدوني ناصر الدين، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، ج2، المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،1985

66. سعيدوني ناصر الدين،ورقات جزائرية،دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر العهد العثماني ،ط2،دار البصائر ،الجزائر ،2009 م.

67. سليمان بن عبد الله أيا خليل، الوقف في الشريعة الإسلامية ،حكمه وحكمته وأبعاده الدينية والاجتماعية ،جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية ،الرياض،2008،

68. السمارائي نعمان بن عبد الرزاق،في التفسير الإسلامي للتاريخ،دار الشهاب،الجزائر

69. سماعلي زوليخة، تاريخ الجزائر من فترة ما قبل التاريخ إلى الاستقلال، ط2، ،الجزائر، دار دزاير أنفو، 2013.

70. سيدهم فاطمة الزهراء، علاقات دايات الجزائر بالدولة العثمانية، الجزائر، كوكب العلوم،ط1، 2016

71. شاطو محمد ،نظرة المصادر الجزائرية والاجنبية الى السلطة العثمانية في الجزائر،ط1 ،دار كوكب العلوم للنشر،الجزائر 2020 .

72. الشافعي فريد، العمارة العربية في مصر الإسلامية، الهيئة العامة المصرية للتأليف والنشر، القاهرة، 1970

73. الشامي صالح أحمد، الفن الإسلامي، دار القلم، دمشق 1920

74. شعيب محمد الهادي، أم الحواضر في الماضي والحاضر أو تاريخ قسنطينة،،مطبعة البعث الجزائر، قسنطينة ، 1985.

75. شكري مراد ،المنخلة النونية في فقه الكتاب والسنة، الجزائر،دار الإمام مالك ، ط 1 ، 1998 ،.

76. شلوصر فندرلين، قسنطينة أيام أحمد باي، ترجمة أبو العيد دودو، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، د.ت

77. شوحان أحمد، رحلة الخط العربي من المستند إلى الحديث "دراسة سورية، دمشق، 2001

78. شويتام أرزقي، نهاية الحكم العثماني في الجزائر وعوامل انهياره، ط،1 الجزائر، دار الكتاب العربي، 2011.

79. شويتام أرزقي،دراسات ووثائق في تاريخ الجزائر العسكري والسياسي الفترة العثمانية 1519-1830،ط 1، دار الكتاب العربي،الجزائر2010م.

80. صحراوي فتيحة، الجزائر في عهد الداي حسين 1818-1830 ،ط2، دار الكواكب العلوم ،الجزائر2017 م.

81. صديق حسن خان،الروضة الندية، القاهرة ،دار ابن عفان، ط 1، 1994.

82. الصفصافي أحمد مرسي، استانبول، عبق التاريخ، روعة الحضارة، دار الآفاق العربية، 1999، ط 1 .

83. الطمار محمد ، الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، الجزائر، ش،و،ن،ت،1983

84. طيان ساحد شريفة، الفنون التطبيقية الجزائرية في العهد العثماني، دكتورا جامعة الجزائر،2007-2008.

85. عباد صالح، الجزائر من خلال الحكم التركي 1514-1830، الجزائر، دار هومة، 2001.

86. عبد القادر نور الدين، صفحات من تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي،دار الحضارة،الجزائر 2006 .

87. العطار عدنان، الدولة العثمانية من الميلاد إلى السقوط، ط1،دارا لأصالة، الجزائر2010.

88. عقاب حمد الطيب، لمحات حول العمارة والفنون الإسلامية بالجزائر، الجزائر، وزارة الثقافة ، ط1، 2015.

89. عقاب محمد الطيب، قصور مدينة الجزائر في أواخر العهد العثماني، الجزائر، دار الحكمة، 1999.

90. عليليش حبيبة، الكراغة في المجتمع الجزائري العثماني 10-13ه/16-19 م،الجزائر،شركة الأصالة،2017 م.

91. عمورة عمار،الجزائر بوابة التاريخ، ما قبل التاريخ إلى 1962، الجزء 2، دار المعرفة، الجزائر، 2009.

92. غالب عبد الرحيم، موسوعة العمارة الإسلامية، عربي فرنسي إنجليزي ط1، لبنان، بيروت، جرس برس، 1988

93. غالية عبد القادر، قيام الدولة العثمانية وصراعها مع الدول الغربية في شمال إفريقيا، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية،الجزائر 2019.

94. الغبريني، عنوان الدراية في من عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، ط2، تحقيق رابح بونار،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر 1981 م.
95. غربي غالي، دراسات في تاريخ الدولة العثمانية والمشرق العربي، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 2007.
96. غطاس عائشة، الحرف والحرفيون في مدينة الجزائر، مقاربة اجتماعية اقتصادية، 1700-1830، ANEP، الجزائر 2008.
97. غيلان محمود غيلان، محاريب صنعاء حتى أواخر القرن 12هـ /18م صنعاء، وزارة الثقافة والسياحة، 2004
98. فارس محمد خير، تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي،ط1،جامعة دمشق،1979 .
99. فركوس صالح، تاريخ الجزائر من ما قبل التاريخ إلى غاية الاستقلال المراحل الكبرى، الجزائر، عنابة، دار العلوم للنشر والتوزيع، 2005
100. فويال سعاد،المساجد الأثرية في مدينة الجزائر، دار المعرفة، الجزائر، 2006
101. قشي فاطمة الزهراء، سجل صالح باي للأوقاف1185-1207/1771-1792، دار بهاء الدين الجزائر، 2009
102. قصور مدينة الجزائر خلال العهد العثماني من ايكوزيوم إلى الجزائر ،وزارة الثقافة ،الجزائر 2000
103. القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الانشا، ج 3، دار كتب الخدوي، القاهرة 1914
104. قنان جمال، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث 1500-1830، الجزائر، المؤسسة الجزائرية للطباعة، 1987.
105. لقبال موسى،المغرب الإسلامي،ط2،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر،1981.
106. لقوارة فهيم، ميناء مدينة الجزائر ودوره الاقتصادي في العهد العثماني 10-11 هـ/16-17 م،ط 1،دار موكب العلوم للنشر،الجزائر2022م.

107. المتحف الوطني للآثار القديمة، من إيكوسيم إلى الجزائر، منشورات وزارة الثقافة،الجزائر، 2007،

108. المحامي محمد فريد بك، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق إحسان حقي، بيروت، دار النفائس، 1988

109. محرز أمين، الجزائر في عهد الأغوات 1559-1671، الجزائر، دار البصائر، 2011.

110. المدني أحمد توفيق، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492-1792، الجزائر، دار البصائر،ط 1، 2007.

111. المدني أحمد توفيق، محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766-1779، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ، 1986

112. المدني احمد توفيق، كتاب الجزائر، م و ك ،الجزائر

113. مرتاض عبد الجليل، التهجين اللغوي في العهد التركي، الجزائر، دار الأمل، 2015.

114. مرتاض محمد، الخط العربي وتاريخه، الجزائر،.د. م. ج . 1994.

115. مرزوق عبد العزيز مجمد، الاسلام و الفنون الجميلة ،دار الكتاب ،القاهرة ،1944.

116. مرزوق عبد العزيز مجمد، الفن الإسلامي تاريخه وخصائصه مكتبة أسعد، بغداد 1995

117. مرزوق عبد العزيز مجمد، الفنون الزخرفة الإسلامية في العصر العثماني، مصر، الهيئة المصرية للكتاب 1974.

118. مسعود العيد، حركة التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني، سيرتا، ماي 1980.

119. معزوز عبد الحق، لخضر درياس، جامع الكتابات الأثرية العربية بالجزائر، ج 1 الجزائر، مطبعة سومر، 2000 ،

120. المغربي بن سعيد، الذخائر الجغرافية، تحقيق إسماعيل العربي، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، ط 1، 1970

121. مهيريس مبروك ،المساجد العثمانية بوهران ومعسكر، د م ج ،الجزائر،2009 م.
122. موسوعة الحضارة الإسلامية، المؤسسات الاجتماعية في الحضارة الإسلامية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، دار الفارسي للنشر والتوزيع، ط 1، 1995.
123. مياسي براهيم، مقاربات في تاريخ الجزائر 1830-1962، الجزائر، دار هومة، 2007.،القاهرة ،2009م.
124. نابق معروف، خصائص العربية، دار النفائس، بيروت، 1985.
125. نايم فيصل، فن تجليد وتذهيب مصاحف الجزائر في العهد العثماني، موفم للنشر، الجزائر، 2015
126. نجيب محمد مصطفى ،العمارة في العنصر العثماني تاريخها فنونها آثارها ،مطابع الأهرام التجارية ،1970م .
127. نسيب محمد، زوايا العلم والقرآن بالجزائر، تقديم محمد الصالح صديق، دار الفكر الجزائر،
128. النهار محمد عمار،الطيار محمد شعلال، الحضارة العربية الإسلامية،
129. هبو احمد، الأبجدية ،نشأة الكتابة وأشكالها عند الشعوب، اللاذقية،1984،
130. هلايلي حنيفي، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، الجزائر، 2008
131. الولي طه، المساجد في الإسلام، بيروت، دار العلم للملايين، 1988م.
132. ونوس عبد الناصر، عتوم محمد، الخط العربي نشأته، مبادئه، استخداماته، جامعة ج ع س دمشق 2016.

المقالات باللغة العربية:

1. ارزقي شويتام، طبيعة الحكم العثماني في الجزائر 1519م-1830م، *مجلة التاريخ المتوسطي*، المجلد 4،العدد1،الجزائر، جوان،2022 .

2. باول بارتيس، الفن الحديث وفنون الخط، مجلة فكر وفن، ألمانيا،هامبروج، عدد 17، 1971.

3. بلحميسي موللاي، الجزائر والغزو البحري في القرن السادس عشر، *مجلة تاريخ وحضارة المغرب*، عدد 4، 1968.

4. بورابة لطيفة ،الحصون الأولى بمدينة الجزائر العثمانية ،*مجلة دراسات تراثية*، ع/5، ج/2، عدد خاص، 2014، جامعة الجزائر 2، مخبر البناء الحصاري للمغرب الأوسط

5. بورابة لطيفة، تهديم الفرنسيين دار الإمارة دار الجنينة بمدينة الجزائر، دراسة تاريخية أثرية ــ*مجلة الآثار*، عدد خاص ،جامعة الجزائر 2 ،معهد الآثار، 2013 .

6. بوروبة لطيفة ، جامع السيدة المندتر في مدينة الجزائر العثمانية ،*مجلة الأمير* عبد القادر ع 38 ،سبتمبر 2016

7. بوشوشي الطاهر، صفحات من تاريخ كتشاوة، *مجلة الأصالة*، العدد 14، الجزائر، 1973 .

8. بوضرساية بوعزة، من الجهاد البحري في كتابات المؤرخ الجزائري الدكتور موللاي بلحميسي، *مجلة الدراسات التاريخية العسكرية*، المركز الوطني للدراسات والبحث في التاريخ العسكري الجزائري، ع، 3 ،جانفي 2010.

9. التميمي عبد الجليل،أول رسالة من أهالي مدينة الجزائر إلى السلطان سليم الأول 1915م،*المجلة التاريخية المغاربية*،العدد5، مؤسسة عبد الجليل التميمي للبحث العلمي والمعلومات زغوان تونس،1976.

10. حباسي شاوش، أصول العلم الوطني الجزائري المعاصر، *مجلة الدراسات التاريخية*، العدد353، المملكة العربية، 2005.

11. حليمي عبد القادر، أصول النشأة لمدينة الجزائر، *مجلة الأصالة* ع 8، الجزائر 1972.

12. شافعي فريد، زخارف وطراز سامراء"، *مجلة كلية الآداب*، جامعة القاهرة، مج 13، ج2، ديسمبر 1951.

13. شافعي، زخارف وطراز سامراء، مج 13،ج 2،مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، ديسمبر1951 .

14. شريد حورية، دار السلطان قصر الجنينة، *حوليات المتحف الوطني للآثار*، ع،1420،8هـ / 1999م .

15. عازار ريمون، صنعة الخط في الإسلام ، *مجلة فكر وفن*، عدد3 ، السنة 1964

16. عثمان محمد عبد الستار، أدوات الكتابة بين النشأة والتطور، مجلة مقاليد،العدد 6،الملحقة الثقافية السعودية بفرنسا،باريس.

17. لنوار صبرينة ،مساهمة الأوقاف في تمويل التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني*مجلة*

18. محمد عبد الستار عثمان، أدوات الكتابة بين النشأة والتطور، *مجلة مقاليد* عدد 6، الملحقة الثقافية السعودية بفرنسا

19. *مدارتا تاريخية* ،المجلد3 ، العدد الثاني .

20. ميمن داود، الهجرة الأندلسية ودورها في بناء القوة العسكرية للجزائر ما بين 1492 1610*مجلة الدراسات التاريخية العسكرية*،ع03 ، جانفي 2020

رسائل جامعية:

1. ــ طاهر بن عبد الحليم ، مدرسة صالح باي ومقبرته في سوق العصر بمدينة قسنطينة ، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، معهد الآثار 2008 ــ 2009 .

2. عميراوي فهيمة ، أوقاف الجيش الانكشاري بمدينة الجزائر، من 1009 إلى 1246 هـ 1600 إلى 1830 م رسالة دكتوراه جامعة الجزائر 22017-2018م

3. بن بلة خيرة ، المنشآت الدينية بالجزائر خلال العهد العثماني، رسالة دكتوراه، إشراف، عبد العزيز لعرج ، جامعة الجزائر 2، معهد الآثار، 2008م .

4. بن بلة علي ،دراسة نماذج من أسبلة فحص مدينة الجزائر خلال العهد العثماني،رسالة ماجيستير،جامعة الجزائر.

5. بن شامة سعاد ،المنشآت المعمارية الأثرية بمدينة البليدة في العهد العثماني ، رسالة ماجيستر ،معهد الآثار ،جامعة الجزائر 2،2009 .

6. بوخاوش مريم ، آثار سقوط الأندلس على بلاد المغرب الأوسط 06-10هـ/12-16م، رسالة دكتوراه، تاريخ وسيط، المدرسة العليا بوزريعة، 2014 ،

7. بوزرينة سعيد ، المنشآت الدينية المؤرخة بالكتابات التأسيسية بمينة الجزائر خلال العهد العثماني، دراسة تاريخية معمارية، جامعة الجزائر، رسالة ماجيستير 2009/ 2010،:

8. بوزرينة سعيد، الزوايا في الجزائر خلال العهد العثماني دراسة أثرية معمارية فنية ،رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر 2، 2009 .

9. بوزرينة سعيد، المنشآت الدينية المؤرخة بالكتابات التأسيسية بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني، مذكرة ماجيستر ،أثار عثمانية جامعة الجزائر 2 ،2022/2010 .

10. بوزرينة سعيد، المنشآت الدينية المؤرخة بالكتابات التأسيسية بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني، مذكرة ماجيستر ،أثار عثمانية جامعة الجزائر 2 ،2022/2010 .

11. بوضرساية بوعزة ، الحاج أحمد باي رجل دولة ومقاوم 1826 – 1848 م، رسالة لنيل الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، د.ت.

12. بوطيش سمير ، الخطوط والكتابات الأثرية على الفنون التطبيقية بالجزائر في العهد العثماني، دكتوراه ، 2019 ، جامعة الجزائر2

13. جبار صليحة ، الجزائر في عهد الداي علي باشا، مذكرة ماجيستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر 2، 2011/2010

14. جلال جميلة ، معالم بأميرالية الجزائر من العهد العثماني دراسة أثرية تحليلية فنية، رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر2

15. حنفي عائشة، البنود والأعلام البحرية بالجزائر في العهد العثماني، مجلة دراسات تراثية، ع، خاص05 ج2، 2014، مخبر البناء الحصاري للمغرب الأوسط، جامعة الجزائر2

16. دحدوح عبد القادر، مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني دراسة عمرانية أثرية، رسالة دكتوراه جامعة الآثار جامعة الجزائر 2009

17. رافع محمد،المنشآت المعمارية لبنايات الجزائر خلال الفترة العثمانية من (1161هـ-1748م) إلى (1212هـ-1798م) دراسة أثرية، رسالة دكتوراه ،جامعة الجزائر 2،إشراف الدكتورة لطيفة بورابة،2019-2020

18. شوقي يسرى ،العيون العامة بمدينة الجزائر وفحصها في العهد العثماني، مذكرة ماجيستير، معهد الآثار، الجزائر 2، 2012

19. صباغ عبد اللطيف، تاريخ الدولة العثمانية، دروس أكاديمية في التاريخ، جامعة عبد المالك السعدي، السنة 2023-2024

20. عيو يوسف،الكتابات الأثرية في منطقة تلمسان من الفتح الإسلامي إلى العهد العثماني، جامعة تلمسان،الجزائر، رسالة الماجيستر 1999م .

21. قشي فاطمة الزهراء، قسنطينة المدينة والمجتمع، ج2، رسالة دكتوراه في التاريخ، جامعة فسنطينة، 1998

22. معاشي جميلة، الأسرة المحلية الحاكمة في بايلك الشرق الجزائري من القرن 10هـ - 16 م/13هـ - 19 م، دراسة اجتماعية سياسية، رسالة لنيل ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة قسنطينة، 1990-1991

23. مفتاح عثمان، طبانات مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية، دكتوراه آثار إسلامية، جامعة الجزائر 2، 2014-2015

فهرس الأشكال والمخططات

الشكل أو المخطط	الصفحة
أحياء مدينة قسنطينة	66
خريطة أسواق مدينة قسنطينة و أهم البنايات الدينية	67
مخطط مسجد السيدة	184
مخطط الجامع الجديد	190
مخطط الجامع البراني	198
مخطط مسجد الداي	204
مخطط جامع الصفر	210
مخطط مسجد سدي عبد الرحمان الثعالبي	216
مخطط جامع كششاوة	226
حدود جامع كشاوة	226
مخطط مسجد ابن سعدون	238
مخطط مسجد الحنفي	237
محطط مسجد الكتاني بقسنطينة	247
مخطط يبين موقغ جامع سوق الغزل	252
مخطط مسجد سوق لغزل	255
مخطط مسجد الصالح باي بعنابة	271
مخطط مسجد المبايعة	284
مخطط الجامع الكبير بمعسكر	288

مخطط مسجد الباشا بوهران	291
مسجد الباي محمد عثمان الكبير بوهران	299
مخطط مسجد الباي محمد الكبير بوهران ضمن مخطط المستشفى 1838	303
مخطط المسجد	303
مخطط أهم قصور مدينة الجزائر	328
مخطط قصر حسن باشا	333
مخطط قصر مصطفى باشا	343
مخطط أفقي للمستوى الارضي لقصر خداوج	346
مخطط يبين الطابق الثاني لقصر خداوج	346
مخطط المستى الارضي لقصر عزيزة	347
مخطط لمقطع راسي للجهة الشرقية لقصر عزيزة	347
مخطط الطابق الاول قصر عزيزة	347
مخطط يبين موقع أبراج مناء مدينة الجزائر	397

فهرس الصور

الصورة	الصفحة
منظر لمدينة الجزائر	53
المساجد الثلاث :الميزومورتو– السيدة– علي بشين	172
الكتابة الاثرية لجامع علي بشين	175
الكتابة الاثرية لجامع علي باشا	176
الكتابة التاسيسية لمسجد باب الجزيرة	180
الكتابة التاسيسية لمسجد لمسجد عبد الرحيم	181
الكتابة التاسيسية لمسجد خير الدين	183
مسجد السيدة	184
صورة كتابة مسجد السيدة	185
الجامع الجديدة	188
الجامع الجديد	189
الجامع الجديدة في ساحة الحكومة	190
تمثيل الكتابات في المحراب في الجامع الجديد	192
الكتابة التاسيسية لجامع كتشاوة	198
صورة الجامع البراني	196
الواجهة الغربية لجامع البراني	198
المسجد البراني ممن الناحية الجنوبية	199

المسجد البراني من الداخل	199
كتابة تاسيسية للجامع البراني	200
كتابة تاسيسية للجامع البراني موجودة في المدخل	201
كتابة تاسيسية للجامع الداي	205
كتابة تاسيسية للجامع الداي	206
كتابة تاسيسية للجامع الصفر	212
كتابة الثانية تاسيسية لضريح سيدي عبد الرحمان الثعالبي	217
كتابة تاسيسية الثالتة لضريح سيدي عبد الرحمان الثعالبي	217
كتابة تاسيسية لضريح سيدي عبد الرحمان الثعالبي	219
صورتين لجامع كتشاوة من الداخل و الخارج	227
كتابة التاسيسية بجامع كتشاوة	228
لوح تذكاري كان على جدار جامع كتشاوة	228
مسجد ابن سعدون 1889	231
قاعة الصلاة مسجد ابن سعدون	231
صور ابواب مسجد ابن سعدون	235
مسجد الحنفي بالبليدة	236
اللوحة التذكارية بالمسجد الحنفي بالبليدة	238
الكتابة التاسيسية للمسجد الكبير بالمدية	239
حي سوق العصر في الفترة الاستعمارية	243
المدرسة و الجامع الكتاني 1906	243

المدرسة و الجامع الكتاني سنة 1906	243
الكتابة الاثرية بجامع الكتاني	248
تبيت الكتابة في المحراب	249
المتابة على المنبر الرخامي	250
قاعة الصلاة بمسجد سوق لغزل	254
الكتابة التذكارية الموجودة بقصر الداي	257
صورة من الداخل المسجد الاخصر	261
صورة يبين جزءا من كتابة البردة	262
لوحة تاسيسية بالجامع الاخضر	264
الكتابة التاسيسية بالجامع الاخضر	265
مسجد الصالح باي	269
الصحنو الاورقة و المؤذنة	270
كتابة تذكارية بمسجد تاملاحت بتاماسين	272
نموذج من الكتابة على المنبر بمسجد تاملاحت بتاماسين	273
الكتابة الاثرية بمسجد تقرت	274
محراب مسجد عين البيضاء	278
اية الكرسي مكتوبة بنفس الحط	280
الكتابة بجامع المبايعة	281
مدخل مسجد المبايعة	281
لوحة تذكارية حديثة	285

الجامع الكبير بمعسكر	286
واجهة مسجد الباشا بوهران	289
الواجهة الخارجية لمسجد الباشا و التافورة الوضوء	292
الكتابة التاسيسية لجامع الباشا	294
مسجد محمد عثمان الكبير	296
واجهة المسجد الباي محمد الكبير	300
الكتابة التاسيسية الموجودة على جدار المؤذنة بمسجد الباي محمد الكبير بوهران	302
واجهة مسجد الباي محمد الكبير بوهران	303
الضريح محمد بن علي بتلمسان	304
الكتابة التاسيسية للضريح	305
صور لقصبات في الجزائر ،دلس،قسنطينة،تلمسان،وهران	317
بعض القصور من الداخل و الخارج	319
واجهة قصر حسن باشا المضافة زمن الاستعمار	333
الكتابة الاثرية بقصر حسن باشا	334
الكتابة الاثرية بباب قصر الجنينة	336
الكتابة في مخزن الزرع بذراع الجنين	338
الكتابة الاثرية لخزينة دار الجنينة	339
كتابة تذكارية لتحديد القصر	340
كتابة تاسيسية لمخزن الزرع بباب عزون	341
قصر مصطفى باشا	343

الكتابة التذكارية لقصر مصطفى باشا	344
قصر خداوج	346
قصر عزيزة من الداخل و الخارج	348
قصر باي قسنطينة	350
الكتابات في قصر الباي	32
الكتابات اخرى في قصر الباي	353
الكتابات اخرى في قصر الباي	354
كتابات في جداريات في قصر الباي	393
كتابة في قصر الباي على باب خشبي يعرف بباب القهواجي	356
جداريات قصر الباي	357
كتابةلاسدين متقابلين	358
الكتابة الاثرية في بيت بن جلول	"358
سبيل عين الحمام	366
كتابة تاسيسية عين الثكنة القديمة	368
كتابة تجديدية لعين القسايرية	370
كتابة تاسيسية لعين زاووية القشاش	371
كتابة تاسيسية لعين الزرقة	374
صورتين لعين البحرية 1893 وعين البحرية بمناء الجزائر	376
كتابة تاسيسية لعين مجهولة	377
كتابة تاسيسية لعين بئر مراد رايس	397

كتابة تاسيسية لعين مجهولة	380
كتابة تاسيسية لعين الربط	380
كتابة اثرية لعين بئرخادم	382
كتابة اثرية لعين تقصريين	384
تحصينات مناء الجزائر	391
صورة الكتابة	392
مخازن خير الدين من الخارج	393
مخازن خير الدين 1856 م	393
صورة المناء و الابراج	396
برج السردين المدخل الرئيسي	393
الكتابة الاثرية لبرج القومان	405
الكتابة التاسيسية في البرج	408
الكتابة التاسيسية في البرج	411
برج راس المول المدخل الرئيسي	413
الكتابة الثانية	415
الخط المغربي على مدخل البرج	415
كتابة على الباب	416
صورة الكتابة	417
كتابة تاسيسي لحصن مجهول	420
صورة درع من مدينة وهران	429

خنجر مصنوع من الحديد والعاج من مدينة وهران	430
صورة البارودية	432
بارودية من الخشب و النحاس من مدينة الجزائر	433
خوذة عثمانية من القرن 16	434
راية من القماش والصوف من مدينة الجزائر	437
صنية من النحاس الاحمر من مدينة الجزائر	440
صنية من النحاس الاحمرتعود للفترة العثمانية من مدينة الجزائر	442
صنية من النحاس الاصفر مطلية بالقصدير	443
صنية من النحاس الاصفر تعود للقرن 13ه/19م من مدينة الجزائر	446
صنية من النحاس الاصفر	447
صنية من النحاس الاصفر	448
صنية من النحاس الاحمر	450
صنية كسكس من النحاس الاحمر والاصفر	452
صنية كسكس من النحاس الاحمر مطلي	453
صنية كسكس من النحاس الاحمر	453
صنية كسكس من النحاس الاحمر	454
طبق لتقديم الاكل من النحاس الاصفر	455
صورة قدر من النحاس الاحمر	457
مهراس من النحاس الاصفر	458
رحي القهوة والعقاقير من النحاس الاصفر	460

ابريق من النحاس الاحمر من مدينة الجزائر	461
كاس من النحاس الاحمر 13ه/19 م	463
كوب من النحاس الاحمر من مدينة الجزائر	464
مسمنة او سكرية او زبدية من النحاس	465
مسمنة او سكرية او زبدية من النحاس الاحمر	466
سكرية من النحاس الاحمر والمرجان	467
مسمنة او سكرية او زبدية من النحاس الاحمر ومطلي بالقصدير	468
دلو الحمام من النحاس الاحمر مطلي بالقصدير	470
إناء صغير من النحاس الاصفر والفضة	471
حوض الغسل زتجميع الماء جزء لميضأة	472
مزهرية من النحاس الاحمر	473
سجاد من الصوف من مدينة الجزائر	475
حقيبة صغيرة من الجلد	478
حاملة اوراق من الجلد والحيوط الفضية	479
حاملة اوراق من الجلد والحيوط الذهبية من مدينة الجزائر	480
رف جداري من الخشب من مدينة الجزائر	481
رف جداري من الخشب	482
شاشية مرصعة بالاحجار الكريمة من النقود الذهبية المكتوب عليها بالعربية	486
سلطاني ذهب الوزن 3 غ 1823 م	487
سلطاني دهب الوزن 3غ	487

ريال من الفضة ق 2,8 سم 8 غ	488
ريال من الفضة من مدينة الجزائر	488
نقود من قصر الباي قسنطينة	489
ختم موجودة بقصر الباي قسنطينة	490
معاهدة السلم والصداقة بين الجزائر والولايات المتحدة الامركية	492
معاهدة السلم والصداقة بين الجزائر والسويد	493
معاهدة السلم والصداقة بين الجزائر والدنيمارك	493
معاهدة السلم والصداقة بين الجزائر واسبانيا	494
معاهدة السلم والصداقة بين الجزائر والهولندا	495
غقد وقف صالح باي	496
طغراء محمد الثالث ومراد الثالث، وسليم الثالث والسلطان عثمان الثاني	500
عملة ذهبية تعود الى فترة السلطان عثمان الثالث	501

الفهرس العام

الموضوع	الصفحة
الإهداء	3
الشكر	4
المقدمة	6
الفصل التمهيدي الإطار التاريخي والجغرافي والأثري والعمراني للوجود العثماني بالجزائر.	14
1-أثر ظهور الخلافة العثمانية على البلاد الإسلامية والعربية	15
2-أوضاع الجزائر قبل الوجود العثماني	16
3-الوجود العثماني في الجزائر	22
4-مراحل حكم العثمانيين في الجزائر	26
الفصل الأول: الأوضاع الثقافية وواقع اللغة العربية بالجزائر في الفترة العثمانية.	35
1 ــ روابط الجزائر ثقافيا بالخلافة العثمانية	36
1.1.منطلقات الثقافة العربية في الخلافة العثمانية.	36
2.1 تأثر الخلافة العثمانية بالدين الإسلامي و اللغة العربية:	38
3.1 العلوم و الفنون في العهد العثماني	41
4.1 الهيئة الإسلامية.	42
2 ــ الأوضاع الثقافية بالجزائر في الفترة العثمانية	44
1.2-التقسيمات الإدارية للجزائر في الفترة العثمانية :	44
2.2. المدن الثقافية بالجزائر في الفترة العثمانية:	45
1 . مدينة الجزائر	46

2. مدينة البليدة في العهد العثماني .	51
3. قسنطينة في الفترة العثمانية	53
4. تكوين بايلك الشرق وتطوره.	54
5. مدينة عنابة خلال العهد العثماني.	58
6 بايلك الغرب قبل العهد العثماني وبعده	59
7. مدينة معسكر.	61
8. مدينة و هران .	63
9 مدينة تلمسان.	64
3 . المدينة و أثرها الثقافي في الفترة العثمانية:	66
4. نزوح الأندلسيين وتطور المراكز الثقافية في الفترة العثمانية.	66
1.4.هجرة الأندلسيين إلى الجزائر .	66
2.4.الآثار الثقافية و العمرانية لسقوط الأندلس على بلاد المغرب الأوسط.	68
5- الاهتمام بالثقافة في الجزائر في الفترة العثمانية.	72
6 ــ الوقف ودوره في تطور الحياة الثقافية و العلمية في الفترة العثمانية بالجزائر.	77
7 الهيآت الثقافية ووضعية التعليم: 7-1 المساجد:	82
المسجد في بلاد المغرب العربي:	83
دور المساجد في نشر الدين والثقافة والعلوم في الفترة العثمانية.	84
2.7.-المدارس.	85
7-3- الكتاتيب.	92

7-4-الزوايا.	93
8 .الهيئة العلمية والهيئة الدينية بالجزائر في الفترة العثمانية.	99
2 ــ واقع اللغة العربية في الجزائر في الفترة العثمانية.	101
اللغة العربية في فترة الخلافة العثمانية.	101
اللغة العربية في الجزائر في الفترة العثمانية.	104
الفصل الثاني : الخط و الكتابة الأثرية بالجزائر في الفترة العثمانية	115
مدخل: انتشار الكتابة في الجزائر في الفترة العثمانية	116
1 ــ الخط العربي النشأة والتطور	118
مفهوم الخط: ــ لغة ــ اصطلاحا	118
ظهور الخط والكتابة	120
الخط في العصر الجاهلي	138
عناية الحضارة العربية بالخط العربي وجودته (الخط والدين)	139
مراحل تطور الخط العربي	142
الخط العربي في صدر الإسلام	142
الخط العربي في العصر الأموي	145
الخط العربي في العصر العباسي	145
تطور الخط العربيفي الفترة العثمانية	146
الفترة العثمانية وتطور الابداع في الخط	148
اهتمام العثمانيين بالخط العربي	150
اتقان العثمانيين للخط العربي	155

انتشار الخط العربي في أوروبا	157
أنواع الخط العربي ومدارسه	158
المدارس الشهيرة للخط العربي	158
أنواع الخط العربي	159
الخط والزخرفة	16
الخط والكتابة الأثرية:	161
الكتابة وأهميتها	161
آلات الخطاط في الكتابة	163
استعمالات الخط العربي في الكتابات	164
الكتابات الأثرية أهميتها صيانتها وقيمتها التاريخية و الثقافية .	164
المفهوم الإجرائي للكتابة التاريخية في هذا البحث .	164
أهمية الكتابات الأثرية	165
لغة الكتابات الأثرية في العهد العثماني .	166
القيمة التاريخية للكتابة الأثرية .	167
الفصل الثالث: الكتابات الأثرية بالجزائر في الفترة العثمانية في العمارة الدينية (دار السلطان و بايلك التيطري)	169
-العمارة الدينية في الجزائر في الفترة العثمانية	170
2-الكتابات الأثرية في العمارة الدينية	171
3-اللغة العربية في الكتابات الأثرية في العمارة الدينية	172
4-الاستعمار الفرنسي وهدم العمارة الدينية في الجزائر (مثال المساجد)	173

5-الكتابات الأثرية المحفوظة بالمتاحف ودلالتها على العمارة الدينية بالجزائر في الفترة العثمانية:	178
5-1-الكتابات في مسجد علي باشا	179
5-2-الكتابات في جامع باب الجزيرة	182
5-3-الكتابات في مسجد عبد الرحيم	185
5-4-الكتابات في مسجد خير الدين	187
5-5-الكتابات الأثرية في جامع السيدة	189
6-الكتابات الأثرية الثابتة في العمارة الدينية بدار السلطان (الجزائر):	191
6-1-الكتابات في الجامع الجديد	192
6-2-الكتابات في الجامع البراني	199
6-3-الكتابات في الجامع الجواني (جامع الباي)	207
6-4-الكتابات الأثرية بجامع صفر	212
6-5-الكتابات الأثرية بجامع عبد الرحمان الثعالبي	218
6-6-الكتابات بجامع كتشاوة	229
7-الكتابات الأثرية بمساجد مدينة البليدة في الفترة العثمانية:	233
7-1-مسجد ابن سعدون	233
7-2-المسجد العثماني الحنفي بالبليدة	238
الفصل الرابع: الكتابات الأثرية بالجزائر في الفترة العثمانية في العمارة الدينية في بايلك الشرق و بايلك الغرب	244
1-الكتابات الأثرية في مساجد بايلك الشرق الجزائري في الفترة العثمانية:	245

-الكتابات الأثرية في جامع سيدي الكتاني	245
-الكتابات الأثرية في جامع حسن باي بقسنطينة (جامع سوق الغزل)	255
-الكتابات الأثرية في جامع سيدي لخضر بقسنطينة	261
-الكتابات الأثرية في جامع صالح باي بعنابة	269
الكتابات الأثرية في سكيكدة وتقرت	274
2-الكتابات الأثرية بمساجد بايلك الغرب الجزائري في الفترة العثمانية:	278
-الكتابات الأثرية في جامع عين البيضاء بمعسكر	279
-الكتابات الأثرية في الجامع الكبير بمعسكر	289
-الكتابات الأثرية بجامع حسن باشا بوهران	292
-الكتابات الأثرية بجامع الباي بوهران	299
-الكتابات الأثرية بتلمسان	308
الفصل الخامس: الكتابات الاثرية بالجزائر في الفترة العثمانية في العمارة المدنية والعسكرية	313
.1-الكتابات في العمارة المدنية.	314
.التوسع العمراني في المدن في الفترة العثمانية.	315
مواصفات العمارة المدنية في الجزائر في الفترة العثمانية وأصالتها:	319
الزخرفة في العمران في الجزائر	324
الزخارف النباتية -الزخرفة الهندسية .الزخرفة الرمزية. الزخرفة الحيوانية و العمائرية.	325
الزخرفة الكتابية في العمارة المدنية بالجزائر.	328
القصور الجزائرية في الفترة العثمانيه.	330
هندسة البناء والمرافق العمرانية في قصور الجزائر.	333

أمثلة عن الكتابات في القصور بالجزائر .	336
قصر حسن باشا.	336
قصر الجنينة	339
الكتابة في مخزن الزرع بدار الجنينة .	341
الكتابة الأثرية لخزينة دار الجنينة .	242
كتابة تذكارية لتجديد قصر الجنينة .	343
الكتابة التأسيسية لمخزن الزرع بباب عزون	345
قصر مصطفى باشا.	346
قصر خديوج(خداوج).	349
قصر عزيزة	351
أمثلة الكتابات الأثرية خارج دار السلطان	353
قصر الباي بقسنطينة.	353
بيت بن جلول	362
الكتابات الأثرية في العيون	364
العيون في العمارة المدنية	364
العيون و الأسبلة في الفترة العثمانية	364
الكتابة الأثرية في عين الحامة	368
. الكتابة الأثرية في عين الثكنة القديمة (الفوقانية).	370
. الكتابة الأثرية في عين القيسارية.	372
. الكتابة الأثرية في عين زاوية القشاش.	374

الكتابة الأثرية في العين الزرقاء	376
الكتابة الأثرية في عين البحرية(عين باب الجزيرة) أو عين بابا علي	378
الكتابة الأثرية في عين مجهولة.	380
الكتابة الأثرية في عين بير مراد رايس	381
الكتابة الأثرية في عين الربط	383
الكتابة الأثرية في عين بئر خادم.	384
الكتابة الأثرية في عين تيقصراين.	386
الكتابات الأثرية في العمارة العسكرية	390
2-العمارة العسكرية في الجزائر في الفترة العثمانية:	393
الكتابات في العمارة العسكرية	364
نماذج الكتابات في العمارة العسكرية بالجزائر:	395
الميناء سد خير الدين (رصيف)	396
الأبراج	398
تعريف البرج:	398
أمثلة عن الأبراج التي بها كتابات .	401
برج السردين.	401
البرج الجديد.	406
برج القومان(الحبال).	407
برج ما بين.	411
برج راس المول .	415

الاستحكامات العسكرية	419
(الأبواب).	419
الكتابة في باب الدزيره أو باب البحرية.	420
الحصون .	422
الكتابة في بناء مجهول يرجح أنه حصن(1197 هـ الموافق 1782 - 1783م)	422
الثكنات :	425
الكتابات في ثكنة باب عزون :	425
ثكنة صالح باشا :	426
الثكنة القديمة (اسكي) و الثكنة الجديدة (ايكي)	427
الكتابات في المباني العسكرية بالغرب الجزائري.	428
الكتابات في المباني العسكرية في الشرق الجزائري.	430
الكتابات الأثرية في الأسلحة والرايات وعدة المجاهد.	431
درع فارس	432
خنجر حرب	433
البارودية (حاملة البارود)	434
الخوذات	436
الرّايات	437
الفصل السادس : نماذج من الكتابات في الآثار المنقولة في الجزائر إبان الفترة العثمانية	441
الكتابات في الآثار المنقولة :	441
1 - اللغة العربية في الكتابات الأثرية في الأواني في الفترة العثمانية:	442

الصواني :الصينية (السني)	443
أطباق الكسكس	454
القدر	461
المهراس	462
رحاء القهوة و العقاقير (الرحيوة)	463
الأباريق (البقراج)	464
الفناجين أو الكؤوس	467
السكريات (المسمنات أو الزبديات):	469
الدلاء والجرار و الطاسات والسطلات (أواني الغسيل) :	473
المزهريات	476
تحف النسيج	477
التحف الجلدية	480
التحف الخشبية	484
- 2- اللغة العربية في السكة الجزائرية في الفترة العثمانية	486
- السكة وضرب النقود في الجزائر في الفترة العثمانية:	487
- مميزات الكتابة في النقود الجزائرية في الفترة العثمانية:	488
- مضمون الكتابات في النقود الجزائرية:	489
- أمثلة للكتابات على النقود الجزائرية في الفترة العثمانية:	490
- 3- الكتابات الأثرية في الأختام:	494
ختم الباي بقسنطينة(قصر الباي)	494

الأختام الموجودة في المعاهدات والمراسلات وعقود الوقف	495
الطغراء:	500
شكل الطغراء و أقسامها :	503
امثلة عن الطغراء.	503
الخاتمة	470
الملاحق	447
فهرس المصادر و المراجع	477
فهرس الأشكال و المخططات	479
فهرس الصور	488
قائمة المختصرات	499
الملخص بالعربية	500
الملخص بالإنجليزية	502

قائمة المختصرات

الرمز	المعنى
ص	صفحة
د.ت	دون تاريخ
د.ط	دون طبع
ج	جزء
تح	تحقيق
تر	ترجمة
ص ص	صفحات متلاحقة
ع	عدد
مج	مجلد
س	سنة
م	ميلادي
هـ	هجري
م.ن	المرجع نفسه
م.س	المرجع السابق
N	Numero
P.P	Pages Continues

الملخص:

شهدت الجزائر في الفترة العثمانية تطورا واضحا في الجانب الحضاري، حيث كان للوجود العثماني أثره في عدم احتلال الجزائر من قبل الدول الأوروبية خاصة إسبانيا.

وقد عرفت العمارة الدينية والمدنية والعسكرية تطورا كبيرا، على الرغم من التشويه التاريخي والدمار الذي تعرضت له من قبل الاحتلال الفرنسي.

وتعتبر الكتابات التاريخية والأثرية ذات أهمية في الحفاظ على الموروث الحضاري وتبليغه للأجيال اللاحقة، كما أن لها أهمية في التأريخ للمنشآت العمرانية، فالكتابة الأثرية مصدر هام من مصادر التاريخ الإسلامي، وهو عدة أنواع: تذكارية وتأسيسية وتزيينية وشاهدية..، هذا البحث يبحث أساسا في عناصر مهمة في الجانب الثقافي في الفترة العثمانية.

فهو بالدرجة الأولى يركز على انتشار اللغة العربية في هذه الفترة والحفاظ عليها وتعزيز وجودها.

كما يبحث في تطور الخط العربي وأنواعه وأهميته في الفترة العثمانية، ويركز البحث أيضا في الجانب التطبيقي على أمثلة لانتشار الكتابة الأثرية في العمارة الدينية والمدنية والعسكرية، ويعطي أمثلة عن الأثار المنقولة وانتشار الكتابات الأثرية فيها مثل العملة الجزائرية في الفترة العثمانية وكذلك الأواني المنزلية والأسلحة والألبسة.

مما يبين بوضوح استعمال الخط العربي في الجزائر إبان الفترة العثمانية، وهذا ما يؤكد أصالة هذا الشعب وعراقة حضارته، وإن كان الاستعمار الفرنسي قد حاول تشويه هذه الفترة بما يخدم مصالحه، وحاول قدر الإمكان طمس هوية الجزائريين المتعلقة بالدين واللغة.

لقد بيّن هذا البحث أن حضارة الجزائر متكاملة وأن عناصر هويتها من دين ولغة مرتكزان أساسيان لبقائها.

تناول البحث أيضا الجانب اللغوي للكتابات الأثرية، وهو أمر مهم جدا إذ أن علم الأثار والتاريخ لهما اتصال وثيق باللغة، وقد تضمن البحث مقدمة وخمسة فصول وخاتمة.

تناول الفصل التمهيدي: الإطار التاريخي والجغرافي والأثري والعمراني للوجود العثماني بالجزائر.

وتناول الفصل الأول: الأوضاع الثقافية وواقع اللغة العربية بالجزائر في الفترة العثمانية.

تناول الفصل الثاني: الخط والكتابة الأثرية في الجزائر بالفترة العثمانية.

تناول الفصل الثالث: الكتابات الأثرية في العمارة الدينية في دار السلطان و التيطري

تناول الفصل الرابع: الكتابات الأثرية في العمارة الدينية في بايلك الشرق و الغرب

تناول الفصل الخامس: الكتابات الاثرية في العمارة المدنية والعسكرية

تناول الفصل السادس :نماذج من الكتابات الأثرية في الأثار المنقولة بالجزائر في الفترة العثمانية.

إن هذا العمل يبين بوضوح أن الأثار مهمة جدّا لكتابة التاريخ والتحقيق فيه، ذلك أن القطعة الأثرية هي بمثابة دليل ووثيقة مبينة لما كان عليه المجتمع.

وتبين هذه الدراسة أن اللغة العربية في الفترة العثمانية كانت هي اللغة المستعملة في كل الحياة الاجتماعية والاقتصادية والعسكرية، هذه التي ترتبط بالفكر وبالمشاعر الإسلامية، فالجزائري تشبث بلغته واستعملها في حياته.على الرغم من محاولة فرض اللغة العثمانية في الدواوين و السياسة الخارجية .

summary:

During the Ottoman period, Algeria witnessed a clear development in the cultural aspect, as the Ottoman presence had an impact in preventing Algeria from being occupied by European countries, especially Spain.

Religious, civil and military architecture has witnessed great development, despite the historical neglect and destruction it was subjected to by the French occupation.

Historical and archaeological writings are considered important in preserving the cultural heritage and conveying it to subsequent generations. They also have importance in the history of urban facilities. Archaeological writing is an important source of Islamic history, and it has several types: commemorative, founding, decorative, and witness… This research mainly examines the elements Important in the cultural aspect of the Ottoman period.

It primarily focuses on the spread of the Arabic language in this period, preserving it and enhancing its presence.

It also examines the development of Arabic calligraphy, its types, and its importance in the Ottoman period. The research also focuses on the applied side on examples of the spread of archaeological writing

in religious, civil, and military architecture, and gives examples of movable antiquities and the spread of archaeological writings in them, such as the Algerian currency in the Ottoman period, as well as household utensils, weapons, and clothing.

Which clearly shows the use of Arabic calligraphy in Algeria during the Ottoman period, and this is what confirms the authenticity of this people and the antiquity of their civilization, even though French colonialism tried to distort this period in a way that served its interests, and tried as much as possible to erase the identity of the Algerians related to religion and language.

This research has shown that Algeria's civilization is integrated and that the elements of its identity, including religion and language, are fundamental foundations for its survival.

The research also dealt with the linguistic aspect of archaeological writings, which is very important since archeology and history have a close connection with language. The research included an introduction, five chapters, and a general conclusion.

The introductory chapter dealt with: the historical, geographical, archaeological and urban framework of the Ottoman presence in Algeria.

The first chapter dealt with: the cultural conditions and the reality of the Arabic language in Algeria in the Ottoman period.

The second chapter dealt with calligraphy and archaeological writing in Algeria during the Ottoman period.

The third chapter deals with archaeological writings on religious architecture

The fourth chapter deals with archaeological writings on military and civil architecture.

Chapter Five: Examples of archaeological writings on movable antiquities in Algeria in the Ottoman period.

Chapter six: Examples of archaeological writings on movable antiquities in Algeria in the Ottoman period.

This work clearly shows that antiquities are very important for writing and investigating history, because the antiquity serves as evidence and a document showing what society was like, and this study shows that the Arabic language in the Ottoman period was the language used in all social, economic and military life, which It is linked to Islamic thought and feelings, as the Algerian clung to his language and used it in his life.